الياقوت والمرجان

في عقيدة أهل الإيمان

جمع وترتيب

الدكتور عبد اللطيف بن خالد آل موسى

راجعه وقدم له

الدكتور سيد بن حسين العفاني





مؤسسة
الأهوال
الإعلامية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

بقلم الدكتور/ سيد بن حسين العفاني

إن الحمد للَّه، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده اللَّه فلا مُضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

قال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب اللَّه، وأحسن الهدى هدى محمد صلى اللَّه عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد:

فإن طلب الحق أحلى في النفوس الأبيّة من الشمس في رابعة النهار، وقطب تدور عليه همم الأخيار وعباب تنصب منه جداول الأنهار، والحق له قوته وصدقه وثباته، وكلمة الحق كالشجرة الطيبة ثابتة شامخة مثمرة لا تزعزعها الأعاصير، ولا تعصف

بها رياح الباطل. والحق الأصيل لا يموتُ ولا يزْوَى، مهما زحمه الشر والزيف وأخذ عليه الطريق، إن الخير بخير وإن الشر بشر.

وعقيدة السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان نور أشرقت به نفوس سلفنا ومن سار على دربهم، فرأوا الطريق واضحة إلى اللَّه عز وجل لا يشوبها غبش فلسفي، ولا يحجبها ضباب أهل الكلام، ولا غبش الأوهام والخرافات، أو غبش الأرجحة وعدم الثبات على طريق اللَّه، فما تعثروا تعثر أهل البدع ولا اضطربوا ولا ترددوا ولا احتاروا، بل أيقنوا أنَّ الحق في فهم الإسلام من نبعه الأصيل الذي لا تكدره الدلاء .. نبع الكتاب والسنة بفهم الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان، وأن الحق أن يسير الناس على دربهم، وأن الخير كل الخير فيما كان عليه رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم من اعتقاد وفهم.

وروى مسلم وابن ماجه عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: «إن الاسلام بدأ غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ؛ فطوبي للغرباء» وهم «الذين يصلحون إذا فسد الناس». كما جاء في رواية جابر وهذه الغربة لا وحشة على صاحبها، بل هو آنس ما يكون إذا استوحش الناس.. والواحد منهم هو السواد الأعظم، وهو الجماعة ولو كان وحده وسط أهل البدع.

وعن عمر رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة». (رواة الحاكم في المستدرك وصححه الألباني). وعن المغيرة رضى اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر اللَّه وهم ظاهرون».

عقيدة السلف نور تشرق به نفس صاحبها ودنيا الناس بعيدًا عن غبش وظلمات أهل البدع والأهواء من أهل الإعتزال ومن المتكلمين ومن الخوارج والمرجئة، وزبالات الصوفية وأساطيرها وشركياتها وخرافاتها وسقط متاع التاريخ من الفكر الفلسفي أو القطوف العفنة من حدائق الخوارج الدموية، أو حنظل المعتزلة وثمارها

النكدة، أو الفروع الجافة التي لا ظل لها من أشجار مدرسة القرآنيين منكري السُّنة، أو غوص في مستنقع الضلال الآسن الشيعي، وتفاهة أقوال الجهمية والحلولية والمعطلة، والقائلين بوحدة الوجود والباطنية والملاحدة والمجسمة والمشبهة.

قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: «ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، وإن بني إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملّة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملّة، كلهم في النار إلا ملّة واحدة؛ ما أنا عليه وأصحابي». رواه الترمذي وحسنه الألباني.

وقال صلى اللَّه عليه وسلم: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة فواحدة في الجنة، وسبعون في النار، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، فإحدى وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة، واثنتان وسبعون في النار». رواه ابن ماجه وصححه الألباني.

إن العقيدة السلفية ليست منهجًا فكريًا ونظريات ثقافية يحفظها الإنسان حفظًا جيدًا ويحسن الإجابة عنها بل هي منهج يتحرك به الإنسان في كل لحظة من لحظات حياته يبدأ مثل ما بدأ به النبيون في الدعوة إلى اللَّه من توحيد اللَّه وسجود العقل والقلب على عتبة العبودية، ويشاهد العبد فيه أثار ونور توحيد الأسماء والصفات، وأثر ذلك في أفعاله، فهي ليست متون جامدة بعيدة عن واقع الإنسان.

وهذا الكتاب الطيب العطر المبارك «**الياقوت والمرجان في عقيدة أهل الإيمان**» الذي خطه يراع أخينا وحبيبنا في اللَّه الدكتور عبد اللطيف بن خالد آل موسى حفظه اللَّه تعالى ورعاه يدلّ على قدر صاحبها وكرامته وتمكنه، وليس غريبًا على المدينة المرابطة غزة بلدة الشافعي الذي كان أشهر من الدنيا في الدنيا أن تُخرج هذا الثمر الطيب من رجال وأهل علم يذبون عن السنة ويسيرون عليها وينافحون أهل البدع ويحذرون الناس من دجلهم وباطلهم.

فاللَّه أسأل أن يبارك في جهد الدكتور عبد اللطيف وقلمه وأن يجعل هذا الكتاب النافع في ميزان حسناته يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى اللَّه بقلب سليم.

وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين

كتبه

الدكتور/ سيد بن حسين العفاني

الرابع من ذي الحجة سنة ١٤٢٧هـ



الركن الأول من أركان الإيمان

الإيمان بالله

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

التوحيد

اعلم أرشدك اللَّه أن التوحيد ثلاثة أنواع:

(توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات)

أولًا: توحيد الربوبية:

وهو إفراد اللَّه بأفعاله، أي: اعتقاد أن اللَّه سبحانه وتعالى خالق العباد ورازقهم ومحييهم، ومميتهم، وهذا النوع من التوحيد لا يخرج الإنسان من دائرة الشرك إلى دائرة الإسلام ولا يعصم دمه، ولا ينجيه من عذاب الجحيم، وهذا النوع من التوحيد قد أقر به المشركون السالفون وجميع أهل الملل من اليهود والنصارى والصابئين والمجوس ولم ينكر توحيد الربوبية إلا الدهرية فيما سبق والشيوعية في زماننا، والدليل على إقرار المشركين بتوحيد الربوبية:

قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان: ٢٥].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس].

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف:٩].

ثانيًا: توحيد الألوهية:

وهو إفراد اللَّه بسائر العبادات المشروعة والتي لا تصرف لا لنبي مرسل، ولا لمَلك

مقرب فضلًا عن غيرهما، كالصلاة، والطواف، والحج، والصوم، والنذر، والاعتكاف، والذبح، والسجود، والركوع، والخوف، والرجاء، والرّغبة، والرهبة، والخشية، والاستغاثة إلى غير ذلك من أنواع العبادات التي شرعها اللَّه في قرآنه المجيد أو شرعها رسول اللَّه ﷺ بالسُّنة الصحيحة القولية والفعلية، فمن صرف شيئًا من هذه العبادات لغير اللَّه يكون مشركًا لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

تفسير العبادة:

❁ العبادة في اللغة معناها: التذلل والخضوع، ويقال: طريق معبد ي مذلّل.

❁ وفي الشرع: معنى العبادة كما قال شيخ الإسلام: هي طاعة اللَّه بامتثال ما أمر اللَّه به على ألسنة الرسل. وقال أيضًا: العبادة اسم جامع لكل ما يحبه اللَّه ويرضاه من الأعمال والأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

أنواع العبادات وأدلتها:

أولًا: الركوع والسجود: لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

ثانيًا: دليل الصلاة والذبح: قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام].

ثالثًا: دليل النّذر والطّواف: قوله تعالى: ﴿وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩].

رابعًا: دليل الحلف: قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ» (١).

خامسًا: دليل الاستعانة: قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

---

(١) صحيح، جزء من حديث رواه الترمذي (١٥٣٥)، وأبو داود (٣٢٥١) عن عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٠٤)، وأحمد في المسند (٥٣٥٢).

وقوله ﷺ في الحديث الصحيح: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»[(١)].

سادسًا: دليل الاستغاثة: قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩].

سابعًا: دليل الدعاء: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦].

ثامنًا: دليل الخوف: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

تاسعًا: دليل الرجاء: قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦].

وقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

عاشرًا: دليل الرهبة: قوله تعالى: ﴿فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [النحل: ٥١].

الحادي عشر: دليل الخشية: قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤].

الثاني عشر: دليل الرغبة والرهبة: قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

الثالث عشر: دليل الخشوع: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٩].

الرابع عشر: دليل المحبة: قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

(١) صحيح، جزء من حديث رواه الترمذي (٢٥١٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٥٧)، وأحمد في المسند (٢٦٦٤، ٢٧٥٨، ٢٨٠٠).

ثالثًا: توحيد الأسماء والصفات:

وهو الإيمان بكل ما ورد في القرآن الكريم، والحديث الصحيح من صفات اللَّه تعالى التي وصف بها نفسه، ووصفه بها رسوله ﷺ على الحقيقة من غير تأويل ولا تكييف، ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تفويض كالاستواء والنزول واليد والمجيء وغيرها من الصفات نفسرها بما ورد عن السلف، فالاستواء مثلًا ورد تفسيره عن أبي العالية ومجاهد من التابعين في صحيح البخاري بأنه العلوّ والارتفاع اللذان يلقيان بجلاله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

ولذلك لما سئل الإمام مالك رحمه اللَّه عن الاستواء قال : «الاستواء غير مجهول -أي معلوم- والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة» والمعنى: أن الاستواء معلوم أي: هو العلوّ والارتفاع اللذان يلقيان بجلال اللَّه ولا يعرف كيفيته إلا اللَّه ولا يشبه مخلوقاته.

والتأويل: هو صرف ظاهر الآيات والأحاديث الصحيحة عن ظاهرها إلى معنى آخر باطل مثل استوى بمعنى استولى.

والتعطيل: هو جحد صفات اللَّه ونفيها عنه كالعلوّ للَّه على السماء فقد زعمت الفرق الضالة أن ذات اللَّه في كل مكان.

والتكييف: هو تكييف صفات اللَّه، وأن كيفيتها كذا وكذا، فعلو اللَّه على السماء والعرش لا يشبه مخلوقاته ولا يعلمه إلا اللَّه.

والتمثيل: هو تمثيل صفات اللَّه بصفات خلقه، فلا يُقال ينزل اللَّه إلى السماء الدنيا كنزولنا، فلا يعلم كنه وكيفية هذا النزول إلا الله.

والتفويض: هو عدم تفسير صفات اللَّه واعتبارها من الآيات المتشابهات التي يفوض أمرها إلى اللَّه كعدم تفسير الاستواء مثلًا، وهو تعطيل لصفة العلو.

❋ ❋ ❋ ❋

معنى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾

قال رسول اللَّه ﷺ في حجة الوداع: «وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ قَالُوا نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ اللَّهُمَّ اشْهَدْ اللَّهُمَّ اشْهَدْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ»(١).

سئل أبو حنيفة رحمه اللَّه عمن قال لا أعرف ربي في السماء أم في الارض فقال: لقد كفر لأن اللَّه يقول: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وعرشه فوق سبع سماوات، سئل: فإن قال إنه على العرش؛ ولكنه يقول: لا أدري العرش في السماء أم في الأرض؟ قال: هو كافر؛ لأنه أنكر أنه في السماء، ومن أنكر أنه في السماء فقد كفر(٢).

نقل البخاري في كتاب التوحيد عن أبي العالية ومجاهد معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٩] «علا وارتفع».

قال المفسر الطبري في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ أي: علا وارتفع.

وقيل لعبد اللَّه بن المبارك: كيف تعرف ربنا؟ قال: إنه فوق السماء السابعة على العرش، ولقد تكرر في القرآن الاستواء على العرش سبع مرات مما يدل على أن علو اللَّه على عرشه صفة كمال للَّه، لها أهمية عظيمة.

ولما سئل الإمام مالك رحمه اللَّه عن الاستواء قال: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب.

والمعنى: أن الاستواء معلوم معناه في اللغة وهو العلو والارتفاع لا يعلم كيفيته إلا اللَّه، ولا يشبه مخلوقاته.

---

(١) صحيح، جزء من حديث طويل رواه مسلم (١٢١٨/١٤٧)، وأبو داود (١٩٠٥)، وابن ماجه (٣٠٦٥).

(٢) شرح الطحاوية (٣٢٢).

فلا يجوز تفسير استوى بمعنى استولى لأنه لم يرد ذلك في اللغة العربية، وما يستشهدون به من قول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق   من غير سيف ودم مهراق

فيقول ابن الجوزي في تفسيره (زاد المسير): (هذا شعر لم يعلم قائله ولا يؤخذ به).

ولو فسرنا استوى بمعنى استولى فمعنى ذلك أن اللَّه لم يكن مستوليًا على عرشه قبل ذلك وكان بيد غيره، ثم استولى عليه، وهذا المعنى باطل يخالف الحقيقة.

ولو جاء تفسير الشعر بالاستيلاء، لم يجز بالنسبة لله؛ لأنه لا يشبه المخلوقات، ولقد أمر اللَّه اليهود أن يقولوا: ﴿حِطَّةٌ﴾ [البقرة: ٥٨] فقالوا: «حنطة» تحريفًا، وأخبرنا اللَّه أنه استوى على العرش فقال المتأولون: (استولى) فانظر ما أشبه لامهم التي زادوها، بنون اليهود التي زادوها. [قاله ابن القيم].



معنى لا إله إلا اللَّه

كلمة التوحيد «لا إله إلا اللَّه»: تعني لا معبود بحق إلا اللَّه فهي تنفي العبودية لغير اللَّه وتثبتها للَّه وحده، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج].

وهي تنفي أربعة أمور وتثبت أربعة أمور:

تنفي:

١- الآلهة: وهي ما قصدته بشيء من جلب خير أو دفع ضر فيما لا يقدر عليه إلَّا اللَّه عز وجل.

٢- الطواغيت: وهي كل ما عُبد من دون اللَّه أو رُشح للعبادة وهو راضٍ بذلك.

٣- الأنداد: وهي كل من جذبك عن دين اللَّه من أهل أو مسكن أو عشيرة أو مال.

٤- الأرباب: وهو كل من أفتاك بمخالفة الحق وأطعته مصدقا لقوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١].

وتثبت:

١- القصد: أي لا تقصد إلا اللَّه.

٢- التعظيم والمحبة: لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

٣- الخوف والرجاء: لقوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦].

٤- التقوى: وهي كما قال ابن مسعود: «أن تعمل بطاعة اللَّه على نور من اللَّه ترجو ثواب اللَّه، وأن تترك معصية اللَّه على نور من اللَّه تخاف عقاب اللَّه».... قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور: ٥٢].



شروط لا إله إلا الله

الشرط الأول:

العلم بمعناها المراد منها نفيًا وإثباتًا المنافي للجهل لقوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد:١٩]، وفي الصحيح عن عثمان رضي اللَّه عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»(١).

الشرط الثاني:

اليقين المنافي للشك: اليقين المنافي للشك (أي أن يستيقن قائلها بمدلول هذه الكلمة يقينًا جازمًا منافيًا للشك)، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥﴾ [الحجرات]، وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ لَا يَلْقَى اللَّهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»(٢).

الشرط الثالث:

القبول والانقياد لما اقتضته هذه الكلمة بالقلب واللسان، لقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥﴾ [النساء]، وفي الحديث: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به »(٣).

---

(١) صحيح، رواه مسلم (٤٣/٢٦)، وأحمد في المسند (٤٦٦، ٥٠٠).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٤٤/٢٧)، وأحمد في المسند (٩١٧٠).

(٣) ذكره الألباني في مشكاة المصابيح (١٦٧/٣٦/١) بسند ضعيف، وقال النووي في أربعينه: هذا حدبث صحيح رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح.

الشرط الرابع:

الصدق المنافي للكذب، بحيث يتواطأ القلب واللسان والجوارح في مفهوم الكلمة، قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٤﴾ [العنكبوت]، وفي الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ»(١).

الشرط الخامس:

الإخلاص لهذه الكلمة؛ وهو تصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشرك، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة :٥].

وفي الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ»(٢).

وقد قال الفضيل بن عياض رحمه اللَّه عن العمل: (إن اللَّه تعالى لا يقبل العمل حتى يكون خالصًا صوابًا فإذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل، والخالص أن يكون للَّه، والصواب أن يكون على السُّنة).

الشرط السادس:

المحبة والولاء لهذه الكلمة، ولما اقتضته، ولأهلها العاملين بها الملتزمين بشروطها، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة :١٦٥]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ﴾ [المائدة :٥٤].

---

(١) صحيح، رواه البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٢/٥٣).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٩٩).

وفي الحديث: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»[1].

وقال الشيخ حافظ الحكمي رحمه اللَّه: (وعلامة حب العبد ربه .. تقديم محابه وإن خالفت هواه، وبغض ما يبغض ربه وإن مال إليه هواه، وموالاة من والى اللَّه ورسوله، ومعاداة من عادى اللَّه ورسوله، واتباع رسوله ﷺ واقتفاء أثره وقبول هداه). معارج القبول.

ويقول ابن القيم في قصيدته النونية:

شرط المحبة أن توافق من تحب	على محبة بلا عصيان
فإذا ادعيت له المحبة مع خلافك	ما يحب فأنت ذو بهتان
أتحب أعداء الحبيب وتدعي	حبًا له ما ذاك في إمكان
وكذا تعادي جاهدًا أحبابه	أين المحبة يا أخا الشيطان
ليس العبادة غير توحيد المحبة	مع خضوع القلب والأركان
ولقد رأينا من فريق يدعي	الإسلام شركًا ظاهر التبيان
جعلوا له شركاء والوهم	وسوُّوهم به في الحب لا السلطان

الشرط السابع:

البراءة والبغض والمعاداة لأعداء هذه الكلمة غير الملتزمين بها وبشروطها وهذه البراءة تختلف حسب إيمان المسلم وحسب الظروف التي تمر، فأحيانًا لا يستطيع المسلم أن يبرأ وينكر إلا بالقلب، وأحيانًا يستطيع أن يبرأ وينكر بالقلب واللسان، وأحيانًا يكون له من القوة ما يجعله يعلن البراءة بالقوة وحد السيف والسنان، ولذلك جاء في الحديث: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ

(١) صحيح، رواه البخاري (١٦، ٢١، ٦٠٤١، ٦٩٤١)، ومسلم (٤٣/٦٧)، والنسائي (٤٩٨٨)، وابن ماجه (٤٠٢٣) عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه.

فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»[(١)].

وعن أم سلمة رضي اللَّه عنها أن رسول اللَّه ﷺ قال: «إنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن كره فقد برئ، ومن أنكر فقد سلم؛ ولكن من رضي وتابع، قالوا: يا رسول اللَّه ألا نقاتلهم؟ فقال: لا، ما صلوا»[(٢)].

وفي الحديث جعل النبي ﷺ المانع من مقاتلة أمراء الجور إقامتهم الصلاة، وفي الحديث بين المصطفى ﷺ أنه من كره بالقلب فقد برئ، ومن أنكر باللسان فقد سلم؛ بل إن الإسلام يبيح للمسلم تحت الضغوط الشديدة من قبل الكفار والمشركين أن ينطق بكلمة الكفر مادام قلبه مطمئنًا بالإيمان، وهذا ما حدث مع عمار بن ياسر يوم أن عذبه المشركون عذابًا شديدًا وأجبروه على النطق بكلمة الكفر، فأعطاهم ما أرادوا من التصريح بالكفر باللسان مكرهًا، فقال له النبي ﷺ: «كيف تجد قلبك؟ قال: مطمئنًا بالإيمان، فقال المصطفى ﷺ: إن عادوا فعد، فنزل قول اللَّه عز وجل: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾﴾ [النحل: ١٠٦]»[(٣)].

ولذلك فالإكراه على التلفظ بكلمة الكفر لا يخرج المسلم عن دينه مادام قلبه مطمئنًا بالإيمان، ومن ثم لا يخرج المسلم عن دائرة الإسلام، ولا يحكم عليه بالردة إلا إذا انشرح صدره بالكفر، وانشراح الصدر هذا غيب، والغيب لا يعلمه إلا اللَّه، ولذلك حتى يُحكم على الرجل بالكفر لابد أن يكون قد كفر كفرًا بَواحًا صُراحًا

---

(١) صحيح، رواه مسلم (٤٩/٧٨)، والترمذي (٢١٧٢)، والنسائي (٥٠٠٨)، وأبي داود (١١٤٠) عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه.

(٢) صحيح، رواه مسلم (١٨٥٤/٦٣)، والترمذي (٢٢٦٥)، وأحمد في المسند (٢٥٩٨٩، ٢٦٠٣٧، ٢٦٠٦٦).

(٣) صحيح، رواه الحاكم في المستدرك (٤٩٩/٣٣٦٢) وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

لا يحتمل التأويل، ولذلك نسب إلى الإمام مالك رحمه اللَّه أنه قال: (من صدر عنه ما يحتمل الكفر من تسعة وتسعين وجهًا ويحتمل الإيمان من وجه واحد حُمِلَ أمرهُ على الإيمان).

من مظاهر مولاة الكفار

١- التشبه بهم في الملبس والعادات والتقاليد والخصائص وغيرها:

قال ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم»[1].

فيحرم التشبه بالكفار في الملبس والعادات والتقاليد والخصائص كلبس الثياب المعصفرة ورباط العنق، وحلق اللحى وإطالة الشوارب والرطانة بلغتهم إلا عند الحاجة.

٢- الإقامة في بلادهم وعدم الهجرة إلى بلاد المسلمين:

حرَّم الإسلام إقامة المسلم بين أظهر الكفار إذا كان يقدر على الهجرة قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾ [النساء].

فلم يعذر اللَّه عز وجل في الإقامة في بلاد الكفر إلا المستضعفين الذين لا يستطيعون الهجرة.

٣- السفر إلى بلاد الكفار بغرض النزهة ومتعة النفس:

وهذا محرم إلا عند الضرورة كالعلاج، والتعليم للتخصصات النافعة التي لا يمكن تحصيلها في بلاد المسلمين، والتجارة ونشر الدعوة الإسلامية بشرط أن يكون المسلم مظهرًا لدينه، معتزًا بإسلامه مبتعدًا عن مواطن الشر.

---

(١) حسن، رواه أبو داود (٤٠٣١) رحسنه الألباني في الترغيب والترهيب (٢٠٨٩).

٤- مظاهرة الكفار والمشركين على المسلمين:

وهذا من نواقض الإسلام لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، ويدخل في هذا الجاسوس الذي يتجسس على أمور المسلمين لصالح أعداء الله عز وجل.

٥- الاستعانة بهم واتخاذهم بطانة وتوليتهم المناصب التي فيها أسرار المسلمين:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا.. ﴿١٢٠﴾﴾ [آل عمران].

فهذه الآيات تشرح دخائل الكفار، وما يكنونه نحو المسلمين من بغض، وما يدبرونه ضدهم من مكر وخيانة، وما يحبونه من مضرة المسلمين، وإيصال الأذى إليهم بكل وسيلة.

روى الإمام أحمد بسنده عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قلت لعمر رضي الله عنه: لي كاتب نصراني قال: مالك قاتلك الله، أما سمعت قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [المائدة: ٥١]، ألا اتخذت حنيفًا؟! قلت: يا أمير المؤمنين لي كتابته وله دينه، قال: لا أكرمهم إذ أهانهم الله، ولا أعزهم إذ أذلهم الله، ولا أدنيهم وقد أقصاهم الله.

وروى الإمام أحمد ومسلم عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ إِلَى بَدْرٍ فَتَبِعَهُ رَجُلٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ فَلَحِقَهُ عِنْدَ الْجَمْرَةِ فَقَالَ: إِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أَتْبَعَكَ وَأُصِيبَ مَعَكَ، قَالَ: «تُؤْمِنُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولِهِ؟» قَالَ: لَا قَالَ: «ارْجِعْ فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ»(١).

---

(١) صحيح، رواه مسلم (١٨١٧/١٥٠)، والترمذي (١٥٥٨)، وأحمد في المسند (٢٤٦٣٢).

ومن هذه النصوص يتبين لنا تحريم تولية الكفار أعمال المسلمين التي يتمكنون بواسطتها من الاطلاع على أحوال المسلمين وأسرارهم، ويكيدون لهم بإلحاق الضرر بهم.

٦- التأريخ بتاريخهم:

ولذلك لما أراد الصحابة رضي اللَّه عنهم وضع تاريخ للمسلمين في عهد الخليفة عمر رضي اللَّه عنه عدلوا عن تواريخ الكفار وأرخوا بهجرة الرسول ﷺ مما يدل على وجوب مخالفة الكفار في هذا، وفي غيره مما هو من خصائصهم، واللَّه المستعان.

٧- مشاركتهم في أعيادهم:

وقد فُسِّرَ قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ [الفرقان :٧٢] أي: ومن صفات عباد الرحمن أنهم لا يحضرون أعياد الكفار.

٨- مدحهم والإشادة بحضارتهم ... من المدنية والحضارة، والإعجاب بأخلاقهم دون النظر إلى عقائدهم الباطلة ودينهم الفاسد:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه]، وليس معنى ذلك أن المسلمين لا يتخذون أسباب القوة من تعلم الصناعات، ومقومات الاقتصاد المباح والأساليب العسكرية بل ذلك مطلوب.

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ [الأنفال :٦٠]، وهذه المنافع والأسرار الكونية هي في الأصل للمسلمين قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأعراف :٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية :١٣].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة :٢٩].

فالجواب أن يكون المسلمون سبَّاقين إلى استغلال هذه المنافع وهذه الطاقات، ولا يستجدون الكفار في الحصول عليها، بل يجب أن تكون لهم مصانع وتقنيات.

٩- التسمي بأسمائهم:

يقول النبي ﷺ في الحديث الذي أخرجه أبو داود بسند جيد: «إِنَّكُمْ تُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَسْمَائِكُمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِكُمْ فَأَحْسِنُوا أَسْمَاءَكُمْ»(١).

وثبت في الحديث الصحيح: «خَيْرُ الأَسْمَاءِ عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ »(٢). ولذلك لا يجوز للمسلمين أن يتسموا بأسماء أجنبية ويتركوا أسماء آبائهم وأمهاتهم وأجدادهم والأسماء المعروفة في مجتمعهم.

١٠- الاستغفار لهم والترحم عليهم:

وقد حرم اللَّه ذلك بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة]؛ لأن هذا يتضمن حبهم وتصحيح ما هم عليه.

من مظاهر مولاة المسلمين

١- الهجرة إلى بلاد المسلمين وهجر بلاد الكفار:

والهجرة هي الانتقال من بلاد الكفر إلى بلاد المسلمين لأجل الفرار بالدين، والهجرة بهذا المعنى ولأجل هذا الغرض واجبة وباقية إلى طلوع الشمس من مغربها عند قيام الساعة، وقد تبرأ النبي ﷺ من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين، فتحرم على المسلم الإقامة في بلاد الكفار إلا إذا كان لا يستطيع الهجرة منها، أو كان في إقامته مصلحة دينية كالدعوة إلى اللَّه ونشر الإسلام.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ

(١) ضعيف، رواه أبو داود (٤٩٤٨) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٢٠٣٦).

(٢) رواه أحمد في المسند (١٧١٥٤).

وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾ [النساء].

٢- مناصرة المسلمين ومعاونتهم بالنفس والمال واللسان فيما يحتاجون إليه في دينهم ودنياهم:

قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ﴾ [التوبة: ٧١].

٣- التألم لألمهم والسرور بسرورهم:

لقوله ﷺ في الأحاديث الصحيحة: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»(١)، «الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ»(٢).

٤- احترام حقوق المؤمنين:

حقوق المسلم على أخيه المسلم كثيرة.. سنذكر منها أربعين حقًا وأدبًا، عليك أن تتأدب بها أيها الأخ الحبيب نحو أخيك المسلم قد ذكرناها مشفوعة بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة، منها:

أولًا: رد السلام أو إفشاء السلام:

يقول تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ﴾ [النساء: ٨٦].

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى أَمْرٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»(٣).

---

(١) صحيح، رواه مسلم (٢٥٨٦/٦٦).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٦٠٢٧)، ومسلم (٢٥٨٥/٦٥).

(٣) صحيح، رواه مسلم (٥٤/٩٣)، وأبو داود (٥١٩٣).

ثانيًا: يشمته إذا عطس:

لقوله ﷺ: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ؛ فَإِذَا قَالَ لَهُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ»(١).

ثالثًا: أن يعوده إذا مرض:

لقوله ﷺ: «فُكُّوا الْعَانِيَ [يَعْنِي الْأَسِيرَ] وَأَطْعِمُوا الْجَائِعَ وَعُودُوا الْمَرِيضَ»(٢).

رابعًا: أن يشيع جنازته:

لقوله ﷺ: «مَنْ شَهِدَ الْجَنَازَةَ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا فَلَهُ قِيرَاطٌ، وَمَنْ شَهِدَهَا حَتَّى تُدْفَنَ فَلَهُ قِيرَاطَانِ قِيلَ: وَمَا الْقِيرَاطَانِ؟ قَالَ: مِثْلُ الْجَبَلَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ»(٣).

خامسًا: أن يبرَّ قسمه:

إذا أقسم عليه في شيء غير محذور ولا معصية حتى لا يحنث أخوك المسلم في يمينه.

سادسًا: إجابة الداعي:

أي إذا دعاك أخوك المسلم إلى طعام فلبِّ إن لم يكن عندك عذر.

سابعًا: نصرة المظلوم أمام ظالمه في المواطن التي يُنتهك فيها عرضه، وتُستحل فيها حرمته:

لحديث البراء بن عازب قال: «أَمَرَنَا بِعِيَادَةِ الْمَرِيضِ وَاتِّبَاعِ الْجِنَازَةِ وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ وَإِبْرَارِ الْقَسَمِ وَنَصْرِ الْمَظْلُومِ وَإِفْشَاءِ السَّلَامِ وَإِجَابَةِ الدَّاعِي»(٤).

ثامنًا: الوصل والزيارة:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللَّهِ نَادَاهُ مُنَادٍ: أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلًا»(٥).

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٦٢٢٤).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٣٠٤٦، ٥١٧٤، ٣٥٧٣، ٥٦٤٩).

(٣) صحيح، رواه البخاري (١٣٢٥)، ومسلم (٥٢/٩٤٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) صحيح، رواه البخاري (٥١٧٥، ٥٦٣٥)، ومسلم (٣/٢٠٦٦)، والنسائي (١٩٣٩).

(٥) صحيح، رواه الترمذي (٢٠٠٨)، وصححه الألباني في الترغيب والترهيب (٢٥٧٨).

تاسعًا: أن ينصحه إذا استنصحه في شيء:

فيبين له ما فيه من الخير والشر كذلك ينصحه إذا وجده قصَّر في جنب اللَّه عز وجل، لقوله ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»(١).

عاشرًا: أن يحبَّ له ما يحبه لنفسه، وأن يكره له ما يكره لنفسه:

«لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»(٢).

الحادي عشر: ألا يمسه بسوء وألا يروعه:

لقوله ﷺ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»(٣).

وقوله ﷺ: «مَنْ أَمِنَهُ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ»(٤).

وقوله ﷺ: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا»(٥).

الثاني عشر: ألا يتكبر عليه:

لقوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾ [لقمان].

ولقوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»(٦).

الثالث عشر: ألا يهجره فوق ثلاثة أيام:

لقوله ﷺ: «لا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا

---

(١) صحيح،رواه مسلم (٩٥/٥٥).

(٢) صحيح، رواه البخاري (١٣)، ومسلم (٧١/٤٥).

(٣) صحيح، رواه البخاري (١٠، ٦٤٨٤)، مسلم (٦٤/٤٠).

(٤) رواه أحمد (٦٨٨٦، ٦٩٧٨)، والحاكم في المستدرك (٢٧/١) بسند صحيح.

(٥) صحيح، رواه أبو داود (٥٠٠٤)، وقال الألباني: صحيح، وأحمد في المسند (٢٢٥٥٥)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح.

(٦) صحيح، جزء من حديث رواه مسلم (٦٤/٢٨٦٥)، وأبو داود (٤٨٩٥)، وابن ماجه (٤١٧٩).

وَيُعْرِضُ هَذَا وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ»[١].

الرابع عشر: ألا يغتابه:

لقوله ﷺ: «أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ، قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ»[٢].

الخامس عشر: ألا ينمَّ عليه:

لقوله ﷺ: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ الْبَوْلِ وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ»[٣].

ولقوله ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ»[٤].

السادس عشر: ألا يسبه بغير حق حيًا كان أو ميتًا:

لقوله ﷺ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»[٥].

وقوله ﷺ: «لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا»[٦].

السابع عشر: ألا يحسده:

لقوله ﷺ: «لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»[٧].

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٦٠٧٧، ٦٢٣٧)، ومسلم (٢٥/٢٥٦٠) واللفظ له.

(٢) صحيح، رواه مسلم (٧٠/٢٥٨٩).

(٣) صحيح، رواه البخاري (٢١٨، ١٣٦١، ١٣٧٨)، ومسلم (١١١/٢٩٢).

(٤) صحيح، رواه البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (١٦٩/١٠٥، ١٧٠).

(٥) صحيح، رواه البخاري (٤٨، ٦٠٤٤، ٧٠٧٦)، ومسلم (١١٦/٦٤)، والترمذي (١٩٨٣، ٢٦٣٥)، والنسائي (٤١٠٥، ٤١٠٦-٤١١٢)، وابن ماجه (٦٩، ٣٩٣٩).

(٦) صحيح، رواه البخاري (١٣٩٣، ٦٥١٦)، والنسائي (١٩٣٦).

(٧) صحيح، رواه مسلم (٣٠/٢٥٦٣).

الثامن عشر: ألا يظن به سوءًا (ألا يسيء به الظن):

لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات:١٢].

ولقوله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ»(١).

التاسع عشر: ألا يحتقره أو يسخر منه أو ينبزه بلقب سوء:

لقوله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات].

ولقوله ﷺ: «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ»(٢).

العشرون: ألا يتجسس عليه:

لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات:١٢].

الحادي والعشرون: ألا يغشه وألا يخدعه وألا يحمل عليه السلاح:

لقوله ﷺ: «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»(٣).

الثاني والعشرون: ألا يغدر به إذا عاهده، وأن يتجنب معه صفات المنافقين:

لقوله ﷺ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»(٤).

وفي رواية: «وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»(٥).

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٥١٤٤، ٦٠٦٤، ٦٠٦٦، ٦٧٢٤)، ومسلم (٢٨/٢٥٦٣)، والترمذي (١٩٨٨)، وأبو داود (٤٩١٧).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٣٢/٢٥٦٤)، وأبو داود (٤٨٨٢)، وابن ماجه (٤٢١٣).

(٣) صحيح، رواه مسلم (١٦٤/١٠١).

(٤) صحيح، رواه البخاري (٣٣، ٢٦٨٢، ٦٠٩٥)، ومسلم (١٠٧/٥٩).

(٥) صحيح، رواه البخاري (٣١٧٨)، ومسلم (١٠٦/٥٨).

الثالث والعشرون: ألا يماطله في دين إذا كان قادرًا على سداد دينه:

لقوله ﷺ: «مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ»[١].

الرابع والعشرون: ألا يتبع عورته:

لقوله ﷺ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعُ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ»[٢].

الخامس والعشرون: أن يخالقه بخلق حسن، فيبذل له المعروف ويلين له الجانب:

لقوله ﷺ: «اتَّقِ اللَّهِ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»[٣].

وقد قال عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه: (البر شيء هين، وجه طليق وكلام لين).

السادس والعشرون: أن يوقره إن كان كبيرًا، وأن يرحمه إن كان صغيرًا، وأن يجله إن كان عالمًا:

لقوله ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا»[٤].

وقوله ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَجِلَّ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ»[٥].

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٢٢٨٧، ٢٢٨٨، ٢٤٠٠)، ومسلم (١٥٦٤/٣٣)، والترمذي (١٣٠٨)، والنسائي (٤٦٨٨، ٤٦٩١)، وأبو داود (٣٣٤٥)، وابن ماجه (٢٤٠٣).

(٢) حسن صحيح، رواه أبو داود (٤٨٨٠)، قال الألباني: حسن صحيح، وأحمد في المسند (١٩٢٧٧، ١٩٣٠٢).

(٣) حسن، رواه الترمذي (١٩٨٧)، حسنه الألباني في صحيح الجامع (٩٧)، وقال الحاكم في المستدرك (١٧٤/١): هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

(٤) صحيح، رواه الترمذي (١٩٢١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٤٤٥)، وأحمد في المسند (٢٧٨٢٣).

(٥) حسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٤٤٣).

السابع والعشرون: أن يعفو عن زلته:

لقوله تبارك وتعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩﴾ [الأعراف]، ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ﴾ [النور: ٢٢].

ولقوله ﷺ: «مَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا»(١).

الثامن والعشرون: أن ينفِّس عنه كربات الدنيا إذا ضاقت عليه الأرض بما رحبت:

لقوله ﷺ في الحديث الصحيح: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»(٢).

التاسع والعشرون: أن يشفع له في قضاء حاجته إذا كان ذا منزلة عند الخلق ويقدر على ذلك:

لقوله ﷺ: «اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا شَاءَ»(٣).

الثلاثون: أن يدعو له بظهر الغيب:

لقوله ﷺ: «مَنْ دَعَا لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ»(٤).

وفي رواية: «دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ»(٥).

---

(١) صحيح، رواه مسلم (٢٥٨٨/٦٩).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٢٦٩٩/٣٨)، والترمذي (١٤٢٥، ١٩٣٠، ٢٩٤٥)، وأبو داود (٤٩٤٦)، وابن ماجه (٢٢٥).

(٣) صحيح، رواه البخاري (١٤٣٢)، ومسلم (٢٦٢٧/١٤٥)، والترمذي (٢٦٧٢)، والنسائي (٢٥٥٦).

(٤) صحيح، رواه مسلم (٢٧٣٢/٨٧).

(٥) صحيح، رواه مسلم (٢٧٣٣/٨٨).

الحادي والثلاثون: أن يعيذه إذا استعاذه بالله، وأن يعطيه إذا سأله بالله وأن يكافئه على معروفه:

لقوله ﷺ: «مَنْ اسْتَعَاذَكُمْ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَكُمْ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَقَالَ سَهْلٌ وَعُثْمَانُ: وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ -ثُمَّ اتَّفَقُوا- وَمَنْ آتَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، قَالَ مُسَدَّدٌ وَعُثْمَانُ: فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَادْعُوا اللَّهَ لَهُ حَتَّى تَعْلَمُوا أَنْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ»(١).

الثاني والثلاثون: ألا يتعرض لما سبق إليه من المباحات، فلا يبيع على بيع أخيه ولا يخطب على خطبته:

جاء في الحديث: «لَا يَبِيعُ الرَّجُلُ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ وَلَا يَخْطِبُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ»(٢).

الثالث والثلاثون: أن يكرمه ضيفًا:

لقوله ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ»(٣).

الرابع والثلاثون: أن يكون معهم في حال العسر واليسر والشدة والرخاء:

خلاف أهل النفاق الذين يكونون مع المؤمنين في حالة اليسر والرخاء ويتخلون عنهم في حال الشدة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤١].

الخامس والثلاثون: الرفق بضعفائهم:

لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ»(٤).

---

(١) صحيح، رواه النسائي (٢٥٦٧)، وأبو داود (٥٠١٩) واللفظ له، صححه الألباني في الصحيحة (٢٥٤).

(٢) صحيح، جزء من حديث رواه البخاري (٢١٣٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم (١٤١٢/٥٠) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) صحيح، جزء من حديث رواه البخاري (٦٠١٨، ٦١٣٦، ٦١٣٨، ٦٤٧٥)، ومسلم (٧٤/٤٧، ٧٥) كل الروايات عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) صحيح، رواه البخاري (٢٨٩٦).

وقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف:٢٨].

السادس والثلاثون: الاستغفار للمؤمنين:

قال تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد:١٩].

وقال سبحانه: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر:١٠].

(من السابع والثلاثين حتى الأربعين: حقوق خاصة بالجيران)

السابع والثلاثون: عدم أذية الجار:

لقوله ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ»[١].

وقوله ﷺ: «وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ»[٢]. أي: لا يأمن ظلمه وغشمه وأذيته.

الثامن والثلاثون: أن يثبت له حق الشفعة:

بمعنى لا يبيع أو يؤجر ما يتصل بجاره حتى يعرض الأمر على جيرانه الأقرب فالأقرب دون غيرهم، لقوله ﷺ: «من كان له شريك في حائط ، فلا يبيع نصيبه من ذلك حتى يعرضه على شريكه»[٣].

التاسع والثلاثون: ألا يمنع جاره من أن يضع خشبة في جداره:

لقوله ﷺ: «لَا يَمْنَعْ جَارٌ جَارَهُ أَنْ يَغْرِزَ خَشَبَهُ فِي جِدَارِهِ»[٤].

الأربعون: إذا ابتلى بجار سوء فليصبر عليه وأن يقابل الإساءة بالإحسان:

واعلم أيها الحبيب أنه ليس من حق الجار كف الأذى عنه فقط بل احتمال الأذى

(١) صحيح، رواه البخاري (٥١٨٨، ٦٠١٨، ٦١٣٦، ٦٤٧٥)، ومسلم (٤٧/٧٥)، وأبو داود (٥١٥٤).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٦٠١٦).

(٣) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٥/٤٤٦).

(٤) صحيح، رواه البخاري (٢٤٦٣)، رواه مسلم (١٦٠٩/١٣٦)، وأبو داود (٣٦٣٤)، وابن ماجه (٢٣٣٥).

منه والصبر عليه والإحسان إليه رحم الله القائل: (اصنع المعروف في أهله وفي غير أهله؛ فإن أصبت أهله فهم أهله؛ وإن لم تصب أهله فأنت أهله).

تنبيه: وأما قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [الصف].

فمعناه أن من كف أذاه من الكفار فلم يخرج المسلمين من ديارهم فإن المسلمين يقابلون ذلك بمكافأته بالإحسان والعدل معه في التعامل الدنيوي ولا يحبونه بقلوبهم، لأن الله قال: ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ﴾ [الصف :٨]، ولم يقل توالونهم وتحبونهم.

ونظير هذا قوله تعالى في الوالدين الكافِرَيْن: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ﴾ [لقمان :١٥]، وقد جاءت أم أسماء إلى أسماء تطلب صلتها وهي كافرة فاستأذنت رسول الله ﷺ في ذلك فقال لها: «صِلِي أمك»[1]. وقد قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [المجادلة :٢٢].

فالصلة والمكافأة الدنيوية شيء، والمودة شيء آخر؛ لأن في الصلة وحسن المعاملة ترغيبًا للكافر في الإسلام، فهما من وسائل الدعوة بخلاف المودة والموالاة فهما يدلان على إقرار الكافر على ما هو عليه والرضى عنه وذلك يسبب عدم دعوته للإسلام.

وكذلك تحريم موالاة الكفار لا تعني تحريم التعامل معهم بالتجارة المباحة واستيراد البضائع والمصنوعات النافعة والاستفادة من خبراتهم ومخترعاتهم، فالنبي ﷺ استأجر ابن أريقط الليثي ليدله على الطريق وهو كافر واستدان من بعض اليهود.

ومازال المسلمون يستوردون البضائع والمصنوعات من الكفار، وهذا من باب الشراء منهم بالثمن وليس لهم علينا فيه فضل ومنة، وليس هو من أسباب محبتهم وموالاتهم؛ فإن الله أوجب محبة المؤمنين وموالاتهم وبغض الكافرين ومعاداتهم.

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٢٦٢٠)، ومسلم (١٠٠٣/٥٠).

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ﴾ [الأنفال :٧٢].

قال الحافظ ابن كثير: (ومعنى قوله: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال :٧٣] أي: إن لم تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين وإلا وقعت فتنة في الناس وهو التباس الأمر واختلاط المؤمنين بالكافرين فيقع بين الناس فساد منتشر عريض طويل) انتهى. قلت: وهذا ما حصل في هذا الزمان، والله المستعان.

أقسام الناس فيما يجب في حقهم من الولاء والبراء

الناس في الولاء والبراء على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: من يُحَبُّ محبة خالصة لا معاداة معها:

وهم المؤمنون الخُلَّص من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، وفي مقدمتهم رسول الله ﷺ؛ فإنه تجب محبته أعظم من محبة النفس والولد والوالد والناس أجمعين، ثم زوجاته أمهات المؤمنين وأهل بيته الطيبين وصحابته الكرام، خصوصًا الخلفاء الراشدين وبقية العشرة المبشرين بالجنة والمهاجرون والأنصار وأهل بدر وأهل بيعة الرضوان ثم بقية الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، ثم التابعون والقرون المفضلة وسلف هذه الأمة وأئمتها، كالأئمة الأربعة.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٠﴾ [الحشر]، ولا يبغض الصحابة وسلف هذه الأئمة مَنْ كان في قلبه إيمان، وإنما يبغضهم أهل الزيغ والنفاق وأعداء الإسلام كالرافضة والخوارج، نسأل الله العافية.

القسم الثاني: من يُبغض ويعادي بغضًا ومعاداة خالصين لا محبة ولا موالاة معهما:

وهم الكفار الخُلَّص من الكفار والمشركين والمنافقين والمرتدين والملحدين على اختلاف أجناسهم، كما قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ﴾ [المجادلة :٢٢].

وقال تعالى عائبًا على بني إسرائيل: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾ [المائدة].

القسم الثالث: من يُحَبُّ من وجه ويبغض من وجه:

فتجمع فيه المحبة والعداوة وهم عصاة المؤمنين، يُحبون لما فيهم من الإيمان ويبغضون لما فيهم من المعصية التي هي دون الكفر والشرك، ومحبتهم تقتضي مناصحتهم والإنكار عليهم، فلا يجوز السكوت على معاصيهم بل يُنكر عليهم ويُؤمرون بالمعروف ويُنهون عن المنكر وتُقام عليهم الحدود والتعزيرات حتى يكفوا عن معاصيهم ويتوبوا من سيئاتهم؛ لكن لا يبغضون بغضًا خالصًا ويتبرأ منهم كما تقوله الخوارج في مرتكب الكبيرة التي هي دون الشرك، ولا يُحبون ويوالون حبًا وموالاة خالصين كما تقوله المرجئة بل يعتدل في شأنهم على ما ذكرنا كما هو مذهب أهل السنة والجماعة.

والحب في اللَّه والبغض في اللَّه أوثق عرى الإيمان، والمرء مع من أحب يوم القيامة كما في الحديث، وقد تغير الوضع وصار غالب مولاة الناس ومعاداتهم لأجل الدنيا فمن كان عنده مطمع من مطامع الدنيا والَوه وإن كان عدوًا للَّه ولرسوله ولدينه والمسلمين، ومن لم يكن عنده مطمع من مطامع الدنيا عادوه ولو كان وليًا للَّه ولرسوله عند أدنى سبب وضايقوه واحتقروه.

وتشيَّع المسلمون اليوم إلى شيع وأحزاب. كل حزب بما لديهم فرحون الكل ينظر إلى جماعته وحزبه بأنهم الفرقة الناجية، وغيرهم على ضلال وعلى هلاك وعلى شفا جرف هار، والكثير من المسلمين اليوم يضع مصلحة الحزب فوق مصلحة الدين حتى وإن زعم أنه يخدم دين اللَّه عز وجل، ولذلك أصبح القانون الذي يحكم في البلاد وبين العباد (إن كنت من حزبنا وجماعتنا فأنت حبيبنا، وإن لم تكن من حزبنا

وجماعتنا فأنت بغيضنا حتى وإن قلت: قال اللَّه .. قال رسوله)، وأصبح القانون الذي يحكم بين الناس (من يدفع أكثر فنحن معه) ... فأصبح الرجل يبيع دينه بعرض من الدنيا بثمن بخس دراهم معدودة، وأصبح في دينه من الزاهدين، وصدقت فينا نبوءة النبي ﷺ إذ يقول في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم رحمه اللَّه في صحيحه: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنْ الدُّنْيَا»[1].



(١) صحيح، رواه مسلم (١١٨/١٨٦).

معنى محمد رسول الله

معنى أشهد أن محمدًا رسول الله: أي الإيمان بأنه مرسل من عند الله عز وجل، ونصدقه فيما أخبر، ونطيعه فيما أمر، ونجتنب ما نهى عنه وزجر، وألا نتعبد الله إلا بما شرع، لا بالأهواء والبدع .. فتأملوا قول الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر :٧].

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء]. ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور :٦٣].

وتأملوا قول النبي ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»[١]. أي: مردود على صاحبه.

«فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[٢].



(١) صحيح، (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧/١٧١٨)، وأبو داود (٤٦٠٦)، وابن ماجه (١٤) كلهم عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) صحيح، رواه الترمذي (٢٦٧٦)، وأبو داود (٤٦٠٧)، صححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٤٩).

أسماء الله الحسنى

أسماء اللَّه الحسنى هي التي أثبتها تعالى لنفسه وأثبتها له عبده ورسوله محمد ﷺ وآمن بها جميع المؤمنين، قال اللَّه تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الإسراء: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ». وَزَادَ هَمَّامٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّهُ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ»[١].

ورواه الترمذي وزاد: «هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ الْغَفَّارُ الْقَهَّارُ الْوَهَّابُ الرَّزَّاقُ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الْخَافِضُ الرَّافِعُ الْمُعِزُّ الْمُذِلُّ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ الْحَكَمُ الْعَدْلُ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ الْحَلِيمُ الْعَظِيمُ الْغَفُورُ الشَّكُورُ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ الْحَفِيظُ الْمُقِيتُ الْحَسِيبُ الْجَلِيلُ الْكَرِيمُ الرَّقِيبُ الْمُجِيبُ الْوَاسِعُ الْحَكِيمُ الْوَدُودُ الْمَجِيدُ الْبَاعِثُ الشَّهِيدُ الْحَقُّ الْوَكِيلُ الْقَوِيُّ الْمَتِينُ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ الْمُحْصِي الْمُبْدِئُ الْمُعِيدُ الْمُحْيِي الْمُمِيتُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ الْوَاجِدُ الْمَاجِدُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ الْقَادِرُ الْمُقْتَدِرُ الْمُقَدِّمُ الْمُؤَخِّرُ الْأَوَّلُ الْآخِرُ الظَّاهِرُ الْبَاطِنُ الْوَالِيَ الْمُتَعَالِي الْبَرُّ التَّوَّابُ الْمُنْتَقِمُ الْعَفُوُّ الرَّءُوفُ مَالِكُ الْمُلْكِ ذُو الْجَلَالِ

(١) صحيح، رواه البخاري (٧٣٩٢)، ومسلم (٦/٢٦٧٧).

وَالْإِكْرَامِ الْمُقْسِطُ الْجَامِعُ الْغَنِيُّ الْمُغْنِي الْمَانِعُ الضَّارُّ النَّافِعُ النُّورُ الْهَادِي الْبَدِيعُ الْبَاقِي الْوَارِثُ الرَّشِيدُ الصَّبُورُ»(١).

وقد حررها الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه في (التلخيص) تسعة وتسعين اسمًا من كتاب اللَّه العزيز منطبقة على لفظ الحديث ورتبها هكذا: «الْإِلَهُ الرَّبُّ الْوَاحِدُ، اللَّهُ الرَّبُّ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، الْمَلِكُ، الْقُدُّوسُ، السَّلَامُ، الْمُؤْمِنُ، الْمُهَيْمِنُ، الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ، الْمُتَكَبِّرُ الْخَالِقُ، الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ، الْأَوَّلُ الْآخِرُ، الظَّاهِرُ، الْبَاطِنُ، الْحَيُّ الْقَيُّومُ، الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ التَّوَّابُ، الْحَلِيمُ الْوَاسِعُ الْحَكِيمُ، الشَّاكِرُ الْعَلِيمُ الْغَنِيُّ، الْكَرِيمُ الْعَفُوُّ الْقَدِيرُ، اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ السَّمِيعُ، الْبَصِيرُ الْمَوْلَى النَّصِيرُ، الْقَرِيبُ الْمُجِيبُ الرَّقِيبُ، الْحَسِيبُ الْقَوِيُّ الشَّهِيدُ، الْحَمِيدُ الْمَجِيدُ الْمُحِيطُ، الْحَفِيظُ الْحَقُّ الْمُبِينُ، الْغَفَّارُ الْقَهَّارُ الْخَلَّاقُ، الْفَتَّاحُ الْوَدُودُ الْغَفُورُ، الرَّءُوفُ الشَّكُورُ الْكَبِيرُ، الْمُتَعَالُ الْمُقِيتُ الْمُسْتَعَانُ، الْوَهَّابُ الْحَفِيُّ الْوَارِثُ، الْوَلِيُّ الْقَائِمُ الْقَادِرُ، الْغَالِبُ الْقَاهِرُ الْبَرُّ، الْحَافِظُ، الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الْمَلِيكُ الْمُقْتَدِرُ الْوَكِيلُ، الْهَادِي الْكَفِيلُ الْكَافِي، الْأَكْرَمُ الْأَعْلَى الرَّزَّاقُ، ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ، غَافِرُ الذَّنْبِ، قَابِلُ التَّوْبِ شَدِيدُ الْعِقَابِ، ذُو الطَّوْلِ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ، سَرِيعُ الْحِسَابِ، فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، مَالِكُ الْمُلْكِ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» أهـ.

وقد عدها جماعة غير من ذكرنا كسفيان بن عيينة وابن حزم والقرطبي وغيرهم.

واعلم أَخَ الإسلام زادك اللَّه علمًا أن هناك عدة أمور متعلقة بأسماء اللَّه الحسنى لابد للمؤمن الموحد الحريص على صحة إسلامه وسلامة عقيدته أن يتعلمها:

أولًا: اعلم أن أسماء اللَّه عز وجل ليست بمنحصرة في التسعة والتسعين المذكورة في حديث أبي هريرة ولا فيما استخرجه العلماء من القرآن الكريم؛ بل ولا فيما علمته الرسل والملائكة وجميع المخلوقين لحديث ابن مسعود عند أحمد والترمذي

---

(١) ضعيف، رواه الترمذي (٣٥٠٧)، ثم قال: هذا حديث غريب. وقال الألباني في المشكاة (٢٢٨٨): ضعيف.

وقال: حديث حسن صحيح وغيرهما عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجِلَاءَ حُزْنِي وَذَهَابَ هَمِّي إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا قَالَ: فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ: بَلَى يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا»[1].

ثانيًا: واعلم أن من أسماء اللَّه عز وجل ما لا يطلق عليه إلا مقترنًا بمقابله فإذا أطلق وحده أوهم نقصًا -تعالى اللَّه عن ذلك- فمنها المعطي المانع، والضار النافع، والقابض الباسط، والمعز المذل، والخافض الرافع، فلا يطلق على اللَّه عز وجل المانع والضار والقابض والمذل والخافض كلًّا على انفراده، بل لابد من ازدواجها بمقابلها، إذ لم تطلق في الوحي إلا كذلك، ومن ذلك المنتقم لم يأت في القرآن إلا مضافًا إلى (ذو) كقوله تعالى: ﴿عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [آل عمران :٤] أو مقيدًا بالمجرمين كقوله تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة :٢٢].

ثالثًا: اعلم أنه قد ورد في القرآن أفعال أطلقها اللَّه عز وجل على نفسه على سبيل الجزاء والعدل والمقابلة، وهي فيما سيقت فيه مدح وكمال، لكن لا يجوز أن يشتق له تعالى منها أسماء ولا تطلق عليه في غير ما سيقت فيه من الآيات، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء :١٤٢]، وقوله تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران :٥٤]، وقوله تعالى: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة :٦٧]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴿١٥﴾﴾ [البقرة]، ونحو ذلك فلا يجوز أن يطلق على اللَّه تعالى مخادع ماكر ناس مستهزئ ونحو ذلك مما يتعالى اللَّه عنه، ولا يقال يستهزئ ويخادع ويمكر وينسى على سبيل الإطلاق، تعالى اللَّه عن ذلك علوًا كبيرًا.

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣٧٠٤).

وقال ابن القيم رحمه اللَّه تعالى: (إن اللَّه تعالى لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع والاستهزاء مطلقًا، ولا ذلك داخل في أسمائه الحسنى، ومن ظن من جهال المصنفين في شرح الأسماء أن من أسمائه تعالى المستهزئ الكائد فقد فاه بأمر عظيم تقشعر منه الجلود وتكاد تصم الأسماع عند سماعه، وغرَّ هذا الجاهل أنه سبحانه وتعالى أطلق على نفسه هذه الأفعال فاشتق له منها أسماء، وأسماؤه تعالى كلها حسنى فأدخلها في الأسماء الحسنى وقرنها بالرحيم الودود الحكيم الكريم، وهذا جهل عظيم؛ فإن هذه الأُفعال ليست ممدوحة مطلقًا بل تمدح في موضع وتذم في موضع فلا يجوز إطلاق أفعالها على اللَّه تعالى مطلقًا، فلا يقال إنه تعالى يمكر ويخادع ويستهزئ ويكيد، فكذلك بطريق الأولى لا يشتق له منها أسماء يُسمى بها بل إذا كان لم يأت في أسمائه الحسنى المريد ولا المتكلم ولا الفاعل ولا الصانع لأن مسمياتها تنقسم إلى ممدوح ومذموم وإنما يوصف بالأنواع المحمودة منها كالحليم والحكيم والعزيز والفعال لما يريد، فكيف يكون منها الماكر والمخادع والمستهزئ، ثم يلزم هذا الغالط أن يجعل من أسمائه الحسنى الداعي الآتي الجائي والذاهب والقادم والرائد والناسي والقاسم والساخط والغضبان واللاعن إلى أضعاف أضعاف ذلك من التي أطلق تعالى على نفسه أفعالها في القرآن الكريم، وهذا لا يقوله مسلم ولا عاقل، والمقصود أن اللَّه سبحانه وتعالى لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع إلا على وجه الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق).

رابعًا: واختلف العلماء في معنى قوله ﷺ: «مَنْ أَحْصَاهَا».

فقال البخاري وغيره من المحققين: معناه حفظها وأن إحدى الروايتين مفسرة للأخرى.

وقال الخطابي: يحتمل وجوهًا: أحدها أن يعدها حتى يستوفيها، بمعنى أن لا يقتصر على بعضها فيدعو اللَّه بها كلها ويثني عليه بجميعها فيستوجب المُوْعَد عليها من الثواب، وثانيها المراد بالاحصاء الإطاقة، والمعنى من أطاق القيام بحق

هذه الأسماء والعمل بمقتضاها وهو أن يعتبر معانيها فيلزم نفسه بموجبها فإذا قال: (الرزاق) وثق بالرزق وكذا سائر الأسماء، ثالثها المراد بها الإحاطة بجميع معانيها، وقيل: أحصاها عمل بها فإذا قال: (الحكيم) سلم لجميع أوامره وأقداره وأنها جميعًا على مقتضى الحكمة، وإذا قال (القدوس) استحضر كونه مقدسًا منزهًا عن جميع النقائص، واختاره أبو الوفاء ابن عقيل.

وقال ابن بطال: طريق العمل بها أن ما كان يسوغ الاقتداء به كالرحيم والكريم فيمرن العبد نفسه على أن يصح له الاتصاف بها يعني فيما يقوم به، وما كان يختص به نفسه كالجبار والعظيم فعلى العبد الإقرار بها والخضوع لها وعدم التحلي بصفة منها، وما كان فيه معنى الوعد يقف فيه عند الطمع والرغبة، وما كان فيه معنى الوعيد يقف منه عند الخشية والرهبة. أهـ.

والظاهر أن معنى حفظها وإحصائها هو معرفتها والقيام بعبوديتها كما أن القرآن لا ينفع حفظ ألفاظه من لا يعمل به، بل جاء في المُرّاق من الدين أنهم يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم.

خامسًا: وقوله تعالى: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، قال ابن عباس وابن جريج ومجاهد: هم المشركون عدلوا بأسماء اللَّه تعالى عما هي عليه فسموا به أوثانهم فزادوا ونقصوا، فاشتقوا اللات من اللَّه والعزى من العزيز ومناة من المنان، وقيل: هي تسميتهم الأصنام بالآلهة، ورُوِيَ عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما: ﴿يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٠]أي: يكذبون.

وقال قتادة: ﴿يُلْحِدُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]يشركون في أسمائه.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: الإلحاد التكذيب، وأصل الإلحاد في كلام العرب العدول عن القصد والميل والجور والانحراف ومنه اللحد في القبر لانحرافه إلى جهة القبلة عن سمة الحفر. أهـ.

وهذه الأقوال متقاربة، والإلحاد يعمها وهو ثلاثة أقسام:

الأول: إلحاد المشركين: وهو ما ذكره ابن عباس وابن جريج ومجاهد من عدولهم بأسماء اللَّه تعالى عما هي عليه وتسميتهم أوثانهم بها مضاهاة للَّه عز جل ومشاقة له ولرسوله ﷺ.

الثاني: إلحاد المشبهة: الذين يكيفون صفات اللَّه عز وجل ويشبهونها بصفات خلقه مضادة له تعالى وردًا لقوله عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠]، وهو مقابل لإلحاد المشركين فأولئك جعلوا المخلوق بمنزلة الخالق وسووه به، وهؤلاء جعلوا الخالق بمنزلة الأجسام المخلوقة وشبهوه بها تعالى وتقدس عن إفكهم.

الثالث: إلحاد النفاة وهم قسمان: قسم أثبتوا ألفاظ أسمائه تعالى دون ما تضمنه من صفات الكمال فقالوا: رحمن رحيم بلا رحمة، عليم بلا علم، حكيم بلا حكمة، قدير بلا قدرة، سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، وأطردوا بقية الأسماء الحسنى هكذا وعطلوها عن معانيها وما تقتضيه وتتضمنه من صفات الكمال للَّه تعالى، وهم في الحقيقة كمن بعدهم وإنما أثبتوا الألفاظ دون المعاني تسترًا وهو لا ينفعهم، وقسم لم يتستر بما تستر به إخوانهم بل صرحوا بنفي الأسماء وما تدل عليه من المعاني واستراحوا من تكلف أولئك ووصفوا اللَّه تعالى بالعدم المحض الذي لا اسم له ولا صفة وهم في الحقيقة جاحدون لوجود ذاته تعالى مكذبون بالكتاب وبما أرسل اللَّه به رسله.

وأصحاب هذه الأقسام الأربعة كل فريق منهم يكفر مقابله، وهم كما قالوا كلهم كفار بشهادة اللَّه وملائكته وكتبه ورسله والناس أجمعين من أهل الإيمان والإثبات الواقفين مع كلام اللَّه تعالى وسنة رسوله ﷺ وآله وصحبه أجمعين ... انظر معارج القبول للحكمي في باب أسماء اللَّه الحسنى. [بتصرف].

❊ ❊ ❊ ❊

الشرك الأكبر والأصغر

أولًا: الشرك الأكبر وأنواعه:

الشرك الأكبر أن تجعل للَّه ندًا (مثيلًا) تدعوه كما تدعو اللَّه، أو تصرف له نوعًا من أنواع العبادة كالاستعانة أو الذبح أو النذر أو غيرها، وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ»[1].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨].

وللشرك أنواع كثيرة:

١- شرك الدعاء: وهو دعاء غير اللَّه من الأنبياء والأولياء لطلب الرزق أو شفاء المرض أو في إغناء ذوي الفاقات أو معافاة أصحاب العاهات والبليات أو فيما لا يقدر عليه إلا اللَّه عز وجل، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس] أي: المشركين، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان :١٣].

٢- شرك النية: وهو العمل الصالح للدنيا فقط، لقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود].

٣- شرك المحبة: وهو محبة أحد الأولياء كمحبة اللَّه لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة :١٦٥].

٤- شرك الطاعة: وهو طاعة العلماء والمشايخ في المعصية مع اعتقادهم جواز

(١) صحيح، رواه البخاري (٤٤٧٧، ٤٧٦١، ٦٠٠١، ٦٨١١، ٦٨٦١، ٧٥٢٠)، ومسلم (١٤١/٨٦).

ذلك لقوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة :٣١].

وقد فسرت العبادة بطاعتهم في المعصية بتحليل ما حرم اللَّه، وتحريم ما أحل اللَّه، قال ﷺ: «لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»(١).

٥- شرك الحلول: وهو الاعتقاد بأن اللَّه حلّ في مخلوقاته، وهذه عقيدة ابن عربي الصوفي المدفون بدمشق وغيره حتى قال شاعرهم:

وما الكلب والخنزير إلا إلهنا وما اللَّه إلا راهب في كنيسة

ومنهم من قال: (سبحاني ما أعظم شاني).

ومنهم من قال: (وما في الجبة إلا اللَّه)، وصدق اللَّه العظيم إذ يقول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه] أي: أن اللَّه عز وجل استوى على عرشه فوق السماء السابعة وهو بائن عن خلقه.

٦- شرك التصرف: وهو اعتقاد أن بعض الأولياء لهم تصرفات في الكون يدبرون أموره كالأقطاب والأغواث مع أنَّ اللَّه تعالى يسأل المشركين الأقدمين قائلًا: ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ﴾ [يونس :٣١].

فكان المشركون الأقدمون أحسن حالًا من أصحاب شرك التصرف.

والشرك الأكبر يحبط العمل ويخرج من الملة، لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٦٥﴾ [الزمر].

ثانيًا: الشرك الأصغر:

الشرك الأصغر لا يخرج فاعله من الإسلام، ولكنه من الكبائر ومن أنواعه:

١- الرياء اليسير: والتصنع للمخلوق، كالمسلم الذي يعمل للَّه، ويصلي للَّه، ولكنه يحسن صلاته وعمله ليمدحه الناس، قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ

---

(١) صحيح، رواه أحمد في المسند (١٠٩٨)، قال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ؟ قَالَ: الرِّيَاءُ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ يَوْمَ تُجَازَى الْعِبَادُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ بِأَعْمَالِكُمْ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً؟»[١].

٢- الحلف بغير اللَّه: لقوله ﷺ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ»[٢].

٣- الشرك الخفي: وفسره ابن عباس بقول الرجل لصاحبه: (ما شاء اللَّه وشئت)، ومثله: لولا اللَّه وفلان، ويجوز أن نقول: (لولا اللَّه ثم فلان)، وقد أمر النبي ﷺ أن يقولوا: «مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتَ»[٣].

❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) صحيح، رواه أحمد (٢٧٧٤٢)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح.

(٢) صحيح، رواه الترمذي (١٥٣٥)، صححه الألباني في الصحيحة (٢٠٤٢).

(٣) صحيح، رواه النسائي (٣٧٧٣)، صححه الألباني في الصحيحة (١٣٦).

الكفر وأنواعه

كفر أكبر .. كفر أصغر

أولًا: الكفر الأكبر وأنواعه:

الكفر الأكبر يخرج صاحبه من الإسلام وهو الكفر الاعتقادي وأنواعه كثيرة منها:

١- **كفر التكذيب:** وهو تكذيب القرآن أو الحديث، أو بعض ما جاء فيهما، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [العنكبوت :٦٨]. وقوله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ﴾ [البقرة :٨٥].

٢- **كفر الإباء والاستكبار مع التصديق:** وهو عدم الانقياد للحق مع الإقرار به، ككفر إبليس، والدليل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة].

٣- **كفر الظن والشك بيوم القيامة:** أو إنكاره وعدم التصديق به والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ [الكهف :٣٦]إلى قوله تعالى: ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ [الكهف :٣٧].

٤- **كفر الإعراض:** وهو عدم الاستجابة لمطالب الإسلام وتركها والدليل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف :٣].

٥- **كفر النفاق الأكبر:** وهو إظهار الإسلام باللسان واعتقاد الكفر بالقلب والجنان، ومخالفته بالأعمال، لقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾﴾ [المنافقون :٣]. وقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [البقرة].

٦- **كفر الاستهزاء:** فمن استهزأ بشيء من دين اللّه أو ثوابه أو عقابه فقد كفر

والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة].

ثانيًا: الكفر الأصغر وأنواعه:

الكفر الأصغر: هو الذي لا يخرج صاحبه من الإسلام ولكنه من الكبائر مثل:

١- كفر النعمة: والدليل قوله تعالى يخاطب المؤمنين من قوم موسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم :٧].

٢- الكفر العملي: وهو كل معصية أطلق عليها الشارع اسم الكفر، ومع بقاء اسم الإيمان على فاعلها مثل قوله ﷺ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»[1]. وقوله ﷺ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ»[2]. فهذا كفر لا يخرج صاحبه من الإسلام، بخلاف الكفر الاعتقادي؛ ولكنه من الكبائر.

❋ ❋ ❋ ❋

(١) صحيح، رواه البخاري (٤٨).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٦٨١٠)، ومسلم (٥٧/١٠٠).

احذروا الطواغيت

اعلم -رحمك اللَّه تعالى- أنَّ أول ما فرض اللَّه على ابن آدم الكفر بالطاغوت والإيمان باللَّه تعالى.

الطاغوت: هو كل ما عُبد من دون اللَّه، ورضي بالعبادة من معبود أو متبوع، أو مطاع في غير طاعة اللَّه ورسوله، ولقد أرسل اللَّه الرسل ليأمروا أقوامهم بعبادة اللَّه، واجتناب الطاغوت، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

والطواغيت كثيرة، ورؤوسهم خمسة:

١- الشيطان الداعي إلى عبادة غير اللَّه والدليل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾﴾ [يس].

٢- واضع الدستور المغير لأحكام اللَّه تعالى: والدليل قوله تعالى منكرًا على المشركين المشرعين بما لم يرض به اللَّه: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى:٢١].

٣- الحاكم بغير ماأنزل اللَّه: إذا اعتقد عدم صلاحية ما أنزل اللَّه أو أجاز الحكم بغيره، قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤].

٤- الذي يدّعي علم الغيب من دون اللَّه من العرّافين والكهان: لقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل:٦٥].

٥- الذي يعبده الناس ويدعونه من دون اللَّه وهو راض بذلك: والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنبياء:٢٩].

واعلم أنه يجب على المؤمن أن يكفر بالطاغوت حتى يكون مؤمنًا مستقيمًا، والدليل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦]، وهذه الآية دليل على أن عبادة اللَّه لا تنفع إلا باجتناب عبادة ما سواه.

أنواع النفاق

أولًا: النفاق الأكبر:

النفاق الأكبر هو إظهار الإسلام باللسان واعتقاد الكفر بالقلب والجنان ومخالفته بالأعمال وهو على أنواع:

١- تكذيب الرسول ﷺ.

٢- تكذيب بعض ما جاء به الرسول ﷺ.

٣- بغض الرسول ﷺ.

٤- بغض بعض ما جاء به الرسول ﷺ.

٥- الفرح بهزيمة المسلمين وانكسار شوكتهم.

٦- كراهية انتصار دين الإسلام.

وصاحب النفاق الأكبر عذابه أشد من الكفار، وخطره أعظم لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]، ولهذا وصف اللَّه الكافرين بآيتين، ووصف المنافقين بثلاث عشرة آية في أوائل سورة البقرة.

ثانيًا: النفاق الأصغر:

وهو النفاق العملي كالمسلم المتصف بصفة من صفات المنافقين التي أخبر عنها الرسول ﷺ: : «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»[1].

وفي رواية: «وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»[2]، وهذا النفاق لا يُخرج صاحبه من الإسلام، إلا أنه من الكبائر.

(١) صحيح، رواه البخاري (٣٣، ٢٦٨٢، ٦٠٩٥)، ومسلم (٥٩/١٠٧).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٣١٧٨)، ومسلم (٥٨/١٠٦).

مظاهر الشرك

١- **دعاء غير اللَّه**: ويظهر ذلك في الأناشيد والقصائد التي تقال بمناسبة احتفال مولد أو ذكرى تاريخية، فقد ينشدون:

يا إمام الرسل يا سندي	أنت باب اللَّه ومعتمدي
وفي دنـيـاي وآخـرتـي	يا رسول اللَّه خذ بيدي
من يبدلني عسري يسرا	إلاك يـا تـاج الحضـرة

ولو سمع الرسول ﷺ مثل هذا لتبرأ منه، إذ لا يبدل العسر باليسر إلا اللَّه وحده ومثلها قصائد الشعر التي تكتب في الجرائد والمجلات والكتب، فيها طلب المدد والعون والنصر من الرسول والأولياء والصالحين العاجزين عن تحقيقها...

٢- **دفن الأولياء والصالحين في المساجد**: فترى في بعض المساجد القبور، وقد بنيت عليها القباب، وبعض الناس يسألون أهلها من دون اللَّه، ونهى الرسول ﷺ عن ذلك بقوله: «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»(١). فإذا كان دفن الأنبياء في المساجد من عادة الكفار، فكيف يجوز دفن المشايخ والعلماء؟

٣- **النذر للأولياء**: بعض الناس ينذرون ذبيحة أو مالًا للولي الفلاني، وهذا النذر شرك يجب عدم تنفيذه؛ لأن النذر عبادة وهي لا تصرف إلا للَّه وحده.

٤- **الذبح عند قبور الأنبياء والأولياء**، ولو كانت النية أن الذبيحة للَّه، فهو يشبه عمل المشركين الذين كانوا يذبحون عند قبور أصنامهم الممثلة لأوليائهم.

٥- **الطواف حول قبور الأنبياء والأولياء** كالجيلاني والرفاعي والبدوي والحسين وغيرهم؛ لأن الطواف عبادة لا تجوز إلا حول الكعبة لقوله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩].

---

(١) صحيح، رواه البخاري (١٣٩٠)، ومسلم (١٩/٥٢٩).

٦- **الصلاة إلى القبور**: وهي غير جائزة لقوله ﷺ: «لَا تَجْلِسُوا عَلَى الْقُبُورِ وَلَا تُصَلُّوا إِلَيْهَا»[1].

٧- **شد الرحال إلى القبور للتبرك بها**، أو الصلاة عندها لا يجوز، لقوله ﷺ: «لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ مَسْجِدِي هَذَا وَمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى»[2].

فنقول: ذهبنا لزيارة المسجد النبوي والسلام على صاحبه.



(١) صحيح، رواه مسلم (٩٧٢/٩٧).

(٢) صحيح، رواه البخاري (١٤٢١)، ومسلم (١٣٩٧/٥١١).

الطِّيَرة والفَأْل

قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾﴾ [الأعراف].

كان آل فرعون إذا أصابتهم الحسنة -أي الخصب والسعة والعافية كما فسره مجاهد وغيره- قالوا: نحن أهله الجديرون به، وإن أصابتهم السيئة أي: البلاء والضيق والقحط، يطيروا بموسى ومن معه فيقولون: أصابنا هذا البلاء والضيق والقحط بشؤم موسى وأصحابه، فيقول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف :١٣١] أي: شؤمهم عند اللَّه، ومن قِبَله، وإنما جاءهم الشؤم من قِبَل اللَّه بكفرهم، وتكذيبهم بآيات اللَّه ورسله وليس بسبب موسى ومن معه، وهذا يشبه قول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء :٧٨].

أي: الكل من عند اللَّه؛ ولكن هذا الشؤم الذي أجراه اللَّه عليهم إنما أجراه بسبب كفرهم وتكذيبهم لآيات اللَّه ورسله وليس بسبب موسى ومن معه، وكيف يكون ذلك وما جاء به موسى خير محض والطيرة إنما تكون بالشر لا بالخير؛ ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام :٣٧] أي: أكثرهم جهال لا يدرون، ولو فهموا وعقلوا لعلموا أن ما جاء به موسى عليه السلام ليس فيه شيء يقتضي الطيرة لأنه خير محض.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ»[١]. وزاد مسلم: «وَلَا نَوْءَ وَلَا غُولَ»[٢].

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٥٧٥٧).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٢٢٢٠/١٠٦).

المعنى:

لا عدوى: لنعلم أن هذه الميكروبات والفيروسات التي تسبب الأمراض، والتي تنتقل من شخص مريض إلى آخر سليم بالعدوى، إنما هي كائنات تُسبح للّه تبارك وتعالى؛ فإذا أراد اللَّه تبارك وتعالى أن تصيب شخصًا أو تنتقل من مريض إلى سليم فإنما يكون ذلك بمشيئة اللَّه ولحكمة يعلمها اللَّه، ولذلك فمعنى لا عدوى: يعني على الوجه الذي كانوا يعتقدونه في الجاهلية من إضافة الفعل إلى غير اللَّه، هذا ما قاله ابن القيم، وابن صلاح، وابن رجب.

ولذلك فالإنسان مطلوب منه أن يأخذ بالأسباب ويتعلق بربها والعبد مأمور باتقاء أسباب الشر، ولذلك فلا يرد السليم على الأماكن التي تنتشر بها الأوبئة والأمراض أخذًا بالأسباب، لقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «لَا يُورِدَنَّ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ»[(١)]، «وَفِرَّ مِنْ الْمَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنْ الْأَسَدِ»[(٢)]. وقال في الطاعون: «فَمَنْ سَمِعَ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا يُقْدِمَنَّ عَلَيْهِ»[(٣)]. والممرض: هو الذي إبله مراض، والمصح: هو الذي إبله صحاح.

ولا طيرة: قال ابن القيم: هذا يحتمل أن يكون نفيًا (أي: ليس هناك شيء اسمه التشاؤم) ويحتمل أن يكون نهيًا بمعنى (لا تطيروا) والنفي هنا أبلغ من النهي لأن النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره، وفي صحيح مسلم عن معاذ بن الحكم السلمي ، أنه قال لرسول اللَّه ﷺ: «وَمِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ؟ قَالَ: ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ فَلَا يَصُدَّنَّهُمْ»[(٤)]. فأخبر النبي ﷺ أن تأذيه وتشاؤمه إنما هو شيء في نفسه وعقيدته، فوهمه وخوفه وإشراكه هو الذي يطيّره ويصده لا ما رآه أو سمعه،

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٥٧٧١).

(٢) رواه البخاري معلقا في باب الجذام.

(٣) صحيح، رواه البخاري (٦٩٧٤).

(٤) صحيح، رواه مسلم (٥٣٧/٣٣).

وبذلك تطمئن قلوبهم ونفوسهم إلى وحدانية اللَّه وقد جاءت أحاديث ظن بعض الناس أنها تدل على جواز الطيرة مثل: «لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ إِنَّمَا الشُّؤْمُ فِي ثَلَاثٍ فِي الْفَرَسِ وَالْمَرْأَةِ وَالدَّارِ»(١).

فأجابت طائفة من العلماء على هذا الحديث بقولهم:

إنما الشؤم بهذه الثلاثة إنما يلحق من تشاءم بها فيكون شؤمها عليه، وأما من توكل على اللَّه ولم يتشاءم ولم يتطير لم تكون مشئومة عليه ويدل على ذلك ما رواه ابن حبان في صحيحه عن أنس مرفوعًا: «لا طيرة، والطيرة على من تطير»(٢)، فقد يجعل اللَّه سبحانه وتعالى تطير العبد وتشاؤمه سببًا لحلول المكروه بساحته كما يجعل الثقة به والتوكل عليه وإفراد الخوف والرجاء منه من أعظم الأسباب التي يدفع بها الشر، وقد خُصت هذه الثلاثة بالذكر؛ لأن أكثر شؤم الناس يكون فيها، ولهما عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ قَالُوا: وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ: كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ»(٣)، ففي الحديث بين النبي ﷺ أن الفأل يعجبه، وأنه ليس من الطيرة المنهي عنها.

ومعنى التفاؤل: مثل أن يكون رجلًا مريضًا، فيسمع رجلًا يقول: يا سالم أو يكون طالب ضالة فيسمع آخر يقول: يا واجد.

قال ابن القيم: واللَّه سبحانه وتعالى قد جعل في غرائز الناس الإعجاب بسماع الاسم ومحبته، وميل نفوسهم إليه. أهـ. ولذلك فإذا قرعت الأسماء الحسنة مثل ناجح وواجد، وظافر وراشد، وسالم، وفالح، وفائز الأسماع استبشرت بها النفس وانشرح لها الصدر، وقوي بها القلب.

قال الحليمي: وإنما كان يعجبه الفأل؛ لأن التشاؤم سوء ظن باللَّه تبارك وتعالى

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٥٧٧٢)، ومسلم (١١٦/٢٢٢٥).
(٢) رواه ابن حبان في صحيحه (٦٢٢٩/٢٨٧/٢٥).
(٣) صحيح، رواه البخاري (٥٧٧٦)، ومسلم (١١٢/٢٢٢٤).

بغير سبب محقق، والتفاؤل حسن الظن به، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تبارك وتعالى على كل حال.

ولأبي داود عَنْ عُرْوَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: أَحْمَدُ الْقُرَشِيُّ قَالَ: ذُكِرَتْ الطِّيَرَةُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «أَحْسَنُهَا الْفَأْلُ وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا؛ فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ»[١].

وفي حديث ابن عمرو مرفوعًا: «من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك»[٢]، ولذلك فمن تطير أي تشاءم بشيء مسموع أو مرئي فرجع عن عزمه على سفره مثلًا أو امتنع عما عزم على فعله فقد قرع باب الشرك، وبرئ من التوكل على الله، وفتح على نفسه باب الخوف والتعلق بغير الله، ولذلك فالطيرة لا ترد مسلمًا عما عزم على فعله، ولا تثنيه عن سفره أو قصده.

ولذلك فإن رأى أحدنا ما يكره، فليقل: «اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ» فهذا دعاء مناسب بينه النبي ﷺ لمن وقع في قلبه شيء من الطيرة، وتصريح بأنها لا تجلب نفعًا، ولا تدفع ضرًا، ويُعدُّ من اعتقدها سفيهًا مشركًا، وقولك: «وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ» فيه تبرؤك من حولك وقوتك، واستعانتك بحول الله وقوته، فلا تحول ولا انتقال من حال إلى حال إلا بقوة الله تبارك وتعالى، وعن ابن مسعود مرفوعًا: «الطِّيَرَةُ مِنْ الشِّرْكِ، وَمَا مِنَّا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ»[٣].

وإنما جعلت الطيرة من الشرك لأنهم كانوا يعتقدون أن التطير يجلب نفعًا أو يدفع عنهم ضرًا إذا عملوا بموجبه، فيتعلق القلب بغير الله، وهذا نوع من الشرك لأن الذي يأتي بالحسنات هو الله، والذي يدفع السيئات هو الله.

---

(١) رواه أبو داود (٣٩١٩)، ضعفه الألباني في ضعيف الكلم الطيب (٢٥٢)، والمشكاة (٤٥٩١).

(٢) صحيح، صححه الألباني في صحيح الجامع (٦١٤٠).

(٣) رواه الترمذي (١٦١٤) وصححه وجعل الترمذي آخره من قول ابن مسعود، ورواه غيره.

وقوله: «وَمَا مِنَّا» هنا في الحديث إضمار، والتقدير هنا (وما منا إلا ويعتري قلبه شيء من ذلك) وهذا نوع من أدب الكلام؛ ولكن لما توكلنا على اللَّه وآمنا به واتبعنا ما جاء به الرسول ﷺ، أذهب اللَّه ذلك عنا، وأقر قلوبنا على السنة واتباع الحق.

ولا نوء: عن أبي مالك الأشعري رضي اللَّه عنه أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالْاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ، وَقَالَ: النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ»(١).

وعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ أَنَّهُ قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنْ اللَّيْلِ فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِي؛ فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ»(٢).

ولا غول: بالفتح (مصدر) معناه: البعد والهلاك، وبالضم (اسم) جمعه أغوال أو غيلان والغول كما يقول أبو السعادات: هو من جنس الجن والشيطان كانت العرب تزعم أن الغول في الفلاة تتراءى للناس فتتغول تغولًا أي: تتلون تلونًا في صور شتى، وتغولهم أي: تضلهم عن الطريق وتهلكهم فنفاه النبي ﷺ وأبطله.

وقيل: قوله لا غول: ليس نفيًا لعين الغول ووجوده وإنما فيه إبطال زعم العرب في تلونه بالصور المختلفة واغتياله، فيكون المعنى بقوله: (لا غول) أنها لا تستطيع أن تضل أحدًا، ويشهد له الحديث الآخر: «لا غول ولكن السعالي سحرة الجن» أي: ولكن في الجن سحرة لهم تلبيس وتخييل، ومن الحديث: «إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان»(٣).

---

(١) صحيح، رواه مسلم (٩٣٤/٢٩).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٨٤٦، ١٠٣٨)، ومسلم (٧١/١٢٥).

(٣) رواه أحمد في المسند (١٤٦٧٢) وقال الأرناؤوط : صحيح لغيره.

ولا هامة: قال الفراء: الهامة طائر من طير الليل كأنه يعني البومة، قال ابن الأعرابي: كانوا يتشاءمون بها إذا وقعت على بيت أحدهم يقول: نعت إليّ نفسي أو أحدًا من أهل داري.

وقال الزبير بن بكار في (الموافقات): إن العرب كانت في الجاهلية تقول إذا قُتل الرجل، ولم يُؤخَذ بثأره، خرجت من رأسه هامة (وهي دودة) فتدور حول قبره وتقول: اسقوني، وفي ذلك يقول شاعرهم:

يا عمرو إن لا تدع شتمي ومنقصتي أضربك حتى تقول الهامة اسقوني

ولا صفر: قيل فيه عدة أقوال أرجحها أن أهل الجاهلية كانوا يتشاءمون بشهر صفر، ويقولون: إنه شهر مشؤوم وربما ينتهي أحدهم عن السفر فيه فأبطل النبي ﷺ ذلك، رجحه ابن رجب ولعل هذا القول أشبه الأقوال، ولذلك فالتشاؤم بصفر هو من جنس الطيرة المنهي عنها وكذلك التشاؤم بأي يوم من الأيام أو أي شهر من الشهور، كتشاؤم أهل الجاهلية بالنكاح في شهر شوال خاصة.

نواقض الإسلام (المخرجة من الملة)

اعلم -أرشدك الله تعالى- أن الله خلق الخلق ليعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات]، ولكن هناك نواقض تخرج المسلم من دائرة الإسلام إلى دائرة الردة منها:

أولًا: الشرك الأكبر بأنواعه:

والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء :٤٨].

١- شرك الدعاء.

٢- شرك النية والقصد.

٣- شرك المحبة.

٤- شرك الطاعة.

٥- شرك الحلول.

٦- شرك التصرف.

ثانيًا: الكفر الأكبر بأنواعه:

١- كفر التكذيب.

٢- كفر الإباء والاستكبار.

٣- كفر الظن.

٤- كفر الإعراض.

٥- كفر الاستهزاء والاستخفاف باسم من أسماء اللَّه أو أمر من أوامره أو نهي من نواهيه أو وعد من وعوده أو بآياته أو برسوله.

٦- كفر النفاق الأكبر.

ثالثًا: النفاق الأكبر بأنواعه:

١- بغض النبي ﷺ.

٢- بغض بعض ما جاء به النبي ﷺ.

٣- تكذيب النبي ﷺ.

٤- تكذيب بعض ما جاء به النبي ﷺ.

٥- الفرح بهزيمة المسلمين.

٦- كراهية انتصار دين اللَّه تعالى.

رابعًا: من لم يكفر المشركين أو الكفار المجمع على كفرهم أو صحح مذاهبهم أو شك في كفرهم .. كفر إجماعًا.

خامسًا: مظاهرة الكفار والمشركين ومعاونتهم على المسلمين: والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

سادسًا: من جعل بينه وبين اللَّه وسائط يدعوهم أو يسألهم الشفاعة أو ليقربوه إلى اللَّه زلفى .. كفر إجماعًا: والدليل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ

أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر :٣].

سابعًا : الحكم بغير ما أنزل اللَّه: في ست حالات:

١- إذا جحد الحاكم أحقية الحكم بما أنزل اللَّه.

٢- إذا اعتقد الحاكم أن الأحكام الوضعية أفضل من حكم اللَّه ورسوله.

٣- إذا اعتقد الحاكم أن الأحكام الوضعية مساوية في الفضل لحكم اللَّه ورسوله.

٤- إذا اعتقد الحاكم جواز الحكم بما يخالف حكم اللَّه ورسوله.

٥- إذا أوجد محاكم وضعيةً محادةً ومعاداةً للَّه ولرسوله تستند في حكمها على الحكم الفرنسي أو الأمريكي أو البريطاني أو ما إلى ذلك من مذاهب الكفار.

٦- حكام الفرع الذين يحكمون بالعرف والعادة وحكايات الآباء والأجداد (وهو ما يعرف بالسواليف) رغبةً وإعراضًا عن حكم اللَّه ورسوله.

فإذا فعل ذلك الحاكم واعتقده فقد كفر كفرًا أكبر يخرج من الملة.

أما إذا قضى الحاكم في قضية معينة بشهوته، وهواه، وهو يعلم أنه بهذا الحكم مجانب للحق والصواب، وأنَّ حكم اللَّه ورسوله هو الأفضل، وأنه مستحق للعقوبة بذلك، فقد كفر كفرًا أصغر لا ينقل عن الملة ولكنه من الكبائر، وهذا هو الذي قال فيه ابن عباس: (كفر دون كفر، كفر لا ينقل عن الملة) ، وفي رواية: (هي لهم كفر، وليس كمن كفر باللَّه ورسوله).

الوصايا الذهبية في الحكم على من استبدل شرع اللَّه والحاكمية بأحكام وضعية:

١- إنَّ الذي يتولى الحكم عليهم العلماء الربانيون الراسخون في العلم، أصحاب الدراية والخبرة وليس الجهلاء الذين يقفزون في الهواء قفزات هوجاء.

٢- لابد أن تتحقق شروط التكفير وتنتفي موانعه، ولذلك يُنسب إلى الإمام مالك أنه قال: (من صدر عنه ما يحتمل الكفر من تسعة وتسعين وجهًا ويحتمل الإيمان من وجه واحد حُمل أمره على الإيمان).

٣- هل مَن حكم بهذه الأحكام الوضعية قد فعل ذلك محادةً ومعاداة للَّه ولرسوله أم فعل ذلك جهلًا أو خوفًا وجنبًا من أعداء اللَّه عز وجل، فالحكم على الحاكم في الحالتين مختلف تمامًا.

٤- لابد من إقامة الحجة على الحاكم بغير ما أنزل اللَّه، فينصح من قبل العلماء الربانيين، وتُقدم له الأدلة والبراهين على وجوب الحكم بما أنزل اللَّه، وخطر استبدال شرع اللَّه والحاكمية بأحكام وضعية، فإن عدل عن موقفه قُبل منه وكُف عنه،ووجبت طاعته ومناصحته بالمعروف.

٥- إن تبين بالأدلة الدامغة والقاطعة بعد إقامة الحجة عليه (أي الحاكم بغير ما أنزل اللَّه) عناده، وسوء قصده، فلا يجوز تكلف التأويلات في حقه، بل لابد من الخروج عليه بعد توافر أربعة شروط: (أن تكون الظروف مواتية - والحسابات دقيقة - وأن يملك المسلمون من القوة والحيلة ما يمكنهم من كسر شوكته - وألا يترتب على ذلك مفسدة أكبر)؛ فإن لم تتوافر هذه الشروط مجتمعة يَحرُم الخروج عليه، والذي يقدر ذلك العلماء الربانيون الراسخون في العلم أصحاب الدراية والخبرة وليس الجهلاء الذين يقفزون قفزات هوجاء في الهواء.

ملاحظة: قسم العلماء الإمارة إلى ثلاثة أنواع:

أولًا: الإمارة البَرّة: وهي التي تكون فيها الراية بَرَّةً والأميرُ بَرًّا ومثال ذلك الخلافة الراشدة التي كانت في عهد الخلفاء الراشدين.

ثانيًا: الإمارة الفاجرة: وهي التي تكون فيها الراية بَرَّةً والأميرُ فاجرًا، ولذلك لمّا أنكر الخوارج ضرورة الخلافة في عهدِ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قال علي رضي اللَّه عنه وأرضاه: لابد للمؤمنين من إمارةٍ بَرَّة كانت أو فاجرة فقالوا: يا أمير المؤمنين هذه الإمارة البَرَّة قد عرفناها فما هي الفاجرة فقال: يكفي أن تُؤمن بها السُّبُل وتُقام بها الحدود ويُجاهد بها الأعداء ويُقسم فيها الفيئ.

ثالثًا: الأمارة الكافرة: وهي التي تكون فيها الراية كافرة والأمير فاجرًا كافرًا.

ثامنًا: ومن نواقض الإسلام: السحر والكهانة والعرافة أو إدعاء أنَّ الوحي ينزل عليه (بعض هؤلاء الذين يَدَّعون أن الوحي ينزل عليهم ينشأ لهم عن جنون فهؤلاء لا نقصدهم وإنما نقصد من صار له شوكة وأتباع):

فمن فعله أو رضى به، أو اعتقد أن الكاهن أو العراف يعلم الغيب واعتقد صدقه فقد كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة:١٠٢]، ولقوله ﷺ فيما ثبت عنه: «من أتى عرافا أو كاهنًا فصدقه بما يقول ، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ »[١].

تاسعًا: من اعتقد أن بعض الناس لا يجب عليه اتباع النبي: وأنه يسعه الخروج عن شريعته كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام .. كفر إجماعًا:

فقد جاء في الحديث الصحيح: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به»[٢].

عاشرًا: استباحة محرم أجمع المسلمون على تحريمه .. كاستباحة الخمر أو الزنى أو الربا أو أكل لحم الخنزير أو استباحة واستحلال دماء المعصومين.

الحادي عشر: تحريم ما أجمع المسلمون على حله: كتحريم الطيبات.

الثاني عشر: إنكار ما هو معلوم من الدين بالضرورة:

مثل إنكار وحدانية اللَّه وأنه الخالق المدبر لهذا الكون أو إنكار وجود الجن أو الملائكة أو أن القرآن وحي من اللَّه أو إنكار البعث والجزاء أو الجنة أو النار أو إنكار فريضة الصلاة والزكاة والصيام والحج.

الثالث عشر: سب الذات الإلهية أو القرآن أو السنة أو الدين.

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (١٥/١٨/١) وقال: هذا حديث صحيح على شرطهما جميعا من حديث ابن سيرين، ولم يخرجاه.

(٢) سبق تخريجه.

الرابع عشر: سب النبي ﷺ أو أي نبي من الأنبياء.

الخامس عشر: إلقاء المصحف في القاذورات أو كتب الحديث استهانةً بها واستخفافًا بما جاء فيها.

ما يترتب على الردة من عقوبات وأحكام:

١- تُحبط جميع الأعمال الصالحة التي فعلها المرتد قبل الردة.

٢- عليه غضب من اللَّه تعالى.

٣- يستوجب العذاب الشديد في الآخرة.

استنادا لقول اللَّه عز وجل في كتابه العزيز: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة :٢١٧].

وقوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [النحل].

٤- يستتاب المرتد ويعطى فترة زمنية قدرها بعض العلماء بثلاثة أيام يراجع فيها نفسه، وتُفند فيها وساوسه، وتُناقش فيها أفكاره، وتُقدم له الأدلة والبراهين التي تعيد الإيمان إلى القلب واليقين إلى النفس، وتريح ما علق بالوجدان من ريب وشكوك فإن عدل عن موقفه بعد كشف شبهاته ورجع إلى الإسلام، وأقر بالشهادتين واعترف بما كان ينكره وبَرئ من كل دين يخالف دين الإسلام قُبلت توبته وإلا أقيم عليه حد الردة ألا وهو القتل بالسيف حدًا استنادًا إلى قول النبي ﷺ في الأحاديث الصحيحة: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»[1]. «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: رَجُلٌ زَنَى بَعْدَ إِحْصَانٍ فَإِنَّهُ يُرْجَمُ،

(١) صحيح، رواه البخاري (٣٠١٧).

وَرَجُلٌ خَرَجَ مُحَارِبًا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ أَوْ يُصْلَبُ أَوْ يُنْفَى مِنْ الْأَرْضِ أَوْ يَقْتُلُ نَفْسًا فَيُقْتَلُ بِهَا»[1].

والذين رأوا تقدير المدة بثلاثة أيام اعتمدوا على ما روي أن رجلًا قدم إلى عمر رضي الله عنه من الشام فقال : هل من مغربة خبر؟ قال: نعم. رجل كفر بعد إسلامه، فقال عمر: فما فعلتم به؟ قال: قربناه فضربنا عنقه، قال: هلا حبستموه في بيتٍ ثلاثًا وأطعمتموه كل يوم رغيفًا، واستتبتموه لعله يتوب ويراجع أمر الله، اللَّهم إني لم أحضر، ولم آمر، ولم أرض إذ بلغني، اللَّهم إني أبرأ إليك من دمه.

٥- تفسخ العلاقة الزوجية بين الزوجين بردة أحدهما فإن تاب المرتد منهما وعاد إلى الإسلام من جديد، كان لابد من مهر وعقد جديدين إذا أراد استئناف الحياة الزوجية بينهما.

٦- لا يرث المرتد قريبه المسلم، ولا يورث ماله، وما ترك من مال يكون فيئًا للمسلمين يصرف في المصالح العامة للأمة لقوله ﷺ في الحديث الصحيح: «لَا يَرِثُ الْمُؤْمِنُ الْكَافِرَ وَلَا يَرِثُ الْكَافِرُ الْمُؤْمِنَ»[2].

٧- ويرى بعض العلماء أنه يفقد أهلية الولاية على غيره، فلا يجوز له أن يتولى عقد تزويج بناته ولا أبنائه الصغار، وتعتبر عقوده بالنسبة لهم باطلة لسلب ولايته لهم بالردة.

٨- لا يُغسل ولا يُصلى عليه ولا يُدفن في مقابر المسلمين لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [التوبة].

❁ ❁ ❁ ❁

(١) صحيح، رواه أبو داود (٤٣٥٣)، صححه الألباني في صحيح الجامع (٧٦٤٢).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٤٢٨٣)، ومسلم (١٦١٤/١).

التبرك

تعريفه: طلب اليُمن والبركة، والبركة هي النماء في الخير والزيادة فيه.

شرط التبرك: لا يكون إلا بما عُلِمَ شرعًا أن فيه بركة وأذن الشارع الحكيم بطلبه والتماسه.

بما يكون التبرك؟

١- **في الزمان:** كليلة القدر لقوله تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۝٥﴾ [القدر].

ويكون التبرك بها بإحياء هذه الليلة بتلاوة القرآن وقيام الليل والدعاء فيها لما أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»(١).

وروى أحمد وابن ماجه والترمذي وصححه عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيُّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ الْقَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قَالَ: «قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عُفُوٌّ كَرِيمٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي»(٢). إسناده صحيح.

٢- **وفي المساجد:** كالمساجد الثلاثة وغيرها من المساجد التي أسست على التقوى، ويكون التبرك فيها بالصلاة والاعتكاف والذكر وقراءة القرآن، والاستغفار لقوله ﷺ: «لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ مَسْجِدِي هَذَا وَمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى»(٣).

---

(١) صحيح، رواه البخاري (١٩٠١، ٢٠١٤)، ومسلم (١٧٥/٧٦٠).

(٢) صحيح، رواه الترمذي (٣٥١٣)، وابن ماجه (٣٨٥٠)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٢٠٩١)، وأحمد في المسند (٢٤٨٥٦، ٢٤٩٦٧، ٢٤٩٦٩).

(٣) صحيح، رواه البخاري (١٤٢١)، ومسلم (١٣٩٧/٥١١).

٣- **وفي الأشياء**: كماء زمزم، لقوله ﷺ في الحديث الصحيح: «زمزم طعام طعم وشفاء سقم»(١).

٤- **وفي المجالس كمجالس العلم والذكر** لقوله ﷺ: «لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»(٢).

٥- **وفي الأمكنة**: كبيت اللَّه الحرام، ويكون ذلك بالمتابعة بين الحج والعمرة، والطواف والصلاة وقراءة القرآن. لما جاء في الحديث الصحيح: «تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ»(٣)، وكالأراضي المقدسة: (كالحجاز والشام) بالإقامة فيها على حسن سيرة وكمال أدب والحياة فيها والموت فيها.

٦- **التبرك بقراءة القرآن**: ويكون ذلك بتلاوته وتدبر آياته وتطبيق أحكامه، وتحكيم شرائعه والاستشفاء به قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الإسراء]. وفي الحديث الصحيح: «القرآن شافع مشفع وماحل مصدق من جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلفه ساقه إلى النار»(٤).

٧- **التبرك بمجالسة الصالحين**: ومرافقتهم في أسفارهم وطلب الدعاء منهم لقوله

---

(١) صحيح، رواه البزار في مسنده (٣٣٤٣) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٣٥٧٢). والحديث في صحيح مسلم (١٣٢/٢٤٧٣) بلفظ: «قَالَ: فَمَنْ كَانَ يُطْعِمُكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: مَا كَانَ لِي طَعَامٌ إِلَّا مَاءُ زَمْزَمَ فَسَمِنْتُ حَتَّى تَكَسَّرَتْ عُكَنُ بَطْنِي وَمَا أَجِدُ عَلَى كَبِدِي سُخْفَةَ جُوعٍ قَالَ: إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ إِنَّهَا طَعَامُ طُعْمٍ» عن أبي ذر رضي اللَّه عنه.

(٢) صحيح، رواه مسلم (٣٩/٢٧٠٠).

(٣) صحيح، رواه الترمذي (٨١٠)، والنسائي (٢٦٣١)، صححه الألباني في مشكاة المصابيح (٢٥٢٤).

(٤) صحيح، رواه ابن حبان في صحيحه (١٧٩٣)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٠١٩).

ﷺ: «مَنْ دَعَا لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ»(١).

٨- **وفي الأشخاص:** كذوات الأنبياء، ولا يجوز التبرك بالأشخاص لا بذواتهم، ولا آثارهم إلا بذات النبي ﷺ وآثاره إذ لم يرد الدليل إلا بها، وقد انقطع ذلك بموته ﷺ وذهاب آثاره. فقد ورد في صحيح البخاري: «مَا تَنَخَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ»(٢). فهذا فيه دلالة على أنهم كانوا يقتتلون على ما تساقط من وضوئه ﷺ ويتبركون به.

حكمه: أقصى درجات حكمه الشرعي أنه مستحب؛ ولكن إذا كان سيؤدي إلى فعل مكروه أو ارتكاب محرم فيجب تركه، ويتعين عدم فعله؛ لأن درء المفاسد مقدم على جلب المنافع، ويشهد لهذا ما فعله عمر بن الخطاب، وهو أحد الخلفاء الراشدين الموصى شرعًا باتباع سنتهم؛ فإنه رضي اللَّه عنه لما رأى الناس يكثرون النزول تحت شجرة الرضوان وهم في طريقهم إلى مكة أمر بقطعها حسمًا لمادة الفساد، إذ لو تركت لعبدت كما عبد غيرها من الأشجار باسم التبرك.



---

(١) صحيح، رواه مسلم (٢٧٣٢/٨٦).

(٢) صحيح، جزء من حديث طويل رواه البخاري (٢٧٣٤).

اتخاذ القبور أعيادًا

يقول ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا»[١].

ولذلك فمن المفاسد، اتخاذ القبور أعيادًا فترى غلاة المتخذين لها عيدًا يقبلونها، ويطوفون حولها ويصلون إليها، ولذلك لو نظرت إلى الذين يشدون الرحال إلى المساجد التي فيها القبور، كمقام الحسين، والسيدة زينب، والسيد البدوي، وإبراهيم الدسوقي، وغيرهم، وقد حنوا لها الجباه وقبلوا الأرض، وكشفوا الرؤوس، وارتفعت الأصوات بالضجيج وتباكوا حتى يسمع لهم النشيج ورأوا أنهم قد أربحوا في الربح على الحجيج، واستغاثوا بمن لا يبديء ولا يعيد، حتى إذا دنوا منها صلوا عند القبر ركعتين ورأوا أنهم قد أحرزوا من الأجر ما لم يحرزه من صلى إلى القبلتين، فتراهم ركعًا سجدًا يبتغون فضلًا من الميت ورضوانًا، وقد ملئوا أكفهم خيبة وخسرانًا.

تاللَّه لغير اللَّه بل للشيطان، ما يراق هناك من العبرات، ويرتفع من الأصوات، ويطلب من الميت من الحاجات، ويُسأل من تفريج الكربات، وإغاثة اللَّهفات، وإغناء ذوي الفاقات، ومعافاة ذوي العاهات والبليات، ثم انثنوا بعد ذلك حول القبر طائفين، تشبيهًا له بالبيت الحرام الذي جعله اللَّه مباركًا وهدى للعالمين، ثم أكملوا مناسك حج القبر بالحلق والتقصير، واستمتعوا بخلاقهم من ذلك الوثن، وقربوا له القرابين، فكانت صلاتهم وطوافهم ونسكهم لغير رب العالمين ولو رأيتهم وهم يهنئون بعضهم البعض قائلين: أجزل اللَّه لنا ولكم الأجر الجزيل، عافانا اللَّه من ذلك فهذا هو مبدأ عبادة الأصنام في قوم نوح، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح].

قال ابن عباس وغيره من السلف: هؤلاء كانوا صالحين من قوم نوح فلما ماتوا

---

(١) صحيح، رواه أبو داود (٢٠٤٢)، صححه الألباني في صحيح الجامع (٧٢٢٦).

عكف الناس على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم، فعبدوهم، فكان هذا هو مبدأ عبادة الأوثان، وكل من شم أدنى رائحة من العلم والفقه يعلم أن من أهم الأمور سد الذريعة إلى هذا المحظور.



التوسل المشروع والممنوع

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المائدة].

تعريف الوسيلة: هي التقرب إلى الله تعالى بعملٍ صالح طلبًا للقرب منه والحظوة لديه والدرجة عنده سبحانه وتعالى، أو جلب خير أو دفع ضر أو قضاء حاجة.

شروط يجب توافرها في عملية التوسل:

١- أن يكون المتوسل مؤمنًا، فلا تكون الوسيلة من كافر.

٢- أن يكون العمل المتوسل به قربة (مما شرع الله عز وجل لعباده أن يتقربوا به إليه سبحانه).

٣- أن يكون موافقًا في أدائه لما كان عليه النبي ﷺ وصحابته الكرام.

ولذلك فلا تقبل الوسيلة من الكافر، ولا يصح أن تكون البدعة وسيلة يتقرب بها، وإن كانت الوسيلة مخالفة في الأداء لما كان عليه النبي ﷺ فلا تصح بحال من الأحوال.

أنواع التوسل المشروع:

(١) التوسل بالإيمان:

والدليل قوله سبحانه وتعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران:١٦]. وقوله تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ﴿١٩٣﴾﴾ [آل عمران:١٩٣].

(٢) التوسل بتوحيد الله:

كدعاء يونس عليه السلام حين ابتلعه الحوت في قوله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء].

(٣) التوسل بأسماء اللَّه:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف :١٨٠]، وقوله ﷺ: «أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ»[١].

(٤) التوسل بصفات اللَّه:

كقوله ﷺ: «يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ»[٢].

(٥) التوسل بالفرائض والنوافل من صلاة وزكاة وحج واعتمار وصدقة وجهاد ورباط وغيرها:

قال تعالى في الحديث القدسي الذي أخرجه البخاري وغيره: «وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ»[٣].

❁ الصلاة:

لقوله ﷺ في الحديث الصحيح وقد سئل عن أحب الأعمال إلى اللَّه تعالى فقال: «الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا»[٤].

❁ الصيام:

جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا بَاعَدَ اللَّهُ بِذَلِكَ الْيَوْمِ وَجْهَهُ عَنْ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا»[٥].

روى أحمد والترمذي بسند حسن عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه: «ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ»[٦].

---

(١) صحيح، رواه أحمد (٣٧٠٤)، والحاكم في المستدرك (٥٠٩/١)، صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٨٢٢)، والسلسلة الصحيحة (١٢٤).

(٢) حسن، رواه الترمذي (٣٥٢٤)، حسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٧٧٧).

(٣) صحيح، رواه البخاري (٦٥٠٢).

(٤) صحيح، رواه البخاري (٥٢٧، ٥٩٧٠)، ومسلم (١٣٩/٨٥).

(٥) صحيح، رواه البخاري (٢٨٤٠)، ومسلم (١٦٧/١١٥٣) واللفظ له.

(٦) صحيح، رواه الترمذي (٣٥٩٨)، وابن ماجه (١٧٥٢)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٧٩٧)، وأحمد في المسند (٧٩٨٣).

❁ الصدقة:

جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «الصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ»[١].

«اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»[٢].

❁ الحج والاعتمار:

جاء في الحديث الصحيح: «تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ»[٣].

❁ الجهاد والرباط:

«إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»[٤]، «رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنْ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا وَالرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ الْغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا»[٥]، وفي الحديث الصحيح: «رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَأَمِنَ الْفَتَّانَ»[٦].

(٦) تلاوة القرآن والذكر والتسبيح والاستغفار:

❁ القرآن:

جاء في الحديث الصحيح: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»[٧]، «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ

---

(١) صحيح، رواه الترمذي (٢٦١٦)، صححه الألباني في صحيح الجامع (٥١٣٦).

(٢) صحيح، رواه البخاري (١٤١٧، ٦٠٢٣، ٦٥٣٩)، ومسلم (٦٨/١٠١٦).

(٣) صحيح، رواه النسائي (٢٦٣٠)، صححه الألباني.

(٤) صحيح، رواه البخاري (٢٧٩٠) عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، ومسلم (١١٦/١٨٨٤) عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه.

(٥) صحيح، رواه البخاري (٢٨٩٢).

(٦) صحيح، رواه مسلم (١٦٣/١٩١٣).

(٧) صحيح، رواه البخاري (٥٠٢٧).

مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ»(١)، ويقال له إذا دخل الجنة: «اقْرَأْ وَارْقَ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا»(٢).

❁ الذكر والتسبيح:

جاء في الصحيحين عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل يقول اللَّه تعالى: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»(٣).

❁ الاستغفار:

جاء في الحديث الصحيح: «مَنْ لَزِمَ الِاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ»(٤).

(٧) الصلاة على النبي ﷺ:

جاء في الحديث الصحيح: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»(٥).

(٨) التوسل بدعاء النبي ﷺ يوم أن كان حيًا:

بأن يأتي السائل فيسأل الرسول ﷺ أن يطلب له من اللَّه العافية، كما طلب الأعرابي من الرسول أن يستسقي لهم، وكما طلب الأعمى من الرسول أن يدعو اللَّه أن يرد عليه بصره، هذا إن صح حديث الأعمى، ولكن بعض المحدثين قد ضعفوه لأن في سنده أبا جعفر الرازي وهو سيئ الحفظ، يهم كثيرًا فلا يحتج بما ينفرد به.

---

(١) صحيح، رواه مسلم (٢٤٤/٧٩٨).

(٢) رواه الترمذي (٢٩١٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨١٢٢)، وأحمد في المسند (٦٧٦٠).

(٣) صحيح، رواه البخاري (٧٤٠٥) واللفظ له، ومسلم (٢٦٧٥).

(٤) رواه أبو داود (١٥١٨)، وابن ماجه (٣٨١٩)، وأحمد في المسند (٢٢٣٤).

(٥) صحيح، رواه مسلم (١١/٣٨٤).

وكما طلبت الجارية السوداء التي كانت تصرع وتتكشف من النبي ﷺ أن يدعو اللَّه لها أن يعافيها، فخيرها النبي ﷺ بين الصبر، وبين أن يدعو لها فقال: «إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ»[1]، فاختارت الصبر، وسألت النبي ﷺ أن يدعو لها ألا تتكشف حينما تصرع فدعا لها. والقصة ثابتة في صحيح البخاري.

(٩) التوسل بدعاء المؤمنين الصالحين:

فقد جاء في الحديث الصحيح: «مَنْ دَعَا لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ»[2]، وقد توسل الصحابة بعد وفاة الرسول ﷺ بدعاء العباس رضي اللَّه عنه فخرج فصلى بهم صلاة الاستسقاء فاستجاب اللَّه تعالى له وسقاهم بعد قحط شديد وهذا ثابت في صحيح البخاري.

(١٠) التوسل بفعل الخيرات مطلقًا:

كبِرِّ الوالدين والأمانة وحفظ الحقوق وغيرها، وهذا ثابت في صحيح مسلم، وكذلك البخاري في قصة أصحاب الغار الثلاثة الذين حبسوا في الغار حيث سقطت صخرة على فم الغار فسدته عليهم فتوسل اثنان منهم ببر فعلوه لوجه اللَّه فتوسل الأول إلى اللَّه بالإحسان للوالدين، وتوسل الآخر إلى اللَّه بحفظ حق الأجير ففرج عنهم[3].

(١١) التوسل بترك المحرمات:

كالزنى والخمر وغيرها من المحرمات فقد توسل أحد أصحاب الغار الذين حبسوا في الغار، حيث سقطت صخرة على فم الغار فسدته عليهم بتركه الزنى من ابنة عمه

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٥٦٥٢)، ومسلم (٥٤/٢٥٧٦).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٨٧/٢٧٣٢).

(٣) إشاره إلى قصة أصحاب الغار رواها البخاري (٢٢١٥، ٢٢٧٢، ٢٣٣٣) ومواضع، ومسلم (١٠٠/٢٧٤٣).

بعد أن قدر عليها ففرّج اللَّه عنهم، فقد توسل إلى اللَّه بقوله: «اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنْ السِّنِينَ فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا قَالَتْ لَا أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ فَتَحَرَّجْتُ مِنْ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ فَانْفَرَجَتْ الصَّخْرَةُ»[1].

الوسائل المحرمة

(١) دعاء الأولياء والصالحين والاستعانة بهم:

كدعاء الأنبياء أو الأولياء أو الصالحين في جلب خير أو كشف ضر أو قضاء حاجة أو إغاثة لهفة أو تفريج كربة أو جلب رزق فهذا شرك أكبر يخرج من الملة.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس] أي: من المشركين.

كأن يقول: يا سيدي فلان خذ بيدي.

يا مولاي فلان أنا في حماك.

يا بدوي أغثني أو فرج كربي.

(٢) النذور للأولياء والصالحين أو الذبح على أرواحهم على الأضرحة والمشاهد وفي القباب:

بعض الناس ينذرون ذبيحة أو مالًا للولي الفلاني ... كأن يقول: يا سيدي فلان إن رزقني اللَّه طفلًا نذرت أن أذبح عند قبرك كبشًا أو أصلي عند قبرك ركعتين.

فهذا نذر لغير اللَّه فهو ليس قربة ولا عملًا صالحاً يُتوسل به، وإنما عبادة صرفت لغير اللَّه تعالى فصاحبها قد أقحم نفسه في باب من أبواب الشرك، وهذا عمل

---

(١) انظر التخريج السابق.

يشبه عمل المشركين الذين كانوا يذبحون عند قبور أصنامهم الممثلة لأوليائهم.

(٣) الطواف حول قبور الأنبياء والصالحين:

كالجيلاني والرفاعي والبدوي والحسين، فهذا ليس قربة ولا عملًا صالحًا يتوسل به، إنما هو عبادة صرفت لغير اللَّه تعالى؛ لأن الطواف لا يكون إلا ببيت اللَّه لقوله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج :٢٩].

(٤) شد الرحال إلى قبور الأولياء والصالحين أو الصلاة عندها أو العكوف حولها وإقامة الحفلات والحضرات:

فهذا ليس عمل قربة ولا عملًا صالحًا يتوسل به بل مخالفة شريعة وعمل فاسد لا يفعله إلا من سفه نفسه لقول النبي ﷺ: «لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ مَسْجِدِي هَذَا وَمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِ الأَقْصَى»[١].

والصلاة إلى القبور أو غيرها لا تجوز لقوله ﷺ: «لَا تَجْلِسُوا عَلَى الْقُبُورِ وَلَا تُصَلُّوا إِلَيْهَا»[٢].

(٥) التوسل بجاه فلان أو بحق فلان: (التوسل البدعي)

فهذا توسل مبتدع لم يعرفه سلف هذه الأمة ولا صدرها الأول الصالح، وما كان من جنس البدع والأمور المحدثة لا يكون وسيلة تعطى بها الرغائب وتقضى بها الحاجات واللَّه تبارك وتعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام :٣٨].

ولقول أبي هريرة في السنة الصحيحة: «علمنا رسول اللَّه ﷺ كل شيء حتى الخراءة»، وقد روى مسلم رحمه اللَّه عن سلمان قال: «قِيلَ لَهُ: قَدْ عَلَّمَكُمْ نَبِيُّكُمْ ﷺ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْخِرَاءَةَ؟! قَالَ: فَقَالَ: أَجَلْ»[٣].

---

(١) صحيح، رواه البخاري (١٤٢١)، ومسلم (٥١١/١٣٩٧).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٩٧/٩٧٢).

(٣) صحيح، رواه مسلم (٥٧/٢٦٢).

وقد نقل عن أبي حنيفة الإنكار الشديد على من سأل اللَّه تعالى بحق فلان إذ لا حق لأحد على اللَّه تعالى فيسأل به وإنما اللَّه ذو الفضل فيسأل من فضله كما قال تعالى: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾ [النساء].

ورحم اللَّه القائل:

ما للعباد عليه حق واجب كلا ولا سعي لديه ضائع

إن عُذِّبوا فبعدله أو نُعِّموا فبفضله وهو الكريم الواسع

الرد على حجج المبتدعين وتفنيدها:

(١) حديث الاحتجاج بتوسل آدم بحق محمد عند اللَّه تعالى:

والذي جاء فيه: «لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي فقال اللَّه: يا آدم وكيف عرفت محمدًا ولم أخلقه قال: يا رب لما خلقتني بيدك ونفخت فيَّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا إله إلا اللَّه محمد رسول اللَّه فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك فقال اللَّه صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلي ادعني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك»[١]. وهذا حديث موضوع.

(٢) حديث: «اللَّهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا»[٢].

هذا حديث ضعيف فقد قال الهيثمي في مجمع الزوائد: هذا إسناد مسلسل بالضعفاء (عطية العوفي، والفُضيل بن مرزوقٍ، والفضل بن الموفق) كلهم ضعفاء.

ولو أننا سلمنا بصحة الحديث فما هو حق السائلين؟

فحق السائلين على اللَّه هو إجابة دعواهم وإعطاؤهم سؤالهم وهما صفتان للَّه عز وجل كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم :٤٧].

---

(١) موضوع، رواه الحاكم في المستدرك (٢/٦١٥)، وقد علق الذهبي على هذا الحديث في المستدرك فقال: موضوع. وقال الألباني في السلسلة الضعيفة (٢٥): موضوع.

(٢) ضعيف، رواه ابن ماجه (٧٧٨)، ضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٥٧١).

(٣) حديث فاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب:

وقد توفيت وكانت قد ربت النبي ﷺ فجلس عند رأسها وقال: «رحمك اللَّه يا أمي بعد أمي» فلما أدخلها في اللحد قال: «اللَّهُ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لا يَمُوتُ، اغْفِرْ لأُمِّي فَاطِمَةَ بنتِ أَسَدٍ، ولَقِّنْهَا حُجَّتَها، وَوَسِّعْ عَلَيْهَا مُدْخَلَهَا، بِحَقِّ نَبِيِّكَ وَالأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِي، فَإِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ»(١).

والجواب: هذا الحديث ضعيف أيضًا فيه روح بن صالح المصري وهو ضعيف، وعلى فرض التسليم بصحته فحق الأنبياء على اللَّه هو صفة من صفات اللَّه تعالى وهو نصرته لهم وإرضاؤهم وإعلاؤهم على أعدائهم.

(٤) أما احتجاجهم على الاستغاثة بقوله تعالى في قصة موسى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ﴾ [القصص:١٥]. فما أسمجه من استدلال وما أبرده !!! فهو استغاثة حي بحي فيما يقدر عليه وهذا جائز وليس فيه خلاف.

(٥) حديث: «إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأهل القبور». فهو حديث مكذوب من وضع الزنادقة.

(٦) حديث: «توسلوا بجاهي فإن جاهي عند اللَّه عظيم»(٢).

(٧) حديث الرجل الأعمى الضرير: الذي أتى إلى النبي ﷺ فقال: «ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَنِي قَالَ إِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ لَكَ وَإِنْ شِئْتَ أَخَّرْتُ ذَاكَ فَهُوَ خَيْرٌ فَقَالَ ادْعُهُ فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ فَيُحْسِنَ وُضُوءَهُ فَيُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ وَيَدْعُوَ بِهَذَا الدُّعَاءِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ يَا مُحَمَّدُ إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ فَتَقْضِي لِي اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ»(٣).

هذا التوسل مركب من عدة أمور لا يتم إلا بها:

---

(١) ضعيف، ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٢٣).

(٢) موضوع، قال الألباني في السلسلة الضعيفة (٢٢): لا أصل له. لم يختلف في وضعه اثنان.

(٣) صحيح، رواه ابن ماجه (١٣٨٥)، وصححه الألباني في الترغيب والترهيب (٦٨١)، وأحمد في المسند (١٦٧٨٩) وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات.

١- هذا الرجل سأل النبي ﷺ أن يدعو له وقد دعا له النبي ﷺ.
٢- هذا الرجل قد قدّم النبيَّ ﷺ بين يدي دعواه فقال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ».

وهذه الأمور قد تعذر الحصول عليها بوفاة النبي ﷺ فلو قام أحدنا اليوم وقال: يا رسول اللَّه أدع اللَّه لي أن يعافيني لكان قوله باطلًا وضلالًا، ولا معنى له لأن النبي ﷺ لا يسمعه ولا يراه، ولو قام أحدنا وقال: اللَّهم إنى أسالك وأتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة ... لكان كاذبًا في قوله لأنه لم يقدم النبي ﷺ بين يدي دعواه، ومن هنا لم يبق هذا التوسل بهذه الكيفية جائزًا ولا نافعًا.

أضف إلى ذلك أن بعض المحدثين قد ضعفوا حديث الأعمى إذ أن في سنده أبا جعفر الرازي وهو سيء الحفظ يهم كثيرًا ولا يحتج به بما ينفرد به.

(٨) حديث استسقاء عمر بن الخطاب بالعباس رضي اللَّه عنهما لما قحطوا

فقال عمر: «اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا قَالَ فَيُسْقَوْنَ»(١) ثم قال: قم يا عباس فادع اللَّه لنا.

فلم لا نتوسل نحن اليوم بالنبي ﷺ؟

نقول: معنى قول عمر نتوسل إليك بنبينا أي: بطلبهم منه أن يدعو اللَّه تعالى لهم أن يسقيهم الغيث فيستجيب اللَّه دعوته ويسقيهم كما حصل ذلك مرارًا لا أنهم كانوا يتوسلون إلى اللَّه بذات النبي أو بجاهه ﷺ والنبي غائب عنهم، ولو كان ذلك جائزًا بعد موته، لما عدلت الصحابة عن الرسول إلى العباس بن عبد المطلب، وهذا من الوضوح بمكان لا يخفى إلا على من أعماه التعصب والعناد وسلك سبيل أهل الضلال والفساد.

ومعنى نتوسل إليك بعم نبينا أي: طلبوا من العباس عم النبي ﷺ أن يدعو اللَّه عز وجل أن يسقيهم الغيث، فقام العباس، فدعا لهم فأرخت السماء أمثال الجبال من الأمطار الغزيرة فسقوا بعد قحط.

---

(١) صحيح رواه البخاري (١٠١٠، ٣٧١٠).

الاستشفاع .. التشفع .. الشفاعة

معنى الاستشفاع:

أن يطلب إنسان من آخر التوسط له عند ذي سلطان ليقضي له حاجته أو يتجاوز عنه في ذنب قارفه أو جريمة ارتكبها، والشفع هو خلاف الوتر (أي الفرد).

ولذلك فالرجل فرد فإذا أدخل واسطة وطلب منه شفاعته كان معه شفعًا أي: اثنين بعد أن كان فردًا.

حكم الاستشفاع:

١- يندب للرجل أن يشفع لأخيه المسلم عند ذي سلطان من أهل الدنيا ليقضي له حاجته أو ليتجاوز عنه في ذنب قارفه أو جريمة ارتكبها لقوله تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾﴾ [النساء: ٨٥].

ويؤجر الشافع على شفاعته حتى ولو لم تُقض حاجة من شفع له لقوله ﷺ: «اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا شَاءَ»[١].

٢- لا يجوز الاستشفاع في إثم كإسقاط حق من الحقوق أو تعطيل حد من الحدود لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢].

ولذلك أنكر النبي ﷺ على أسامة بن زيد حينما أراد أن يشفع في المرأة المخزومية التي كانت تستعير المتاع وتجحده، فرفع أمرها إلى النبي ﷺ فقال النبي ﷺ لأسامة: «أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدودِ اللَّهِ؟»[٢].

---

(١) صحيح، رواه البخاري (١٤٣٢)، ومسلم (٢٦٢٧/١٤٥)، والترمذي (٢٦٧٢)، والنسائي (٢٥٥٦).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٣٤٧٥، ٦٧٨٨)، ومسلم (١٦٨٨/٨، ٩)، والترمذي (١٤٣٠)، والنسائي (٤٨٩٨)، وأبو داود (٤٣٧٣)، وابن ماجه (٢٥٤٧).

٣- في دار الدنيا: لا يجوز الاستشفاع عند اللَّه بأحد من الأولياء أو الصالحين من الأحياء أو الأموات كأن يقول: (يا سيدي فلان اشفع لي عند ربي في قضاء كذا وكذا).

فمن فعل ذلك فقد جمع بين عظيمتين:

الأولى: دعاء غير اللَّه تعالى وهذا شرك أكبر.

الثانية: قياس الخالق على المخلوق وتشبيهه به، حيث طلبوا له واسطة كما تطلب للمخلوق من ذوي السلطان.

فاللَّه عليم بأحوال عباده، ولا يحتاج إلى من يعلمه بأحوالهم من الوسطاء.

ولذلك قبح بالعبد أن يستشفع على ربه بأحد من خلقه، وحسن به أن يسأل ربه مباشرة وبغير واسطة، فاللَّه تبارك وتعالى يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة]، وقال تعالى أيضًا: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر].

ولذلك فالميت غير مكلف بعبادة ولا دعاء ولا يسمع من يناديه، ولا يعرف من يستشفع به فنداؤه وطلب الدعاء منه والاستشفاع به لا يفعله إلا من سفه نفسه وسلك سبيل أهل البدع والضلال.

٤- في دار الآخرة: الشفاعة تنقسم يوم القيامة إلى قسمين:

أولًا: شفاعة منفية، لا حقيقة لها ولا وجود؛ من صورها:

أ- شفاعة الآلهة التي عبدت من دون اللَّه للكفار والمشركين سواء المرجو شفاعته كان ملكًا أو نبيًا أو وليًا أو من الجن أو الشياطين أو الحيوانات أو الجمادات، وذلك قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ﴾ [الزمر:٤٣-٤٤]؛ ولأن من عبد غير اللَّه تعالى مشرك كافر، ولا شفاعة لكافر، قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر].

ب- الشفاعة بدون إذن من اللَّه للشافع أو عدم رضاه عن المشفوع قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥]، ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم].

ثانيًا: شفاعة مثبتة:

أ- شفاعات النبي ﷺ:

ومنها الشفاعة العظمى التي تكون في فصل القضاء حيث «يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ يُسْمِعُهُمْ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمْ الْبَصَرُ وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنْ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ فَيَأْتُونَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَام فَيَقُولُونَ لَهُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنْ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَقَدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ فَذَكَرَهُنَّ أَبُو حَيَّانَ فِي الْحَدِيثِ نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ فَضَّلَكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ عَلَى النَّاسِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى

مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ عِيسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى»[1].

هَجَر: بلدة في البحرين، وقصة الشفاعة العظمى ثابتة في البخاري ومسلم.

والشفاعة العظمى في فصل القضاء هي المقام المحمود الذي ذُكر في القرآن في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۝٧٩﴾ [الإسراء]. ولأن النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه بعد أن ذكر حديث الشفاعة تلا قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]، وقال: «وَهَذَا الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي وُعِدَهُ نَبِيُّكُمْ»[2].

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤/٣٢٧)، والترمذي (٢٤٣٤)، والنسائي (١١٤٠).

(٢) صحيح، جزء من حديث طويل رواه البخاري (٧٤٤٠).

❁ من شفاعته: شفاعتة لأهل الكبائر من أمته: فبعد أن يتلظى أهل الكبائر في جهنم لا يخلدون فيها، وإنما يشفع لهم النبي ﷺ ويؤذن لهم بدخول الجنة... فعن أنس رضي اللَّه عنه قال رسول اللَّه ﷺ: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي» .صحيح، رواه الترمذي (٢٤٣٥)، وأبو داود (٤٧٣٩)، وصححه الألباني في المشكاة (٥٥٩٨).

❁ ومن شفاعته: أنه يشفع لمن مات من أمته لا يشرك باللَّه شيئًا لقوله ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا».صحيح، رواه البخاري (٦٣٠٤)، ومسلم (١٩٩/٣٣٨) واللفظ لمسلم عن أبي هريرة.

ب- شفاعة الملائكة والأنبياء والعلماء والشهداء:

أولًا: شفاعة الملائكة: ثابتة بقوله تعالى: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النجم].

ثانيًا: شفاعة الأنبياء والعلماء والشهداء: ثابتة بعموم قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة :٢٥٥]، وفي السنة، فقد أخرج ابن ماجه والبزار والبيهقي عن النبي ﷺ: «يشفع يوم القيامة الأنبياء ، ثم العلماء ، ثم الشهداء»[(١)]. وإسناده حسن.

وقوله ﷺ: «يُشَفَّعُ الشَّهِيدُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ»[(٢)].

ج- شفاعة القرآن: لقوله ﷺ في الحديث الصحيح: «القرآن شافع مشفع، ماحل مصدق من جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلفه ساقه إلى النار»[(٣)].

---

(١) صحيح، رواه ابن ماجه (٤٣١٣)، وصححه الألباني في المشكاة (٥٦١١).

(٢) صحيح، رواه أبو داود (٢٥٢٢)، وصححه الألباني.

(٣) صحيح، رواه ابن حبان في صحيحه (١٧٩٣)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٠١٩).

د- الصيام والقرآن: لما جاء في الحديث الصحيح: «الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ»(1).

هـ- وأعظم هذه الشفاعات شفاعة رب العباد:

فيقول النبي ﷺ في الصحيحين: «فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ فَيَقُولُ الْجَبَّارُ بَقِيَتْ شَفَاعَتِي فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنْ النَّارِ فَيُخْرِجُ أَقْوَامًا قَدْ امْتُحِشُوا فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرٍ بِأَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ فِي حَافَتَيْهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ قَدْ رَأَيْتُمُوهَا إِلَى جَانِبِ الصَّخْرَةِ وَإِلَى جَانِبِ الشَّجَرَةِ فَمَا كَانَ إِلَى الشَّمْسِ مِنْهَا كَانَ أَخْضَرَ وَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ كَانَ أَبْيَضَ فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمْ اللُّؤْلُؤُ فَيُجْعَلُ فِي رِقَابِهِمْ الْخَوَاتِيمُ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فَيَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ: هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ الرَّحْمَنِ أَدْخَلَهُمْ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ فَيُقَالُ لَهُمْ: لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلَهُ مَعَهُ»(2).

والشفاعات الثابتة للأنبياء والعلماء والشهداء والملائكة مقيدة بثلاثة شروط:

1- أن لا يشفع أحد إلا بعد أن يأذن الله له (أي: الشافع) لقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة :٢٥٥].

2- أن يكون المشفوع فيه قد ارتضى الله قوله وعمله لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء :٢٨].

3- لا يشفع أحد فيمن مات على الشرك والكفر وذلك لأن الله تعالى حكم بخلود الكفار والمشركين في نار جهنم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٦﴾ [البينة]. ولذلك قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ۝٤٨﴾ [المدثر :٤٨].

---

(1) رواه أحمد في المسند (٦٥٨٩)، وقال الأرناؤوط : إسناده ضعيف.

(2) جزء من حديث طويل رواه البخاري (٧٤٤٠)، ومسلم (١٨٢/٢٩٩).

❁ بالنسبة إلى شفاعة النبي ﷺ: حتى يستوجب العبد شفاعة النبي ﷺ لابد من خمسة شروط:

١- يقول اللَّه تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]، ولذلك فمن أراد شفاعة النبي ﷺ فليسألها من اللَّه، وليقل: اللَّهم ارزقني شفاعة نبيك أو اللَّهم شفّع في نبيك، أو اللَّهم اجعلني ممن تشفِّع فيهم نبيك، أو اللَّهم لا تحرمني شفاعة نبيك، ولا يجوز أن يخاطب الإنسان النبي ﷺ فيقول: يا محمد اشفع لي أو يا محمد أغثني أو يا محمد أستجير بك، فهذا من شرك الدعاء الذي يخرج من الملة.

٢- الإخلاص في توحيد الربوبية، والألوهية والأسماء والصفات: لقوله ﷺ: «أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ»(١).

٣- الموت على التوحيد الخالص: لقوله ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا»(٢).

٤- كثرة الصلاة: لما صح عنه ﷺ عن رَبِيعَةُ بْنُ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيُّ قَالَ: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِي: «سَلْ» فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ قَالَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟» قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ قَالَ: «فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»(٣).

٥- الصلاة على النبي ﷺ وسؤال الوسيلة له لما رواه مسلم بسنده عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمْ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٩٩).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٦٣٠٤)، ومسلم (١٩٩/٣٣٨) واللفظ لمسلم عن أبي هريرة.

(٣) صحيح، رواه مسلم (٤٨٩/٢٢٦).

مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ»[١].



(١) صحيح، رواه مسلم (١١/٣٨٤).

محبة الله عز وجل

❁ هي المنزلة التي تنافس فيها المتنافسون، وشمر إليها السابقون وهي قوت القلوب، وغذاء الأرواح وقرة العيون، (من قرت عينه بالله قرت به كل عين، ومن لم تقر عينه بالله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات ولا يشعر بهذا النعيم إلا من ذاق).

❁ وهي الحياة التي من فقدها فهو في جملة الأموات، والنور الذي من فقده فهو يرتع في بحر الظلمات، ولذلك ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة.

❁ فمتى رسخت هذه المحبة في قلب العبد المؤمن، وعمقت جذورها، كان الله هو الغاية من كل عمل، وآثره على كل شيء وضحى من أجله بكل شيء.
أخرج البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال: أن رسول الله ﷺ قال: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»[1].

❁ رحم الله الحسن البصري إذ يقول: (رحم الله عبدًا وقف عند همه، فإن كان لله امضاه، وإن كان لغيره تأخر).

❁ فالنفس لا تزال مريضة، والإيمان لا يزال ناقصًا، إذا كان هناك ثمة شيء أحب إليها من الله ورسوله وجهاد في سبيله قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة: ٢٤].

---

(١) صحيح، رواه البخاري (١٦، ٢١، ٦٠٤١، ٦٩٤١)، ومسلم (٤٣/٦٧)، والنسائي (٤٩٨٨)، وابن ماجه (٤٠٢٣) .

❁ وقد جاء في الحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري ومسلم عن النبي ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»(١). فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ» فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْآنَ يَا عُمَرُ»(٢). فإذا كان النبي ﷺ أولى بنا من أنفسنا في المحبة ولوازمها أفليس رب محمد ﷺ، رب الأرباب أولى بنا من أنفسنا في المحبة ولوازمها؟ ... بلى والله.

❁ كيف لا نحبه، وهو الذي يدبر أمرنا، ويدبر أمر الخلائق، فيأمر وينهىٰ ويخلق ويرزق ويحيي ويميت ويقضي وينفذ، ويعز ويذل.

❁ كيف لا نحبه، وهو ربنا الواحد الأحد الذي إذا شاء جاء ما شاء في الوقت الذي يشاء على الوجه الذي يشاء.

❁ كيف لا نحب ربنا، وهو الذي أحاط سمعه بالأصوات كلها فلا تختلف عليه ولا تشتبه، بل يسمع ضجيجها باختلاف لغاتها على كثرة حاجاتها، لا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلطه كثرة المسائل، ولا يتبرم بإلحاح ذوي الحاجات.

❁ كيف لا نحب ربنا، وهو الذي أحاط بصره بالمرئيات جميعها فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء.

❁ كيف لا نحبه، وهو الذي لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يرفع أقوامًا ويضع آخرين، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل، حجابه النار أو النور لو كشفه لأحرقت سُبُحَات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه.

❁ كيف لا نحبه، وهو الذي يده ملأى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار،

---

(١) صحيح، رواه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤/٧٠).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٦٦٣٢).

قلوب العباد ونواصيهم بيده وأزمَّة الأمور معقودة بقضائه وقدره، ولا يتعاظمه ذنب أن يغفره، ولا حاجة يسألها أن يعطيها ما ذكر على عسير إلا وهان، ولا على صعب إلا تيسر ولان، ولا على مشقة إلا وخفت ، ولا على كربة إلا وانفرجت.

❁ كيف لا تحبون ربكم أيها الموحدون، وهو الذي شملت قدرته كل شيء ووسعت رحمته كل شيء وسَعَتْ نعمته إلى كل حي، قال تعالى: ﴿ يَسْئَلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرحمن]. يغفر ذنبًا ويستر عيبًا ويكشف كربًا ويغني فقيرًا، ويفقر غنيًا، ويعلم جاهلًا ويهدي ضالًا، ويرشد حيران، ويغيث لهفان، ويشبع جائعًا، ويكسو عاريًا، ويشفي مريضًا، ويجبر كسيرًا، ويعافي مبتلىً ويقبل تائبًا ويجزي محسنًا وينصر مظلومًا ويقصم جبارًا، ويقيل عثرة ويستر عورة، ويؤمن روعة ويرحم غربة، ويؤنس وحشة، فهو الملك فلا شريك له، والفرد فلا ند له، والصمد فلا صاحبة ولا ولد له ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [القصص :٨٨].

❁ أَحبّوا ربكم أيها المسلمون فهو رحمٰن الدنيا والآخرة ورحيمهما الذي كتب على نفسه الرحمة وهو أرحم الراحمين، بيده ملكوت كل شيء ولا شريك له ولا معين، لا راد لقضائه، ولا مضاد لأمره، ولا معقب لحكمه ألا له الحكم وهو أحكم الحاكمين، اتصف بصفات الكمال، وتقدس عن كل نقص ومحال وتعالى عن الأشباه والأمثال.

❁ فهو الخافض الرافع، الضار النافع، المعطي المانع فلا رافع لمن خفض، ولا خافض لمن رفع، ولا نافع لمن ضر، ولا ضار لمن نفع، ولا مانع لمن أعطى، ولا معطي لمن منع.

❁ كيف لا نحبه وهو الذي يجود على عبده بالنوال قبل السؤال ويعطي سائله فوق ما تعلقت به الآمال، ويغفر لمن تاب إليه ولو بلغت ذنوبه عدد الأمواج

والحصى والتراب والرمال، بابه الكريم مناخ الآمال ومحط الأوزار، وسماء عطاياه لا تقلع عن الغيث بل هي مدرار.

هناك خمسة تقريرات في محبة اللَّه عز وجل لابد من معرفتها:

١- واللَّه ما خُلِقت السماوات والأرض إلا من أجل توحيده ومحبته، وما جردت سيوف الجهاد إلا من أجل توحيده ومحبته، وما قام سوق الجنة والنار إلا من أجل توحيده ومحبته.

٢- لا طريق إلى محبة اللَّه عز وجل إلا باقتفاء أثر رسوله ﷺ ظاهرًا وباطنًا، فيأتمر العبد بما أمر ظاهرًا وباطنًا وينزجر عما نهى عنه ظاهرًا وباطنًا فقد جعله اللَّه عز وجل فارقًا بين أوليائه وبين أعدائه قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران].

٣- كل من تنكّب الطريق، وضل السبيل، وشاقَّ سيد المرسلين، كان مصيره جهنم وبئس المصير، قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء] ... وكان له نصيب يوم القيامة من قول اللَّه عز وجل: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ [الفرقان].

٤- لا طريق إلى محبة اللَّه حتى يضطلع العبد بفرائض الإسلام ونوافله، ويتحمل أعباءه وتبعاته، لما أخرجه البخاري عن النبي ﷺ: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا

وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»[1].

٥- وأحباء اللَّه هم أولياؤه الذين يتخلقون بأخلاقه، فاللَّه كريم يحب الكرماء، عليم يحب العلماء، قوي يحب الشجعان، ولذلك فأحباء اللَّه سَلَمٌ لأوليائه حربٌ لأعدائه متأهبون دائمًا لإعلاء كلمة «لا إله إلا اللَّه» لا يخافون في اللَّه لومة لائم.

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [المائدة].

- ولقد كان الصحابة الكرام محبين للَّه ولرسوله أكثر مما سواهما -أكثر من أنفسهم وآبائهم وأمهاتهم ومن الماء البارد على الظمأ- فبذلوا في سبيل اللَّه كل نفس ونفيس، ودفعوا مهجهم في سبيل اللَّه تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة].

- فهذا أنس بن النضر كان قد تغيب عن غزوة بدر فقال: (لئن أراني اللَّه تعالى مشهدًا فيما بعد مع رسول اللَّه لأُرين اللَّه عز وجل ما أصنع).

فلما كان يوم أُحد قال: (واهًا لريح الجنة إني أجده دون أُحد) ثم قاتل حتى قُتل، فوُجد في جسده بضع وثمانون ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم، ولم تعرفه إلا أخته، عرفته ببنانه.

وفيه وفي أصحابه نزلت هذه الآية الكريمة: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟

(١) صحيح، رواه البخاري (٦٥٠٢).

﴿ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ٢٣﴾ [الأحزاب].

- وها هي الخنساء قد أوصت أبناءها الأربعة عندما أرسلتهم إلى معركة القادسية فقالت: (يا بني إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، ووالله الذي لا إله إلا هو، إنكم لبنو رجل واحد، كما أنكم بنو امراة واحدة، ما هجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم واعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية: اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها، وجللت نارًا على أرواقها فتيمموا وطيسها، تظفروا بالغُنْمِ والكرامة في دار الخلد والمقامة، فلما أضاء الصباح، باكروا إلى مراكزهم، فتقدموا واحدًا بعد واحد ينشدون أراجيز يذكرون فيها وصية أمهم حتى استشهدوا جميعًا فلما بلغها الخبر قالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته).

- وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثارت عليه نفسه ذات يوم فأراد أن يذلها فدعا المسلمين للاجتماع وصعد المنبر ثم قال: (أيها الناس، لقد رأيتموني وأنا أرعى غنم خالات لي من بني مخزوم نظير قبضة من تمر أو من زبيب)، ثم ينزل من على المنبر بين دهشة المجتمعين وتساؤلهم، ويتقدم منه رجل لم يُطق على ما رأى صبرًا وهو (عبد الله بن عوف) فيقول: (ما زدت على أن حقرت نفسك يا أمير المؤمنين)، فقال عمر: (يا ابن عوف خلوت بنفسي، فقالت: أنت أمير المؤمنين ليس بينك وبين الله أحد، فمن ذا الذي هو أفضل منك؟؟ فأردت أن أُعرّفها قدرها).

- وقد رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه لحمًا معلقًا في يد جابر بن عبد الله فقال له: ما هذا يا جابر؟ فقال: هو لحم اشتهيته فاشتريته يا أمير المؤمنين فقال: أو كلما اشتهيت اشتريت، أما تخاف أن يقال لك يوم القيامة: ﴿أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الأحقاف :٢٠].

- وحين دُعِيَ للقاء ربه، واقتربت اللحظات التي سيودع فيها دنيا الناس وكان شغله الشاغل وقتئذٍ اختيار الرجل الذي سيسلمه الأُمانة والزمام فاقترب منه المغيرة

ابن شعبة قائلًا له: أن أدلك عليه يا أمير المؤمنين، إنه عبد اللَّه بن عمر، هنالك انتفض عمر وقال: (لا أرب لنا في أموركم إنني ما حمدت الخلافة يومًا حتى أرغب فيها لرجل من أهل بيتي، إن كانت خيرًا، فقد أصبنا منه، وإن كانت شرًا فحسب آل عمر أن يحاسب منهم رجل واحد، ويسأل عن أمر أمة محمد، ألا إني قد جهدت نفسي وحرمت أهلي، وإن نجوت كفافًا لا أجر ولا وزر إني لسعيد).

باللَّه ما أتقاه وما أنقاه، وما أبره وما أطهره !!! نقول فيه ما قاله فيه علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه: لقد أتعبت من سيأتي بعدك يابن الخطاب) عزله حبه للَّه وحياؤه من اللَّه عن كل ترف وأبى أن يصبيب من الطعام إلا تقوتًا ومن العيش إلا كفافًا.

- هؤلاء أناس تربوا على موائد القرآن وعلى موائد محبة الرحمن، ولذلك فاحرص أخي المسلم على مجالسة المحبين الصادقين، وانتق من أطايب كلامهم كما ينتقى أطايب الثمر، لذلك كان عمر رضي اللَّه عنه يقول: (اقتربوا من أفواه المطيعين واسمعوا منهم فإنه تتجلى لهم أمور صادقة).



أوثق عرى الإيمان

«الحب في اللَّه .. والبغض في اللَّه»

إن اللَّه وحده هو الذي ألف بين قلوب المؤمنين الصادقين، فأصبحوا بنعمة اللَّه إخوانا، فتلاشت من بينهم كل الأحقاد التاريخية والثارات القبلية والأطماع الشخصية والرايات العنصرية الجاهلية وانضووا تحت راية الحق الكبير المتعال على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها ولا تجارة يديرونها... ولذلك فاللَّه وحده هو الذي يستطيع أن يثبت الأقدام، ويربط على القلوب ويجمع على كلمة التوحيد، فتستحيل قلوب الناس النافرة وطباعهم الشموس إلى قلوب متآخية متراصة يذل بعضها لبعض أما العوارض الفانية والمطامع الشخصية والمصالح الدنيوية فإنها تشتت ولا تجمع وتخالف ولا تألف وتفرق ولا توفق، وصدق اللَّه العظيم إذ يقول: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال].

ولذلك فيوم القيامة كل المتحابين ستنقلب محبتهم ومودتهم بغضًا وعداوةً إلا المتقين الذين ارتبطوا بحبل اللَّه المتين فإذا أحب أحدهم أحب للَّه وإذا أبغض أبغض للَّه وإذا أعطى أعطى للَّه وإذا منع منع للَّه، وأما أولئك الذين جمعتهم العوارض الفانية والمطامع الشخصية والمصالح الدنيوية والقيم الأرضية والرايات العنصرية الجاهلية فسينقلبون إلى خصوم يتلاحون بعد أن كانوا أحباء يتناجون، وصدق اللَّه العظيم إذ يقول: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف]، ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ﴿٢٨﴾ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴿٣٠﴾﴾ [الفرقان].

ولذلك فبينما الأخلاء مشغولون في خصوماتهم وحسراتهم يرفرف الأمن والطمأنينة والسكينة على المتحابين في جلال اللَّه تعالى، والمتواصلين في جلال اللَّه تعالى، والمتناصحين في جلال اللَّه تعالى ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزخرف].

واعلم أيها الأخ الحبيب أن المرء يوم القيامة يحشر مع من أحب فعن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ مَتَى السَّاعَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟» قَالَ: مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَلَاةٍ وَلَا صَوْمٍ وَلَا صَدَقَةٍ؛ وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قَالَ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ»(١).

وهناك ستة أسباب تقوي الحب في اللَّه:

أولًا: إخبار من تحب أنك تحبه في اللَّه فإن ذلك أبقى في الألفة وأثبت في المودة:

قال ﷺ: «إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ»(٢).

ثانيًا: إفشاء السلام فإنه يزيل الوحشة ويذهب الدهشة:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى أَمْرٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»(٣).

ثالثًا: الهدية: قال ﷺ: «تهادوا تحابوا»(٤).

رابعًا: تخول الزيارة: أي عدم الإكثار منها لأن الإكثار من الزيارة يحدث الملل ويورث فتورًا في المحبة لقوله ﷺ: «زُرْ غِبًا تزدد حبًا»(٥).

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٦١٧١)، ومسلم (٢٦٣٩/١٦٤).

(٢) صحيح، رواه أبو داود (٥١٢٤)، صححه الألباني في صحيح أبي داود.

(٣) صحيح، رواه مسلم (٥٤/٩٣)، وأبو داود (٥١٩٣).

(٤) حسن، رواه البخاري في الأدب المفرد، والسيوطي في الجامع الصغير (٣٣٧٤)، حسنه الألباني في إرواء الغليل (١٦٠١).

(٥) صحيح،رواه البيهقي والطبراني، صححه الألباني في صحيح الجامع (٣٥٦٨).

ولله درُّ القائل:

عليك بإغباب الزيارة إنها ... إذا كثرت كانت إلى الهجر مسلكًا

فإني رأيت الغيث يُسأم دائمًا ... ويُسأل بالأيدي إذا كان مُمسكًا

خامسًا: القصد في الحب والبغض:

لقوله ﷺ: «أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا»(١).

سادسًا: الحرص على الطاعة وترك المعصية:

لأن ذلك يورث محبة اللَّه عز وجل للعبد، ومن أحبه اللَّه عز وجل كتب له القبول الحسن بين عباده ولذلك فمن أراد عزة فليطع العزيز ومن أقبل على اللَّه بقلبه أقبل اللَّه عليه بقلوب المؤمنين الصادقين، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم].

وقال ﷺ: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ»(٢).

والحب في اللَّه والبغض في اللَّه له ست فضائل:

الأولى: محبة اللَّه عز وجل للمتحابين بجلاله:

قال ﷺ فيما يرويه عن ربه: «حَقت مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ»(٣).

وقال ﷺ: «أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ

---

(١) صحيح، رواه الترمذي (١٩٩٧)، صححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٨).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٣٢٠٩) واللفظ له، ومسلم (١٥٧/٢٦٣٧)، والترمذي (٣١٦١).

(٣) صحيح، رواه أحمد في المسند (٢١٤٩٧) قال الأرناؤوط: حديث صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح.

مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ»[١].

الثانية: المتحابون في الله عز وجل تحت ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله:

قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي؟ الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي»[٢].

الثالثة: المتحابون في الله على منابر من نور يوم القيامة:

قال ﷺ فيما يرويه عن ربه: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلَالِي لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمْ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ»[٣].

الرابعة: المتحابون في الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون:

قال ﷺ: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَأُنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمْ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَكَانِهِمْ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ تُخْبِرُنَا مَنْ هُمْ قَالَ هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ وَلَا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا فَوَاللَّهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ وَإِنَّهُمْ عَلَى نُورٍ لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس]»[٤].

الخامسة: الحب في الله سبب في حلاوة الإيمان:

قال ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَجِدَ طَعْمَ الْإِيمَانِ فَلْيُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»[٥].

---

(١) صحيح، رواه مسلم (٣٨/٢٥٦٧).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٣٧/٢٥٦٦).

(٣) رواه الترمذي (٢٣٩٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٣٢١)، وأحمد في المسند (٢١٥٧٥) وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح غير حبيب بن أبي مرزوق فقد روى له الترمذي والنسائي وهو ثقة.

(٤) صحيح، رواه أبو داود (٣٥٢٧)، صححه الألباني في صحيح أبي داود.

(٥) حسن، رواه أحمد في المسند (١٠٣٦٠)، قال الأرناؤوط: إسناده حسن.

سادسًا: الحب في اللَّه طريق إلى الجنة:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى أَمْرٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»[١].

❁ ولابد للمسلم أن يحرص على دوام الحب في اللَّه لأخيه المسلم فالنبي ﷺ يقول في الحديث الصحيح: «ما تحاب رجلان في اللَّه تبارك وتعالى إلا كان أفضلهما أشدهما حبًا لصاحبه»[٢].

❁ واعلم أيها الأخ الحبيب أنه إنه إذا اجترح أحد المتحابين في اللَّه ذنبًا كان الفراق عقوبة لهما جزاء وفاقًا لقوله ﷺ : «ما تواد اثنان في اللَّه عز وجل أو في الإسلام فيفرق بينهما إلا بذنب يحدثه أحدهما»[٣].

لذلك إذا أحس العبد من أخيه جفاء فليتفقد نفسه ابتداء فإن وجدها اجترحت سيئة فليتب سريعًا يستقم له ود أخيه.

ومن لوازم المحبة:

١- أن يحب العبد لأخيه كما يحب لنفسه: لقوله ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[٤].

٢- أن يتعهد العبد أخاه بالنصح كلما استنصحه أو كلما وجده قصر في جنب اللَّه عز وجل لقوله ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»[٥].

٣- الوصل والزيارة: بشرط أن يتخول الزيارة وألا يكثر منها حتى لا يورث ذلك

(١) صحيح، رواه مسلم (٩٣/٥٤)، وأبو داود (٥١٩٣).

(٢) صحيح، رواه البخاري في الأدب المفرد (٥٤٤)، وصححه الألباني.

(٣) صحيح، رواه البخاري في الأدب المفرد (٤٠١)، وصححه الألباني في الصحيحة (٦٣٧).

(٤) صحيح، رواه البخاري (١٣)، ومسلم (٧١/٤٥).

(٥) صحيح،رواه مسلم (٩٥/٥٥).

الملل والفتور في المحبة لقوله ﷺ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللَّهِ نَادَاهُ مُنَادٍ: أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ وَتَبَوَّأْتَ مِنْ الْجَنَّةِ مَنْزِلًا». ولقوله ﷺ: «زُرْ غِبًا تزدد حبًا»[١].

ومن الأمور الموجبة للبغض في الله:

١- **الكفر:** قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة :٢٢].

٢- **النفاق:** لقوله تعالى في حق المنافقين: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون :٤].

٣- **الابتداع في دين الله عز وجل:**

فيجب على المؤمن اعتزالهم لأن مخالطتهم كالسموم الفتاكة التي تفتك بالروح والجسد، فهؤلاء إذا جردت بينهم التوحيد قالوا: انتقصت من قدر الأولياء والصالحين، وإذا جردت بينهم المتابعة للنبي ﷺ قالوا: أهدرت الأئمة المتبوعين، وإذا وصفت اللَّه عز وجل بما وصف به نفسه من غير غلو ولا تقصير ومن غير تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تفويض قالوا: أنت من المشبهين، وإن حرصت بينهم على إحياء السنن قالوا: أنت تريد إثارة الفتن فأنت من أهل البدع المضلين.

٤- **المعاصي:** من اقترف من هذه القاذورات فإنه أتى بابًا يبغضه اللَّه فعلى العبد المؤمن أن يبغض فعله وينصح له وألا يكون عونًا للشيطان عليه بأن يكون هدفه من وراء تذكيره بعيوبه وأخطائه النصح والإرشاد وتحذير المسلمين من الشر، وليس المعايرة والتجريح وتتبع العورات.

---

(١) حسن، رواه الترمذي (٢٠٠٨)، وقال الألباني: حسن.

(٢) صحيح،رواه البيهقي والطبراني، صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٣٥٦٨).

هناك أمور لا تنافي البغض في الله:

١- اللين في عرض الدعوة وتبليغها إلى العصاة حتى لا يتركوا في حمأة المعصية دون تذكير أو تحذير لقوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾ [النحل].

واعلم أيها الأخ الحبيب أن النفوس الشاردة والقلوب القاسية لا تلين إلا بإظهار العطف والشفقة والحرص ولذلك كان التوجيه الرباني إلى موسى وهارون عندما أرسلهما إلى طاغوت مصر وإلى فرعونها: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤﴾ [طه].

وهذا النمط من الآيات القرآنية لا يعارض قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٧٣﴾ [التوبة].

فالغلظة المأمور بها مجالها في مقامين:

الأول: القتال: وهو مقام يحتاج إلى شدة وغلظة كما قال جل ثناؤه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٢٣﴾ [التوبة].

الثاني: الرد على الكفار الذين بلغتهم الدعوة وحاربوها والمنافقين وأهل البدع والشبهات المضلة الذين يصدون عن المنهج الحق: قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ٦١ فَكَيۡفَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّآ إِحۡسَٰنٗا وَتَوۡفِيقًا ٦٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ٦٣ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ٦٤﴾ [النساء].

ولذلك كان الرسول ﷺ ينصب منبرًا لحسان بن ثابت ليهجو المشركين، ودعا رسول اللَّه ﷺ على كسرى عندما مزق كتابه الذي أرسله إليه يدعوه إلى اللَّه تعالى، وبذلك يثبت خطأ قول بعض أهل العلم الذين يزعمون أن مقام الدعوة لين كله ابتداءً وانتهاءً وأن الغلظة مجالها القتال فحسب.

وليعلم الموفق لطاعة ربه واتباع سنة رسوله ﷺ أنَّ اللين في الدعوة لا يعني المداهنة والتنازل عن شيء من الدين وتمييع الإسلام ليتناسب مع الأهواء والشهوات بحجة أن الدين يسر، وكذلك لا تعني الغلظة بالكلمة البليغة والحجة الدامغة السب والشتم والسفاهة.

٢- الإحسان إلى الكافر المعاهد والذمي المستأمن:

قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ [الصف :٨].

أخيرًا: اعلم أيها الحبيب أن الحب في اللَّه والبغض في اللَّه قمة سامقة في الكمال الإيماني ترنو إليها أبصار المتنافسين وتهوى إليها أفئدة المتسابقين بعد أن لفحهم هجير العلاقات الأرضية الموتورة، فاحرص أخ الإيمان أن تنتظم في عقد المتحابين في اللَّه المتواصلين في اللَّه، المتباذلين في اللَّه الذين يغبطهم الأنبياء والشهداء.



محبة رسول الله ﷺ

أحبائي في اللَّه: محبة رسول اللَّه ﷺ عبادة وطاعة مفروضة انقسم بها الناس وتشعبوا إلى ثلاث فرق:

١- فريق أحبه حبًا عظيمًا مسنونًا على الكتاب والسنة.

٢- فريق جفاه وأعرض عنه وعاداه ونصب له الحرب الشعواء.

٣- فريق غلا في حبه حتى خرج عن الملة.

فأما الفريق الذي جفاه ونصب له الحرب الشعواء وعاداه:

فهم فريق أطفأ اللَّه بصائرهم، وأعمى أبصارهم ... حتى خرج علينا رجلٌ سفيه كتب كتابًا سماه الكتاب الأخضر، وصف فيه الرسول ﷺ بأنه رجلٌ رجعي .. بدوي .. متخلف أساء إلى العرب لا يعرف علم الاجتماع ولا يعرف العمران، ولا علم النفس ، ولا علم التربية! .. فيا صاحب الكتاب الأخضر .. سَوَّدَ اللَّه صحائفك يوم القيامة، أرسولنا لا يعرف التربية ولا يعرف علم الاجتماع؟!! إذًا فمن الذي أخرج اللَّه به الناس من الظلمات إلى النور ، ومَن الذي بنى البيوت وأقام الأسر على منهاج قويم وأساسٍ متين هل هو رسول اللَّه ﷺ أم أنت وأبوك وجدك يا معتوه الذين تربيتم في مقابر الإلحاد وفي زنزانات الشيوعية وفي أفران النازية؟!! وهاهو عابد المرأة، وعابد الكأس، وعابد الشهوة، وعابد الأغنية الماجنة، وعابد المجلة الخليعة (نزار قباني) لا رفع اللَّه شامته، ولا قبل اللَّه حجته قد تهكم بالشريعة واستهزأ بالرسالة الخالدة واعترض على الدين ثم يأتي إلى طاغوت من طواغيت العرب فيقول له:

ملأنا لك الأقداح يا من بحبه ... سكرنا كما الصوفي باللَّه يسكر

فأنت أبو الثورات أنت وقودها ... وأنت لنا المهدي وأنت المحرر

فهذا الصنف عادوا محمدًا عليه الصلاة والسلام واستهزءوا بالقرآن، وتضاحكوا بالسُّنة، وحاربوا الشباب المسلم ووصفوه بالتطرف والرجعية والتزمت والأصولية،

فنحن نقول لهم: إذا كنا نحن أهل التطرف والرجعية والتزمت فمن أنتم؟ أنتم دعاة الفسق والمجون أنتم الذين روجتم للتبرج والسفور وأشعتم المخدرات والخمور، أنتم الذين أوجدتم كتب ماركس وستالين ولينين، أنتم الذين أركبتم اليهود على ظهور المسلمين أنتم عملاء الشيوعية الحاقدة والصليبية المجرمة والصهيونية العالمية، ولتعلموا أن شباب المسلمين هم أهل القرآن هم أهل المساجد هم أحفاد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي:

عُبَّادُ ليلٍ إذا جَنَّ الظلامُ بهم كم عابدٍ دمعه في الخد أجراه

وأُسُدُ غابٍ إذا نادى الجهاد بهم هَبوا إلى الموت يستجدون رؤياه

يا رب فابعث لنا من مثلهم نفرًا يُشيِّدون لنا مجدًا أضعناه

أما الفريق الثاني: فهم المغالون في حب رسول اللَّه ﷺ:

حتى قال شاعرهم البوصيري لما جاء إلى قبره عليه الصلاة والسلام:

يا سيد الخلق مالي من ألوذ به سواك عند حدوث الحادث العَمِمِ

لا إله إلا اللَّه ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].

ويقول: إذا أتتني مصيبة دهياء وبلية صلعاء استجرت بك.

تعالى اللَّه عما يقولون علوًا كبيرًا وتقدس تقديسًا عظيمًا وتنزه عن هذا الكلام الذي هو شرك وهدم للعقيدة الصحيحة، فالنبي ﷺ لا يُلاذُ به ولا يُستجارُ به عند المصائب، وإنما يُلاذُ ويُستجارُ باللَّه عزَّ وجلَّ.

ولذلك قال تعالى في كتابه العزيز مبينًا حال النبي ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الأعراف: ١٨٨]. فالنبي ﷺ لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا فضلًا عن أن يملك لغيره، فكيف يُلاذُ به ويُستجارُ به؟ ولذلك جاء في حديث ابن عباس رضي اللَّه عنه: «احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»[(١)].

---

(١) صحيح، رواه الترمذي (٢٥١٦)، صححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٥٧)، وأحمد في المسند (٢٦٦٤، ٢٧٥٨) وقال الأرناؤوط: إسناده قوي.

وقد تجد غلاة المتصوفة يأتي أحدهم عند القبر حليقًا مسبلًا إزاره يلبس الذهب والحرير، وربما يشرب الخمر تجده يُطبِّلُ ويُزمِّرُ ويتمسح بالقبر! أين السُّنة؟ وأين الشريعة؟ هل التبرك بالبدوي أو الجيلاني أو الحسين أو السيدة زينب من السُّنة؟

كلا واللَّه، إن السُّنة بريئة من هذا الانحراف وهذا الضلال ولذلك فمن أتى إلى قبرٍ ليتبرك به أو ليستشفع بصاحبه أو ليستشفي به فقد باع حظه من دين اللَّه وصدق اللَّه العظيم إذا يقول: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر].

وهاهو البرعي شاعر اليمن الصوفي المغالي يأتي إلى قبر المصطفى ﷺ في المدينة يبكي ويطلب المغفرة من الرسول ويقول:

يا رسول اللَّه يا من ذكره　　في نهار الحشر رمزًا ومقامًا

فأقلني من عثرتي يا سيدي　　ومن اكتساب الذنب من خمسين عامًا

سبحان اللَّه؛ من الذي يُقيل العثرة إلا اللَّه؟ ومن الذي يغفر الذنوب إلا اللَّه؟

وصدق اللَّه العظيم إذ يقول: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾ [الفرقان].

وقد صح عن النبي ﷺ أن قال: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»(١).

وقال أيضًا: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ»(٢)، ولذلك فرسول اللَّه ﷺ هو عبد اللَّه ورسوله أوحى إليه، ولا يملك ضرًا ولا نفعًا ولا يشفي، ولا يعافي ولا يضر ولا ينفع، فالضر والنفع بيد اللَّه، والخفض والرفع بيد اللَّه، والعطاء والمنع بيد اللَّه، فاللَّه عز وجل هو الخافض الرافع، الضار النافع المعطي المانع، فلا رافع لمن خفض، ولا

(١) صحيح، رواه البخاري (٣٤٤٥).

(٢) صحيح، رواه مالك في الموطأ (٤١٦)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٧٥٠).

خافض لمن رفع، ولا نافع لمن ضر، ولا ضار لمن نفع، ولا مانع لمن أعطى، ولا معطي لمن منع.

فغلاة المتصوفة جعلوا محبة الرسول ﷺ نشيدًا ورقصًا وشعوذةً وتمايلًا وكهنوتًا، ومراسيم ما أنزل اللَّه بها من سلطان.

الفريق الثالث: حُبُّ أهل السنة والجماعة للرسول ﷺ:

فقد أحبوا رسول اللَّه ﷺ حبًا خالصًا لا معاداة معه ولا مغالاة، مع يقينهم الجازم بأنه عبد اللَّه ورسوله، ولكنه لا يملك لهم نفعًا ولا ضرًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، نَوَّرَ اللَّه بصائرهم وأعلى منازلهم، ولقد أحبوا رسولهم أكثر من أنفسهم وأزواجهم وأولادهم وأكثر من الماء البارد على الظمأ، وصدق رسول اللَّه ﷺ إذ يقول: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»[١].

فهاهو الإمام مالك رحمه اللَّه، ما ركب دابة في المدينة احترامًا للثرى الذي فيه جسد رسول اللَّه عليه الصلاة والسلام.

وكان مرة يقرأ في كتابه الموطأ متناولًا بالشرح أحاديث رسول اللَّه ﷺ فيلدغه العقرب ثلاث عشرة مرة، ولم يقطع الحديث فيقول له الناس: رأينا وجهك قد تغير فقال: لدغتني عقرب وأنا أقرأ الحديث، قالوا: فلم لم تقطع الحديث؟ فقال: عجبًا لكم أقطع حديث الحبيب من أجل نفسي.

وهاهو سعيد بن المسيب وهو في سكرات الموت يسأل عن حديث للرسول ﷺ فيقول: أجلسوني كيف يسأل عن كلام الحبيب وأنا مضطجع لابد أن أجلس توقيرًا له عليه الصلاة والسلام.

وهاهو ابن عمر يقول للصحابة: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ»[٢]. فيقول ابنه بلال وكان رجلًا شابًا: (واللَّه لنمنعهن لا يتخذن

---

(١) صحيح، رواه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤/٧٠).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٩٠٠)، ومسلم (٤٤٢/١٣٦).

المساجد دخلًا ولا دغلًا) فغضب ابن عمر غضبًا شديدًا على ابنه وقال له: أحدثك عن الرسول عليه الصلاة والسلام وتعترض فوالله وتالله وبالله لا أكلمك حتى أموت، فما كلمه حتى مات؛ لأنه اعترض اعتراضًا بسيطًا، فما بالك بمن يستهزئ بالسنة ويعترض على سيرة محمد عليه الصلاة والسلام .. أين يذهب من الله عز وجل؟

ومن علامات حبه ﷺ:

١- الاتباع لسنته وترك الابتداع، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب :٢١].

٢- عدم الاعتراض على شرعته أو الاستهزاء بسنته التي أعلاها لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق. فمن استهزئ بشيء من سنته فهو كافر حلال الدم ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة :٦٥-٦٦].

٣- كثرة الصلاة والسلام عليه: يقول ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»[1]. يقول أبي بن كعب سيد القراء: يا رسول الله كم أجعل لك من صلاتي؟ (يعني من دعائي إذا دعوت الله فكم أخصص لك من دعائي) قال: ما شئت، قال: الربع؟ قال: ماشئت، قال: الثلث؟ قال: ماشئت وإن زدت فأحسن، قال: النصف؟ فقال عليه الصلاة السلام: ما شئت حتى قال أبي بن كعب: سأجعل لك دعائي كله يا رسول الله، فقال له عليه الصلاة والسلام: إذًا يغفر ذنبك وتكفى همك. وأحسن الدعاء له هو الصلاة والسلام عليه.

٤- نشر سنته في الناس تعليمًا وتدريسًا، وفتوى ودعوة وتبليغًا، وأمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر، فهو القائل عليه الصلاة والسلام: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ

---

(١) صحيح، رواه مسلم (١١/٣٨٤).

آيَةً»(١). «نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ»(٢).

فلا يجوز التكتم على العلم؛ لأن التكتم على العلم من شيم بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَـٰبِ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة].

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [آل عمران].



(١) صحيح، رواه البخاري (٣٤٦١).

(٢) صحيح، رواه الترمذي (٢٦٥٧)، صححه الألباني في صحيح الجامع (٦٧٦٤).

الولاية

مواصفات الولي:

هناك مواصفات لابد من توافرها في أولياء اللَّه عز وجل حتى نسلم لهم بهذه الولاية منها:

١- قال تعالى: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩٦﴾ [الأعراف] أي: أن اللَّه تبارك وتعالى لا يكلُه إلى نفسه، بل يتولى ورعايته وحفظه.

٢- أن هذا الولي يتولى عبادة اللَّه وطاعته، فعبادته تجري على التوالي من غير أن يتخلَّلها عصيان وإن أحدث هذا الوالي ذنبًا لعدم عصمته، أحدث له توبة على الفور، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ٥٦﴾ [المائدة]، وقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣﴾ [يونس].

إذن فهؤلاء الأولياء قد آمنوا باللَّه واتقوه، فأتمروا بما أمر، وانتهوا عما نهى وزجر وأحبوا للَّه، وأبغضوا للَّه، وأعطوا للَّه ومنعوا للَّه.

ولذلك جاء في الحديث: «أَوْسَطَ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ»[1].

«مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ وَأَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ»[2].

طبقات الأولياء:

أفضل أولياء اللَّه هم أنبياؤه، وأفضل أنبيائه المرسلون منهم، وأفضل المرسلين أولو العزم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد عليهم صلوات ربي وسلامه أجمعين، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشورى:١٣].

---

(١) رواه أحمد في المسند (١٨٠٥٣) وقال الأرناؤوط: حديث حسن بشواهده.

(٢) حسن، رواه أبو داود (٤٦٨١)، حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٠٢٩).

وأفضل أولي العزم محمد ﷺ خاتم النبيين وإمام المتقين، وسيد ولد آدم، وإمام الأنبياء إذا اجتمعوا، وإمامهم إذا وفدوا، صاحب لواء الحمد، وصاحب الحوض المورود، وشفيع الخلائق يوم القيامة، وصاحب الوسيلة والفضيلة الذي بعثه الله بأفضل كتبه، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس .. جعله الله فارقًا بين أوليائه، وبين أعدائه فلا يكون وليًا لله إلا من آمن به واتبعه وصدقه فيما أخبر، وأتمر بما أمر ظاهرًا وباطنًا وانتهى عما نهى ظاهرًا وباطنًا ولم يقدم قول أحد على قوله كائنًا من كان.

وأما من ادعى محبته وولايته وهو لم يتبعه فليس من أولياء الله، بل هو من أعداء الله وأولياء الشيطان قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]، ويلي هؤلاء الأنبياء والمرسلين في المرتبة نوعان من الأولياء: مقربون وأصحاب يمين قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾ [الواقعة].

قال تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الواقعة].

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر]، فأمة محمد ﷺ هم الذين أورثوا الكتب بعد الأمم المتقدمة، وهذا التقسيم خاص بأمة محمد ﷺ.

فالظالم لنفسه: هو صاحب الذنب المصر عليه.

والمقتصد: هو المؤدي للفرائض المجتنب للمحارم.

والسابق بالخيرات: هو المؤدي للفرائض والنوافل المجتنب للمحارم والمكاره.

ولذلك جاء في الحديث القدسي: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»(١).

ولذلك فالأبرار أصحاب اليمين هم المتقربون إلى اللَّه بالفرائض، المجتنبون للمحارم ولكنهم لا يكلفون أنفسهم بالمندوبات المستحبات ولا الكف عن فضول المباحات.

وأما السابقون فقد تقربوا إليه بالفرائض والنوافل، وفعلوا الواجبات والمستحبات وتركوا المحرمات والمكروهات، وقد صارت المباحات في حقهم طاعات يتقربون بها إلى اللَّه عز وجل فكانت أعمالهم كلها عبادات، ولذلك فمرتبة المقربين أعلى عند اللَّه من مرتبة الأبرار أصحاب اليمين.

وفي الحديث: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»(٢).

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٦٥٠٢).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٢٦٦٤/ ٣٤).

بعض التقريرات:

التقرير الأول:

ليس من شرط ولي اللَّه أن يكون معصومًا فلا يخطئ لأن العصمة لم تثبت إلا للأنبياء، لذلك لا يجوز للناس الإيمان بجميع ما يقوله هذا الولي إلا أن يكون مطابقًا للكتاب والسنة ولا يجوز له نفسه أن يعتمد على ما يُلقى في قلبه من خواطر وإلهامات ومكاشفات ومخاطبات إلا أن يكون مطابقًا للكتاب والسنة، فإن وافق الكتاب والسنة قبله، وإن خالفهما لم يقبله وإن لم يعلم أموافق هو أم مخالف توقف فيه، فها هو عمر بن الخطاب الذي يقول عنه النبي ﷺ في الصحيحين: «قَدْ كَانَ يَكُونُ فِي الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مُحَدَّثُونَ فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ فَإِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ مِنْهُمْ»[1].

وفي حديث آخر رواه الترمذي وحسنه: «إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ»[2]، كان يقول: (اقتربوا من أفواه المطيعين واسمعوا منهم فإنه تتجلى لهم أمور صادقة)، ومع أن عمر يُعتبر محدث هذه الأمة إلا أنه كان يعرض ما يقع له على الكتاب والسنة فتارة يوافقهما فيكون ذلك من فضائل عمر كما نزل القرآن بموافقته أكثر من مرة، وتارة يخالفهما فيرجع عمر عن ذلك كما رجع عما بدا له يوم الحديبية حيث إن النبي ﷺ كان قد صالح المشركين بعد مراجعة ومداولة جرت بينه وبينهم على أن يرجع في ذلك العام، ويعتمر من العام القادم ، وشرط لهم بعض الشروط التي فيها غضاضة على المسلمين في الظاهر، فشق ذلك على كثير من المسلمين، ولكن اللَّه ورسوله أعلم وأحكم بما في ذلك من مصلحة الأمة.

وكان عمر فيمن كره ذلك فقال للرسول: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ وَهُمْ عَلَى

---

(١) صحيح رواه البخاري (٣٤٦٩، ٣٦٨٩) عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، ومسلم (٢٣٩٨/ ٢٣) عن عائشة رضي اللَّه عنها.

(٢) صحيح، رواه الترمذي (٣٦٨٢)، صححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٣٦).

بَاطِلٍ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: أَلَيْسَ قَتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: بَلَى قَالَ: فَفِيمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا وَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟ فَقَالَ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللَّهُ أَبَدًا، قَالَ: فَانْطَلَقَ عُمَرُ فَلَمْ يَصْبِرْ مُتَغَيِّظًا فَأَتَى أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ وَهُمْ عَلَى بَاطِلٍ؟ قَالَ: بَلَى قَالَ: أَلَيْسَ قَتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: بَلَى قَالَ: فَعَلَامَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا وَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟ فَقَالَ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ وَلَنْ يُضَيِّعَهُ اللَّهُ أَبَدًا، قَالَ: فَنَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْفَتْحِ فَأَرْسَلَ إِلَى عُمَرَ فَأَقْرَأَهُ إِيَّاهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ فَتْحٌ هُوَ؟ قَالَ: نَعَمْ فَطَابَتْ نَفْسُهُ وَرَجَعَ»[1] فكان أبو بكر رضي الله عنه أكمل موافقة لله ورسوله من عمر، ورجع عمر عما بدا له.

وكذلك لما مات النبي ﷺ، أنكر عمر موته أولًا، «فَقَامَ عُمَرُ يَقُولُ: وَاللَّهِ مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ: وَقَالَ عُمَرُ: وَاللَّهِ مَا كَانَ يَقَعُ فِي نَفْسِي إِلَّا ذَاكَ وَلَيَبْعَثَنَّهُ اللَّهُ فَلَيَقْطَعَنَّ أَيْدِيَ رِجَالٍ وَأَرْجُلَهُمْ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَكَشَفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَبَّلَهُ قَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُذِيقُكَ اللَّهُ الْمَوْتَتَيْنِ أَبَدًا، ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: أَيُّهَا الْحَالِفُ عَلَى رِسْلِكَ فَلَمَّا تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ جَلَسَ عُمَرُ فَحَمِدَ اللَّهَ أَبُو بَكْرٍ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ: أَلَا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ وَقَالَ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزمر]، وَقَالَ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران]»[2] فتراجع عمر عما بدا له.

وكذلك في قتال مانعي الزكاة، قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأبي بكر: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

---

(١) صحيح رواه البخاري (٣١٨٢، ٤٨٤٤)، ومسلم (٩٤/١٧٨٥) واللفظ له.

(٢) صحيح، رواه البخاري (٣٦٧٠).

فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ» فَقَالَ: وَاللَّهِ لأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ؛ فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عَنَاقًا -وفي رواية عقالًا- كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهَا، قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ قَدْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ»[١].

ولهذا نظائر تبين تقدم أبي بكر على عمر مع أن عمر مُحدَّث؛ فإن مرتبة الصديق فوق مرتبة المحدث لأن الصديق يتلقى عن الرسول المعصوم كل ما يقوله ويفعله والمحدث يأخذ عن قلبه أشياء، وقلبه ليس بمعصوم فيحتاج أن يعرضه على ما جاء به النبي المعصوم ﷺ.

وقد كان عمر رضي اللَّه عنه يشاور الصحابة ويناظرهم في بعض الأمور، فأحيانًا يحتج عليهم وأحيانًا يحتجون عليه بالكتاب والسنة، ولا يقول لهم: (أنا محدث ملهم مخاطب ينبغي لكم أن تقبلوا مني ولا تعارضوني)، ولذلك فأي رجل ادعى أنه ولي وأنه ملهم ومخاطب وعلى أتباعه أن يتبعوه في كل أحواله من غير اعتبار للكتاب والسنة، فهو مخطئ وهم مخطئون لأن كل رجل يؤخذ من أقواله ويرد إلا صاحب هذا القبر أي النبي ﷺ كما قال الإمام مالك، وليس أحد حجة على الإسلام والمسلمين إلا النبي ﷺ، ومن خالف هذا فليس من أولياء اللَّه حتى وإن طار في الهواء أو مشى على الماء، لذلك فهو إما أن يكون كافرًا أو يكون مفرطًا في الجهل كان الجنيد رحمه اللَّه يقول: (علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة، فمن لم يقرأ القرآن، ويكتب الحديث، فلا يصلح له أن يتكلم في علمنا) أو قال: (لا يقتدى به).

وقال أبو عثمان النيسابوري: (من أمّر السنة على نفسه قولًا وفعلًا، نطق بالحكمة، ومن أمَّر الهوى على نفسه قولًا وفعلًا، نطق بالبدعة لأن اللَّه تبارك وتعالى يقول: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ﴾ [النور :٥٤].

(١) صحيح، رواه البخاري (١٤٠٠، ١٤٧٥، ٦٩٢٤)، ومسلم (٣٢/٢٠).

وقال أبو عمر بن نجيد: (كل وَجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل)، وكثير من الناس من يخطئ في هذا الموضع، فيظن في شخص أنه ولي الله، ويظن أن ولي الله يقبل منه ويسلم له في كل أقواله وأفعاله وأحواله ومكاشفاته ومخاطباته وإلهاماته، حتى وإن خالف الكتاب والسنة، وهو بذلك يكون قد وافق هذا الرجل الذي اعتقد بأنه ولي وخالف الكتاب والسنة، وخالف ما بعث الله به رسوله الذي جعله فارقًا بين أوليائه وأعدائه فتجرّه مخالفة الرسول وموافقة ذلك الشخص إلى البدعة والضلال أولًا وإلى الكفر والنفاق أخيرًا .. وبذلك يكون له نصيب من قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان].

﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب].

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة].

... وهؤلاء مشابهون للنصارى الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة].

وقد فسرت عبادتهم بطاعتهم في معصية الله فأحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم فكانت تلك عبادتهم، ولذلك يقال في مثل هؤلاء إنهم مغرورون مخدوعون، وقد حرموا الوصول بتضييع الأصول.

التقرير الثاني:

لا طريق إلى ولاية اللَّه إلا بمتابعة النبي ﷺ ظاهرًا وباطنًا ... فقد أرسله اللَّه تبارك وتعالى إلى جميع الخلق إنسهم وجنهم عربهم وعجمهم، علمائهم وعُبادهم ملوكهم وسوقتهم ... ولو أدركه موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء لوجب عليهم اتباعه كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [آل عمران].

قال ابن عباس رضي اللَّه عنهما: ما بعث اللَّه نبيًا إلا أخذ عليه الميثاق، لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به، ولينصرنه، وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه.

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ ۖ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء].

ولذلك لو كان الرجل من أكبر الأولياء كأكابر الصحابة والتابعين لهم بإحسان لم

يقبل منه ما خالف الكتاب والسنة، فكيف إذا لم يكن كذلك، ولذلك فمن ظن أن لأحد من أولياء اللَّه طريقًا إلى اللَّه غير متابعة النبي محمد بن عبد اللَّه ﷺ باطنًا وظاهرًا فقد أخطأ خطأً يجره أولًا إلى البدعة والضلال، وأخيرًا إلى الكفر والنفاق.

ومن احتج في ذلك بقصة موسى مع الخضر كان مخطئًا من وجهين:

الأول: أن موسى كان مبعوثًا إلى بني إسرائيل فقط، وليس مبعوثًا للخضر، ولذلك لم يكن على الخضر اتباعه ... أمَّا نبينا محمد ﷺ فرسالته عامة لجميع الثقلين، الجن والإنس، ولو أدرك النبي ﷺ من هو أفضل من الخضر كإبراهيم وموسى وعيسى وجب عليهم اتباعه فكيف بالخضر سواء أكان نبيًا أو وليًا، ولذلك قال الخضر لموسى: (أنا على علم من علم اللَّه علمنيه اللَّه لا تعلمه وأنت على علم من علم اللَّه علمكه اللَّه لا أعلمه)، وليس لأحد من الثقلين الذين بلغتهم رسالة محمد ﷺ أن يقول مثل هذا.

الثاني: أن ما فعله الخضر لم يكن مخالفًا لشريعة موسى عليه السلام، وموسى عليه السلام لم يكن يعلم الأسباب التي تبيح ذلك، فلما بينها له وافقه على ذلك:

... فإن خرق السفينة ثم ترقيعها لمصلحة أهلها خوفًا من الملك الظالم أن يأخذها إحسان إليهم، وذلك جائز.

... ومن كان تكفيره لأبويه لا يندفع إلا بقتله جاز قتله بشرط أن تكون علمت من أمر الغلام ما علمه الخضر من أمر ذلك الغلام وأنى لك هذا!! وإلا فلا تقتلهم.

والذي نخلص إليه أن العالم كله إنسه وجنه مأمور باتباع الرسول الأمي محمد بن عبد اللَّه عليه صلوات ربي وسلامه، ومن ظن أن بإمكانه الخروج عن نهج محمد ﷺ إلى نهج آخر ولو كان نهج عيسى وموسى وإبراهيم فهو ضال مضل قال ﷺ: «لو نزل موسى فاتبعتموه وتركتموني لضللتم، أنا حظكم من النبيين وأنتم حظي من الأمم»[(١)].

---

(١) حسن، رواه البيهقي في شعب الإيمان، حسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٣٠٨).

التقرير الثالث:

يظن بعض الناس أن شخصًا معينًا وليّ للَّه لأنه قد صدر عنه بعض المكاشفات والتصرفات الخارقة للعادة مثل:

❁ أن يشير إلى شخص فيموت.

❁ أن يمشي على الماء أحيانًا أو أن يملأ إبريقًا من الهواء.

❁ أن يطير في الهواء إلى مكة وغيرها أو إلى بيت المقدس.

❁ أن يخبر الناس بما سرق لهم.

❁ أن بعض الناس قد استغاث به وهو غائب أو ميت فقضى حاجته.

❁ ومنهم من يرى أشخاصًا في اليقظة يدعي أحدهم أنه نبي أو صديق أو شيخ من الصالحين.

❁ ومنهم من يأتيه أشخاص في صورة جميلة ويقال له هؤلاء هم الملائكة الكروبيون أرادوا زيارتك.

❁ ومنهم من يمشي على جمر النيران.

... وقد تحصل هذه المكاشفات والخوارق لأولياء اللَّه، كما قد تحصل لأعداء اللَّه وأولياء الشياطين من الكفار والمشركين وأهل الكتاب والمنافقين، وعباد النيران وأهل البدع، ومشركي الهند والترك، واليونان ومن له اجتهادات في العلم والزهد والعبادة، وليس بمتبع للرسل، ولا مؤمن بما جاءوا به، ولذلك اتفق أولياء اللَّه على أن الرجل لو طار في الهواء أو مشى على الماء لم يغتر به حتى ينظر متابعته لرسول اللَّه ﷺ وموافقته لأمره ونهيه.

... ولذلك فقد تحدث هذه المكاشفات أو الخوارق لأشخاص يكون أحدهم:

❁ لا يتوضأ ولا يصلي الصلوات المكتوبة، بل يكون ملابسًا للنجاسات معاشرًا للكلاب، يأوي إلى الحمَّامات والمقابر والمزابل، ورائحته خبيثة لا يتطهر الطهارة الشرعية.

... ولذلك قال النبي ﷺ: «لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ»[١].

«خَمْسٌ فَوَاسِقُ يُقْتَلْنَ فِي الْحِلِّ وَالْحَرَمِ: الْحَيَّةُ وَالْغُرَابُ الْأَبْقَعُ وَالْفَأْرَةُ وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ وَالْحُدَيَّا»[٢].

«لَا تَصْحَبُ الْمَلَائِكَةُ رُفْقَةً فِيهَا كَلْبٌ»[٣].

«مَنْ اقْتَنَى كَلْبًا لَا يُغْنِي عَنْهُ زَرْعًا وَلَا ضَرْعًا نَقَصَ مِنْ عَمَلِهِ كُلَّ يَوْمٍ قِيرَاطٌ»[٤].

«إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا»[٥].

* أو قد تجده يأكل الحيات والعقارب وآذان الكلاب التي هي خبائث وفواسق أو يشرب البول.

* أو قد تجده من الذين يؤثرون سماع الأغاني والأشعار، ومزامير الشيطان، وسماع الكف والدف على كلام الرحمن، فيرقص ليلًا طويلًا، فإذا جاءت الصلاة صلى قاعدًا أو نقرها نقر الديك والسماع المحدث سماع الكف والدف، ومزامير الشيطان، ودق الطبول، لم يكن الصحابة والتابعون لهم بإحسان، وسائر الأكابر من أئمة الدين يجعلون هذا طريقًا إلى اللَّه تبارك وتعالى، ولا يعدونه من القرب والطاعات بل يعدونه من البدع المذمومة، حتى قال الشافعي رحمه اللَّه: (خلفت ببغداد شيئًا يسمونه (التغبير) أحدثته الزنادقة يصدون به الناس عن القرآن، وأولياء اللَّه يعرفون ذلك، ويعلمون أن

(١) صحيح، رواه البخاري (٣٢٢٥، ٣٣٢٢، ٤٠٠٢، ٥٩٤٩)، ومسلم (٢١٠٦/٨٣، ٨٤)، وأبو داود (٤١٥٥)، والترمذي (٢٨٠٤)، والنسائي (٤٢٨٢، ٥٣٤٧، ٥٣٤٨، ٥٣٥٠)، وابن ماجه (٣٦٤٩).

(٢) صحيح، رواه مسلم (١١٩٨/٦٧).

(٣) صحيح، رواه مسلم (٢١١٣/١٠٣)، وأبو داود (٢٥٥٥)، والترمذي (١٧٠٣).

(٤) صحيح، رواه البخاري (٢٣٢٣، ٣٣٢٥)، ومسلم (١٥٧٦/٦١)، والنسائي (٤٢٨٥)، وابن ماجه (٣٢٠٦).

(٥) صحيح، رواه مسلم (١٠١٥/٦٥)، والترمذي (٢٩٨٩).

للشيطان فيه نصيبًا وافرًا ولهذا تاب منه خيار من حضره منهم).

وقد يحدث هذا السماع المحدث البدعي أثرًا في النفوس أعظم من تأثير الخمور ولهذا إذا قويت سكرة أهله نزلت عليهم الشياطين وتكلمت على ألسنة بعضهم وحملت بعضهم في الهواء، وقد تحصل عداوة بينهم كما تحصل بين شُراب الخمر ويظن الجُهال أن هذا من كرامات أولياء اللَّه المتقين، وإنما هي من أحوال الشياطين.

❁ ولذلك يقول عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه: (لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن؛ فإن كان يحب القرآن، فهو يحب اللَّه، وإن كان يبغض القرآن فهو يبغض اللَّه ورسوله).

❁ وقال عثمان بن عفان رضي اللَّه عنه: (لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام اللَّه عز وجل).

❁ وقال أيضًا عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه: (الذكر ينبت الإيمان في القلب كما ينبت الماء البقل، والغناء ينبت النفاق، كما ينبت الماء البقل).

❁ أو قد تجده من الذين يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقًا.

❁ قال تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾﴾ [الجن].

قال غير واحد من السلف: كان الرجل من الإنس إذا نزل بالوادي قال: أعوذ بعظيم هذا الوادي من سفهاء قومه، فلما استغاثت الإنس بالجن ازدادت الجن طغيانًا وكفرًا.

ولذلك هناك كثير من الناس الذين يعوذون برجال من الجن -لهم طرق معينة في إخراج اللبس الجني أو المس الجني من الرجل المصروع بالجن أعاذنا اللَّه منهم ومن طرقهم فمنها:

الطريقة الأولى:

طريقة الاسترضاء: وفي هذه الطريقة يقوم المعالج باسترضاء الجني الصارع، فيلبي له جميع طلباته، فأحيانًا يطلب منه ذبح حيوان لولي من الأولياء أو من يظن أنهم

من الأولياء، أو يأمر بلبس الذهب أو شرب الدخان أو غيرها من الأمور المحرمة وسبب حرمة هذه الطريقة عدة أمور:

١- إعانة الظالم على ظلمه.

٢- طاعة الجني في معصية اللَّه كمن يلبس ذهبًا ويكون رجلًا أو يشرب الدخان أو ما شابه ذلك.

٣- تلبية هذه الطلبات تزيد الجني طغيانًا وعتوًا وكفرًا، وغالبًا ما ينكث الجني عهده، ويعاود إلى المريض مرات ومرات.

الطريقة الثانية:

طريقة الاستعانة: وهذه الطريقة لا يقوم بها إلا ساحر فيستعين بالجني الذي يخدمه لاستخراج الجني الصارع للمريض فأحيانًا يكون أضعف فلا يستطيع، وأحيانًا يكون أقوى فيستطيع.

الطريقة الثالثة:

طريقة الإقسام: فيقوم المعالج بالإقسام على الجن الصارع بسيده من الجن إذ أن الجن منهم السيد والمسود ومنهم العظيم في قومه والحقير، فيقوم هذا الساحر بالتعرف على قبيلة الجني الصارع، وذلك بمساعدة الجني المساعد له، ثم يقسم الساحر بعظيم هذه القبيلة على الجني الصارع، فيخاف الجني الصارع ويخرج، وفي هذه الطريقة ما لا يخفى من الشرك؛ لأن فيها سؤال غير اللَّه، واستعانة بغير اللَّه، وقد قال رسول ﷺ: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»[1].

... ولذلك فمن أراد أن يقسم على الجني الصارع، فليقسم عليه بأن يخرج طاعة للَّه، ولا يقسم عليه لا بعظيمه ولا بحقيره.

---

(١) صحيح، رواه الترمذي (٢٥١٦)، صححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٥٧)، وأحمد في المسند (٢٦٦٤، ٢٧٥٨) وقال الأرناؤوط: إسناده قوي.

الطريقة الرابعة:

طريقة سجن الجني الصارع: حيث يقوم الساحر بالتقرب إلى رؤساء هذه القبيلة بأنواع معينة من الشرك، ثم يطلب منهم سجن هذا الجني الصارع للآدمي، فيقومون بسجنه.

الطريقة الخامسة:

طريقة حفلات الزار: فإذا ما أَلَمَّ الصرع من الجن بامرأة من الإنس جاءت لها شياطين النساء يتاجرن بعقلها، ويزين لها أن ما دهاها هو صرع من الجن وأن في استطاعتهن أن يذهبن هذا المرض، فيطلبن منها طلبات يعز وجودها وتثقل كاهل زوجها، فيطلبن منها من الحلي أنواعًا، ومن الدجاج والخراف أصنافًا وتارة تتعالى في الطلب فتطلب جملًا أو عجلًا عندما تأنس منهم ثروة، عندما تراهم من الأغنياء، ثم يقام الحفل، ويسمين المريضة عروسًا ويخلعن عليها ثيابًا سافرة غالية الثمن قصيرة الأجل قليلة الغناء، ثم يُركبن هذه العروس الجمل أو العجل أو الفحل ويوقدن حولها الشموع ويضربن بالدفوف، ويصحن بالأغاني الخليعة التي تستهوي الأفئدة، وتنبت النفاق في القلب، وتصيح مزامير الشيطان، فينعش الجني الصارع مصروعه، وتدب في جسد المصروع نشوة الفرح بهذا المهرجان العظيم، وعلى أثر هذا الزار، إما أن يهادن الجني مصروعه من الإنس لفترة من الزمن فيظل ملتبسًا كامنًا في جسده ولكن يخفف عنه نوبات الصرع، ثم يتمرد عليه الجني مرة بعد مرة فتعاوده نوبات الصرع من جديد، وإما أن يكون قد خرج الجني الصارع فعلًا من جسده، لأنه قد نفذت له جميع طلباته، فقضى وطره من المصروع وأهله، ولكن بعد فترة يعود إليها، ويعاودها المرض من جديد، ويتدرج شياطين الجن والإنس في الطلبات حتى إذا ما خوى البيت، ونَفَذَ ما في الجيب قضى المريض نحبه وترك العيون دامية وصدق القائل:

ثلاثة تشقى بهن الدار ... العرس والمأتم ثم الزار

وليت الأمر يقف عند هذا الحد، بل من النساء من يتخذن هذه الحفلات لأغراض غير شريفة يجتمع فيها الرجال والنساء سرًا وجهرًا، يستمتع بعضهم ببعض -أعاذنا اللَّه من الإفك والتضليل- فمن كان له مسكة من عقل علم أن هذه الطريقة محرمة بلا أدنى شك، ولكن ما لجرح بميت إيلام، فخر عليهم السقف من فوقهم، لا عقل ولا نقل، وحرموا من الوصول إلى الحق بتضييع الأصول.

فمن أبى أن يكون عبدًا للَّه كان عبدًا لغير اللَّه، ونفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل، ولسانك إن لم تشغله بذكر اللَّه شغلك بالغيبة والنميمة، ومدح الناس وذمهم، وقول الزور والباطل، والفحش والتفحش، وقلبك إن لم تشغله بمحبة اللَّه شغلك بمحبة الخلق من دون اللَّه، وهناك طرق أخرى قد ضربنا عنها صفحًا؛ ولكن لابد أن تعرف أن أي شيطان لن يخدم إنسيًا إلا بعد أن يتأكد من شركه وهذا الشرك ربما يكون ظاهرًا، وربما يكون باطنًا، أو ربما يكون مبثوثًا في تلك العزائم والطلاسم أو الأفعال التي يطلبها الجني من الساحر الخادم له، ومن تلبيس الجن على الساحر أن العزائم التي يأمرونه بها قد يكون فيها بعض آيات من القرآن، وذلك ليفهم الساحر أن طريقته صحيحة لأنها من القرآن، فيغتر المسكين، ويتمسك بها. (راجع وقاية الإنسان من الجن والشيطان للشيخ وحيد عبد السلام بالى حفظه اللَّه) بتصرف.

والجن منهم المسلم، ومنهم المشرك، ومنهم اليهودي، ومنهم النصراني، ومنهم السني، ومنهم البدعي، ومنهم الشيطان المتمرد وهم على مذاهب شتى كما قال تعالى في كتابه العزيز على لسانهم: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ۝١١﴾ [الجن] أي: مذاهب شتى.

ولنعلم أيها الأخوة والأحباب أن محمدًا ﷺ بعثه اللَّه تعالى إلى الثقلين الإنس والجن باتفاق أئمة المسلمين، فلم يبق إنسي ولا جني إلا وجب عليه الإيمان بمحمد ورسالته، فيأتمر بما أمر وينتهي عما نهى، وعندما استمعت الجن القرآن من رسول

اللَّه ببطن نخلة لما رجع من الطائف ولّوا إلى قومهم منذرين، قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأحقاف].

ثم لما سمعت الجن القرآن أتوا إلى النبي ﷺ وآمنوا به وهم جن نصيبين وعن ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ: أَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ الأَنْصَارِ أَنَّهُمْ بَيْنَمَا هُمْ جُلُوسٌ لَيْلَةً مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رُمِيَ بِنَجْمٍ فَاسْتَنَارَ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَاذَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا رُمِيَ بِمِثْلِ هَذَا؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، كُنَّا نَقُولُ: وُلِدَ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ عَظِيمٌ وَمَاتَ رَجُلٌ عَظِيمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَإِنَّهَا لَا يُرْمَى بِهَا لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنْ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْمُهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا سَبَّحَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، حَتَّى يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ أَهْلَ هَذِهِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ قَالَ الَّذِينَ يَلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ فَيُخْبِرُونَهُمْ مَاذَا قَالَ، قَالَ: فَيَسْتَخْبِرُ بَعْضُ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ بَعْضًا حَتَّى يَبْلُغَ الْخَبَرُ هَذِهِ السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَتَخْطَفُ الْجِنُّ السَّمْعَ فَيَقْذِفُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ وَيُرْمَوْنَ بِهِ فَمَا جَاءُوا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ وَلَكِنَّهُمْ يَقْرِفُونَ فِيهِ وَيَزِيدُونَ»(١).

وثبت أن النبي ﷺ قرأ عليهم سورة الرحمن وكان إذا قرأ: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ [الرحمن] قالوا: ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد(٢).

وقد ثبت في الحديث الصحيح أنهم لما اجتمعوا بالنبي ﷺ سألوه الزاد لهم

---

(١) صحيح، رواه مسلم (٢٢٢٩/١٢٤)، والترمذي (٣٢٢٤).

(٢) حسن، رواه الترمذي (٣٢٩١)، حسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٥١٣٨).

ولدوابهم فقال: «لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْفَرَ مَا يَكُونُ لَحْمًا وَكُلُّ بَعْرَةٍ عَلَفٌ لِدَوَابِّكُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَلَا تَسْتَنْجُوا بِهِمَا فَإِنَّهُمَا طَعَامُ إِخْوَانِكُمْ»(١).

ملاحظة:

ينقسم الأنبياء عليهم السلام إلى قسمين فمنهم من هو عبد رسول، ومنهم من هو مِلك نبي، وقد خير اللَّه محمدًا ﷺ بين أن يكون عبدًا رسولًا أو ملكًا نبيًا، فاختار أن يكون عبدًا رسولًا، فالنبي الملك مثل داود وسليمان ويوسف على رسولنا وعليهم أفضل الصلاة والسلام ولذلك قال اللَّه تعالى في قصة سليمان الذي قال: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾﴾ [ص] أي: أعط من شئت واحرم من شئت، لا حساب عليك، ولذلك فالنبي الملك يتصرف في الولاية بما يحبه ويختاره من غير إثم عليه.

أما العبد الرسول فلا يعطي أحدًا إلا بأمر ربه ولا يعطي من يشاء بل يعطي من أمره ربه بإعطائه ويولي من أمره ربه بتوليته فأعماله كلها عبادات للَّه تبارك وتعالى ولذلك كان النبي كما ثبت في صحيح البخاري يقول: «مَا أُعْطِيكُمْ وَلَا أَمْنَعُكُمْ إِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ أَضَعُ حَيْثُ أُمِرْتُ»(٢). ولذلك فالعبد الرسول أفضل من النبي الملك.

والجن والإنس على أحوال:

فمن كان من الإنس يأمر الجن بما أمر اللَّه به ورسوله، من عبادة اللَّه وحده وطاعة نبيه، فهذا من أفضل أولياء اللَّه، وهو في ذلك من خلفاء الرسول ونوابه، ومنهم من يأمرهم ويناهم، ولكنه يستعملهم في أمور مباحة فيكون بمنزلة الملوك الذين يفعلون

---

(١) صحيح، رواه مسلم (٤٥٠/١٥٠)، والترمذي (٣٢٥٨).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٣١١٧).

مثل ذلك، هذا إذا قدر أنه من أولياء اللَّه فغايته أن يكون في عموم أولياء اللَّه تعالى مثل النبي الملك مع العبد الرسول، ومنهم من يستعمل الجن فيما ينهى اللَّه عنه ورسوله كأن يستعملهم في الشرك أو في قتل معصوم الدم أو في العدوان على أحد من الإنس كتمريضه وإنسائه العلم أو يستعملهم في جلب من يطلب فيه الفاحشة، فهذا قد استعان بهم على الإثم والعدوان، فإن استعان بهم على الكفر فهو كافر، وإن استعان بهم على المعاصي فهو عاص.

ومن الناس من يكون غير تام العلم بالشريعة فيستعين بهم فيما يظن أنه من الكرامات مثل: أن يستعين بهم على الحج أو أن يحملوه إلى عرفات، ولا يحج الحج الشرعي الذي أمر به اللَّه ورسوله ومن هؤلاء المحمولين، من حمل مرة إلى عرفات، ورجع في نفس الليلة فرأى في النوم ملائكة يكتبون الحجاج، فقال: ألا تكتبوني؟ فقالوا: لست من الحجاج (يعني أنك لم تحج حجًا شرعيًا).

- منهم من يطير به الجن عند السماع البدعي ودق الطبول ومزامير الشيطان.
- منهم من يحملونه من مدينة إلى مدينة وهذا النوع من الناس مغرور قد مكروا به.
- وكثير من هؤلاء قد لا يعرف أن ذلك من الجن بل قد سمع فقط أن أولياء اللَّه لهم كرامات، وخوارق وعادات، وهؤلاء ليس عندهم من حقائق الإيمان، ومعارف القرآن ما يميز به بين الكرامات الرحمانية والتلبيسات الشيطانية.
- ومنهم من يدعو غير اللَّه تبارك وتعالى من الأنبياء والأولياء في طلب رزق أو شفاء مريض أو كشف ضر أو جلب خير فيكتفي منه الشيطان بهذا النوع من الشرك ألا وهو شرك الدعاء فيظهر على يديه بعض خوارق العادات، واللَّه تبارك وتعالى يقول: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠٦﴾ [يونس] أي: من المشركين. ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ

يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس].

❁ أو يكون من الذين يشدون الرحال إلى قبور الأولياء والصالحين أو إلى المساجد التي دفن بها الأولياء أو من يزعمون أنهم أولياء وصالحون، إما للتبرك، وإما للطواف، وإما للصلاة، وإما للنذر لهؤلاء الأولياء بذبح الذبائح وتوجيه الأموال لهم.

وهذه كلها مظاهر من مظاهر الشرك من فعلها استكفى منه الشيطان بذلك؛ لأنه قد ملّك رقبته للشيطان فخر عليه السقف من فوقه لا قرآن ولا عقل، فعند ذلك يسجد له الشيطان مطيعًا، فيظهر له بعض المكاشفات والخوارق للعادات، فيظن هذا المسكين أنه قد أصبح من أولياء اللّه المخلصين، فتكون ﴿ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

فلْنعلم أيها الأخوة:

❁ أن الرحال لا تشد إلا إلى ثلاثة مساجد لقوله ﷺ: «لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ مَسْجِدِي هَذَا وَمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى»[١].

❁ أن دفن الأولياء والصالحين في المساجد هو مظهر من مظاهر الشرك نهى عنه النبي ﷺ فقال: «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»[٢].

وقال ﷺ: «أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ»[٣].

❁ والصلاة إلى القبور غير جائزة لقوله ﷺ: «لَا تَجْلِسُوا عَلَى الْقُبُورِ وَلَا تُصَلُّوا إِلَيْهَا»[٤].

---

(١) صحيح، رواه البخاري (١٤٢١)، ومسلم (٥١١/١٣٩٧).

(٢) صحيح، رواه البخاري (١٣٩٠)، ومسلم (١٩/٥٢٩).

(٣) صحيح، رواه مسلم (٢٣/٥٣٢).

(٤) صحيح، رواه مسلم (٩٧/٩٧٢).

❁ والنذر لا يكون إلا للّه، والطواف لا يكون إلا ببيت اللّه العتيق لقوله تعالى: ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج :٢٩]، فالنذر والطواف من العبادات التي لا تصرف إلا للّه، فلا تصرف لا لنبي مرسل ولا لملك مقرب فضلًا عن غيرهما فلا طواف حول قبر الحسين والجيلاني والرفاعي والبدوي والدسوقي وغيرهم لأنه مظهر من مظاهر الشرك.

❁ والذبح أيضًا عبادة لا تصرف إلا للّه ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام :١٦٢-١٦٣]، فلا تصرف لا لنبي مرسل ولا لملك مقرب فضلًا عن غيرهما ... والذبح عند قبور الأنبياء والصالحين غير جائزة حتى وإن كانت النية للّه؛ لأنه يشبه عمل المشركين الذين كانوا يذبحون عند قبور أصنامهم الممثلة لأوليائهم.

❁ والتبرك لا يكون إلا بما علم شرعًا أنه فيه بركة، وأذن الشارع الحكيم في طلبها والتماسها، كبيت اللّه الحرام بالحج والعمرة والطواف به، والدعاء عنده، وماء زمزم الذي قال فيه الرسول ﷺ: «زمزم طعام طعم وشفاء سقم»(١).

وكالمساجد الثلاث، والمساجد الأخرى التي أسست على التقوى، يكون التبرك فيها بالصلاة والاعتكاف، والذكر وقراءة القرآن، وكمجالس العلم والذكر وقراءة القرآن الكريم، وكمجالسة الصالحين ومرافقتهم في أسفارهم وطلب دعائهم.

وأقصى درجات حكمه الشرعي أنه مستحب؛ ولكن إذا كان سيؤدي إلى فعل

(١) صحيح، رواه البزار في مسنده (٣٣٤٣) بهذا اللفظ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٣٥٧٢). والحديث في صحيح مسلم (١٣٢/٢٤٧٣) بلفظ: «قَالَ: فَمَنْ كَانَ يُطْعِمُكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: مَا كَانَ لِي طَعَامٌ إِلَّا مَاءُ زَمْزَمَ فَسَمِنْتُ حَتَّى تَكَسَّرَتْ عُكَنُ بَطْنِي وَمَا أَجِدُ عَلَى كَبِدِي سُخْفَةَ جُوعٍ قَالَ: إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ إِنَّهَا طَعَامُ طُعْمٍ» عن أبي ذر رضي اللّه عنه.

مكروه أو ارتكاب محرم فإنه يجب تركه، ويتعين عدم فعله لأن درء المفاسد مقدم على جلب المنافع، ويشهد لهذا فعل عمر بن الخطاب، وهو أحد الخلفاء الراشدين الموصى شرعًا باتباع سنتهم؛ فإنه رضي اللَّه عنه لما رأى رغبة الناس عند المرور بالحديبية في طريقهم إلى مكة في النزول تحت شجرة بيعة الرضوان للتبرك أمر بقطعها حسمًا لمادة الفساد، إذ لو تركت لعبدت كما عبد غيرها من أشجار كثيرة باسم التبرك.

❁ ولنعلم أن الرجل إذا ادعى الولاية، ودعا الناس إلى الاعتراف له بها، واستغل ذلك إلى مصلحته الشخصية من جلب منافع خاصة من جاه ومال، وما إلى ذلك من الحظوظ النفسية والدنيوية فهو رجل دجال لا بركة عنده ولا خير فيه، فلا تحل مجالسته ولا احترامه فضلًا عن التبرك به؛ لأن موجبات البركة هي العلم، والإيمان والتقوى وهذه الأمور قد انعدمت في ذلك الرجل الدعيّ.

تنبيه:

يقول الرسول ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا»[1].

– ولذلك فمن المفاسد اتخاذ القبور أعيادًا، فترى غلاة المتخذين لها عيدًا يقبلونها، ويطوفون حولها، ويصلون إليها، فلو نظرت إلى الذين يشدون الرحال إلى المساجد التي فيها القبور كمقام الحسين والسيدة زينب، والسيد البدوي، وإبراهيم الدسوقي، وقد حنوا لها الجباه، وقبلوا الأرض، وكشفوا الرؤوس، وارتفعت أصواتهم بالضجيج، وتباكوا حتى يُسمع لهم النشيج، ورأوا أنهم قد أُربحوا في الربح على الحجيج واستغاثوا بمن لا يبديء ولا يعيد حتى إذا دنوا منها صلوا عند القبر ركعتين، ورأوا أنهم قد أحرزوا من الأجر ما لم يحرزه من صلى إلى القبلتين، فتراهم ركعًا سجدًا يبتغون فضلًا من الميت ورضوانًا، وقد ملأوا أكفهم خيبة وخسرانًا فلغير اللَّه بل للشيطان ما يراق هنا من العبرات، ويرتفع من الأصوات،

(١) صحيح، رواه أبو داود (٢٠٤٢)، صححه الألباني في صحيح الجامع (٧٢٢٦).

ويُطلب من الميت من الحاجات، ويُسأل من تفريج الكربات، وإغاثة اللّهفات، وإغناء ذوي الفاقات، ومعافاة ذوي العاهات والبليات ثم انثنوا بعد ذلك حول القبر طائفين تشبيهًا له بالبيت الحرام الذي جعله اللَّه مباركًا وهدى للعالمين.

ثم أكملوا مناسك حج القبر بالحلق والتقصير، واستمتعوا بخلاقهم من ذلك الوثن، وقربوا له القرابين فكانت صلاتهم ونسكهم وطوافهم لغير رب العالمين، ولو رأيتهم يهنئون بعضهم بعضًا، قائلين: أجزل اللَّه لنا ولكم الأجر الجزيل، عافانا اللَّه من ذلك، فهذا مبدأ عبادة الأصنام في قوم نوح، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح].

❁ قال ابن عباس وغيره من السلف: هؤلاء كانوا صالحين من قوم نوح فلما ماتوا عكف الناس على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم، فعبدوهم، فكان هذا مبدأ عبادة الأوثان.

وكل من شم أدنى رائحة من العلم والفقه، يعلم أن من أهم الأمور سد الذريعة إلى هذا المحظور.

التقرير الرابع:

التميز بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان:

ولذلك فمن كان خبيرًا بحقائق الإيمان كان فارقًا بين الأحوال الرحمانية والأحوال الشيطانية، مميزًا بين علامات أولياء الرحمن وعلامات أولياء الشيطان؛ لأن اللَّه قذف في قلبه من نوره، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [الحديد]، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى].

وقد جاء في الحديث القدسي الصحيح عند البخاري وغيره عن رب العزة: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ

عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»[1].

فمن كان من هؤلاء فرق بين حال أولياء الرحمن وأولياء الشيطان كما يفرق الصيرفي الحذق بين الدرهم الجيد والدرهم المزيف، وكما يفرق من يعرف الفروسية بين الفارس الشجاع، والفارس الجبان.

ولذلك فكرامات الأولياء سببها الإيمان والتقوى، أما ما كان سببه الكفر والفسوق والعصيان فهو من خوارق أعداء اللَّه لا من كرامات أولياء اللَّه فمن كانت خوارقه لا تحصل بالصلاة، وقراءة القرآن والذكر، وقيام الليل، والدعاء، وإنما تحصل بالشرك وأنواعه، فهو من أولياء الشيطان.

ولذلك فهذه الشركيات تفتح لأصحابها اتصالًا بالجن والشياطين فيُظهرون لهم بعض خوارق العادات فيظن ذلك المغرور بأنه قد أصبح من أخص أولياء اللَّه، قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [الشعراء].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾ [مريم].

﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢١].

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف].

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾ [الجن].

وقال غير واحد من السلف: كان الرجل من الإنس إذا نزل بالوادي قال: أعوذ بعظيم هذا الوادي من سفهاء قومه، فلما استغاثت الإنس بالجن، ازدادت الجن طغيانًا وكفرًا.

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٦٥٠٢).

وقد يتمثل الشيطان بصورة من يستغيث به المشركون:

١- فإن كان نصرانيًا واستغاث بجرجس أو غيره جاء الشيطان في صورة جرجس أو غيره، وإن كان منتسبًا إلى الإسلام، واستغاث بشيخ يحسن الظن به جاءه الشيطان في صورة ذلك الشيخ، وإن كان من مشركي الهند جاءه الشيطان في صورة من يعظمه ذلك المشرك.

٢- ومنهم من يرى أشخاصًا في اليقظة ويدعي أحدهم أنه نبي أو صديق أو شيخ من الصالحين، وأنه السيد البدوي أو الشيخ إبراهيم الدسوقي أو الشيخ الرفاعي، وقد حدث هذا لغير واحد، وهؤلاء منهم من يرى ذلك عند قبر الذي يزوره، وإنما هو جني قد تصور بتلك الصورة.

٣- ومنهم من يرى فارسًا قد خرج من قبر من يزوره أو دخل في قبر من يزوره، ويكون ذلك شيطانًا قد تمثل بصورة ذلك الفارس.

٤- ومنهم من يرى في منامه أن بعض أكابر الصحابة كالصدّيق وغيره، قد قص شعره أو حلقه وألبسه طاقية، فيصبح وقد حُلِق شعره أو قصر، وعلى رأسه طاقية، وإنما الجن هم الذين حلقوا شعره وقصروه.

٥- ومنهم من يأتيه الشيطان بأطعمة وفواكه وحلوى وغير ذلك مما لا يكون في ذلك الوضع.

٦- ومنهم من يطير به الجني إلى مكة أو بيت المقدس أو غيرها.

٧- ومنهم من يخاطبه الشيطان ويقول له: أنا من أَمْر اللَّه ويخبره بأنه هو المهدي المنتظر الذي بشر به النبي ﷺ، ويقول له علامة أنك المهدي تنبت في جسدك شامة، فتنبت ويراها، وذلك كله من مكر الشيطان.

٨- ومنهم من تحمله الجن عشية عرفة ثم تعيده من ليلته فلا يحج حجًا شرعيًا، بل يذهب بثيابه ولا يُحرم إذا حاذى الميقات، ولا يلبي ولا يقف بمزدلفة، ولا يطوف بالبيت ولا يسعى بين الصفا والمروة، ولا يرمي الجمرات بل

يقف بعرفة بثيابه ثم يرجع من ليلته، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية قدس اللَّه روحه: من هؤلاء المحمولين من حمل إلى عرفات ورجع، فرأى في النوم ملائكة يكتبون الحجاج فقال: ألا تكتبوني؟ فقالوا: لست من الحجاج، يعني أنك لم تحج حجًا شرعيًا.

٩- ومنهم من يتصور له الشيطان ويقول له: أنا الخضر، كما كانت تدخل الشياطين في الأصنام وتكلم المشركين فيخبره ببعض الأمور ويعينه على بعض مطالبه.

١٠- ومن هؤلاء من إذا حضر سماع المكاء والتصدية يتنزل عليه شيطانه حتى يحمله في الهواء، ويخرجه من تلك الدار، فإذا حضر رجل من أولياء اللَّه تعالى يتمتع بشخصية عمرية يَفْرق منها الشيطان، طرد شيطانه، فسقط ذلك الرجل كما جرى لغير واحد.

١١- كان شيخ بمصر قد أوصى خادمه فقال: إذا أنا مت، فلا تدع أحدًا يغسلني، فأنا أحيا وأغسل نفسي، فلما مات رأى خادمه شخصًا في صورته فاعتقد أنه دخل وغسل نفسه، فلما قضى ذلك الداخل غسل الميت غاب، وكان ذلك شيطانًا وقد أضل الميت، وقال: إنك بعد الموت تحيا فتغسل نفسك.

١٢- ومنهم من يرى عرشًا في الهواء وفوقه نور، ويسمع من يخاطبه، ويقول له: أنا ربك وقد رفعت عنك التكليف؛ فإن كان من أهل المعرفة علم أنه شيطان، فزجره، واستعاذ باللَّه منه فيزول.

١٣- ومنهم من تتنزل عليه الشياطين فتتكلم على لسانه كلامًا لا يعلم وربما لا يفقه، وربما تكلم بألسنة مختلفة كما يتكلم الجني على لسان المصروع؛ فإذا أفاق لم يشعر بشيء، كالمصروع تمامًا الذي يتخبطه الشيطان من المس، فقد يضرب هذا المصروع ضربًا شديدًا مبرحًا، ولو وقع هذا الضرب على رجل غير مصروع لأماته أو أمرضه، ومع ذلك فالضرب لا يؤثر على هذا

المصروع لأنه كان يقع على الجني الذي لبسه.

١٤- ومنهم من يكاشف بعض الحاضرين بما في قلبه، وشيطانه الذي يتنزل عليه هو الذي يدله على ذلك، فهذا عبد اللَّه بن صياد ، وقد ورد ذكره في الصحيحين، فقد ظن بعض الصحابة أنه الدجال، وقد توقف النبي ﷺ في أمره في بداية الأمر، حتى تبين له فيما بعد أنه ليس الدجال، وإنما هو من جنس الكهان الذين تتنزل عليهم الشياطين، فقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي قَدْ خَبَأْتُ لَكَ خَبِيئًا» فَقَالَ ابْنُ صَيَّادٍ: هُوَ الدُّخُّ فَقَالَ: «اخْسَأْ فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ»[١] ، يعني أنك من إخوان الكهان الذين يكون لأحدهم القرين من الشياطين فيخبره بكثير من المغيبات بما يسترقه من السمع، وكانوا يخلطون الصدق بالكذب كما في الحديث الصحيح الذي يرويه البخاري: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِلُ فِي الْعَنَانِ وَهُوَ السَّحَابُ فَتَذْكُرُ الْأَمْرَ قُضِيَ فِي السَّمَاءِ فَتَسْتَرِقُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ فَتَسْمَعُهُ فَتُوحِيهِ إِلَى الْكُهَّانِ فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ»[٢] .

١٥- يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان: إني أعرف من تخاطبه النباتات بما فيها من المنافع، وإنما يخاطبه الشيطان الذي دخل فيها، وأعرف من يخاطبهم الشجر والحجر ويقول له: هنيئًا لك يا ولي اللَّه فيقرأ آية الكرسي فيذهب ذلك عنه، وأعرف من يقصد الصيد فتخاطبه العصافير وغيرها، وتقول: خذني حتى يأكلني الفقراء ويكون الشيطان قد دخل فيها كما يدخل في الإنسي.

١٦- ومنهم من تريه الجن أنوارًا وتحضر عنده من يطلبه، وإذا قرأ آية الكرسي مرة بعد مرة ذهب ذلك كله.

(١) صحيح، رواه البخاري (١٣٥٥، ٣٠٥٥، ٦١٧٣، ٦٦١٨)، ومسلم (٨٦/٢٩٢٤).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٣٢١٠).

١٧- ومنهم من يكون في البيت وهو مغلق، فيرى نفسه خارجه وهو لم يفتح، وتكون الجن قد أدخلته وأخرجته بسرعة.

١٨- ومنهم من يستعمل الجن فيما ينهى اللَّه عنه ورسوله كالتعدي على أحد من خلق اللَّه كتمريضه، وإنسائه العلم، ولا يحدث لهذا الشخص أي بلية إلا بإرادة اللَّه «وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ»[1]. ولو كان هذا الرجل الذي يريدون ضرره يتمتع بشخصية إيمانية عُمرية يَفرق منها الشيطان ما استطاع هذا الرجل ولا قرينه من الجن أن يقفوا في طريقه فضلًا عن أن يتوجهوا له بضرر فخسئ أحد على وجه الأرض أن يملك لك نفعًا أو ضرًا، فاللَّه تبارك وتعالى هو الضار النافع، الخافض الرافع، المعطي المانع، فلا نافع لمن ضر، ولا ضار لمن نفع، ولا رافع لمن خفض، ولا خافض لمن رفع، ولا مانع لمن أعطى، ولا معطي لمن منع.

خلاصة القول:

هذه التلبيسات الشيطانية قد تحدث لطوائف معينة من الناس قد قدموا تنازلات في اتجاه الشيطان ومن هؤلاء:

١- قد تحدث لرجل معاشر للنجاسات، معاشر للكلاب رائحته خبيثة لا يتطهر الطهارة الشرعية، يأوي إلى الحمامات والمقابر والمزابل، ولا يصلي الصلاة الشرعية.

٢- لرجل يأكل الحيات والعقارب والخنافس وأذان الكلاب التي هي خبائث وفواسق، أو يشرب البول أو الدم.

---

(١) رواه الترمذي (٢٠١٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٧٩٥٧)، وأحمد في المسند (٢٦٦٤)، قال الأرناؤوط: إسناده قوي.

٣- لرجل يدعو غير اللَّه تبارك وتعالى من الأنبياء والأولياء في طلب رزق أو شفاء مريض أو كشف ضر أو جلب خير، فيكتفي منه الشيطان بهذا النوع من الشرك ألا وهو شرك الدعاء.

٤- لرجل يشد الرحال إلى قبور الأولياء والصالحين أو إلى المساجد التي دفن بها أولياء أو من يزعمون أنهم أولياء - إما للتبرك - وإما للطواف - وإما للصلاة- وأما للنذر لهؤلاء الأولياء بذبح الذبائح وتوجيه الأموال إليهم.

٥- لرجل من الذين يؤثرون سماع الأغاني والأناشيد والأشعار ومزامير الشيطان ودق الطبول وضرب الدفوف على سماع كلام الرحمن، فتجده يرقص ليله الطويل مع المردان والنسوان، فإذا جاءت الصلاة صلى قاعدًا أو نقرها نقر الديك.

٦- لرجل من الذين يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقًا.

٧- أو قد تحدث لرجل من الأحبار والرهبان من اليهود والنصارى، أو عباد النجوم والكواكب أو عباد الأوثان أو قد تحدث لمشركي الهند واليونان والترك حتى يوهمهم الشيطان بأنهم ينتفعون بعبادتهم وطاعتهم لتلك الآلهة من دون اللَّه، وتكون عبادتهم في الحقيقة إنما هي للشيطان قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝٤٠ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ۝٤١﴾ [سبأ].

التقرير الخامس:

كرامات أولياء الرحمن:

أما كرامات أولياء اللَّه فسببها الإيمان والتقوى، وإنما حصلت له ببركة اتباعهم لكتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ، فأتمروا بما أمر، وانتهوا عما نهى، فأيدهم اللَّه بملائكته، وبروح منه، فكانت الكرامة بشارة لهم في الحياة الدنيا قال تعالى: ﴿أَلَآ

﴿إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس].

وهي تعطى بحسب حاجة الرجل:

* فقد تعطى لرجل عظيم الدرجة عند اللَّه فيجري اللَّه على يديه من الخوارق ما يساعده على تبيان الحق للناس، فتساعده على هداية الخلق بإذن اللَّه تعالى.
* وقد تعطى لرجل متوسط الدرجة عند اللَّه ولكنه موحد التوحيد الصحيح حتى تزيد من إيمانه وتثبته على طريق الحق.
* وقد يعطيها اللَّه تبارك وتعالى لولي من أوليائه محتاج حتى تسد حاجته.
* وقد لا تعطى الكرامة لرجل عظيم الدرجة عند اللَّه لغناه عنها لا لنقص في درجته، ولهذا كانت هذه الأمور في التابعين أكثر منها في الصحابة.

وهذه الكرامات والخوارق للعادات إن استعان بها الولي على ما يحبه اللَّه ويرضاه ازداد رفعة وقربًا من اللَّه، وإن استعان بها على ما نهى اللَّه عنه ورسوله كالشرك والظلم والفواحش، كان كأمثاله من المذنبين، فيستحق بذلك الذم والعقاب، إلا أن يتداركه اللَّه بتوبة نصوح أو حسنات ماحيات، ولذلك كثيرًا ما يعاقب أصحاب الخوارق، تارة بسلبها كما يعزل الملك عن ملكه، وتارة بسلب التطوعات والنوافل منه، فينقل من الولاية الخاصة إلى الولاية العامة، وتارة بسلب العالم علمه، وتارة ينزل إلى درجة الفساق، وتارة يرتد عن الإسلام وهذا يكون فيمن له خوارق شيطانية فإن كثيرًا من هؤلاء من يرتد عن الإسلام إلا أن تتداركه رحمة اللَّه فيبعث اللَّه له رفقة من الربانيين الذين يعرفونه طريق الكتاب والسنة، وكثير منهم لا يعرف أن هذه الخوارق شيطانية بل يظنها من كرامات أولياء اللَّه.

- ولما كانت الخوارق كثيرًا ما تنقص بها درجة الرجل، كان كثير من الصالحين من يتوب من مثل ذلك وكانت تعرض على بعضهم فيسأل اللَّه زوالها وإن أعطيت

له، فلا يقف عندها، ولا يجعلها همته، ولا يتبجح بها مع ظنه بأنها كرامة من اللَّه.

من كرامات الصحابة والتابعين:

❁ فهذا أبو بكر لما ذهب بثلاثة أضياف معه إلى بيته وقدم لهم طعامًا وكان يتناول لقمة إلا رَبَا من أسفلها أكثر منها، فشبعوا، وصارت أكثر مما هي قبل ذلك، فنظر إليها أبو بكر وامرأته؛ فإذا هي أكثر مما كانت فرفعها إلى رسول اللَّه ﷺ، وجاء إليه أقوام كثيرون فأكلوا منها وشبعوا. وهي قصة ثابته في الصحيحين[1].

❁ هذا عمر بن الخطاب لم أرسل جيشًا أمّر عليهم رجلًا يسمى سارية، فبينما عمر يخطب أخذ يصيح على المنبر: يا سارية الجبل، يا سارية الجبل الجبل، ولما قدم رسول الجيش إلى المدينة سأله عمر فقال: يا أمير المؤمنين! لقينا عدوًا فهزمونا فإذا بصائح: يا سارية الجبل يا سارية الجبل الجبل فأسندنا ظهورنا إلى

---

(١) رواها البخاري (٦٠٢، ٣٥٨١)، ومسلم (١٧٦/٢٠٥٧) بلفظ: أَنَّ أَصْحَابَ الصُّفَّةِ كَانُوا نَاسًا فُقَرَاءَ وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ مَرَّةً: مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ اثْنَيْنِ فَلْيَذْهَبْ بِثَلَاثَةٍ وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ أَرْبَعَةٍ فَلْيَذْهَبْ بِخَامِسٍ بِسَادِسٍ، أَوْ كَمَا قَالَ، وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ جَاءَ بِثَلَاثَةٍ وَانْطَلَقَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ بِعَشَرَةٍ وَأَبُو بَكْرٍ بِثَلَاثَةٍ قَالَ: فَهُوَ وَأَنَا وَأَبِي وَأُمِّي وَلَا أَدْرِي هَلْ قَالَ وَامْرَأَتِي وَخَادِمٌ بَيْنَ بَيْتِنَا وَبَيْتِ أَبِي بَكْرٍ قَالَ: وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ تَعَشَّى عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ لَبِثَ حَتَّى صُلِّيَتْ الْعِشَاءُ ثُمَّ رَجَعَ فَلَبِثَ حَتَّى نَعَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجَاءَ بَعْدَمَا مَضَى مِنْ اللَّيْلِ مَا شَاءَ اللَّهُ قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: مَا حَبَسَكَ عَنْ أَضْيَافِكَ؟ أَوْ قَالَتْ: ضَيْفِكَ، قَالَ: أَوَ مَا عَشَّيْتِهِمْ؟ قَالَتْ: أَبَوْا حَتَّى تَجِيءَ قَدْ عَرَضُوا عَلَيْهِمْ فَغَلَبُوهُمْ قَالَ: فَذَهَبْتُ أَنَا فَاخْتَبَأْتُ وَقَالَ: يَا غُنْثَرُ فَجَدَّعَ وَسَبَّ وَقَالَ: كُلُوا لَا هَنِيئًا وَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَطْعَمُهُ أَبَدًا قَالَ: فَايْمُ اللَّهِ مَا كُنَّا نَأْخُذُ مِنْ لُقْمَةٍ إِلَّا رَبَا مِنْ أَسْفَلِهَا أَكْثَرَ مِنْهَا قَالَ: حَتَّى شَبِعْنَا وَصَارَتْ أَكْثَرَ مِمَّا كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا أَبُو بَكْرٍ فَإِذَا هِيَ كَمَا هِيَ أَوْ أَكْثَرُ قَالَ لِامْرَأَتِهِ: يَا أُخْتَ بَنِي فِرَاسٍ مَا هَذَا؟ قَالَتْ: لَا وَقُرَّةِ عَيْنِي لَهِيَ الْآنَ أَكْثَرُ مِنْهَا قَبْلَ ذَلِكَ بِثَلَاثِ مِرَارٍ قَالَ: فَأَكَلَ مِنْهَا أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ: إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ مِنْ الشَّيْطَانِ يَعْنِي يَمِينَهُ، ثُمَّ أَكَلَ مِنْهَا لُقْمَةً، ثُمَّ حَمَلَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَصْبَحَتْ عِنْدَهُ قَال: وَكَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمٍ عَقْدٌ فَمَضَى الْأَجَلُ فَعَرَّفْنَا اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مَعَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ أُنَاسٌ اللَّهُ أَعْلَمُ كَمْ مَعَ كُلِّ رَجُلٍ إِلَّا أَنَّهُ بَعَثَ مَعَهُمْ فَأَكَلُوا مِنْهَا أَجْمَعُونَ.

الجبل فهزمهم اللَّه... وقد روى هذه القصة البيهقي بسند حسن[١].

❁ وهذا أسيد بن حضير عندما قرأ سورة البقرة نزل عليه من السماء مثل الظُّلة فيها أمثال السرج وهي الملائكة نزلت لقراءته، وعندما قرأ سورة الكهف تغشته سحابة تظله، هذا قد ورد في صحيح البخاري[٢].

❁ وهذا خُبيب بن عدي كان أسيرًا عند المشركين بمكة شرفها اللَّه، فكان يُأتى بعنب يأكله وليس بمكة عنبة واحدة. وقصته في البخاري[٣].

❁ وهذه أم أيمن ... خرجت مهاجرة وليس معها زاد ولا ماء ، فكادت تموت من العطش، فلما كانت وقت الفطر، وكانت صائمة سمعت صوتًا على رأسها فرفعته فإذا هو دلو معلق فشربت منه حتى رويت، وما عطشت بقية عمرها.

❁ وهذا سفينة مولى رسول اللَّه ﷺ أخبر الأسد بأنه رسولُ رسولِ اللَّه، فمشى معه الأسد حتى أوصله مقصده[٤].

---

(١) رواه البيهقي في الدلائل (٣/١٨١/١).

(٢) ذكره البخاري في صحيحه تعليقًا في كتاب فضائل القرآن باب نزل السكينة والملائكة عند قراءة القرآن. وللحديث شاهد في صحيح مسلم (٧٩٥/٢٤٠).

(٣) صحيح، جزء من حديث طويل رواه البخاري (٣٠٤٥، ٣٩٨٩) عن عمرو بن أبي سفيان بن أسيد بن جارية الثقفي بلفظ: «وَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ قَتَلَ الْحَارِثَ بْنَ عَامِرٍ يَوْمَ بَدْرٍ فَلَبِثَ خُبَيْبٌ عِنْدَهُمْ أَسِيرًا فَأَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عِيَاضٍ أَنَّ بِنْتَ الْحَارِثِ أَخْبَرَتْهُ أَنَّهُمْ حِينَ اجْتَمَعُوا اسْتَعَارَ مِنْهَا مُوسَى يَسْتَحِدُّ بِهَا فَأَعَارَتْهُ فَأَخَذَ ابْنًا لِي وَأَنَا غَافِلَةٌ حِينَ أَتَاهُ قَالَتْ فَوَجَدْتُهُ مُجْلِسَهُ عَلَى فَخِذِهِ وَالْمُوسَى بِيَدِهِ فَفَزِعْتُ فَزْعَةً عَرَفَهَا خُبَيْبٌ فِي وَجْهِي فَقَالَ تَخْشَيْنَ أَنْ أَقْتُلَهُ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ذَلِكَ وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَسِيرًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ خُبَيْبٍ وَاللَّهِ لَقَدْ وَجَدْتُهُ يَوْمًا يَأْكُلُ مِنْ قِطْفِ عِنَبٍ فِي يَدِهِ وَإِنَّهُ لَمُوثَقٌ فِي الْحَدِيدِ وَمَا بِمَكَّةَ مِنْ ثَمَرٍ وَكَانَتْ تَقُولُ إِنَّهُ لَرِزْقٌ مِنْ اللَّهِ رَزَقَهُ خُبَيْبًا».

(٤) رواه الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي وهو كما قالا، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٥٩٤٩).

❁ وهذا البراء بن مالك: كان إذا أقسم على اللَّه تعالى أبر قسمه، فلما كان يوم القادسية قال: (أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم، وجعلتني أول شهيد، فمنحوا أكتافهم، وقُتِل البراء شهيدًا).

❁ وهذا سعد بن أبي وقاص كان مستجاب الدعوة، وما دعا قط إلا استجيب له، وهو الذي هزم اللَّه به جنود كسرى، وفتح العراق.

❁ وهذه الزيرة لما عُذبت في اللَّه على الإسلام -أي: لأنها أسلمت- فأبت إلا الإسلام فذهب بصرها، قال المشركون: أصاب بصرها اللات والعزى، قالت: كلا واللَّه، فرد اللَّه عليها بصرها.

❁ وهذا أبو مسلم الخولاني، فقد طلبه الأسود العنسي، لما ادعى النبوة، فقال له: أتشهد أني رسول اللَّه؟ قال: لا أسمع، قال أتشهد أن محمدًا رسول اللَّه؟ قال: نعم، فأمر بنار، فألقي فيها فوجدوه قائمًا يصلي وقد صارت عليه بردًا وسلامًا، وقد قدم المدينة بعد موت النبي ﷺ، فأجلسه عمر بينه وبين أبي بكر الصديق رضي اللَّه عنهما وقال: الحمد للَّه الذي لم يمتني حتى أرى من أمة محمد ﷺ من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل اللَّه، وقد وضعت له جاريته السم في طعامه فلم يضره، وقد خببت امرأة عليه زوجته، فدعا عليها فعميت، وجاءت وتابت، فدعا لها فرد اللَّه عليها بصرها.

❁ وهذا عامر بن قيس، كان يضع في كمه ألفي درهم، وما يلقاه سائل في طريقه إلا أعطاه بغير عدد، ثم يجيء إلى بيته فلا يتغير عددها ولا وزنها. ومر بقافلة قد حبسهم الأسد، فجاء حتى مس بثيابه الأسد، ثم وضع رجله على عنقه وقال: إنما أنت كلب من كلاب الرحمن وإني أستحي من اللَّه أن أخاف شيئًا غيره، ومرت القافلة، وقد دعا اللَّه تعالى أن يهون عليه الطهور في الشتاء، فكان يؤتى بالماء له بخار.

❁ وهذا أويس القرني لما مات وجدوا في ثيابه أكفانًا لم تكن معه من قبل ووجدوا له قبرًا محفورًا فيه لحد في صخرة، فدفنوه فيه، وكفنوه في تلك الأثواب.

❁ وهذا عبد اللَّه بن زيد أصابه الفالج، فسأل ربه أن يطلق له أعضاءه وقت الوضوء، فكان وقت الوضوء تطلق له أعضاؤه ثم تعود بعده.

❁ وهذا الأحنف بن قيس لما مات، وقعت قلنسوة رجل في قبره، فأهوى ليأخذها، فوجد القبر قد فسح فيه مد البصر.

وهذا باب واسع يطول الكلام فيه .. واللَّه سبحانه وتعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب وصلِّ اللَّهم وسلم على سيدنا محمد سيد رسله وأنبيائه.



الخوف

اعلموا أحبائي في اللَّه أن العبد لن يذوق حلاوة الإيمان وطعم الصدق واليقين حتى تخرج الجاهلية كلها من قلبه، ولو تحقق هذا في نفس العبد لرموه الناس جميعًا عن قوس واحدة .. ولن يذوق العبد حلاوة الصدق واليقين حتى يتخلى عن جميع حظوظ نفسه، فلا تطرب أذنه لمدح، ولا تضطرب من ذم فيصبح مدح المادحين وقدح القادحين سواء .. ومن قرب قربانًا فتقبل منه ليس كمن رُدَّ عليه قربانه، فبقاء نفسك معها بحظوظها تطرب للمدح وتضطرب من الذم ولم تخبت للأدلة الشرعية دليل على أنه لم يتقبل منك قربانك.

وحتى تصل إلى هذه المرحلة من الإخبات إلى اللَّه عز وجل، لابد لك من حادٍ يحدو الأرواح إلى الجنة وبلاد الأفراح ويحجزها عن النيران ومعصية الرحمن، وهذا الحادي هو سوط الخوف الذي ذلل القلوب لعلام الغيوب، ولذلك فمنزلة الخوف من اللَّه عز وجل منزلة شمر لها السالكون وتنافس فيها المتنافسون.

الخوف أربعة أنواع:

١- **الخوف الطبيعي**: كالخوف من عدو أو سبع أو هدم أو غرق، وهذا لا يُذم، وهذا هو الذي ذكره اللَّه في حق موسى في كتابه العزيز فقال تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص :٢١].

٢- **خوف السر**: وهو أن تخاف أحدًا غير اللَّه من الأحياء والأموات أن يصيبك بمشيئته وقدرته بفقر أو قتل أو قطع رزق، فالأرزاق بيد الخلاق، وخسئ أحد على وجه الأرض أن يملك لك نفعًا أو ضرًا.

❁ واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه اللَّه لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك فلن يضروك إلا بشيء قد كتبه

اللَّه عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف.

❁ فلا يملك النفع والضر إلا اللَّه، ولا يملك الخفض والرفع إلا اللَّه، ولا يملك العطاء والمنع إلا اللَّه فاللَّه هو الخافض الرافع، الضار النافع، المعطي المانع فلا رافع لمن خفض، ولا خافض لمن رفع، ولا نافع لمن ضر، ولا ضار لمن نفع، ولا مانع لمن أعطى، ولا معطي لمن منع.

قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس]

ولذلك لما خَوَّفَ المشركون إبراهيم -على رسولنا وعليه أفضل الصلاة والسلام- بآلهتهم ماذا قال: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام].

ولما خوَّف قوم عاد أخاهم هودًا بآلهتهم فقالوا: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ﴾ [هود:٥٤] قال هود على رسولنا وعليه أفضل الصلاة والسلام: ﴿قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود].

وهذا النوع من خوف السر؛ هو الواقع اليوم من عباد القبور؛ فإنهم يخافون الأولياء والصالحين أو من يزعمون بأنهم من الأولياء والصالحين كخيفتهم للَّه بل أشد، ويحبونهم كحبهم للَّه بل أشد، ويتوكلون عليهم كتوكلهم على اللَّه بل أشد بل ويدعونهم من دون اللَّه في طلب رزق أو كشف ضر أو شفاء مريض أو إغناء ذوي الفاقات أو معافاة أصحاب العاهات والبليات، ويسألون أولياءهم من دون اللَّه تفريج الكربات، وإغاثة اللَّهفات، تجد أحدهم يصلي إلى قبلة وليه كما يصلي إلى

قبلة اللَّه، ويطوف بقبره كما يطاف ببيت اللَّه، ويقرب له القرابين كما تقرب القرابين للَّه، وواللَّه لو سألت أحدهم أن يقسم يمينًا باللَّه لأعطاك من الأيمان ما شئت كاذبًا كان أو صادقًا، أما إذا سألته أن يقسم يمينًا بحياة صاحب التربة لم يقدم على اليمين إن كان كاذبًا، ومكروا ومكر اللَّه واللَّه خير الماكرين، ولذلك فخوف السر لا يجوز تعلقه بغير اللَّه.

٣- ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بغير عذر إلا الخوف من الناس:

❁ وهذا محرم شرعًا.

❁ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران]. ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾: والمعنى عند جميع المفسرين: أي يخوفكم بأوليائه، فيعظمهم في صدوركم وبالتالي لا تجاهدونهم ولا تأمرونهم بمعروف ولا تنهونهم عن منكر، ولذلك قال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

❁ فكلما قوي إيمان العبد زال من قلبه خوف أولياء الشيطان وكلما ضعف قوي خوفه منهم.

وما أحسن ما قيل:

إذا صح منك الود يا غاية المنى فكلُّ الذي فوق التراب تراب

فكيف يقدم العبد على تقديم طاعة من هو تراب على طاعة رب الأرباب؟ أم كيف يلتمس رضا من هو تراب بسخط الملك الوهاب، إن هذا لشيء عجاب!

❁ فحقيق وجدير بالعبد الموحد للَّه ألّا يؤثر رضا الناس على رضا رب الناس؛ الذي قلوب العباد ونواصيهم بيده، وأزمّة الأمور معقودة بقضائه وقدره، الملك فلا شريك له ، الفرد فلا ندَّ له، والصمد فلا صاحبة له ولا ولد له، الذي شملت قدرته كل شيء ووسعت رحمته كل شيء، وسَعَت نعمته إلى كل حي، كل شيء هالك إلا وجهه، وكل ملك زائل إلا ملكه، وكل فضل

منقطع إلا فضله، وكل ظل قالص إلا ظله، يطاع فيشكر، ويُعصى فيتجاوز ويغفر، كل نعمة منه فضل وكل نقمة منه عدل، أخذ بالنواصي وسجل الآثار وكتب الآجال.

❁ ولذلك أيها الأخ الحبيب يجب عليك أن تأمر بالمعروف وأن تنهى عن المنكر وأن تصبر على ما أصابك؛ فإن ذلك من عزم الأمور؛ فإن الشجاعة لا تقصر عمرًا، والجبن لا يطيل عمرًا؛ فاصدع بالحق أينما كنت ولا تخشى في الله لومة لائم، فوالله الذي لا إله إلا هو لو رُدت كلمة سفيه إلى فيه لسعد بها رادها كما شقي بها قائلها فالله كريم يحب الكرماء، سخي يحب الأسخياء، عليم يحب العلماء، قوي يحب الشجعان، وأحب الخلق إليه من عامل خلقه بمقتضى صفات الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [المائدة: ٥٤]، جاء في الحديث: «سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله»[(١)].

٤- الخوف من وعيد الله الذي توعد به العُصاة:

❁ وهو أعلى مراتب الخوف، وهذا الذي قطع قلوب الصحابة والتابعين، وتابعيهم إلى يوم الدين.

❁ فعليك أيها الأخ الحبيب أن تخشى وعيد الله الذي توعد به العُصاة بشرط ألا يوقعك هذا الخوف في اليأس والقنوط من رحمة الله، ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية: هذا الخوف ما حجزك عن معاصي الله فما زاد على ذلك فأنت غير محتاج إليه.

❁ ولذلك فالمؤمن يطير إلى الله بجناحين أحدهما جناح الخوف والآخر جناح

---

(١) صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٣٠٨).

الرجاء، ومطلوب من العبد المؤمن أن يكون عنده جناح الخوف في الدنيا أقوى من جناح الرجاء حتى يكون حاجزًا له عن معاصي اللَّه، وحاديًا به إلى الجنة وبلاد الأفراح أما إذا شعر المؤمن بأنه يعيش اللحظات الأخيرة التي سيودع فيها دنيا الناس، وشعر بأنه قد اقتربت منيته فلابد أن يكون جناح الرجاء عنده أقوى من جناح الخوف لقول النبي ﷺ: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»(١).

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون].

أخرج الترمذي في جامعه عن عائشة رضي اللَّه عنها قالت: سألت رسول اللَّه ﷺ عن هذه الآية فقلت: أَهُم الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الخَمْرَ وَيْسِرقُونَ؟ قَالَ: «لا يا بنْتَ الصِّدِّيقِ وَلَكَنّهُم الَّذينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُون وَهُمْ يخَافُونَ أن لا تُقبَلَ مِنْهُم؛ أولَئِكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ في الخَيرات وَهُمْ لَهَا سابقون»(٢).

والنبي ﷺ يقول: «مَنْ خَافَ أَدْلَجَ وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ»(٣).

أدلج: أي سار من أول الليل وبادر بالأعمال الصالحة خوفًا من القواطع والعوائق التي تحول بينه وبين سلعة اللَّه ألا إنّ سلعة اللَّه الجنة.

فبادر أيها الأخ الحبيب بالأعمال الصالحة قبل أن تعتريك القواطع والعوائق وقبل أن يقابلك قطّاع الطرق إبليس والدنيا، ونفسك والهوى كيف الخلاص وكلهم أعداؤك فيحولون بينك وبين سلعة اللَّه.

---

(١) صحيح، رواه مسلم (٨١/٢٨٧٧).

(٢) رواه الترمذي في الجامع الصحيح (٣٢٢٥).

(٣) صحيح، رواه الترمذي (٢٤٥٠)، صححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٢٢).

❁ ولذلك كان النبي ﷺ إذا دخل إلى الصلاة يُسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل.

❁ ومن تأمل حياة الصحابة والتابعين يجد أنهم قد جمعوا بين غاية العمل وغاية الخوف من مكر اللَّه، أما نحن والعياذ باللَّه فقد جمعنا بين غاية التقصير، وغاية الأمن من مكر اللَّه، ولذلك كلما زاد علم العبد بربه ازداد خوفه ثم ازداد عمله، وكلما ازداد جهل العبد بربه ازداد أمنه ثم ازداد تفريطه في جنب اللَّه، فانظر إلى حياة الصحابة والتابعين كيف جمعوا بين غاية العمل وغاية الخوف:

❁ فهذا أبو بكر الصديق رضي اللَّه عنه يقول: (وددت لو أني شعرة في جنب عبد مؤمن)، وكان إذا قام إلى الصلاة كأنه عود من خشية اللَّه عز وجل.

❁ وهذا عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه: قرأ سورة الطور حتى بلغ قول اللَّه عز وجل: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧﴾ [الطور] فأخذ يرددها ويبكي حتى مرض وعادوه، وكان في وجهه خطان أسودان من كثرة البكاء، ولما طعن قال لابنه عبد اللَّه وهو في اللحظات الأخيرة التي سيودع فيها دنيا الناس: (ويحك ضع خدي على الأرض عساه أن يرحمني)، ثم أخذ يقول: (ويل أمي إن لم يغفر لي) ثلاثًا. وقال لحذيفة بن اليمان الذي أعطاه رسول اللَّه ﷺ أسماء المنافقين: يا حذيفة، استحلفك باللَّه هل ذكرني رسول اللَّه ﷺ في المنافقين؟ فقال حذفية: لا ولا أُزكي بعدك أحدًا فسمعه ابن عباس فقال: يا أمير المؤمنين مصّر اللَّه بك الأمصار، وفتح بك الفتوحات وتقول: إنك في المنافقين فقال عمر: (وودت أن أنجو لا أجر ولا وزر).

❁ وهذا عثمان بن عفان رضي اللَّه عنه، كان إذا وقف على القبر يبكي حتى تبتل لحيته ويقول: لو أنني بين الجنة والنار، ولا أدري إلى أيتهما أصير، لاخترت أن أكون رمادًا قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير.

❁ وها هو علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه، قد سلم من صلاة الفجر وقد عَلَتْه كآبة فأخذ يقلب يده ويقول: لقد رأيت أصحاب رسول اللَّه ﷺ، فلم

أرَ اليوم شيئًا يشبههم، لقد كانوا يصبحون شُعثًا صفرًا غبرًا بين أعينهم أمثال ركب المعزى، قد باتوا سجدًا وقيامًا يتلون كتاب اللَّه، يراوحون بين جباههم وأقدامهم؛ فإذا أصبحوا فذكروا اللَّه، تمادوا كما يميد الشجر في يوم الريح، واللَّه فكأني بالقوم باتوا غافلين فما رؤي رحمه اللَّه بعد ذلك ضاحكًا حتى ضربه ابن ملجم.

❁ وهذا عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي اللَّه عنهما كان يقول: ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا، فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلم أحدكم لصرخ حتى ينقطع صوته، وصلى حتى ينكسر صلبه.

❁ وها هو الحسن البصري عالم التابعين؛ كان إذا أقبل فكأنما أقبل من دفن حميمه، وإذا جلس فكأنما هو أسير أُمر بقطع رقبته، وإذا ذكرت النار فكأنما لم تخلق إلا له.

❁ وها هو زرارة بن أبي أوفي قاضي البصرة صلى بالناس الفجر بسورة المدثر قرأ: ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٖ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩﴾ [المدثر]، فأخذته شهقة فمات.

❁ وها هو الإمام الشافعي، وقد دخل عليه فقير بن مسكين في مرض موته فقال له: كيف أصبحت يا أبا عبد اللَّه؟ فقال: أصبحت من الدنيا راحلًا ولإخواني مفارقًا، ولكأس المنية شاربًا، ولا أدري أروحي تصير إلى الجنة فأهنيها، أم إلى النار فأعزيها، وأنشد يقول:

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي   جعلت الرجا مني لعفوك سلما

تعاظمني ذنبي، فلما قرنته   بعفوك ربي كان عفوك أعظما

ولذلك لو أننا نعلم حق العلم ما نحن لاقون بعد الموت، لما أكلنا طعامًا على شهوة، ولما شربنا شرابًا على شهوة، ولما استمتعنا بالنساء على الفرش، ولما دخلنا بيتًا نستظل به ولخرجنا إلى الصعدات نضرب على صدورنا ونبكي على أنفسنا.

فضل الصلاة على النبي ﷺ

قال اللَّه تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب]، قال البخاري قال أبو العالية: صلاة اللَّه تعالى: ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء، وقال ابن عباس: (يصلون: يبركون).

والمقصود من هذه الآية، كما ذكر ابن كثير في تفسيره: (إن اللَّه سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى؛ بأنه يثني عليه عند الملائكة، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين).

- ❁ في هذه الآية يأمرنا اللَّه أن ندعو للرسول ﷺ ونصلي عليه لا أن ندعوه من دون اللَّه، أو نقرأ له الفاتحة كما يفعل بعض الناس والجهال.
- ❁ أفضل صيغة للصلاة على رسول اللَّه هي ما علمها لأصحابه حين قال لهم: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»[(١)].
- ❁ هذه الصلاة وغيرها من الصلوات الواردة في كتب الحديث وكتب الفقه المعتمدة لم تذكر فيها كلمة (سيدنا) التي يزيدها الكثير من الناس، علمًا أن الرسول ﷺ سيدنا؛ ولكن التقيد بكلام الرسول واجب.
- ❁ وقال ﷺ: «إِذَا سَمِعْتُمْ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا؛ ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٣٣٧٠، ٤٧٩٧، ٦٣٥٧)، ومسلم (٤٠٦/٦٦)، وأبو داود (٩٧٦)، والترمذي (٤٨٣)، والنسائي (١٢٨٧-١٢٨٩)، وابن ماجه (٩٠٤).

مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ»(١)، ودعاء الوسيلة الوارد عن الرسول ﷺ هو: «اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ»(٢).

والصلاة على النبي مطلوبة عند الدعاء لقوله ﷺ: «كل دعاء محجوب حتى يصلى فيه على النبي ﷺ»(٣)، وقال ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ»(٤).

الصلاة على النبي مطلوبة ولاسيما يوم الجمعة، وهي من أفضل القربات، والتوسل بها مشروع عند الدعاء، لأنها من العمل الصالح، فنقول: اللَّهم بصلاتي على نبيك فرج عني وصلى اللَّه على محمد وعلى آله وسلم.

نسمع كثيرًا من صيغ الصلاة على النبي مبتدعة، لم ترد في كلام الرسول وصحابته، والتابعين والأئمة المجتهدين، بل هي من وضع بعض المشايخ المتأخرين، وقد راجت هذه الصيغ بين العوام وأهل العلم، فأخذوا يقرأونها أكثر مما يقرءون الصلوات الثابتة عن النبي ﷺ، ولو أمعنا النظر في هذه الصلوات لرأينا فيها مخالفة لهدى الرسول الذي نصلي عليه.

ومن هذه الصلوات المبتدعة قولهم:

١- (اللَّهم صلِّ على محمد طب القلوب ودوائها، وعافية الأبدان وشفائها، ونور الأبصار وضيائها، وعلى آله وصحبه وسلم)، إن الشافي والمعافي

---

(١) صحيح، رواه مسلم (١١/٣٨٤)، وأبو داود (٥٢٣)، والترمذي (٣٦١٤)، والنسائي (٦٧٨).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٦١٤، ٤٧١٩).

(٣) حسن، رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٢٧٨)، حسنه الألباني في الصحيحة (٢٠٣٥).

(٤) صحيح، رواه النسائي (١٢٨٢)، صححه الألباني في مشكاة المصابيح (٩٢٤)، وأحمد في المسند (٤١٩٨)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبد اللَّه بن السائب وغير زاذان فهما من رجال مسلم.

للأبدان والقلوب والعيون هو اللَّه وحده، والرسول ﷺ لا يملك النفع لنفسه ولا لغيره فهذه الصيغة تخالف قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف :١٨٨]، ويخالف قوله ﷺ: «لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»[١]، ومعنى الإطراء: هو مجاوزة الحد أو الزيادة.

٢- جاء في كتاب (فضل الصلوات)، لشيخ لبناني صوفي كبير هذه الصيغة: (اللَّهم صلِّ على محمد حتى نجعل منه الأحدية القيومية) فالأحدية والقيومية من صفات اللَّه التي لا تجوز لمخلوق، وقد جعلها هذا الشيخ لرسول اللَّه، وكأنه أصبح إلهًا يوصف بهما.

٣- جاء في كتاب (أدعية الصباح) لشيخ سوري كبير قوله: (اللَّهم صلِّ على محمد الذي خلقت من نوره كل شيء)، والشيء يشمل آدم والقردة والخنازير والأصنام فهل يقول عاقل بأنهم خلقوا من نور محمد؟! لقد عرف الشيطان خلقه وخلق آدم حين قال في القرآن: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف :١٢]فهذه الآية تكذب كلام الشيخ وتبطله.

٤- ومن هذه الصيغ المبتدعة قولهم: (الصلاة والسلام عليك يا رسول اللَّه، ضاقت حيلتي فأدركني يا حبيب اللَّه) الجزء الأول من هذه الصلاة صحيح، ولكن الخطر والشرك في الجزء الثاني، وهو قوله: (أدركني يا حبيب اللَّه) وهذا مخالف لقول اللَّه: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل :٦٢]، وقوله: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام :١٧]، والرسول نفسه كان إذا أصابه هم أو غم قال: «يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ»[٢].

(١) صحيح، رواه البخاري (٣٤٤٥).

(٢) حسن، رواه الترمذي (٣٥٢٤)، حسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٧٧٧).

فكيف يجوز لنا أن نقول له أدركنا ونجنا؟! وهذه الصيغة مخالفة لقوله ﷺ: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»[١].

٥- صلاة الفاتح: وصيغتها: (اللَّهم صلِّ على محمد الفاتح لما أغلق...)، وقائلها يزعم أن من يقرأها أفضل له من قراءة القرآن بستة آلاف مرة، ونُقل ذلك عن الشيخ أحمد التيجاني رئيس الطريقة التيجانية!!.

إنها لسفاهة أن يعتقد العاقل فضلًا عن المسلم أن قراءة هذه الصيغة المبتدعة أفضل من قراءة كلام اللَّه مرة واحدة، فضلًا عن ستة آلاف، وهل يقول ذلك عاقل أو مسلم؟!!

وأما وصف الرسول ﷺ بالفاتح لما أغلق على إطلاقه دون تقييده بمشيئة اللَّه فهو خطأ؛ لأن الرسول ﷺ لم يفتح مكة إلا بمشيئة اللَّه، ولم يفتح قلب عمه للإيمان به، بل مات على الشرك والقرآن يخاطب الرسول قائلًا: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

٦- يقول صاحب دلائل الخيرات في الحزب السابع: (اللَّهم صلِّ على محمد ما سجعت الحمائم، ونفعت التمائم) والتميمة هي الخرزة ونحوها التي تعلق للحماية من العين، ولا تنفع، بل هي من أعمال المشركين.

قال ﷺ: «مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ»[٢]، فهذه الصيغة تخالف الحديث، وتجعل الشرك والتميمة قربة إلى اللَّه.

❀ ❀ ❀ ❀

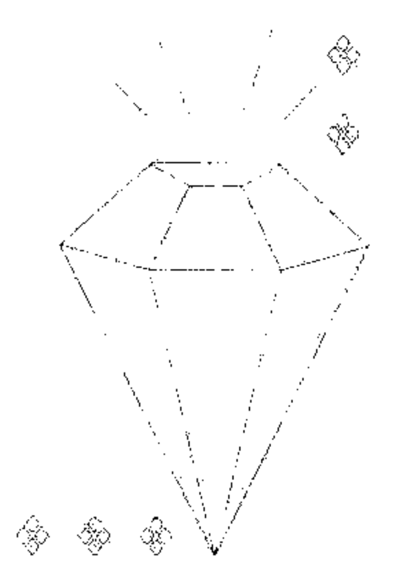
---

(١) صحيح، رواه الترمذي (٢٥١٦)، صححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٥٧)، وأحمد في المسند (٢٦٦٤، ٢٧٥٨) وقال الأرناؤوط: إسناده قوي.

(٢) صحيح، رواه أحمد في المسند (١٦٩٦٩)، وقال الأرناؤوط: إسناده قوي.

الركن الثاني من أركان الإيمان

الإيمان بالملائكة



عالم الملائكة

خلق الملائكة:

الملائكة: جمع ملأك، نقلت حركة الهمزة فيه إلى الساكن قبله، ثم حذفت الألف تخفيفًا فصارت ملكًا، وهو مشتق من كلمة الألوكة التي هي الرسالة، والجمع ملائك وملائكة، وعددهم لا يحصيه من دون اللَّه أحد، خلقهم اللَّه من النور، وطبعهم على الخير، فهم لا يعرفون الشر، ولا يأمرون به، ولا يأتونه، ولا يفعلونه، فلذا هم لربهم مطيعون، ولا يعصون اللَّه ما أمرهم ويفعلون ما يأمرون ويسبحون الليل والنهار لا يفترون، ولا يسأمون من عبادة اللَّه ولا هم عنها يستكبرون، أخبر الرسول ﷺ عن مادة خلقهم فقال: «خُلِقَتْ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ»[1]، هذا فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩﴾ [آل عمران]، وإلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٢٦﴾ [الحجر].

تفاضل الملائكة:

والملائكة يتفاضلون في القرب من اللَّه تعالى، وعلو المنزلة كالبشر أو هم أكبر تفاضلًا فمنهم الملائكة المقربون لقوله تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء:١٧٢] ومنهم من دون ذلك، عليهم السلام أجمعين.

أعمال الملائكة:

من وظائف الملائكة وأعمالهم التي أناطها اللَّه تعالى بهم عبادة له وطاعة:

١- جبريل عليه السلام: ويسمى روح القُدُس أيضًا، وصفه اللَّه عز وجل بالقوة

---

(١) صحيح، رواه مسلم (٢٩٩٦/٦٠).

والأمانة في قوله تعالى في سورة التكوير: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ۝٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ۝٢١﴾ [التكوير]، وخصه بأشرف وظيفة، وهي السفارة بينه تعالى وبين رسله عليهم السلام فكان ينزل بالوحي كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ۝١٩٤﴾ [الشعراء]. وصح عن النبي ﷺ أنه رافقه في أعظم رحلة تمت في الوجود وهي إسراء النبي ﷺ ومعراجه، فرافقه عليه السلام من مكة إلى المسجد الأقصى، ومنه إلى سدرة المنتهى في الملكوت الأعلى، وقصة الإسراء والمعراج ثابتة في القرآن الكريم وفي الصحيحين[1].

٢- **ميكائيل:** وظيفته التي وكل بها المطر والنبات.

٣- **إسرافيل:** ووظيفته التي وكل بها النفخ في الصور يوم القيامة ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ۝٦٨﴾ [الزمر :٦٨].

٤- **ملك الموت:** وهو موكل بقبض الأرواح، وله أعوان من الملائكة لقوله تعالى: ﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ۝١١﴾ [السجدة].

٥- **أعوان ملك الموت وهم صنفان:** ملائكة رحمة، وملائكة عذاب وهم مع ملك الموت المقصودون بقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام :٦١].

٦- **حملة العرش:** عرش الرحمن عز وجل ويكون عددهم ثمانية يوم القيامة لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [غافر :٧]، ولقوله تعالى: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾ [الحاقة :١٧].

---

(١) إشارة إلى حديث الإسراء والمعراج، رواه البخاري (٣٤٩، ٣٣٤٢، ٣٥٧٠)، ومسلم (٢٥٩/١٦٢)، والترمذي (٣٣٤٦)، والنسائي (٤٤٨-٤٥٠).

٧- **رضوان:** وعمله الذي وكل به خزانة الجنان، فهو رئيس خزنة الجنة ورئيس الخدم بها.

٨- **خدم الجنة وخزنتها:** وهم ملائكة لا يحصي عددهم إلا اللَّه تعالى ووظيفتهم خدمة أهل الجنة قال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الرعد].

٩- **الزبانية:** وهم تسعة عشر ملكًا وكَّلهم اللَّه تعالى بالنار، فهم خزانها يعذبون فيها أهلها قال تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَـٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴿٣١﴾﴾ [المدثر]، ورئيس هؤلاء الخزنة يدعى (مالكًا)، قال تعالى في الحديث عن أهل النار: ﴿وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَـٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الزخرف].

١٠- **الكرام الكاتبون:** وعملهم كتابة أعمال البشر، وإحصاؤها عليهم، فعلى يمين كل مكلف ملك يكتب صالح أعماله، وعن يساره ملك يكتب سيئات أعماله، قال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق]، ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار].

وفي الحديث الصحيح: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَلَا يَبْصُقْ أَمَامَهُ فَإِنَّمَا يُنَاجِي اللَّهَ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ وَلَا عَنْ يَمِينِهِ فَإِنَّ عَنْ يَمِينِهِ مَلَكًا وَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ فَيَدْفِنُهَا»[1]، وإن قيل: كيف يبصق عن يساره وكاتب السيئات عن يساره؟ قيل: إن المؤمن في الصلاة لا يفعل سوءًا قط فلذا ينضم كاتب السيئات إلى كاتب الحسنات إذ الصلاة أُمُّ الحسنات ولا سيئة فيها.

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٤١٦) واللفظ له عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، (٤٠٩، ٤١١، ٤١٤)، ومسلم (٥٢/٥٤٨) عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه.

١١- **الحفظة:** وعملهم حفظ الإنسان من الجان، والشيطان، والإنس والهوام والعاهات والآفات قال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ [الرعد:١١]، قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية: (ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه فإذا جاء قدر الله خلّوا عنه). تفسير ابن كثير.

وقال مجاهد: (يحفظونه في نومه ويقظته من الجن والإنس، والهوام)(١).

١٢- **الملك الموكل بالرحم:** لحديث البخاري ومسلم واللفظ له: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ نُطْفَةٌ، أَيْ رَبِّ عَلَقَةٌ، أَيْ رَبِّ مُضْغَةٌ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقًا قَالَ: قَالَ الْمَلَكُ: أَيْ رَبِّ ذَكَرٌ أَوْ أُنْثَى؟ شَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ؟ فَمَا الرِّزْقُ؟ فَمَا الأَجَلُ؟ فَيُكْتَبُ كَذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ»(٢).

١٣- **ملك الجبال:** وهو ملك وكله الله بالجبال لحديث البخاري ومسلم: «فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمْ الأَخْشَبَيْنِ»(٣).

١٤- **الملائكة السيّاحون:** وهم ملائكة سياحون في الأرض يبلغون سلام أمة محمد وصلاتها على نبيها ﷺ لحديث أحمد وهو صحيح الإسناد: «إِنَّ لِلَّهِ فِي الأَرْضِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ»(٤).

١٥- **ملائكة الدعاء:** وعملهم الذي وكلوا به أن العبد إذا دعا بدعاء لأخيه المؤمن وهو غائب قال الملك: «آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ»، لحديث مسلم: «دَعْوَةُ الْمَرْءِ

---

(١) اللؤلؤ والمرجان (٢٠٨/٣).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٣١٨)، مسلم (٥/٢٦٤٦).

(٣) صحيح، رواه البخاري (٣٢٣١) واللفظ له، ومسلم (١١١/١٧٩٥).

(٤) صحيح، رواه النسائي (١٢٨٢)، صححه الألباني في مشكاة المصابيح (٩٢٤)، وأحمد في المسند (٤١٩٨)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبد الله بن السائب وغير زاذان فهما من رجال مسلم.

الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ»[1].

١٦- السجل: قال السدّي في تفسير ابن كثير في قوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء:١٠٤]، والسجل هو ملك موكل بالصحف؛ فإذا مات الإنسان رفع كتابه إلى السجل فطواه ورفعه إلى يوم القيامة، كذلك جاء عن ابن عمر أن السجل اسم ملك.

١٧- منكر ونكير: وعملهما سؤال العباد في قبورهم عن الرب تعالى والدين والنبي ﷺ، أي يقولان له: من ربك؟ ما دينك؟ ومن نبيك؟ لحديث الترمذي وهو حسن الإسناد، وأصله في الصحاح فيه: «إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ -أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ- أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ وَالْآخَرُ النَّكِيرُ فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: مَا كَانَ يَقُولُ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: نَمْ فَيَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ فَقُلْتُ مِثْلَهُ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ فَيُقَالُ لِلْأَرْضِ: الْتَئِمِي عَلَيْهِ فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ»[2].

هذا وإذا تتبعنا الآثار الواردة في أعمال الملائكة ملاحظين الآيات القرآنية الدالة على الملائكة وأعمالهم مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ﴾ [الصافات:١]، ﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ﴾ [الصافات:٢]،

(١) صحيح، رواه مسلم (٨٨/٢٧٣٣).

(٢) حسن، رواه الترمذي (١٠٧١)، حسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٧٢٤).

﴿فَالتَّلِيَٰتِ﴾ [الصافات :٣]، ﴿وَالنَّزِعَٰتِ﴾ [النازعات :١]، ﴿وَالنَّشِطَٰتِ﴾ [النازعات :٢]، ﴿فَالْمُدَبِّرَٰتِ﴾ [النازعات :٥]، ﴿فَالْمُقَسِّمَٰتِ﴾ [الذاريات :٤]... لقلنا بصدق إن الكون كله علويه وسفليه قد أنيط أمر تدبيره بالملائكة، وذلك بإذن ربهم تعالى، ويضاف إلى ذلك أن النبي ﷺ قال: «أَطَّتْ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ»[1].

ملاحظة:

- الصافات: الملائكة تصف أنفسها في الصلاة وأجنحتها في الهواء.
- الزاجرات: الملائكة التي تزجر السحاب أي: تسوقه حيث يأذن اللَّه.
- التاليات: الملائكة التاليات للقرآن ذكرًا.
- النازعات: الملائكة التي تنزع نفوس الكفار والفجار بشدة عند الموت.
- الناشطات: قيل هي الملائكة التي تنشط نفس المؤمن فتقبضها كما ينشط الرجل الدلو من البئر (ويكون هذا النشط برفق ويسر).
- المدبرات: الملائكة التي تدبر أمور الدنيا بإذن من لدن اللَّه الحكيم الخبير.
- السابقات: الملائكة التي تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة.

بعض صفات الملائكة:

١- حياؤهم:

إن الملائكة تستحي استحياءً يليق بحالها، إذ قد صح أن النبي ﷺ قال: «أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ»[2]، يعني بذلك الرجل عثمان بن عفان رضي اللَّه عنه، ففي هذا الخبر الصادق الصحيح دليل على أن صفة الحياء من صفات الملائكة.

---

(١) حسن، رواه الترمذي (٢٣١٢)، وابن ماجه (٤١٩٠) حسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢٤٤٩)، وأحمد في المسند (٢١٠٠٥) وقال الأرناؤوط: حسن لغيره وهذا إسناد منقطع.

(٢) صحيح، رواه مسلم (٢٤٠١/٢٦).

٢- تأذيهم مما يتأذى منه بنو آدم:

إن الملائكة تتأذى من المكروه كما يتأذى منه الإنسان لحديث مسلم: «مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكُرَّاثَ فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَم»[(١)] ... ولحديث الصحيحين أيضًا «لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ»[(٢)]، فعدم دخولهم البيت الذي فيه الكلب أو صورة كراهية منهم لهما دليل على تأذيهم من هذا المكروه.

٣- تنزههم عن الأعراض البشرية:

إن الملائكة منزهون عن الأعراض البشرية كالجوع والمرض والأكل والنوم والتعب وما إلى ذلك، فقد جاء في القرآن ما يدل على ذلك لدلالة الالتزام، إذا أخبر تعالى عنهم: ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۝٢٠﴾ [الأنبياء]، ولازم ذلك أنهم لا ينامون، ولا يأكلون، ولا يشربون، ولا يتعبون.

٤- خوفهم من الرب تبارك وتعالى:

إن الملائكة يخافون من اللَّه تعالى، أثبت ذلك الخبر القرآني في مثل قول اللَّه تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝٤٩ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٥٠﴾ [النحل]

وقوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء:٢٨].

٥- طاعتهم للَّه تعالى:

إن الملائكة مطيعون للَّه تعالى لا يعصونه بحال من الأحوال، وذلك لقوله تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦].

وقوله: ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ۝٢٧﴾ [الأنبياء].

---

(١) صحيح، رواه مسلم (٥٦٤/٧٤)

(٢) صحيح، رواه البخاري (٣٢٢٥، ٣٣٢٢، ٤٠٠٢، ٥٩٤٩)، ومسلم (٢١٠٦/٨٣، ٨٤) واللفظ لهما، وأبو داود (٤١٥٥)، والترمذي (٢٨٠٤)، والنسائي (٤٢٨٢، ٥٣٤٧، ٥٣٤٨، ٥٣٥٠)، وابن ماجه (٣٦٤٩).

٦- حبهم لمن يحب ربهم:

إن الملائكة تحب حبًا يليق بحالهم، وحسب ذواتهم، فقد دل الدليل الشرعي على أنهم يحبون، ففي حديث الصحيحين: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحْبِبْهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الأَرْضِ»(١).

٧- دعاؤهم للمؤمنين واستغفارهم للتائبين:

إن الملائكة ليدعون ربهم ويسألونه كما قال تعالى عنهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غافر].

٨- لعنهم لمن لعنه الله تعالى:

إنهم ليلعنون من لعنه ربهم، سبحانه وتعالى كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾﴾ [البقرة].

٩- عِظم خلقهم وتفاوتهم فيه:

إن خلق الملائكة لعظيم، وهم يتفاوتون فيه تفاوتًا كبيرًا، فقد صح في الصحيحين أنَّ لجبريل عليه السلام ستمائة جناح، فعن ابن مسعود رضي الله عنه «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ»(٢)، في حين أن من الملائكة من له جناحان فقط كما قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [فاطر].

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٣٢٠٩) واللفظ له، ومسلم (١٥٧/٢٦٣٧)، والترمذي (٣١٦١).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٣٢٣٢)، ومسلم (٢٨٠/١٧٤)

روى أبو داود بسند صحيح أن النبي ﷺ قال: «أُذِنَ لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش رجلاه في الأرض السفلى وعلى قرنه العرش وبين شحمة أذنه وعاتقه خفقان الطير سبعمائة عام يقول ذلك الملك: سبحانك حيث كنت»[١].

أثر الإيمان بالملائكة في حياة الإنسان:

تقدم أن اللَّه سبحانه لم يطلعنا على شيء من غيبه إلا وفيه نعمة عظيمة على الخلق، وكان من فضله جل وعلا علينا، أن عرفنا بهذه المخلوقات الكريمة ... والإيمان بالغيب الذي وصف به المتقون، قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [البقرة].

وللإيمان بالملائكة آثار عظيمة في حياة المؤمن[٢]:

منها: أن اللَّه سبحانه جنبنا بما أطلعنا من أمر هذه الأرواح المؤمنة الوقوع في الخرافات والأوهام التي وقع فيها من لا يؤمنون بالغيب، ولا يتلقون معارفهم عن الوحي الإلهي.

ومنها: الاستقامة على أمر اللَّه عز وجل؛ فإن من يستشعر بقلبه وجود الملائكة جنود الرحمن، ويؤمن برقابتهم لأعماله وأقواله، وشهادتهم على كل ما يصدر عنه ليستحي من اللَّه ومن جنوده فلا يخالفه ولا يعصيه، لا في العلانية، ولا في السر، إذ كيف له ذلك وهو يعلم أن كل شيء محسوب ومكتوب ومشهود عليه.

ومنها: الصبر، ومواصلة الجهاد في سبيل اللَّه تعالى، وعدم اليأس والشعور بالأنس والطمأنينة، فهذه المعاني من لوازم الإيمان بالملائكة، وما أخبر اللَّه من أفعالها

---

(١) صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٨٥٣)، وفي الحديث إشارة إلى حديث أبي داود (٤٧٢٧)، صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٨٥٤). ولفظه: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ».

(٢) انظر كتاب الإيمان للدكتور محمد نعيم ياسين صفحة (٤٦-٤٧).

وأحوالها، فعندما يضل الركب عن الطريق، وتسود الجاهلية الجهلاء ويصبح المؤمن غريبًا في وطنه، وبين أهله وقومه، ويجد منهم الصدود والاستهزاء، والتخذيل والتثبيط عن طاعة اللَّه والاستقامة على أمره، في هذه الغربة يجد المؤمن أنيسًا ورفيقًا، يصحبه ويرافقه ويواسيه، ويصبره، ويطمئنه، ويشجعه على مواصلة السير على درب الهدى، فهذه جنود اللَّه معه تعبد اللَّه كما يعبد، وتتجه إلى خالق السماوات والأرض كما يتجه، وتبارك خطواته، وتشد من أزره، وتذكره بالخير عند ربه فهو إذًا ليس وحده في الطريق إلى اللَّه، ولكن يسير مع الركب العظيم، ومع الأكثرية من مخلوقات اللَّه عز وجل مع الملائكة الكرام، ومع الأنبياء عليهم السلام، ومع السماوات والأرض فهو الأكثر رفيقًا وهو الأقوى سندًا، فتجعله هذه المشاعر الصادقة صابرًا مطمئنًا، لا يزيده صدود الناس إلا ثباتًا وجهادًا.

فانظر يا أخي، كم أنعم اللَّه علينا بخلق الملائكة، وكم أنعم علينا بالإيمان مما له أشد الأثر في قلوبنا وأعمالنا واستقامة حياتنا ... والإيمان بهم تصديق لكتاب اللَّه، ولرسوله الصادق الأمين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم. أهـ.



عالم الجن والشياطين

تعريف وبيان

ما هو الجن: الجن عالم آخر غير عالم الإنسان والملائكة، بينهم وبين الإنسان قدر مشترك من حيث الاتصاف بصفة العقل والإدراك ومن حيث التكليف ومن حيث القدرة على اختيار طريق الخير والشر، ويخالفون الإنسان في أمور أهمها أن أصل الجان مخالف لأصل الإنسان، وسُمُّوا جنًا لاجتنانهم أي استتارهم عن العيون ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧].

أصلهم:

أخبرنا اللَّه جل وعلا أنَّ الجن قد خُلقوا من النار في قوله: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الحجر]، وفي سورة الرحمن: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾﴾ [الرحمن]، وقد قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن وغير واحد في قوله: ﴿مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [الرحمن] طرف اللَّهب، وفي رواية خالصهُ وأحسنه[(١)].

وقال النووي في شرحه على مسلم: (المارج اللَّهب المختلط بسواد النار)، وفي الحديث الذي أخرجه مسلم عن عائشة عن النبي ﷺ: «خُلِقَتْ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ»[(٢)].

متى خُلقوا:

لاشك أن خلق الجن متقدم على خلق الإنسان لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الحجر]، فقد نُصَّ في الآية أن الجان مخلوق قبل الإنسان، ويرى بعض السابقين أنهم خلقوا قبل الإنسان بألفي عام وهذا لا دليل عليه من كتاب ولا سنة.

---

(١) البداية والنهاية (١/٥٩).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٢٩٩٦/٦٠).

أسماء الجن في لغة العرب:

قال ابن عبد البر: الجن عند أهل الكلام والعلم باللسان على مراتب:

١- فإذا ذكروا الجن خالصًا قالوا: جني.

٢- فإذا أرادوا أنه مما يسكن مع الناس، قالوا: عامر والجمع عمّار.

٣- فإذا كان مما يعرض للصبيان قالوا: أرواح.

٤- فإذا خبث وتمرد قالوا: شيطان.

٥- فإن زاد خطره على ذلك وقوي أمره قالوا: مارد وعفريت. والعفريت أشد عتوًا من المارد.

أصناف الجن:

يقول الرسول ﷺ في هذا: «الجن ثلاثة أصناف فصنف لهم أجنحة يطيرون بها في الهواء وصنف حيات وكلاب وصنف يحلون ويظعنون»(١).

أدلة وجود الجان والشيطان:

والآن نورد الأدلة والبراهين المثبتة لوجود الجن والشياطين بالآثار والأخبار:

أولًا: الآثار المرئية:

إن الآثار الدالة على وجود الجن والشياطين كثيرة جدًا وحسبنا منها ما يلي:

١- الصرع بالأرواح الخبيثة الذي لا يكاد يخلو منه زمان ولا مكان والذي ينكره قليلو الحظ من العلم ومن اتخذ الزندقة فضيلة.

٢- تكلم الجان على لسان الشخص الذي يحل فيه، وإخباره بأمور لم يكن الإنسان المصاب به يعرفها، حتى إن بعضهم ليتكلم بلغات لم يكن المصاب يعرف منها حرفًا واحدًا.

---

(١) صحيح، رواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٢/٢١٥)، والحاكم في المستدرك (٢/٤٩٦) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والبيهقي في الأسماء والصفات بإسناد صحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٣١١٤).

٣- خروج الجن من الإنسان الذي حل فيه، بعد رَقْيه بالرقى المشروعة من ذوي الأرواح الطيبة، والنفوس الزكية، أو بالرقى المحرمة من ذوي الأرواح الخبيثة من البشر ممن يوالون الشياطين، ويتعاونون معهم، وتصريح الجن بالخروج وعدم العودة.

٤- ظهور بعض الجان لبعض الناس، ومخاطبتهم إياهم وهذا أيضًا متواتر الأخبار بحيث يعد إنكاره غباء وجهالة، أو مكابرة وجحودًا.

٥- الجرائم التي يرتكبها الإنسان بين الناس من فعل قوم لوط، وزنا، وقتل نفس، وسرقة، وشرب خمر، وعقوق، وكذب، وخلف للوعد، ونكث بالعهد، كل هذه الجرائم التي تتنافي مع الفطر البشرية، والشرائع الإلهية هي بدون شك آثار للشياطين، إذ هي التي تحسنها للإنسان وتزينها له وتغريه بارتكابها.

ثانيًا: الأخبار:

إنَّ الأخبار الإلهية والنبوية الصادقة والناطقة بوجود الجن والشياطين لكثيرة جدًا، فلنكتف بذكر طائفة منها، ولنبدأ بأخبار اللَّه تعالى:

١- أخبار اللَّه تعالى: أخباره تعالى المصرحة بوجود الجن والشياطين كثيرة منها:

❁ قوله تعالى في خلق الإنسان والجان: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾﴾ [الرحمن].

❁ وقوله في بيان العلة في خلقه للإنس والجن: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات].

❁ وقوله في الإخبار عن شياطين الجن وشياطين الإنس يوحي بعضهم إلى بعض الباطل والكذب، لتضليل الناس، وإغوائهم بالفتن والشرور ﴿شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

❁ وقوله تعالى في الإخبار بما امتنّ به على عبده ورسوله سليمان عليه السلام،

وتسخير الجن والشياطين له، حيث كان يستخدمهم عليه السلام في شتى الأعمال والأغراض ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ﴾ [سبأ: ١٢-١٣].

- وقوله تعالى في الإخبار عن جن نصيبين الذين حضروا صلاة الصبح مع الرسول عليه الصلاة والسلام في بطن نخلة (مكان بين مكة والطائف) وكيف رجعوا إلى قومهم يدعونهم إلى الإيمان بالرسول ﷺ وينذرونهم مما يترتب على عدم إيمانهم من العذاب الأليم ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الأحقاف].

- وقوله تعالى في أمر رسول الله ﷺ بأن يخبر بما أوحي إليه من استماع الجن لقراءته، والذي دار بين الجن من أحاديث عجيبة، تحوي حقائق مدهشة عظيمة من الجن، وعقائدهم، وأعمالهم وأحوالهم في كذا آية من سورة الجن ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ [الجن].

وقوله تعالى في الأمر بالاستعاذة من الشيطان في عدة آيات:

- منها ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ [الأعراف].
- ومنها ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النحل].
- ومنها ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾

مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝﴾ [الناس].

٢- أخبار الرسول ﷺ: وهي كثيرة منها:

❁ قوله ﷺ في الإخبار عن القرين من الجن والذي وكل بكل إنسان: «ما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَإِيَّايَ، إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، فَلا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ»(١).

❁ وقوله في الإخبار عن دخول الشيطان مع الإنسان بيته، وتناوله من طعامه وشرابه وذلك من رواية مسلم: «إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ طعامه قَالَ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ»(٢).

❁ وقوله في النهي عن الأكل والشرب بالشمال والتعليل بأكل الشيطان وشربه بشماله: «لَا يَأْكُلَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِشِمَالِهِ وَلَا يَشْرَبَنَّ بِهَا فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ وَيَشْرَبُ بِهَا»(٣).

❁ وقوله ﷺ لما سأله الجن الزاد في الحديث الصحيح: «لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْفَرَ مَا يَكُونُ لَحْمًا وَكُلُّ بَعْرَةٍ عَلَفٌ لِدَوَابِّكُمْ»(٤).

❁ ومن هنا نهى رسول اللَّه ﷺ عن الاستجمار بالعظم والروث وقال معللاً النهي: «فَلَا تَسْتَنْجُوا بِهِمَا فَإِنَّهُمَا طَعَامُ إِخْوَانِكُمْ»(٥).

---

(١) صحيح، رواه مسلم (٦٩/٢٨١٤).

(٢) صحيح، رواه مسلم (١٠٣/٢٠١٨)، وأبو داود (٣٧٦٥)، وابن ماجه (٣٨٨٧).

(٣) صحيح، رواه مسلم (١٠٦/٢٠٢٠)، وأبو داود (٣٧٧٦)، والترمذي (١٧٩٩، ١٨٠٠).

(٤) صحيح، جزء من حديث رواه مسلم (١٥٠/٤٥٠)، والترمذي (٣٢٥٨).

(٥) صحيح، جزء من حديث رواه مسلم (١٥٠/٤٥٠)، والترمذي (٣٢٥٨).

❁ وقوله ﷺ في إرشاده لأمته أن تسأل اللَّه تعالى عند سماع صياح الديك وتستعيذ من الشيطان عند سماع نهيق الحمار: «إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ فَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيقَ الْحِمَارِ فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ رَأَى شَيْطَانًا»(١).

❁ وقوله في الصحيح كذلك: «إِذَا كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ أَوْ أَمْسَيْتُمْ فَكُفُّوا صِبْيَانَكُمْ فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ»(٢).

وجوب الإيمان بوجود الجن والشياطين:

لتلك الأدلة العقلية والفعلية، التي سقناها كان الإيمان بوجود الجن والشياطين واجبًا حتمًا، بل كان جزءًا من عقيدة المؤمن لا يتجزأ وكل محاولة لإخلاء العقيدة الإسلامية من التصديق بوجود عالمي الجن والشياطين تعد كفرًا صُراحًا، مُخرجًا من الملة المحمدية لأجل تكذيب اللَّه تعالى في أخباره، وتكذيب الرسول ﷺ وكفى بتكذيب اللَّه تعالى، وتكذيب الرسول ﷺ كفرًا وباطلًا.

مادة خلق الجن:

الجان هو أبو سائر الجن، وهو مخلوق من مادة النار المعروفة، وكان خلقه قبل الإنسان، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الحجر].

وهل السنة في خلق الجان وذريته كالسنة في خلق آدم وذريته؟ بمعنى أن الجان الأول خلق من نار وأولاده خلقوا بطريقة أخرى كالتناسل محتمل واللَّه أعلم.

لِمَ سمي الجن جنًا؟

سمي الجن جنًا لاجتنانهم وهو استتارهم، وعدم ظهورهم للناس؛ لأن الاجتنان

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٣٣٠٣) واللفظ له، ومسلم (٨٢/٢٧٢٩)، وأبو داود (٥١٠٢)، والترمذي (٣٤٥٩).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٣٢٨٠) واللفظ له، ومسلم (٩٧/٢٠١٢).

هو الاستتار، وهو مأخوذ من جنَّ الليل إذا أظلم، فستر الأشياء بظلامه، ومنه سميت جُنَّةُ المقاتل وهي الخوذة التي يجعلها على رأسه في الحرب وسميت الجنة دار النعيم جنة؛ لأنها تستر بأشجارها الكثيرة الملتفة من يدخلها كما سمي الجنين في بطن أمه جنينًا لاستتاره ببطن أمه وعدم ظهوره، قال تعالى في الشيطان في سورة الأعراف: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف :٢٧].

افتقار الجن إلى الغذاء:

إن الجن مفتقر إلى الغذاء المناسب لذواتهم كافتقار سائر الحيوانات والنباتات لأغذيتها المناسبة لها، الدليل على هذه الحقيقة: ما صح من أن الجن سألوا رسول اللَّه ﷺ الزاد فقال لهم: «لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْفَرَ مَا يَكُونُ لَحْمًا»(١)، ونهى عن الاستجمار بالعظم، وقال: «فَإِنَّهُمَا طَعَامُ إِخْوَانِكُمْ»(٢).

كما نهى عن الأكل بالشمال والشرب بها وعلل ذلك بأن الشيطان يأكل ويشرب بشماله، فثبت بهذه الأحاديث الصحيحة المخرجة في البخاري ومسلم أنَّ الجن والشياطين يأكلون ويشربون، وذلك لأجل التغذية اللازمة لهم حسب ذواتهم والطبيعة التي خلقهم اللَّه تعالى عليها.

الجن يتوالدون:

لا شك أن الجن والشياطين تتم بينهم عملية التوالد بحسب طبيعة خلقهم وتكوينهم، وأن لهم سنة في ذلك يتم بحسبها وجود ذرية لهم، كما تتوالد سائر الأحياء، كلٌّ على نظام السنة التي جعلها اللَّه تعالى له، ويشهد لهذه الحقيقة القرآن الكريم حيث قال اللَّه تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [الكهف].

---

(١) صحيح، جزء من حديث رواه مسلم (٤٥٠/١٥٠)، والترمذي (٣٢٥٨).

(٢) صحيح، جزء من حديث رواه مسلم (٤٥٠/١٥٠)، والترمذي (٣٢٥٨).

هل بين الجن والشيطان فرق؟

نعم إن بين الجن والشيطان فرقًا كبيرًا ... فالجن: نوعان، شياطين لا خير فيهم البتة وهؤلاء لا يعرفون إلا الشر ولا يأمرون إلا به ولا يدعون إلا إليه.

وجن منهم الصالح، ومنهم الفاسد، فحالهم كحال الناس منهم البار ومنهم الفاجر، ومنهم المؤمن ومنهم الكافر، وبيد أن الشياطين أصلهم من الجن، وذلك لأن إبليس كان من الجن لإخبار القرآن الكريم بذلك في قوله تعالى: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: ٥٠].

ولما أُبلس الشيطان وطُرد من الرحمة الإلهية، وانقطع من الخير كلية، كانت ذريته مثله بحكم الوراثة، لا خير فيهم أصلًا، فلا يعرفون إلا الشر، ولا يدعون إلا إليه. والمثال القريب لذلك أن الحية لا تلد إلا حية، فلم يطرأ على نسلها منذ أن كانت تغيير بحيث تلد أولادًا، لا سُم فيهم ولا خبث معهم، ثم إن كل من يخبث ويتمرد وينقطع عن الخير من أفراد الجان والإنسان يصبح شيطانًا، فإن عتا قيل فيه مارد، وإن زاد عتوه وطغيانه قيل فيه عفريت.

وقد أثبت القرآن العظيم هذه الحقائق كلها، إذ جاء فيه أن من الجن شياطين، ومن الإنس شياطين، قال تعالى: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ﴾ [الأنعام: ١١٢]، كما جاء فيه أن من الجن صالحين وذلك في قوله تعالى فيما حكاه عن الجن من سورة الجن: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدٗا ﴿١١﴾﴾ [الجن].

ولذلك فمنهم المسلم، ومنهم المشرك، ومنهم السني، ومنهم البدعي، ومنهم اليهودي والنصراني، ومنهم الرافضة والمرجئة والمعتزلة وغيرهم.

هل الجن والشياطين يتشكلون؟

لا شك أن الجن كالشياطين يتشكلون بأشكال مختلفة، ويتلونون تلونًا كبيرًا. وهذا دل عليه السمع والمشاهدة، وهو من الممكنات الجائزة عقلًا، إذ تصور

وجودها لا يوجب تناقضًا عقليًا أبدًا.

فقد يتشكل في صورة إنسان أو في صورة حية أو صورة حيوان: جمل أو حمار أو بقرة أو كلب أو قط، خاصة الكلاب السود ولذا أخبر الرسول ﷺ: أن مرور الكلب الأسود يقطع الصلاة، وعلل ذلك بأن الكلب الأسود شيطان(١).

يقول ابن تيمية: (الكلب الأسود شيطان الكلاب والجن تتصور بصورته كثيرًا، وكذلك بصورة القط الأسود؛ لأن السواد أجمع للقوى الشيطانية من غيره وفيه قوة الحرارة).

ومن الأخبار الدالة على تشكل الجان بأشكال متعددة ما يلي:

١- مجيء الشيطان إبليس إلى دار الندوة في مكة ورجال قريش مجتمعون فيها للتشاور في أمر النبي محمد ﷺ ودعوته الإسلامية التي أظهرها فيهم، فتحيروا فيها وعظم عليهم أمرها، فاجتمعوا يبحثون عن مخرج لهم سب، ولو كان قتل النبي ﷺ أو حبسه، أو نفيه، فبينما هم كذلك دخل عليهم الشيطان في صورة رجل كبير محترم من رجالات نجد ومشايخها الموقرين، وشارك في اجتماعهم ومداولاتهم، ورجح لهم اقتراحًا حاز أغلبية الأصوات وهو أسوأ اقتراح تقدم به إنسان وأقبحه، وأكثره شرًا وفسادًا، ألا وهو الحكم بقتل الرسول ﷺ، فهذه الحادثة متواترة لا مجال للشك فيها فضلاً عن إنكارها وجحودها(٢).

---

(١) إشارة إلى حديث رواه مسلم (١٠/٥ ٢٦٥) عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي فَإِنَّهُ يَسْتُرُهُ إِذَا كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ مِثْلُ آخِرَةِ الرَّحْلِ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ يَدَيْهِ مِثْلُ آخِرَةِ الرَّحْلِ فَإِنَّهُ يَقْطَعُ صَلَاتَهُ الْحِمَارُ وَالْمَرْأَةُ وَالْكَلْبُ الْأَسْوَدُ، قُلْتُ: يَا أَبَا ذَرٍّ مَا بَالُ الْكَلْبِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْكَلْبِ الْأَحْمَرِ مِنَ الْكَلْبِ الْأَصْفَرِ؟ قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَمَا سَأَلْتَنِي، فَقَالَ: «الْكَلْبُ الْأَسْوَدُ شَيْطَانٌ».

(٢) ذكرها ابن كثير في البداية والنهاية (٣/١٧٥-١٧٦)، وابن هشام في السيرة (٢/١٠٢-١٠٥).

٢- وقد جاء الشيطان المشركين يوم بدرٍ في صورة سراقة بن مالك، ووعد المشركين بالنصر، وفيه أُنزل: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ [الأنفال :٤٨]، ولكن عندما التقى الجيشان وعاين الملائكة تتنزل من السماء ولى هاربًا .. ﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾ [الأنفال :٤٨].

٣- تشكل جان من جنان المدينة النبوية في صورة حية، فعن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال: «كَانَ فِيهِ فَتًى مِنَّا حَدِيثُ عَهْدٍ بِعُرْسٍ قَالَ: فَخَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْخَنْدَقِ فَكَانَ ذَلِكَ الْفَتَى يَسْتَأْذِنُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِأَنْصَافِ النَّهَارِ فَيَرْجِعُ إِلَى أَهْلِهِ فَاسْتَأْذَنَهُ يَوْمًا فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: خُذْ عَلَيْكَ سِلَاحَكَ فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ قُرَيْظَةَ، فَأَخَذَ الرَّجُلُ سِلَاحَهُ ثُمَّ رَجَعَ فَإِذَا امْرَأَتُهُ بَيْنَ الْبَابَيْنِ قَائِمَةً فَأَهْوَى إِلَيْهَا الرُّمْحَ لِيَطْعُنَهَا بِهِ وَأَصَابَتْهُ غَيْرَةٌ فَقَالَتْ لَهُ: اكْفُفْ عَلَيْكَ رُمْحَكَ وَادْخُلْ الْبَيْتَ حَتَّى تَنْظُرَ مَا الَّذِي أَخْرَجَنِي، فَدَخَلَ فَإِذَا بِحَيَّةٍ عَظِيمَةٍ مُنْطَوِيَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ فَأَهْوَى إِلَيْهَا بِالرُّمْحِ فَانْتَظَمَهَا بِهِ ثُمَّ خَرَجَ فَرَكَزَهُ فِي الدَّارِ فَاضْطَرَبَتْ عَلَيْهِ فَمَا يُدْرَى أَيُّهُمَا كَانَ أَسْرَعَ مَوْتًا الْحَيَّةُ أَمْ الْفَتَى؟ قَالَ: فَجِئْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ وَقُلْنَا: ادْعُ اللَّهَ يُحْيِيهِ لَنَا فَقَالَ: اسْتَغْفِرُوا لِصَاحِبِكُمْ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ بِالْمَدِينَةِ جِنًّا قَدْ أَسْلَمُوا فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهُمْ شَيْئًا فَآذِنُوهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنْ بَدَا لَكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فَاقْتُلُوهُ فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ»[١].

٤- تشكل شيطان في صورة إنسان، وسرقته من تمر الصدقة كما جاء في حديث أبي هريرة عند البخاري، إذ فيه ما معناه أن أبا هريرة جعله رسول اللَّه ﷺ على حراسة تمر الصدقة فكان الجان يأتيه في صورة إنسان ويأخذ

(١) صحيح، رواه مسلم (١٣٩/٢٢٣٦) واللفظ له، وأبو داود (٥٢٥٦، ٥٢٥٧).

من تمر الصدقة، فقبضه، وأراد أن يوقع به فاعتذر اللعين فتركه، ثم أتى للمرة الثانية والثالثة، وعندما عزم أبو هريرة على أن يذهب به إلى رسول اللَّه ﷺ غير أن الشيطان اعتذر كذلك بأن له عيالًا، وأنه مضطر، وطلب من أبي هريرة أن يعفو عنه، على أن يعلمه آية من كتاب اللَّه من قرأها فإن الشيطان لا يقربه، وهذه آية الكرسي، فعفا عنه وتركه، ولما قابل أبو هريرة رسول اللَّه ﷺ بادره النبي ﷺ قائلًا: ما فعل أسيرك البارحة؟ فقال له أبو هريرة: كان من أمره كذا وكذا ... فقال له النبي ﷺ: صدقك وهو كذوب!!![1].

أين يسكن الجان؟

الغالب في الجن والشياطين أنهم يسكنون الخرائب، والحشوش، والمزابل، والقمائم لحديث أبي داود: «إِنَّ هَذِهِ الْحُشُوشَ مُحْتَضَرَةٌ فَإِذَا أَتَى أَحَدُكُمْ الْخَلَاءَ فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ الْخُبُثِ وَالْخَبَائِثِ»[2].

ومن هنا كانت الشياطين تنزل على أخباث الرجال والنساء من أهل الآثام والأفاكين، الملوثين بالذنوب والجرائم العظام، قال تعالى من سورة الشعراء: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾ [الشعراء].

هل الجن تسترق السمع من الملأ الأعلى؟

نعم إنَّ اللَّه تعالى أعطى الجن والشياطين قدرة على العروج إلى الملكوت الأعلى فلذا هم يعرجون كما تعرج الملائكة من الأرض إلى السماء، ويسترقون السمع من الملائكة، ويهبطون به إلى الأرض، ومن كان له ولي من الإنس يقضي به إليه،

---

(١) رواه البخاري تعليقًا في كتاب الوكالة مجزومًا به.

(٢) صحيح، رواه أبو داود (٦)، وابن ماجه (٢٩٦)، صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢٢٦٣) ، وأحمد في المسند (١٨٨٠٠، ١٨٨٤٤، ١٨٨٤٥) وقال الأرناؤوط: رجاله ثقات رجال الشيخين وهذا حديث تفرد به قتادة واختلفوا عليه فيه.

ليحدث به الناس، فيفتنهم، ويغويهم، ويشهد لهذه الحقيقة ويثبتها ما قصه الله تعالى في كتابه وحكاه عن الجن أنفسهم في قوله من سورة الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠﴾ [الجن].

كما يؤكد هذه الحقيقة حديث البخاري، الذي فيه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِلُ فِي الْعَنَانِ وَهُوَ السَّحَابُ فَتَذْكُرُ الْأَمْرَ قُضِيَ فِي السَّمَاءِ فَتَسْتَرِقُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ فَتَسْمَعُهُ فَتُوحِيهِ إِلَى الْكُهَّانِ فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ»(١).

الجن أقل قدرًا وأدنى كرامة من الإنسان:

إن الجن حتى الصالحون منهم لأقل قدرًا وأدنى كرامة، وأنقص شرفًا من الإنسان، إذ قرر الخالق عز وجل كرامة الإنسان، وأثبتها في قوله من سورة الإسراء: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠﴾ [الإسراء].

ولم يثبت مثل هذا التكريم للجان لا في كتاب من كتب الله، ولا على لسان رسول من رسله عليهم السلام، فتبين بذلك أن الإنسان أشرف من الجان، ويدل على ذلك أيضًا شعور الجن أنفسهم بنقصهم، وضعفهم أمام الإنس، يدل على ذلك أنهم كانوا إذا استعاذ الإنس بهم تعاظموا وترفعوا لما في استعاذة الإنس بهم من تعظيمهم، وإكبارهم وهم ليسوا كذلك فيزدادون رهقًا أي: طغيانًا وكفرًا. قال تعالى في الحديث عنهم من سورة الجن: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ [الجن].

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٣٢١٠).

هل صالحو الجن يدخلون الجنة؟

قد سبق أن قررنا فيما تقدم، وبيّنا بوضوح أنَّ الجن غير أولاد إبليس خُلقوا لعبادة اللَّه تعالى وطاعته، وشأنهم في ذلك شأن بني الإنسان، وأن منهم الصالحين ومنهم دون ذلك، وعليه فالصالحون منهم، وهم أهل الإيمان والتقوى يدخلون الجنة، ويتنعمون فيها إن هم ماتوا على الإيمان والتوحيد والتقوى والعمل الصالح.

والدليل على هذه الحقيقة عمومات قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾ [النساء].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾﴾ [البروج].

وقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنبياء]. وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح].

فكلمة (مَن) من ألفاظ العموم فيدخل فيها كل من حقق الشرط الذي قُرن بها من إنس وجن. ويتلقى الجزاء وهو المغفرة والجنة كل من حقق الشرط من إنسي وجني. وأصرح في الدلالة من هذا قوله تعالى من سورة الرحمن: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن] في سياق ذكر الإنس والجن معًا.

هل الجن يؤذون الناس؟

مما لا شك فيه أن بعض الجن يؤذون بعض الناس، إما لكون الإنسان قد تعرض لهم بالأذى فأذاهم بصب ماء حار عليهم، أو ببوله عليهم أو بنزوله في بعض منازلهم وهو لا يشعر، فينتقمون منه ويؤذونه، وإما لمجرد الظلم من بعضهم، فيؤذون الإنسان بدون سبب كما يحدث ذلك بين الإنسان وأخيه الإنسان، إذ أحيانًا يؤذي الإنسان أخاه لسبب خاص، وأحيانًا لمجرد الظلم، كما هو مشاهد في الناس عند

فساد فطرهم، وضعف إرادتهم وعقولهم، وقد تقدم حديث الصحيح وجاء فيه أن الشاب الأنصاري لما طعن الجني المتمثل في صورة حية، ما ماتت الحية حتى انتقم منه الجن وقتلوه فمات لفوره حتى قال أبو سعيد: (لم يدر أيهما كان أسرع موتًا من صاحبه الحية أم الفتى)[١].

ولشهرة هذه الحقيقة وتسليم الناس بها لا نطلب لها إبراز شواهد أخرى ونكتفي بحادثة الأنصاري الثابتة في صحيح مسلم.

جنان البيوت:

تتشكل الجان بشكل الحيات وتظهر للناس، ولذا نهى رسول اللَّه ﷺ عن قتل جنان البيوت، خشية أن يكون هذا المقتول جنيًا قد أسلم، ففي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ جِنًّا قَدْ أَسْلَمُوا فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهُمْ شَيْئًا فَآذِنُوهُ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنْ بَدَا لَكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فَاقْتُلُوهُ فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ»[٢].

وقد قتل أحد الصحابة حية من حيات البيوت، فكان في ذلك هلاكه، روى مسلم في صحيحه: «أن أَبَا السَّائِبِ مَوْلَى هِشَامِ بْنِ زُهْرَةَ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ فِي بَيْتِهِ قَالَ: فَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي فَجَلَسْتُ أَنْتَظِرُهُ حَتَّى يَقْضِيَ صَلَاتَهُ فَسَمِعْتُ تَحْرِيكًا فِي عَرَاجِينَ فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ فَالْتَفَتُّ فَإِذَا حَيَّةٌ فَوَثَبْتُ لِأَقْتُلَهَا فَأَشَارَ إِلَيَّ أَنْ اجْلِسْ فَجَلَسْتُ فَلَمَّا انْصَرَفَ أَشَارَ إِلَى بَيْتٍ فِي الدَّارِ فَقَالَ: أَتَرَى هَذَا الْبَيْتَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ قَالَ: كَانَ فِيهِ فَتًى مِنَّا حَدِيثُ عَهْدٍ بِعُرْسٍ قَالَ: فَخَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْخَنْدَقِ فَكَانَ ذَلِكَ الْفَتَى يَسْتَأْذِنُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِأَنْصَافِ النَّهَارِ فَيَرْجِعُ إِلَى أَهْلِهِ فَاسْتَأْذَنَهُ يَوْمًا فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: خُذْ عَلَيْكَ سِلَاحَكَ فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ قُرَيْظَةَ، فَأَخَذَ الرَّجُلُ سِلَاحَهُ ثُمَّ رَجَعَ فَإِذَا امْرَأَتُهُ بَيْنَ الْبَابَيْنِ قَائِمَةً فَأَهْوَى إِلَيْهَا الرُّمْحَ

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح، جزء من حديث رواه مسلم (١٣٩/٢٢٣٦) واللفظ له، وأبو داود (٥٢٥٦، ٥٢٥٧) وقد سبق ذكر الحديث بطوله.

لِيَطْعُنَهَا بِهِ وَأَصَابَتْهُ غَيْرَةٌ، فَقَالَتْ لَهُ: اكْفُفْ عَلَيْكَ رُمْحَكَ وَادْخُلْ الْبَيْتَ حَتَّى تَنْظُرَ مَا الَّذِي أَخْرَجَنِي، فَدَخَلَ فَإِذَا بِحَيَّةٍ عَظِيمَةٍ مُنْطَوِيَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ، فَأَهْوَى إِلَيْهَا بِالرُّمْحِ فَانْتَظَمَهَا بِهِ ثُمَّ خَرَجَ، فَرَكَزَهُ فِي الدَّارِ فَاضْطَرَبَتْ عَلَيْهِ فَمَا يُدْرَى أَيُّهُمَا كَانَ أَسْرَعَ مَوْتًا الْحَيَّةُ أَمْ الْفَتَى؟ قَالَ: فَجِئْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ وَقُلْنَا: ادْعُ اللَّهَ يُحْيِيهِ لَنَا فَقَالَ: اسْتَغْفِرُوا لِصَاحِبِكُمْ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ بِالْمَدِينَةِ جِنًّا قَدْ أَسْلَمُوا فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهُمْ شَيْئًا فَآذِنُوهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنْ بَدَا لَكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فَاقْتُلُوهُ فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ»[١].

تنبيهات ...

١- هذا الحكم، وهو النهي عن قتل هذه الحيوانات خاص بالحيات دون غيرها.

٢- وليس كل الحيات، بل الحيات التي نراها في البيوت دون غيرها، أما التي تُشاهد في خارج البيوت فنحن مأمورون بقتلها.

٣- إذا رأيت حيات البيوت فنؤذنها أي نأمرها بالخروج، كأن نقول: أقسمت عليك باللَّه أن تخرجي من هذا المنزل، وأن تبعدي عنا شرك وإلا قتلناك .. فإن رؤيت بعد ثلاثة أيام قتلت.

٤- والسبب في قتلها بعد ثلاثة أيام أننا نكون قد تأكدنا أنها ليست جنًا مسلمًا؛ لأنها لو كانت كذلك لغادرت المنزل؛ فإن كانت أفعى حقيقة فهي تستحق القتل، وإن كانت جنًا كافرًا متمردًا فهو يستحق القتل، لأذاه وإخافته أهل البيت.

٥- يستثنى من جنان البيوت نوع يقتل بدون استئذان، ففي صحيح البخاري عن أبي لبابة أن الرسول ﷺ قال: «لَا تَقْتُلُوا الْجِنَّانَ إِلَّا كُلَّ أَبْتَرَ ذِي طُفْيَتَيْنِ فَإِنَّهُ يُسْقِطُ الْوَلَدَ وَيُذْهِبُ الْبَصَرَ فَاقْتُلُوهُ»[٢]، والأبتر: قصير الذنب ... والطفيتان: خطان أبيضان على ظهر الحية.

---

(١) صحيح، رواه مسلم (١٣٩/٢٢٣٦) واللفظ له، وأبو داود (٥٢٥٦، ٥٢٥٧).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٣٣١١) واللفظ له، ومسلم (١٢٨/٢٢٣٣)، وأبو داود (٥٢٥٢، ٥٢٥٣)، وابن ماجه (٣٥٣٥).

ضعفهم وعجزهم:

الجن والشياطين فيهم جوانب قوة، وجوانب ضعف، قال تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦]، وسنعرض لبعض هذه الجوانب التي عرّفنا اللَّه ورسوله بها.

الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم في العروق:

في صحيح مسلم عن أنس رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ»(١).

وفي الصحيحين عن صفية بنت حيي زوج النبي ﷺ قالت: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُعْتَكِفًا فَأَتَيْتُهُ أَزُورُهُ لَيْلًا فَحَدَّثْتُهُ ثُمَّ قُمْتُ فَانْقَلَبْتُ فَقَامَ مَعِي لِيَقْلِبَنِي وَكَانَ مَسْكَنُهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ فَمَرَّ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَلَمَّا رَأَيَا النَّبِيَّ ﷺ أَسْرَعَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ، فَقَالَا: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا سُوءًا، أَوْ قَالَ: شَيْئًا»(٢).

لا سلطان لهم على عباد اللَّه الصالحين:

لم يعط الرب سبحانه -الشيطان- القدرة على إجبار الناس، وإكراههم على الضلال، ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ [الإسراء]، ﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ﴾ [سبأ: ٢١]، ويعني ذلك أن الشيطان ليس له طريق يتسلط به عليهم لا من جهة الحجة، ولا من جهة القدرة، والشيطان يدرك هذه الحقيقة، قال: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحجر].

---

(١) صحيح، رواه مسلم (٢٣/٢١٧٤) واللفظ له، وأبو داود (٤٧٩١).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٢٠٣٥، ٢٠٣٨، ٢٠٣٩، ٣١٠١، ٣٢٨١، ٦٢١٩، ٧١٧١)، ومسلم (٢٤/٢١٧٥)، وأبو داود (٢٤٧٠، ٤٩٩٤)، وابن ماجه (١٧٧٩).

إنما يتسلط على العباد الذين يرضون بكفره، ويتابعوه عن رضا وطواعية ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ۝٤٢﴾ [الحجر]. وفي يوم القيامة يقول الشيطان لأتباعه الذين أضلهم وأهلكهم ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ [إبراهيم: ٢٢]. وفي الآية الأخرى: ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ ۝١٠٠﴾ [النحل].

والسلطان: هو تسلطه عليهم بالإغواء والإضلال .. وتمكنه منهم، بحيث يؤزهم على الكفر والشرك ويزعجهم إليه، ولا يدعهم يتركونه كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ۝٨٣﴾ [مريم].. ومعنى تؤزهم: تحركهم وتهيجهم.

وسلطان الشيطان على أوليائه ليس له فيه حجة وبرهان وإنما استجابوا له بمجرد دعوته إياهم، لما وافقت أهواءهم وأغراضهم، فهم الذين أعانوا على أنفسهم، ومكنوا عدوهم من سلطانه عليهم بموافقته ومتابعته، فلما أعطوا بأيديهم، واستأسروا له سُلط عليهم عقوبة لهم، فإنه لا يجعل للشيطان على العبد سلطانًا، حتى جعل له العبد سبيلًا إليه بطاعته والشرك به، فجعل الله حينئذ له عليه تسلطًا وقهرًا.

وقد يسلط على المؤمنين بسبب ذنوبهم:

ففي الحديث: «إِنَّ اللَّهَ مَعَ الْقَاضِي مَا لَمْ يَجُرْ فَإِذَا جَارَ تَخَلَّى عَنْهُ وَلَزِمَهُ الشَّيْطَانُ»(١).

وقد حدثنا الله في كتابه عن شخص آتاه الله آياته، فعلمها، وعرفها ثم ترك ذلك كله، فسلط عليه الشيطان فأغواه وأضله، وأصبح عبرة تروى، وقصة تتناقل ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ۝١٧٥ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ

---

(١) حسن، رواه الترمذي (١٣٣٠)، وابن ماجه (٢٣١٢)، حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢١٦٩).

﴿كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف]، واضحٌ أن هذا مثل لمن عرف الحق وكفر به كاليهود الذين يعلمون أن محمدًا مرسل من ربه، ثم هم يكفرون به، أما هذا الذي عناه اللَّه هنا، فقال بعضهم: هو بلعام بن باعورا، كان صالحًا ثم كفر، وقيل: هو أمية بن أبي الصلت من المتألهين في الجاهلية أدرك الرسول ﷺ ولم يؤمن به حسدًا، وكان يرجو أن يكون هو النبي المبعوث، وليس عندنا نص صحيح يعرفنا بالمراد من الآية على وجه التحديد.

وهذا الصنف (الذي يؤتى الآيات ثم يكفر) صنف خطير به شبه من الشيطان؛ لأن الشيطان كفر بعد معرفته الحق ولقد تخوف الرسول ﷺ من هذا النوع على أمته، روى الحافظ بن أبو يعلى عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إن مما أتخوف عليكم رجُل قرأ القرآن، حتى إذا رؤيت بهجته عليه وكان رِدْاؤه الإسلام اعتراه إلى ما شاء اللَّه، ثم انسلخ منه، ونبذه وراء ظهره، وسعى على جاره بالسيف، ورماه بالشرك» قال: قلت: يا نبي اللَّه، أيهما أولى بالسيف: المرمي أو الرامي؟ قال: «بل الرامي»[1]. وقال ابن كثير: وهذا إسناد جيد.

خوف الشيطان وهربه من بعض عباد اللَّه:

إذا تمكن العبد في الإسلام، ورسخ الإيمان في قلبه، ووقف عند حدود اللَّه فإن الشيطان يفرَق منه ويفرّ منه، كما قال الرسول ﷺ لعمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه: «إِنَّ الشَّيْطَانَ لَيَفْرَقُ مِنْكَ يَا عُمَرُ»[2].

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (٢٥٢/٣)، ورواه البزار في مسنده (١٧٥) من طريق: حدثنا محمد ابن مرزوق والحسن بن أبي كبشة، حدثنا محمد بن بكر البرساني به، قال الهيثمي في المجمع (١٨٨/١): إسناده حسن.

(٢) صحيح، رواه أحمد في المسند (٢٢٤٨٠) وقال الأرناؤوط: إسناده قوي، وانظر صحيح الجامع الصغير للشيخ الألباني (١٦٥٤).

وقال أيضًا: «إِنِّي لأَنْظُرُ إِلَى شَيَاطِينِ الإِنْسِ وَالْجِنِّ قَدْ فَرُّوا مِنْ عُمَرَ»(١).

وليس ذلك خاصًا بعمر؛ فإن من قوي إيمانه يقهر شيطانه ويذله كما في الحديث: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُنْضِي شَيَاطِينَهُ كَمَا يُنْضِي أَحَدُكُمْ بَعِيرَهُ فِي السَّفَرِ»(٢). ومعنى ينضى -وفي لفظ: ينصي- شيطانه ليأخذ بناصيته فيغلبه ويقهره كما يفعل بالبعير إذا شرد ثم غلبه.

تسخير الجن لسليمان عليه السلام:

سخر اللَّه لنبيه سليمان في جملة ما سخر الجن والشياطين، يعملون له ما يشاء ويعذب ويسجن العصاة منهم ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾﴾ [ص].

وقال تعالى في سورة سبأ: ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ﴾ [سبأ].

وهذا التسخير على هذا النحو استجابة من اللَّه لعبده سليمان عندما دعاه وقال: ﴿وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ﴾ [ص:٣٥]، وهذه الدعوة هي التي منعت نبينا محمدًا ﷺ من ربط الجني الذي جاء بشهاب من نار، يريد أن يرميه في وجهه، ففي صيحح مسلم عن أبي الدرداء قال: «قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ ثُمَّ قَالَ: أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللَّهِ ثَلَاثًا وَبَسَطَ يَدَهُ كَأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ شَيْئًا، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ الصَّلَاةِ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ سَمِعْنَاكَ تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ شَيْئًا لَمْ نَسْمَعْكَ تَقُولُهُ قَبْلَ ذَلِكَ وَرَأَيْنَاكَ بَسَطْتَ يَدَكَ؟! قَالَ: إِنَّ عَدُوَّ اللَّهِ إِبْلِيسَ جَاءَ بِشِهَابٍ مِنْ نَارٍ لِيَجْعَلَهُ فِي وَجْهِي فَقُلْتُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قُلْتُ:

---

(١) صحيح، رواه الترمذي (٣٦٩٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٤٩٦).

(٢) رواه أحمد في المسند (٨٧١٧) وقال الأرناؤوط: إسناده ضعيف، فيه ابن لهيعة سيء الحفظ، كذا قال الأرناؤوط - لم يعله إلا بابن لهيعة - مع أن رواية قتيبة بن سعيد عن ابن لهيعة صالحة كما قرر الأرناؤوط قبل ذلك. وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (١/٧٣) بلفظ: «لينصى».

أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللَّهِ التَّامَّةِ فَلَمْ يَسْتَأْخِرْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ أَرَدْتُ أَخْذَهُ وَاللَّهِ لَوْلَا دَعْوَةُ أَخِينَا سُلَيْمَانَ لَأَصْبَحَ مُوثَقًا يَلْعَبُ بِهِ وِلْدَانُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ»[(١)].

وقد تكرر هذا أكثر من مرة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: «إِنَّ عِفْرِيتًا مِنَ الْجِنِّ جَعَلَ يَفْتِكُ عَلَيَّ الْبَارِحَةَ لِيَقْطَعَ عَلَيَّ الصَّلَاةَ، وَإِنَّ اللَّهَ أَمْكَنَنِي مِنْهُ فَذَعَتُّهُ فَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إِلَى جَنْبِ سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ حَتَّى تُصْبِحُوا تَنْظُرُونَ إِلَيْهِ أَجْمَعُونَ، أَوْ كُلُّكُمْ ثُمَّ ذَكَرْتُ قَوْلَ أَخِي سُلَيْمَانَ: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ [ص: ٣٥] فَرَدَّهُ اللَّهُ خَاسِئًا»[(٢)].

كذب اليهود على سليمان:

يزعم اليهود وأتباعهم الذين يستخدمون الجن بواسطة السحر أن نبي الله سليمان كان يستخدم الجن به، وقد ذكر غير واحد من علماء السلف أن سليمان لما مات كتبت الشياطين كتب السحر والكفر، وجعلتها تحت كرسيه، وقالوا: كان سليمان يستخدم الجن بهذه، فقال بعضهم: لولا أن هذا حق جائز لما فعله سليمان فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [البقرة]، ثم بين أنهم اتبعوا ما كانت تتلوا الشياطين على عهد ملك سليمان وبرأ سليمان من السحر والكفر ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ

---

(١) صحيح، رواه مسلم (٥٤٢/٤٠) واللفظ له، والنسائي (١٢١٥).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٤٦١، ١٢١٠، ٣٢٨٤، ٣٤٢٣، ٤٨٠٨)، مسلم (٥٤١/٣٩) واللفظ له.

ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ [البقرة].

عجزهم عن الإتيان بالمعجزات:

لا تستطيع الجن الإتيان بمثل المعجزات التي جاءت بها الرسل تدليلًا على صدق ما جاءت به، فعندما زعم بعض الكفرة أن القرآن من صنع الشيطان قال تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾ [الشعراء]، وتحدى الله بالقرآن الإنس والجن ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء].

لا يتمثلون بالرسول ﷺ في الرؤيا:

والشياطين تعجز عن التمثل في صورة الرسول ﷺ في الرؤيا، ففي الحديث الذي يرويه الترمذي في سننه بإسناد صحيح: «مَنْ رَآنِي فَإِنِّي أَنَا هُوَ فَإِنَّهُ لَيْسَ لِلشَّيْطَانِ أَنْ يَتَمَثَّلَ بِي»(١).

وفي الصحيح بلفظ: «مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لا يَتَكَوَّنُنِي»(٢).

وفي صحيح الجامع الصغير بلفظ: «من رآني فقد رأى الحق، فإن الشيطان لا يتزايا بي»(٣).

والظاهر من الأحاديث أن الشيطان لا يتزايا بصورة الرسول ﷺ الحقيقية، ولا يمنعه هذا من التمثل في غير صورة الرسول ﷺ ويلقي في روعك بأنه رسول الله، ولذلك فلا يجوز أن يحتج بهذا الحديث على أن كل من ادعى أنه رأى الرسول ﷺ في المنام أنه رآه حقًا، إلا إذا كانت صفته هي الصفة التي روتها كتب الحديث، وإلا فكثير من

(١) صحيح، رواه الترمذي (٢٢٨٠)، صححه الألباني.

(٢) صحيح، رواه البخاري (٦٩٩٧).

(٣) صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٦٢٥٣).

الناس يزعم أنه رآه على صورة مخالفة للصورة المروية في كتب الثقات.

لا يستطيعون أن يتجاوزوا حدودًا معينة في أجواء الفضاء:

قال تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾﴾ [الرحمن]، فمع قدراتهم وسرعة حركتهم لهم مجالات لا يستطيعون أن يتعدوها، وإلا فإنهم هالكون.

لا يستطيعون فتح باب أغلق وذكر اسم الله عليه:

أخبر بذلك الرسول ﷺ حيث يقول: «أَجِيفُوا الْأَبْوَابَ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَفْتَحُ بَابًا أُجِيفَ وَذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ»(١).

وفي الحديث المتفق عليه: «فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَفْتَحُ بَابًا مُغْلَقًا، وَأَوْكُوا قِرَبَكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، وَخَمِّرُوا آنِيَتَكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، وَلَوْ أَنْ تَعْرُضُوا عَلَيْهَا شَيْئًا، وَأَطْفِئُوا مَصَابِيحَكُمْ»(٢).

وفي مسند أحمد: «أَغْلِقُوا أَبْوَابَكُمْ، وَخَمِّرُوا آنِيَتَكُمْ، وَأَطْفِئُوا سُرُجَكُمْ، وَأَوْكُوا أَسْقِيَتَكُمْ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَفْتَحُ بَابًا مُغْلَقًا، وَلَا يَكْشِفُ غِطَاءً، وَلَا يَحُلُّ وِكَاءً»(٣).

الغاية من خلقهم:

خلق الجن للغاية نفسها التي خلق الإنس من أجلها ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات].

---

(١) صحيح، رواه أبو داود (٣٧٣١)، وصححه الألباني، وأحمد في المسند (١٣٨٧١) واللفظ له، وقال الأرناؤوط: إسناده حسن رجاله ثقات رجال الشيخين غير محمد بن إسحاق فقد روى له أهل السنن وقرنه مسلم بغيره.

(٢) صحيح، رواه البخاري (٥٦٢٣)، ومسلم (٢٠١٢/٩٧).

(٣) صحيح، رواه أحمد في المسند (١٣٨١٦) وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح غير فطر - وهو ابن خليفة - فقد روى له البخاري مقرونا بغيره وأصحاب السنن وهو ثقة.

فالجن على ذلك مكلفون بأوامر وزواجر، فمن أطاع رضي اللّه عنه وأدخله الجنة، ومن عصى وتمرد فله النار، يدل على ذلك نصوص كثيرة ففي يوم القيامة يقول اللّه مخاطبًا كفرة الجن والإنس موبخًا مبكتًا: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٌ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [الأنعام]، ففي هذه الآيات دليل على بلوغ شرع اللّه الجن، وأنه قد جاءهم من ينذرهم ويبلغهم.

والدليل على أنهم سيعذبون في النار قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ﴾ [الأعراف :٣٨]، وقال: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ﴾ [الأعراف :١٧٩]، وقال: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ [هود :١١٩].

والدليل على أن المؤمنين من الجن يدخلون الجنة قوله تعالى: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾﴾ [الرحمن].

والخطاب هنا للجن والإنس؛ لأن الحديث في مطلع السورة موجه إليهما وفي الآية السابقة امتنان من اللّه على مؤمني الجن بأنهم سيدخلون الجنة ولولا أنهم ينالون ذلك لما امتنّ عليهم به.

شبهة وجوابها:

يورد بعض الناس شبهةً فيقولون: أنتم تقرون أن الجن خلقوا من نار، ثم تقولون إن كافرهم سيعذب في نار جهنم، ومسترق السمع منهم يقذف بشهب من نار، فكيف تؤثر النار فيهم؟ وقد خلقوا منها؟

والجواب: أن الأصل الذي خلقوا منه النار، أما بعد خلقهم فليسوا كذلك، إذ أصبحوا خلقًا مخالفًا للنار، يوضح هذا الإنسان خلق من تراب، ثم بعد إيجاده أصبح مخالفًا للتراب، ولو ضربت إنسانًا بقطعة مشوية من الطين فقد تقتله، ولو رميته بالتراب لآذاه، ولو دفنته فيه فإنه يختنق، مع أنه من تراب إلا أن التراب يؤذيه، فكذلك الجن.

لا نسب بين الجن ورب العزة:

هذا الذي ذكرناه من أن الجن خَلْقٌ من خلق اللَّه، وعباد من جملة عباده خلقهم لطاعته وكلفهم بشرعته، يقضي على الخرافات التي تنشأ عن الانحراف في التصور، وعن ضمور العلم وكثرة الجهل، فمن ذلك ما شاع عند اليهود ومشركي العرب، من أن اللَّه تعالى وتقدس خطب من سروات الجن، وتزوج منهم، وكان الملائكة ثمرة هذا الزواج، وقد حكى اللَّه هذه الخرافة وبين بطلانها ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الصافات].

قال ابن كثير عند تفسير هذه الآيات: (قال مجاهد: قال المشركون: الملائكة بنات اللَّه -تعالى اللَّه عما يقولون- فقال أبو بكر رضي اللَّه عنه: من أمهاتهن؟ قالوا: بنات سروات الجن، وبمثل قول مجاهد قال قتادة وابن زيد ...

وقال العوفي عن ابن عباس: (زعم أعداء اللَّه أنه تبارك وتعالى -هو وإبليس أخوان- تعالى اللَّه عن ذلك علوًا كبيرًا).

كيف يُبلِّغون وحي اللَّه إليهم؟

بما أنهم مكلفون فلابد أن يبلغهم اللَّه وحيه ويقيم عليهم الحجة، فكيف حصل ذلك؟ هل لهم رسل منهم كما للبشر رسل منهم، أم أن رسلهم رسل البشر؟ إن قوله تعالى: ﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠]، يدل على أن اللَّه أرسل إليهم رسلًا، ولكنها لم تصرح بأن هؤلاء الرسل من الجن أم من الإنس لأن قوله: ﴿مِّنكُمْ﴾ يحتمل كلا الأمرين وقد اختلف العلماء في ذلك على قولين:

الأول: إن للجن رسلًا منهم، وممن قال بهذا القول الضحاك، وقال ابن الجوزي: هو ظاهر الكلام.

الثاني: أن رسل الجن من الإنس، قال السيوطي في (لقط المرجان): (جمهور

العلماء سلفًا وخلفًا على أنه لم يكن من الجن قط رسول ولا نبي كذا روي عن ابن عباس ومجاهد والكلبي وأبي عبيد)[١].

ومما يرجح أن رسل الإنس هم رسل الجن قول الجن عند سماع القرآن: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ [الأحقاف: ٣٠]، ولكنه ليس نصًا في المسألة، وهذه المسألة لا ينبى عليها عمل، وليس فيها نص قاطع، ولذلك لا ينبغي أن نطيل فيها أكثر من ذلك.

عموم رسالة محمد ﷺ إلى الإنس والجن:

محمد ﷺ مرسل للجن والإنس، يقول ابن تيمية: (وهذا أصل متفق عليه بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين، وسائر طوائف المسلمين: أهل السنة والجماعة، وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين)[٢]، يدل على ذلك تحدي القرآن الجن والإنس ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء].

وقد سارع فريق من الجن إلى الإيمان عندما استمعوا القرآن ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ [الجن].

وهؤلاء الذين استمعوا القرآن وآمنوا هم المذكورون في سورة الأحقاف ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا ۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأحقاف]،

---

(١) لوامع الأنوار (٢/٢٢٣-٢٢٤).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٩/٩).

استمعوا إلى القرآن وآمنوا به، ورجعوا دعاة يدعون قومهم إلى التوحيد والإيمان، ويبشرونهم وينذرونهم.

وقصة هؤلاء الذين استمعوا للرسول ﷺ يرويها البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: «انْطَلَقَ النَّبِيُّ ﷺ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمُ الشُّهُبُ فَرَجَعَتْ الشَّيَاطِينُ إِلَى قَوْمِهِمْ فَقَالُوا: مَا لَكُمْ؟ فَقَالُوا: حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ وَأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ، قَالُوا: مَا حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ إِلَّا شَيْءٌ حَدَثَ؟ فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا فَانْظُرُوا مَا هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، فَانْصَرَفَ أُولَئِكَ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا نَحْوَ تِهَامَةَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ بِنَخْلَةَ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ وَهُوَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الْفَجْرِ؛ فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ اسْتَمَعُوا لَهُ فَقَالُوا: هَذَا وَاللَّهِ الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ فَهُنَالِكَ حِينَ رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ وَقَالُوا: يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: ١] وَإِنَّمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ قَوْلُ الْجِنِّ»[١].

شهادتهم للمسلم:

وقد قال أبو سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال لأبي صعصعة الأنصاري: «إِنِّي أَرَاكَ تُحِبُّ الْغَنَمَ وَالْبَادِيَةَ فَإِذَا كُنْتَ فِي غَنَمِكَ وَبَادِيَتِكَ فَأَذَّنْتَ بِالصَّلَاةِ فَارْفَعْ صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ فَإِنَّهُ لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ جِنٌّ وَلَا إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»[٢]، فقد أخبر أن الجن يشهدون يوم القيامة لمن يسمعون صوت أذانه.

(١) صحيح، رواه البخاري (٧٧٣، ٤٩٢١)، ومسلم (٤٤٩/١٤٩)، والترمذي (٣٣٢٣).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٣٢٩٦).

وفود الجن:

تلك كانت بداية معرفة الجن برسالة محمد ﷺ، استمعوا إلى قراءة القرآن بدون علم الرسول ﷺ فآمن فريق منهم وانطلقوا دعاة هداة، ثم جاءت وفودهم بعد ذلك تتلقى العلم من الرسول ﷺ، وأعطاهم الرسول ﷺ من وقته وعلمهم مما علمه اللَّه وقرأ عليهم القرآن، وبلغهم خبر السماء ... وكان ذلك في مكة قبل الهجرة.

أخرج مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده عن علقمة قال: قلت لعبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه: هَلْ صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْجِنِّ مِنْكُمْ أَحَدٌ؟ فَقَالَ: مَا صَحِبَهُ مِنَّا أَحَدٌ، وَلَكِنَّا قَدْ فَقَدْنَاهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَقُلْنَا: اغْتِيلَ؟ اسْتُطِيرَ؟ مَا فَعَلَ؟ قَالَ: فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ، فَلَمَّا كَانَ فِي وَجْهِ الصُّبْحِ -أَوْ قَالَ: فِي السَّحَرِ- إِذَا نَحْنُ بِهِ يَجِيءُ مِنْ قِبَلِ حِرَاءَ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَذَكَرُوا الَّذِي كَانُوا فِيهِ فَقَالَ: «إِنَّهُ أَتَانِي دَاعِي الْجِنِّ فَأَتَيْتُهُمْ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمْ قَالَ: فَانْطَلَقَ بِنَا فَأَرَانِي آثَارَهُمْ وَآثَارَ نِيرَانِهِمْ»[(١)].

وفي رواية أحمد عن ابن مسعود: «بت الليلة أقرأ على الجن واقفًا بالحجون»[(٢)].

ومما قرأ عليهم ﷺ سورة الرحمن، يقول ﷺ: «لَقَدْ قَرَأْتُهَا -يعني سورة الرحمن- عَلَى الْجِنِّ لَيْلَةَ الْجِنِّ فَكَانُوا أَحْسَنَ مَرْدُودًا مِنْكُمْ كُنْتُ كُلَّمَا أَتَيْتُ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ [الرحمن] قَالُوا: لَا بِشَيْءٍ مِنْ نِعَمِكَ رَبَّنَا نُكَذِّبُ فَلَكَ الْحَمْدُ»[(٣)].

ولم تكن الليلة الوحيدة بل تكرر لقاؤه ﷺ بالجن بعد ذلك وقد ساق ابن كثير

---

(١) صحيح رواه مسلم (٤٥٠/١٥٠)، والترمذي (٣٢٥٨)، وأحمد في المسند (٤١٣٨) واللفظ له.

(٢) رواه أحمد في المسند (٣٩٤٤).

(٣) حسن، رواه الترمذي (٣٢٩١)، حسنه االألباني في صحيح الجامع الصغير (٥١٣٨).

في تفسير سورة الأحقاف الأحاديث التي وردت في شأن اجتماعه بالجن في بعضها أن ابن مسعود كان قريبًا من الرسول ﷺ في إحدى تلك الليالي.

وقد ورد في بعض الروايات في صحيح البخاري أن بعض الجن الذين أتوه كانوا من ناحية من نواحي اليمن من مكان يسمى (نصيبين)، فقد روى البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «أَتَانِي وَفْدُ جِنِّ نَصِيبِينَ وَنِعْمَ الْجِنُّ فَسَأَلُونِي الزَّادَ، فَدَعَوْتُ اللَّهَ لَهُمْ أَنْ لَا يَمُرُّوا بِعَظْمٍ وَلَا بِرَوْثَةٍ إِلَّا وَجَدُوا عَلَيْهَا طَعَامًا»(١).

دعوتهم للإنس:

وفي بعض الأحاديث الصحاح أن بعض الجن كان له دور في هداية الإنس، ففي صحيح البخاري أن عمر بن الخطاب، سأل كاهنًا في الجاهلية عن: «مَا أَعْجَبُ مَا جَاءَتْكَ بِهِ جِنِّيَّتُكَ؟ قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا يَوْمًا فِي السُّوقِ جَاءَتْنِي أَعْرِفُ فِيهَا الْفَزَعَ فَقَالَتْ: أَلَمْ تَرَ الْجِنَّ وَإِبْلَاسَهَا(٢)، وَيَأْسَهَا مِنْ بَعْدِ إِنْكَاسِهَا(٣)، وَلُحُوقَهَا بِالْقِلَاصِ(٤)، وَأَحْلَاسِهَا(٥)، قَالَ عُمَرُ: صَدَقَ، بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ عِنْدَ آلِهَتِهِمْ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ بِعِجْلٍ فَذَبَحَهُ فَصَرَخَ بِهِ صَارِخٌ لَمْ أَسْمَعْ صَارِخًا قَطُّ أَشَدَّ صَوْتًا مِنْهُ، يَقُولُ: يَا جَلِيحْ أَمْرٌ نَجِيحْ رَجُلٌ فَصِيحْ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَوَثَبَ الْقَوْمُ قُلْتُ: لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَعْلَمَ مَا وَرَاءَ هَذَا ثُمَّ نَادَى: يَا جَلِيحْ أَمْرٌ نَجِيحْ رَجُلٌ فَصِيحْ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقُمْتُ فَمَا نَشِبْنَا أَنْ قِيلَ: هَذَا نَبِيٌّ»(٦).

قال ابن كثير في تفسير سورة الأحقاف بعد أن ساق هذا الحديث: (هذا سياق البخاري، وقد رواه البيهقي من حديث ابن وهب، بنحوه، ثم قال: (وظاهر هذه

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٣٨٦٠).

(٢) الإبلاس: اليأس والحزن والإنكسار.

(٣) والإنكلاس: الضعف والهوان.

(٤) والقلاص: جمع قلوص وهي الناقة الشابة.

(٥) والحلس: ما يوضع فوق ظهر الدابة كالسرج.

(٦) صحيح، رواه البخاري (٣٨٦٦).

الرواية يوهم أن عمر رضي اللَّه عنه بنفسه سمع الصارخ يصرخ من العجل الذي ذبح، وكذلك هو صريح في رواية ضعيفة عن عمر في إسلامه، وسائر الروايات تدل على أن هذا الكاهن هو الذي أخبر بذلك عن رؤيته وسماعه، واللَّه أعلم)(١).

ثم قال: (وهذا الرجل -الكاهن- هو سواد بن قارب).

أسباب العداء وتاريخه وشدة هذا العداء:

العداء بين الإنسان والشيطان عداء بعيد الجذور، يعود تاريخه إلى اليوم الذي شكل فيه آدم قبل أن ينفخ فيه الروح، فأخذ الشيطان يطيف به ويقول: لئن سُلطتَ عليَّ لأعصينك، ولئن سُلطتُ عليك لأهلكنك.

ففي صحيح مسلم عن أنس أن رسول اللَّه ﷺ قال: «لَمَّا صَوَّرَ اللَّهُ آدَمَ فِي الْجَنَّةِ تَرَكَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَتْرُكَهُ فَجَعَلَ إِبْلِيسُ يُطِيفُ بِهِ يَنْظُرُ مَا هُوَ؛ فَلَمَّا رَآهُ أَجْوَفَ عَرَفَ أَنَّهُ خُلِقَ خَلْقًا لَا يَتَمَالَكُ»(٢)، فلما نفخ اللَّه في آدم الروح، وأمر الملائكة بالسجود لآدم، وكان إبليس يتعبد اللَّه مع ملائكة السماء فشمله الأمر؛ ولكنه تعاظم في نفسه واستكبر وأبى السجود لآدم ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

لقد فتح أبونا آدم عينيه؛ فإذا به يجد أعظم تكريم، يجد الملائكة ساجدين له؛ ولكنه يجد عدوًا رهيبًا يتهدده وذريته بالهلاك والضلال، وطرد اللَّه الشيطان من جنة الخلد بسبب استكباره، وحصل على وعد من اللَّه بإبقائه حيًا إلى يوم القيامة ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحجر].

وقد قطع اللعين على نفسه عهدًا بإضلال بني آدم والكيد لهم ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف]، وقوله هذا يصور مدى الجهد

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي (٢/٢٤٥).

(٢) صحيح رواه مسلم (٢٦١١/١١١).

الذي يبذله لإضلال ابن آدم فهو يأتيه من كل طريق ممكن، عن اليمين وعن الشمال، ومن الأمام والخلف أي من جميع الجهات.

قال الزمخشري في تفسير هذه الآية: (ثم لآتينهم من الجهات الأربع التي منها العدو الغالب، وهذا مثل لوسوسته إليهم وتسويله لهم ما أمكنه وقدر عليه كقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ [الإسراء:٦٤].

تحذير الله لنا من الشيطان:

وقد أطال القرآن في تحذيرنا من الشيطان لعظم فتنته، ومهارته في الإضلال، ودأبه وحرصه على ذلك، قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الأعراف:٢٧].

وقال: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر:٦].

وقال: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء:١١٩].

وعداوة الشيطان لا تحول ولا تزول؛ لأنه يرى أن طرده ولعنه وإخراجه من الجنة كان بسبب أبينا آدم، فلابد أن ينتقم من آدم وذريته بعده ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ [الإسراء].

وأرباب السلوك وعلماء الأخلاق اعتنوا بذكر النفس وعيوبها وقصروا في التعرف على عدوهم اللدود مع أن الله حذرنا منه كثيرًا وأمرنا بالاستعاذة منه، ولم يأمر بالاستعاذة من النفس في موضع واحد وإنما جاءت الاستعاذة من شرها في خطبة الحاجة في قوله ﷺ: «وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمالِنا»(١).

أهداف الشيطان:

الهدف البعيد:

هناك هدف وحيد يسعى الشيطان لتحقيقه في نهاية الأمر، وهو أن يلقي الإنسان في الجحيم، ويحرمه من الجنة ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر:٦].

---

(١) صحيح، رواه الترمذي (١١٠٥) وصححه الألباني.

الأهداف القريبة:

ذلك هو هدف الشيطان البعيد أما الأهداف القريبة فهي:

١- إيقاع العبد في الشرك والكفر:

وذلك بدعوتهم إلى عبادة غير الله والكفر بالله وشريعته ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ﴾ [الحشر: ١٦].

وروى مسلم في صحيحه عن عياض بن حمار أن النبي ﷺ خطب ذات يوم فقال في خطبته: «أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا»(١).

٢- إذا لم يستطع تكفيرهم فيوقعهم في الذنوب:

فإذا لم يستطع إيقاعهم في الشرك والكفر فإنه لا ييأس، ويرضى بما دون ذلك من إيقاعهم في الذنوب والمعاصي، وغرس العداوة والبغضاء في صفوفهم، ففي سنن الترمذي وابن ماجه بإسناد صحيح: «أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ مِنْ أَنْ يُعْبَدَ فِي بِلَادِكُمْ هَذِهِ أَبَدًا وَلَكِنْ سَتَكُونُ لَهُ طَاعَةٌ فِيمَا تَحْتَقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ فَسَيَرْضَى بِهِ»(٢). وفي صحيح مسلم وغيره: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ»(٣). أي: بإيقاع العداوة والبغضاء بينهم وإغراء بعضهم ببعض، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم

(١) صحيح، رواه مسلم (٦٣/٢٨٦٥).

(٢) صحيح، رواه الترمذي (٢١٥٩) واللفظ له، وابن ماجه (٣٠٥٥)، صححه الألباني في سنن الترمذي، وسنن ابن ماجه.

(٣) صحيح، رواه مسلم (٦٥/٢٨١٢)، والترمذي (١٩٣٧).

مُنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة] وهو يأمر بكل شر ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوٓءِ وَالْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [البقرة]... وخلاصة الأمر فكل عبادة محبوبة للَّه فهي بغيضة إلى الشيطان، وكل معصية مكروهة للرحمن فهي محبوبة للشيطان.

٣- صده العباد عن طاعة اللَّه:

وهو لا يكتفي بدعوة الناس إلى الكفر والذنوب والمعاصي بل يصدهم عن فعل الخير فلا يترك سبيلًا من سبل الخير يسلكه عبد من عباد اللَّه إلا قعد فيه يصدهم ويميل بهم، ففي الحديث: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِأَطْرُقِهِ فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْإِسْلَامِ فَقَالَ لَهُ: أَتُسْلِمُ وَتَذَرُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ وَآبَاءِ أَبِيكَ؟ قَالَ: فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهِجْرَةِ، فَقَالَ: أَتُهَاجِرُ وَتَذَرُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ وَإِنَّمَا مَثَلُ الْمُهَاجِرِ كَمَثَلِ الْفَرَسِ فِي الطِّوَلِ(١)؟ قَالَ: فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ، قَالَ: ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ فَقَالَ لَهُ: هُوَ جَهْدُ النَّفْسِ وَالْمَالِ فَتُقَاتِلُ فَتُقْتَلُ فَتُنْكَحُ الْمَرْأَةُ وَيُقَسَّمُ الْمَالُ، قَالَ: فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ فَمَاتَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ قُتِلَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَإِنْ غَرِقَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ وَقَصَتْهُ دَابَّتُهُ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ»(٢).

ومصداق ذلك في كتاب اللَّه ما حكاه اللَّه عن الشيطان لأنه قال لرب العزة: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف].

وعبارات السلف في تفسير الصراط متقاربة، فقد فسره ابن عباس رضي اللَّه

---

(١) الطول الحبل الطويل، يشد أحد طرفيه في وتد أو غيره، والطرف الآخر في يد الفرس ليدور فيه، ويرعى ولا يذهب لوجهه.

(٢) صحيح، رواه النسائي (٣١٣٤)، صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٢٩٩)، وأحمد في المسند (١٥٥٢٨) وقال الأرناؤوط: إسناده قوي.

عنهما بأنه الدين الواضح، وابن مسعود بأنه كتاب اللَّه، وقال جابر: الإسلام، وقال مجاهد: الحق.

فالشيطان لا يدع سبيلًا من سبل الخير إلا قعد يصد الناس عنه.

٤- إفساد الطاعات:

إذا لم يستطع الشيطان أن يصدهم عن الطاعات؛ فإنه يجتهد في إفساد العبادة والطاعة، كي يحرمهم الأجر والثواب، فقد جاء أحد الصحابة إلى الرسول ﷺ يقول له: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلَاتِي وَقِرَاءَتِي يَلْبِسُهَا عَلَيَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ: خَنْزَبٌ فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْهُ، وَاتْفِلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلَاثًا، قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَهُ اللَّهُ عَنِّي»(١).

فإذا دخل العبد في صلاته أجلب عليه الشيطان يوسوس له عن طاعة اللَّه ويذكره بأمور الدنيا، ففي صحيح مسلم أن الرسول ﷺ قال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا سَمِعَ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ أَحَالَ لَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لَا يَسْمَعَ صَوْتَهُ فَإِذَا سَكَتَ رَجَعَ فَوَسْوَسَ، فَإِذَا سَمِعَ الْإِقَامَةَ ذَهَبَ حَتَّى لَا يَسْمَعَ صَوْتَهُ فَإِذَا سَكَتَ رَجَعَ فَوَسْوَسَ»(٢).

وفي رواية: «إِذَا قُضِيَ التَّثْوِيبُ أَقْبَلَ حَتَّى يَخْطُرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ يَقُولُ لَهُ: اذْكُرْ كَذَا، وَاذْكُرْ كَذَا لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ مِنْ قَبْلُ، حَتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ مَا يَدْرِي كَمْ صَلَّى»(٣).

كل مخالفة للرحمن فهي طاعة للشيطان، يقول تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾﴾ [النساء].

فكل من عبد غير اللَّه من صنم أو وثن أو شمس أو قمر أو هوى أو إنسان أو مبدأ فاسد فهو عابد للشيطان، رضي أم أبى؛ لأن الشيطان هو الآمر بذلك والمرغب فيه،

---

(١) صحيح، رواه مسلم (٢٢٠٣/٦٨).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٣٨٩/١٦).

(٣) صحيح، رواه البخاري (٦٠٨، ١٢٣١) ومسلم (٣٨٩/١٩).

ولذلك فإن عبّاد الملائكة يعبدون الشيطان في الحقيقة ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ: ٤٠-٤١].

٥- الإيذاء البدني والنفسي:

كما يهدف الشيطان إلى إضلال الإنسان بالكفر والذنوب؛ فإنه يهدف إلى إيذاء المسلم في بدنه ونفسه، ونسوق بعض ما نعرفه من هذا الإيذاء:

أ- مهاجمة الرسول ﷺ: كما جاء في الحديث الذي سبق أن ذكرناه والذي يخبر فيه الرسول ﷺ بمهاجمة الشيطان له ومجيء الشيطان بشهاب من نار ليرميه في وجه الرسول ﷺ.

ب- أضغاث الأحلام من الشياطين: للشيطان القدرة أن يُرِيّ الإنسان في منامه أحلامًا تزعجه وتضايقه بهدف إحزانه وإيلامه، فقد أخبر الرسول ﷺ: أن الرؤى التي يراها المرء في منامه ثلاث: رؤيا من الرحمن، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا حديث نفس[1].

وفي صحيح البخاري أن رسول اللَّه ﷺ قال: «إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ الرُّؤْيَا يُحِبُّهَا فَإِنَّهَا مِنْ اللَّهِ فَلْيَحْمَدْ اللَّهَ عَلَيْهَا وَلْيُحَدِّثْ بِهَا، وَإِذَا رَأَى غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَكْرَهُ فَإِنَّمَا هِيَ مِنْ الشَّيْطَانِ فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ شَرِّهَا وَلَا يَذْكُرْهَا لِأَحَدٍ فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ»[2].

ج- إحراق المنازل بالنار: وذلك بواسطة بعض الحيوانات التي يغريها بذلك، ففي سنن أبي داود بإسناد صحيح أن الرسول ﷺ قال: «إِذَا نِمْتُمْ فَأَطْفِئُوا سُرُجَكُمْ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدُلُّ مِثْلَ هَذِهِ -الفأرة- عَلَى هَذَا

(١) إشارة إلى الحديث الصحيح، رواه البخاري (٧٠٧١) بلفظ: «يُقَالُ الرُّؤْيَا ثَلَاثٌ حَدِيثُ النَّفْسِ وَتَخْوِيفُ الشَّيْطَانِ وَبُشْرَى مِنْ اللَّهِ».

(٢) صحيح، رواه البخاري (٦٩٨٥).

-السراج- فَتُحْرِقَكُمْ»(١).

د- تخبط الشيطان للإنسان عند الموت: وقد كان الرسول ﷺ يستعيذ من ذلك فيقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ التَّرَدِّي، والهدم، وَالْغَرَقِ، وَالْحَرَقِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ فِي سَبِيلِكَ مُدْبِرًا، وَأَعُوذُ بِكَ من الموت لَدِيغًا»(٢).

هـ- إيذاؤه الوليد حين يولد: يقول الرسول ﷺ: «كُلُّ بَنِي آدَمَ يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ إِلَّا مَرْيَمَ وَابْنَهَا»(٣). والسبب في حماية مريم وابنها من الشيطان استجابة اللّٰه دعاء أم مريم حين ولدتها ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران :٣٦].

و- مرض الطاعون من الجن: أخبر الرسول ﷺ: «فَنَاءُ أُمَّتِي بِالطَّعْنِ وَالطَّاعُونِ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الطَّعْنُ قَدْ عَرَفْنَاهُ فَمَا الطَّاعُونُ؟ قَالَ: وَخْزُ أَعْدَائِكُمْ مِنْ الْجِنِّ وَفِي كُلٍّ شُهَدَاءُ»(٤).

وفي مستدرك الحاكم: «الطاعون وخز أعدائكم من الجن، وهو لكم شهادة»(٥). ولعل ما أصاب نبي اللّٰه أيوب كان بسبب الجن كما قال: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾ [ص].

ز- بعض الأمراض الأخرى: قال ﷺ للمرأة المستحاضة: «إِنَّمَا هَذِهِ رَكْضَةٌ

---

(١) صحيح، رواه أبو داود (٥٢٤٧)، صححه الألباني في صحيح الجامع (٨١٦).

(٢) رواه النسائي (٥٥٣١، ٥٥٣٣)، صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١٢٨٢).

(٣) صحيح، رواه مسلم (١٤٧/٢٣٦٦).

(٤) رواه أحمد في المسند (١٩٠٣٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٨٥٨): رواه أحمد بأسانيد ورجال بعضها رجال الصحيح، ورواه أبو يعلى والبزار والطبراني في الثلاث، وصححه الألباني في إرواء الغليل (١٦٣٧).

(٥) رواه الحاكم في المستدرك (١٥٨/١٥٨) وقال: هذا صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

مِنْ رَكَضَاتِ الشَّيْطَانِ»[١].

ح- مشاركته لبني آدم في طعامهم وشرابهم ومساكنهم: ومن الأذى الذي يجلبه الشيطان للإنسان أنه يعتدي على طعامه وشرابه، فيشاركه فيهما، ويشاركه في المبيت في منزله، يكون ذلك منه إذا خالف العبد هدى الرحمن، أو غفل عن ذكره، أما إذا كان ملتزمًا بالهدى الذي هدانا اللَّه إليه لا يغفل عن ذكر اللَّه؛ فإن الشيطان لا يجد سبيلًا إلى أموالنا وبيوتنا، فالشيطان لا يستحل الطعام إلا إذا تناول منه أحد بدون أن يسمي، فإذا ذكر اسم اللَّه عليه فإنه يَحرمُ على الشيطان، روى مسلم في صحيحه عن حذيفة قال: «كُنَّا إِذَا حَضَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ طَعَامًا لَمْ نَضَعْ أَيْدِيَنَا حَتَّى يَبْدَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَضَعَ يَدَهُ، وَإِنَّا حَضَرْنَا مَعَهُ مَرَّةً طَعَامًا فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ كَأَنَّهَا تُدْفَعُ فَذَهَبَتْ لِتَضَعَ يَدَهَا فِي الطَّعَامِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهَا، ثُمَّ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ كَأَنَّمَا يُدْفَعُ فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لَا يُذْكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ جَاءَ بِهَذِهِ الْجَارِيَةِ لِيَسْتَحِلَّ بِهَا فَأَخَذْتُ بِيَدِهَا فَجَاءَ بِهَذَا الْأَعْرَابِيِّ لِيَسْتَحِلَّ بِهِ فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ يَدَهُ فِي يَدِي مَعَ يَدِهَا»[٢].

وقد أمرنا الرسول ﷺ أن نحفظ أموالنا من الشيطان وذلك بإغلاق الأبواب وتخمير الآنية وذكر اسم اللَّه؛ فإن ذلك حرز لها من الشيطان يقول ﷺ: «أَغْلِقُوا الْأَبْوَابَ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَفْتَحُ بَابًا مُغْلَقًا، وَأَوْكُوا قِرَبَكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، وَخَمِّرُوا آنِيَتَكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، وَلَوْ أَنْ تَعْرُضُوا عَلَيْهَا شَيْئًا، وَأَطْفِئُوا مَصَابِيحَكُمْ»[٣].

---

(١) حسن، رواه الترمذي (١٢٨)، وأبو داود (٢٨٧) وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٣٥٨٥)، وأحمد في المسند (٢٦٩٢٨).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٢٠١٧/١٠٢).

(٣) صحيح، رواه البخاري (٥٦٢٣)، ومسلم (٢٠١٢/٩٧).

ويأكل الشيطان ويشرب مع الإنسان إذا أكل أو شرب بشماله وكذلك إذا شرب واقفًا، ففي مسند أحمد عن عائشة عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «مَنْ أَكَلَ بِشِمَالِهِ أَكَلَ مَعَهُ الشَّيْطَانُ وَمَنْ شَرِبَ بِشِمَالِهِ شَرِبَ مَعَهُ الشَّيْطَانُ»(١).

وفي المسند أيضًا عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ رَأَى رَجُلًا يَشْرَبُ قَائِمًا فَقَالَ لَهُ: «قِه» قَالَ: لِمَهْ؟ قَالَ: «أَيَسُرُّكَ أَنْ يَشْرَبَ مَعَكَ الْهِرُّ؟» قَالَ: لَا قَالَ: «فَإِنَّهُ قَدْ شَرِبَ مَعَكَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مِنْهُ الشَّيْطَانُ»(٢).

وكي تطرد الشيطان من المنزل لا تنسَ أن تذكر اللَّه عند دخول المنزل وقد أرشدنا الرسول ﷺ لذلك حيث يقول في الحديث الصحيح: «إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمْ الْمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ: أَدْرَكْتُمْ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ»(٣).

ط- مس الشيطان للإنسان (الصرع): يقول ابن تيمية في مجموع الفتاوى(٤): (دخول الجن في بدن الإنسان ثابت باتفاق أئمة أهل السنة والجماعة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة :٢٧٥].

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢٣٩٥٨) وقال الأرناؤوط: إسناده ضعيف لجهالة حال موسى بن سرجس.

(٢) رواه أحمد في المسند (٧٩٤٣) وقال الأرناؤوط: أبو زياد الطحان لم يرو عنه غير شعبة وقد حسن القول فيه يحيى بن معين فوثقه وقال أبو حاتم كما في الجرح والتعديل: شيخ صالح الحديث لكن قال الذهبي في الميزان: لا يعرف له حديثان في كتاب (غرائب شعبة للنسائي). قلنا: ويغلب على ظننا أن هذا الحديث أحدهما فهو غريب تفرد بروايته أبو زياد هذا عن أبي هريرة والغرابة بينة في متنه.

(٣) صحيح، رواه مسلم (٢٠١٨/١٠٣)، وأبو داود (٣٧٦٥)، وابن ماجه (٣٨٨٧).

(٤) مجموع الفتاوى (٢٤/٢٧٦).

وفي الصحيح عن النبي ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ»[1].

وقال عبد اللَّه بن الإمام أحمد بن حنبل: (قلت لأبي إن أقوامًا يقولون: إن الجن لا يدخل في بدن المصروع، فقال: يا بني يكذبون، هذا يتكلم على لسانه).

ويقول ابن تيمية: (هذا الذي قاله مشهور؛ فإنه يصرع الرجل فيتكلم بلسان لا يعرف معناه، ويضرب على بدنه ضربًا عظيمًا لو ضرب به جمل لأثر به أثرًا عظيمًا، والمصروع مع هذا لا يحس بالضرب، ولا بالكلام الذي يقوله).

ويقول رحمه اللَّه: (وليس في أئمة المسلمين من ينكر دخول الجن في بدن المصروع وغيره ومن أنكر ذلك وادعى أن الشرع يكذب ذلك فقد كذب على الشرع وليس في الأدلة الشرعية ما ينفي ذلك)، وذكر (ج١٩/١٢) أن ممن أنكر دخول الجن بدن المصروع طائفة من المعتزلة كالجبائي وأبي بكر الرازي.

قائد المعركة:

إبليس هو الذي يخطط للمعركة مع بني الإنسان ويقودها، ومن قاعدته يرسل البعوث والسرايا في الإتجاهات المختلفة، ويعقد مجالس يناقش فيها جنوده وجيوشه فيما فعلته، ويثني على الذين أحسنوا وأجادوا في الإضلال وفتنة الناس.

أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن جابر رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَالَ: ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ»[2].

وفي مسند الإمام أحمد قال الرسول ﷺ لابن صائد وكان ﷺ يشك أنه الدجال: «مَا تَرَى؟ قَالَ: أَرَى عَرْشًا عَلَى الْمَاءِ -أَوْ قَالَ عَلَى الْبَحْرِ- حَوْلَهُ حَيَّاتٌ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ذَاكَ عَرْشُ إِبْلِيسَ»[3]، والشيطان له خبرة طويلة مديدة في

---

(١) صحيح، رواه مسلم (٢٣/٢١٧٤) واللفظ له، وأبو داود (٤٧٩١).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٦٧/٢٨١٣).

(٣) رواه أحمد في المسند (١٤٧٤٥) وقال الأرناؤوط: صحيح دون قوله: «حوله حيات».

مجال الإضلال؛ ولذلك فإنه يجيد وضع خططه، ونصب مصايده وأحابيله، فهو لم يزل حيًا يضل الناس منذ وجد الإنسان إلى اليوم وإلى أن تقوم الساعة ﴿قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأعراف]، وهو دؤوب على القيام بالشر الذي نذر نفسه له، لا يكل ولا يمل، ففي الحديث: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَالَ: وَعِزَّتِكَ يَا رَبِّ لَا أَبْرَحُ أُغْوِي عِبَادَكَ مَا دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ قَالَ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَزَالُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي»[(١)].

لكل إنسان قرين:

كل إنسان يلازمه شيطان لا يفارقه كما ذكر في حديث عائشة عند مسلم قالت: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا لَيْلًا قَالَتْ: فَغِرْتُ عَلَيْهِ، فَجَاءَ فَرَأَى مَا أَصْنَعُ فَقَالَ: مَا لَكِ يَا عَائِشَةُ أَغِرْتِ؟ فَقُلْتُ: وَمَا لِي لَا يَغَارُ مِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَقَدْ جَاءَكِ شَيْطَانُكِ؟ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ مَعِيَ شَيْطَانٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: وَمَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: وَمَعَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ؛ وَلَكِنْ رَبِّي أَعَانَنِي عَلَيْهِ حَتَّى أَسْلَمَ»[(٢)].

أخرج مسلم والإمام أحمد عن عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ وَ قَرِينُهُ مِنَ الملائِكَةِ، قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَإِيَّايَ، وَلكِنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ»[(٣)]. وفي القرآن: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [فصلت :٢٥].

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢٧٦٢٧)، والحاكم في المستدرك (٧٤٦٦/٤٤) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١٦٥٠).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٢٨١٥/٧٠).

(٣) صحيح، رواه مسلم (٢٨١٤/٦٩)، وأحمد (٣٦٤٠) واللفظ له.

أساليب الشيطان في إضلال الناس:

لا يأتي الشيطان إلى الإنسان ويقول له: اترك هذه الأمور الخيرية، وافعل هذه الأمور السيئة كي تشقى في دنياك وأُخراك؛ لأنه لو فعل ذلك فلن يطيعه أحد، ولكنه يسلك سبلًا كثيرة يغرر بها عباد اللَّه منها:

١- تزيين الباطل:

هذا هو السبيل الذي كان الشيطان ولا يزال يسلكه لإضلال العباد، فهو يظهر الباطل في صورة الحق، والحق في صورة الباطل، ولا يزال بالإنسان يحسن له الباطل، ويكرهه بالحق حتى يندفع إلى فعل المنكرات ويعرض عن الحق، كما قال اللعين لرب العزة: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحجر].

فهو الذي سحر العقول حتى ألقى أربابها في الأهواء المختلفة والآراء المتشعبة وسلك بهم سبل الضلال كل مسلك، وألقاهم في مهلك بعد مهلك، وزين لهم عبادة الأصنام وقطيعة الأرحام ووأد البنات، ونكاح الأمهات ووعدهم بالفوز بالجنان مع الكفر والفسوق والعصيان، وانظر إلى أولياء الشيطان اليوم كيف يستخدمون هذا السبيل في إضلال العباد، فهذه الدعوات إلى الشيوعية والاشتراكية يزعمون أنها هي المذاهب التي تخلص البشرية من الحيرة والقلق والضياع والجوع ... وهذه الدعوات التي تدعو إلى خروج المرأة كاسية عارية باسم الحرية، وتدعو إلى هذا التمثيل السخيف الذي تداس فيه الأعراض والأخلاق وتنتهك فيه الحرمات باسم الفن، وتلك الأفكار المسمومة التي تدعو إلى إيداع المال في البنوك بالربا لتحقيق الأرباح باسم التنمية والربح الوفير وتلك الدعوات التي تزعم أن التمسك بالدين رجعية وجمود وتأخر، والتي تَسِمُ دعاة الإسلام بالجنون والتطرف الأصولي والعمالة لدول الشرق والغرب ... إلخ.

كل ذلك امتداد لسبيل الشيطان الذي كاد به لآدم منذ عهد بعيد، وهو تزيين

الباطل وتحسينه وتقبيح الحق وتكريه الناس به ﴿تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [النحل :٦٣]، وهو سبيل خطير لأن الإنسان إذا زين له الباطل حتى رآه حسنًا فإنه يندفع بكل قوة لتحقيق ما يراه حقًا وإن كان فيه هلاكه ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف] ، وهؤلاء يندفعون لصد الناس عن دين الله ومحاربة أولياء اللَّه وهم يظنون أنفسهم على الحق والهدى ﴿وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الزخرف].

تسمية الأسماء المحرمة بأسماء محببة:

ومن تغرير الشيطان بالإنسان وتزيينه الباطل أن يسمي الأمور المحرمة التي هي معصية للَّه بأسماء محببة للنفوس خداعًا للإنسان وتزويرًا للحقيقة كما سمَّىٰ الشجرة المحرمة بشجرة الخلد كي يزين لآدم الأكل منها ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ﴾ [طه :١٢٠].

يقول ابن القيم: (ومنه ورث أتباعه تسمية الأمور المحرمة بالأسماء التي تحب النفوس مسمياتها، فسموا الخمر أم الأفراح، وسموا أخاها بلقمة الراحة، وسموا الربا بالمعاملة، وسموا المكوس بالحقوق السلطانية ...)، واليوم يسمون الربا الفائدة، والرقص والغناء والتمثيل والتماثيل فنًا.

٢- الإفراط والتفريط:

جاء في الحديث الصحيح: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا»[(١)].

يقول ابن القيم في هذه المسألة: (وما أمر اللَّه عز وجل بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان: إما تقصير وتفريط، وإما إفراط وغلو؛ فلا يبالي بما ظفر من العبد من الخطيئتين؛ فإنه يأتي إلى قلب العبد فيشامه؛ فإن وجد فيه فتورًا وتوانيًا وترخيصًا أخذه من هذه الخطة، فثبطه وأقعده، وضربه بالكسل والتواني والفتور، وفتح له باب التأويلات والرجاء وغير ذلك، حتى ربما ترك العبد المأمور جملة.

---

(١) صحيح، جزء من حديث رواه البخاري (٦٤٦٧)، ومسلم (٢٨١٨/٧٨).

وإن وجد عنده حذرًا وجدًّا وتشميرًا ونهضة وأيس أن يأخذه من هذا الباب، أمره بالاجتهاد الزائد، وسول له أن هذا لا يكفيك، وهمتك فوق هذا، وينبغي لك أن تزيد على العاملين، وأن لا ترقد إذا رقدوا ولا تفطر إذا أفطروا وأن لا تفتر إذا فتروا وإذا غسل أحدكم يديه ووجهه ثلاث مرات، فاغسل أنت سبعًا، وإذا توضأ للصلاة فاغتسل أنت لها، ونحو ذلك من الإفراط والتعدي، فيحمله على الغلو والمجاوزة، وتعدي الصراط المستقيم كما يحمل الأول على التقصير دونه وألا يقربه، ومقصوده من الرجلين إخراجهما عن الصراط المستقيم، هذا بألا يقربه ولا يدنو منه وهذا بأن يجاوزه ويتعداه، وقد فتن بهذا أكثر الخلق، ولا يُنجي من ذلك إلا علم راسخ، وإيمان وقوة على محاربته ولزوم الوسط واللَّه المستعان)[١].

٣- تثبيطه العباد عن العمل ورميهم بالتسويف والكسل:

وله في ذلك أساليب وطرق ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ[٢] رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ مَكَانَهَا عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ؛ فَإِنْ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقَدُهُ كُلُّهَا؛ فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ»[٣].

وفي البخاري ومسلم: «إِذَا اسْتَيْقَظَ أُرَاهُ أَحَدُكُمْ مِنْ مَنَامِهِ فَتَوَضَّأَ فَلْيَسْتَنْثِرْ ثَلَاثًا؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَبِيتُ عَلَى خَيْشُومِهِ»[٤]. وسئل الرسول ﷺ عن رجل نام ليلة حتى أصبح، فقال: «ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنَيْهِ»[٥].

---

(١) الوابل الصيب (ص: ١٩).

(٢) القافية: مؤخر الرأس.

(٣) صحيح، رواه البخاري (١١٤٢، ٣٢٦٩) واللفظ له، ومسلم (٢٠٧/٧٧٦)، وأبو داود (١٣٠٦)، والنسائي (١٦٠٧)، وابن ماجه (١٣٢٩).

(٤) صحيح، رواه البخاري (٣٢٩٥)، ومسلم (٢٣/٢٣٨).

(٥) صحيح، رواه البخاري (٣٢٧٠)، ومسلم (٢٠٥/٧٧٤)، والنسائي (١٦٠٨).

وهذا الذي ذكرناه تكسيل وتثبيط من الشيطان بفعله، وقد يثبط الإنسان بالوسوسة وسبيله في ذلك أن يحبب للإنسان الكسل ويُسوف العمل ويسند الأمر إلى طول الأمل، يقول ابن الجوزي في هذا: كم قد خطر على قلب يهودي ونصراني حب الإسلام، فلا يزال إبليس يثبطه ويقول له: لا تعجل وتمهل في النظر فيُسوِّفه حتى يموت على كفره، وكذلك يُسوف العاصي بالتوبة فيعجل له غرضه من الشهوات، ويمنيه الإنابة كما قال الشاعر:

لا تعجل الذنب لما تشتهي وتأمل التوبة من قابل

وكم من عازم على الجد سوّفه!!! وكم من ساع إلى مقام فضيلة ثبطه! فلربما عزم الفقيه على إعادة درسه، فقال: استرح ساعة، أو استيقظ العابد في الليل يصلي، فقال له: أمامك وقت، ولا يزال يحبب الكسل، ويُسوّف العمل، ويسند الأمر إلى طول الأمل.

٤- الوعد والتمنية:

وهو يعد الناس بالمواعيد الكاذبة ويُمنيهم بالأماني المعسولة، كي يوقعهم في وهدة الضلال ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ [النساء]، يعد الكفرة في قتالهم المؤمنين بالنصر والتمكين والعزة والغلبة، ثم يتخلى عنهم ويولي هاربًا ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنفال :٤٨].

ويعد الأغنياء بالثروة والمال في الآخرة بعد الدنيا فيقول قائلهم: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ [الكهف :٣٦]، فيدمر اللّه جنته في الدنيا فيعلم أنه كان مغرورًا مخدوعًا، ويشغل الإنسان بالأماني المعسولة التي لا وجود لها في واقع الحياة فيصده عن العمل الجاد المثمر، ويرضى بالتخيل والتمني وهو لا يفعل شيئًا.

٥- إظهار النصح للإنسان:

يدعو الشيطان المرء إلى المعصية بزعم أنه ينصح له ويريد خيره، وقد أقسم لأبينا على أنه ناصح له ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ [الأعراف].

٦- التدرج في الإضلال:

فيطرق الشيطان على العبد ستة أبواب من أبواب الشر يتدرج في طرقها كلما يئس من باب تنازل إلى الباب الذي يليه.

قال ابن القيم رحمه اللَّه في التدرج في طرق أبواب الشر: ينحصر شر الشيطان في ستة أجناس، لا يزال بابن آدم حتى ينال منه واحدًا منها أو أكثر:

❁ الشر الأول:

يطرق على المرء باب الشرك، والكفر، ومعاداة اللَّه ورسوله؛ فإن ظفر بذلك من ابن آدم برد أنينه، واستراح من تعبه معه، وهو أول ما يريده من العبد فلا يزال به حتى يناله منه؛ فإذا نال ذلك صَيَّره من جنده وعسكره، واستنابه على أمثاله وأشكاله، فصار من دعاة إبليس؛ فإن يئس من ذلك، وكان ممن سبق له الإسلام في بطن أمه نقله إلى المرتبة الثانية.

❁ الشر الثاني:

إن يئس من الشر الأول ألا وهو باب الشرك والكفر، طرق عليه باب البدعة، وهي أحب إلى الشيطان من الفسوق والعصيان، أي الابتداع في الدين وعدم اتباع الكتاب والسنة؛ فإن ظفر من العبد بهذا الشر ألا وهو شر البدعة جعل المبتدع نائبًا من نوابه وداعيًا من دعاته، أما هذا الرجل إن سبقت له من اللَّه موهبة اتباع السنة ومعاداة أصحاب البدع والضلال نقله إلى المرتبة الثالثة.

❁ الشر الثالث:

الكبائر على اختلاف أنواعها، والشيطان حريص على أن يوقعه فيها، ولا سيما إن كان عالمًا لينفر الناس عنه ثم يشيع ذنوبه ومعاصيه في الناس بل ويستنيب منهم من

يشيعها ويذيعها فمن فعل هذا كان نائبًا من نواب إبليس، فإن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة، هذا إذا أحبوا إشاعتها وإذاعتها، فكيف إذا تولوا هم إشاعتها وإذاعتها؛ فإن عَجَز عن هذه المرتبة نقله إلى المرتبة الرابعة.

❁ الشر الرابع:

الصغائر: وهي التي إذا اجتمعت فربما أهلكت صاحبها، وقد جاء في الحديث الصحيح: «إياكم ومحقرات الذنوب؛ فإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى حملوا ما أنضجوا به خبزهم، وإنَّ محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه»(١). ولا يزال يحقر عليه أمر الصغيرة حتى يستهين بها فيكون صاحب الكبيرة الخائف منها أحسن حالًا منه؛ فإذا أعجزه العبد في هذه المرتبة نقله إلى المرتبة الخامسة.

❁ الشر الخامس:

اشتغاله بالمباحات التي لا ثواب فيها ولا عقاب، والرسول ﷺ يقول في الحديث الصحيح: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»(٢)، أي: لا يعرف قدرهما إلا بعد فواتهما، والمؤمن دائمًا حريص على وقته فيستعمله في الطاعات لأنه يعلم أن أنفاسه قد عدت عليه عدًا؛ فإن أعجزه العبد في هذه المرتبة نقله إلى المرتبة السادسة.

❁ الشر السادس:

أن يشغله بالعمل المفضول عما هو أفضل منه ليُفوّت عليه ثواب العمل الفاضل فقد يأمرك الشيطان بفعل الخير المفضول ويَحضُّك عليه ويحسنه لك حتى تترك العمل بما هو أفضل، وبالتالي يضيع عليك ثواب العمل الأفضل، وقل من ينتبه من

---

(١) صححه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٨٣).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٦٤١٢) بلفظه عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما.

الناس لذلك، فالشيطان قد يأمر بسبعين بابًا من أبواب الخير، إما ليتوصل بها إلى باب واحد من أبواب الشر، وإما ليفوت عليك بابًا أفضل وأجلّ وأعظم من تلك السبعين، وهذا لا يتوصل إلى معرفته إلا بنور من اللَّه يقذفه في قلب العبد، ويكون سببه تجريد متابعة الرسول ﷺ، وشدة العناية بمراتب الأعمال عند اللَّه، وأحبها وأرضاها إليه وأنفعها للعبد، وأعمها نصيحة للَّه ولرسوله ولكتابه، ولعباده المؤمنين خاصتهم وعامتهم، ولا يعرف هذا إلا من كان من ورثة الرسول ﷺ، وذلك فضل اللَّه يؤتيه من يشاء واللَّه ذو الفضل العظيم.

فإن أعجزه العبد من هذه المراتب الست، سلط عليه حزبه من الإنس والجن بأنواع الأذى، فعندئذٍ توجه إليه السهام من قبل شياطين الإنس والجن فهذا يتهمه بالتضليل، وهذا يريد أن يثنيه عن عزمه، وهذا يريد إخماده وإطفاء نوره، واللَّه متمُّ نوره ولو كره المجرمون، فمن وصل إلى هذه الدرجة عليه أن يلبس لأْمَةَ الحرب، ولا يضعها عنه إلى الموت، لأنه متى وضعها أُسر أو أُصيب، فلا يزال في جهاد حتى يلقى اللَّه عز وجل[1].

٧- إنساؤه العبد ما فيه خيره وصلاحه:

ومن ذلك ما فعله بآدم فما زال يوسوس له حتى أنساه ما أمره به ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ [طه]، وقال صاحب موسى لموسى: ﴿فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ [الكهف :٦٣]. ونهى اللَّه رسوله ﷺ أن يجلس هو وأصحابه والمؤمنون من بعدهم في المجالس التي يُستهزأ فيها بآيات اللَّه ولكن الشيطان قد يُنسي الإنسان مراد ربه منه فيجالس هؤلاء المستهزئين ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام].

وطلب نبي اللَّه يوسف عليه السلام إلى السجين الذي ظن أنه سينجو من القتل

---

(١) راجع التفسير القيم لابن القيم (ص: ٦١٢-٦١٤) بتصرف.

ويعود لخدمة الملك، أن يذكره عند ملكه، فأنسى الشيطان هذا الإنسان أن يذكر لملكه نبيَّ اللَّه يوسف فمكث يوسف في السجن بضع سنين ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [يوسف].

وإذا تمكن الشيطان من الإنسان تمكنًا كليًا فإنه ينسيه اللَّه بالكلية ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المجادلة]، والمراد بهؤلاء المنافقون كما تدل عليه الآية السابقة لهذه الآية، وسبيل التذكر ذكر اللَّه لأنه يطرد الشيطان ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف:٢٤].

٨- تخويف المؤمنين بأوليائه:

ومن وسائله أن يخوف المؤمنين بجنده وأوليائه، فلا يجاهدونهم ولا يأمرونهم بالمعروف، ولا ينهونهم عن المنكر، وهذا من أعظم كيده بأهل الإيمان وقد أخبرنا سبحانه عنه بهذا فقال: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران]، والمعنى: يخوفكم بأوليائه، قال قتادة: (يعظمهم في صدوركم، ولهذا قال: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥]، فكلما قوي إيمان العبد زال من قلبه خوف أولياء الشيطان، وكلما ضعف إيمانه قوي خوفه منهم).

٩- دخوله إلى النفس من الباب الذي تحبه وتهواه:

يقول ابن القيم في هذا الموضوع[1]: (إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم حتى يصادف نفسه ويخالطها، ويسألها عما تحبه وتؤثره فإذا عرفته استعان بها على العبد، ودخل عليه من هذا الباب، وكذلك عَلَّمَ إخوانه وأولياءه من الإنس إذا أرادوا أغراضهم الفاسدة من بعضهم بعضًا أن يدخلوا عليهم من الباب الذي يحبونه ويهوونه، فإنه باب لا يُخذل عن حاجته من دخل منه، ومن رام الدخول

(١) إغاثة اللَّهفان (١/١٣٢).

من غيره فالباب عليه مسدود، وهو عن طريق مقصده مصدود).

ومن هنا دخل الشيطان على آدم وحواء كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠].

يقول ابن القيم: (فشام عدو اللَّه الأبوين، فأحس منهما إيناسًا وركونًا في تلك الدار إلى النعيم المقيم، فعلم أنه لا يدخل عليهما من غير هذا الباب، فقاسمهما باللَّه إنه لهما من الناصحين، وقال: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين).

١٠- إلقاء الشبهات:

ومن أساليبه في إضلال العباد إلقاء الشبهات والشكوك في النفوس، وقد حذرنا الرسول ﷺ من بعض هذه الشبهات التي يلقيها، ففي حديث البخاري ومسلم: «يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَنْتَهِ»(١). ولم يسلم الصحابة رضوان اللَّه عليهم من شبهاته وشكوكه، وجاء بعضهم إلى الرسول ﷺ يشكون مما يعانونه من شكوكه ووساوسه، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: «جَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَسَأَلُوهُ: إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ! قَالَ: وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ»(٢).

ومراد الرسول ﷺ بقوله: «ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ» أي: دفع وسوسة الشيطان وكراهيتهم واستعظامهم لها، أي: أن صريح الإيمان هو الذي يمنعهم من التحدث أو العمل بما يمليه الشيطان عليهم من الوسوسة.

وانظر إلى شدة ما كان يعانيه الصحابة من شكوكه، أخرج أبو داود في سننه عن ابن عباس: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَحَدَنَا يَجِدُ فِي نَفْسِهِ

(١) صحيح، رواه البخاري (٣٢٧٦)، ومسلم (١٣٤/٢١٤).

(٢) صحيح، رواه مسلم (١٣٢/٢٠٩).

يُعَرِّضُ بِالشَّيْءِ لأَنْ يَكُونَ حُمَمَةً أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ كَيْدَهُ إِلَى الْوَسْوَسَةِ»(١). وقَالَ ابْنُ قُدَامَةَ: رَدَّ أَمْرَهُ مَكَانَ رَدَّ كَيْدَهُ.

ومن جملة ما يلقيه في النفوس مشككًا ما حدثنا عنه ربنا في قوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الحج].

والمراد بالتمني هنا حديث النفس، والمراد أن النبي ﷺ كان إذا حدث نفسه ألقى الشيطان في حديثه على جهة الحيلة، فيقول: لو سألت اللَّه عز وجل أن يغنمك ليتسع المسلمون، أو يتمنى إيمان الناس جميعًا .. فينسخ اللَّه ما يلقيه الشيطان بوسواسه في أمنية النبي ﷺ، وذلك بتنبيهه إلى الحق، وتوجيهه إلى مراد اللَّه ... وما قيل من أن مراد الآية أن الشيطان يدخل في القرآن ما ليس منه ففيه بعد، ويرده أن الرسول ﷺ معصوم في التبليغ.

يقول أحد العلماء الأعلام مبينًا لبعض الشبهات التي يقذفها الشيطان في نفس الإنسان: (ما من صباح إلا قعد لي الشيطان أربع مراصد: من بين يدي، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، فيقول: لا تخف فإن اللَّه غفور رحيم، فأقرأ: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه]، أما من خلفي فيخوفني الضيعة على من أخلفه، فأقرأ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود :٦]، ومن قبل يميني، يأتيني من قبل النساء فأقرأ: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف :١٢٨]، ومن قبل شمالي فيأتيني من قبل الشهوات فأقرأ: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ :٥٤].

---

(١) صحيح، رواه أبو داود (٥١١٢)، وصححه الألباني في سنن أبي داود.

السحر

السحر في اللغة:

قال الأزهري: السحر عمل تُقرب فيه إلى الشيطان وبمعونة منه.

قال أيضًا: أصل السحر صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره فكأن الساحر لما رأى الباطل في صورة الحق وخيّل الشيء على غير حقيقته، قد سحر الشيء عن وجهه أي صرفه[١].أهـ.

قال في المعجم الوسيط: السحر ما لطف مأخذه ودق[٢].أهـ.

السحر في اصطلاح الشرع:

قال ابن قدامة المقدسي: هو عُقَد ورقى، وكلام يتكلم به أو يكتبه، أو يعمل شيئًا يؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله من غير مباشرة له، وله حقيقة فمنه ما يقتل، وما يأخذ الرجل عن امرأته فيمنعه وطأها، ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه، وما يُبغض أحدهما إلى الآخر أو يُحبب بين اثنين[٣].أهـ.

تعريف السحر:

هو اتفاق بين ساحر وشيطان على أن يقوم الساحر بفعل بعض المحرمات أو الشِّركيات في مقابل مساعدة الشيطان وطاعته له فيما يطلب منه.أهـ.

بعض وسائل السحر في التقرب إلى الشيطان:

١- من السحرة من يرتدي المصحف في قدميه يدخل به الخلاء.

٢- ومنهم من يكتب آيات من القرآن بالقذارة.

٣- ومنهم من يكتبها بدم الحيض.

---

(١) لسان العرب (٣٤٨/٤ ط.بيروت).

(٢) المعجم الوسيط (٤١٩/١).

(٣) المغني (١٠٤/١٠).

٤- ومنهم من يكتب آيات من القرآن على أسفل قدميه.

٥- ومنهم من يكتب الفاتحة معكوسة.

٦- ومنهم من يصلي بدون وضوء.

٧- ومنهم من يصلي جنبًا.

٨- ومنهم من يذبح للشيطان فلا يذكر اسم اللَّه عند الذبح، ويرمي الذبيحة في مكان يحدده له الشيطان.

٩- ومنهم من يخاطب الكواكب.

١٠- ومنهم من يأتي أمه أو ابنته.

١١- ومنهم من يكتب (طلسمًا) بألفاظ غير عربية تحمل معان كفرية.

ومن هنا يتبين لنا أن الجني لا يساعد الساحر ولا يخدمه إلا بمقابل، وكلما كان الساحر أشد كفرًا كان الشيطان أكثر طاعة له، وأسرع في تنفيذ أمره، وإذا قصر الساحر في تنفيذ ما أمره به الشيطان من أمور كفرية امتنع الشيطان من خدمته، وعصى أمره، فالساحر والشيطان قرينان التقيا على معصية اللَّه.

إذا نظرت إلى وجه الساحر تجد ظلمة الكفر مسدولة على وجهه كأنها غمامة سوداء، وإذا عرفت الساحر عن قرب، تجده يعيش في شقاء نفسي مع زوجته وأولاده، بل مع نفسه فهو لا يستطيع أن ينام هادئ البال، مرتاح الضمير، بل إنه يفزع في النوم مرات، أضف إلى ذلك أن الشيطان كثيرًا ما يؤذي أولاده وزوجته، ويوقع بينهم الشقاق والخلاف، وصدق اللَّه العظيم: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه :١٢٤].

الأدلة على وجود السحر:

أولًا: الأدلة من القرآن الكريم:

١- قال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى

ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [البقرة].

٢- وقال تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [يونس].

٣- وقال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [يونس].

٤- وقال تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [طه].

٥- وقال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأعراف].

٦- وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ [الفلق].

قال القرطبي: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾ [الفلق] يعني الساحرات اللاتي ينفثن في عقد الخيط حين يرقين بها[(١)].أهـ.

قال الحافظ ابن كثير: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾ [الفلق] قال

(١) تفسير القرطبي (٢٠/٢٥٧).

مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك: يعني السواحر[١].أهـ.

قال ابن جرير الطبري: أي ومن السواحر اللائي ينفثن في عقد الخيط حين يرقين عليها، قال القاسمي: وبه قال أهل التأويل[٢].أهـ.

والآيات في ذكر السحر والسحرة كثيرة مشهورة عند من له أدنى معرفة بدين الإسلام.

ثانيًا: الأدلة من السنة:

١- عن عائشة رضي اللَّه عنها قالت: «سَحَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَهُودِيٌّ مِنْ يَهُودِ بَنِي زُرَيْقٍ يُقَالُ لَهُ: لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ، قَالَتْ: حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ ذَاتَ لَيْلَةٍ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ دَعَا ثُمَّ دَعَا ثُمَّ قَالَ: يَا عَائِشَةُ أَشَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ، جَاءَنِي رَجُلَانِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِي لِلَّذِي عِنْدَ رِجْلَيَّ أَوْ الَّذِي عِنْدَ رِجْلَيَّ لِلَّذِي عِنْدَ رَأْسِي: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: مَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ قَالَ: فِي أَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ قَالَ: وَجُفِّ طَلْعَةِ ذَكَرٍ، قَالَ: فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذِي أَرْوَانَ، قَالَتْ: فَأَتَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ثُمَّ قَالَ: يَا عَائِشَةُ وَاللَّهِ لَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَّاءِ، وَلَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أَحْرَقْتَهُ؟ قَالَ: لَا أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَافَانِي اللَّهُ وَكَرِهْتُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا فَأَمَرْتُ بِهَا فَدُفِنَتْ»[٣].

معنى الكلمات:

مطبوب: مسحور.

من طبه؟: من سحره؟

(١) تفسير ابن كثير (٤/٥٧٣).

(٢) تفسير القاسمي (١٠/٣٠٢).

(٣) رواه البخاري (٥٧٦٣)، ومسلم (٢١٨٩/٤٣) واللفظ له، وابن ماجه (٣٥٤٥).

المُشاطة: الشعر المتساقط من الرأس واللحية عند ترجيلهما.

جُف طلع نخلة: الجف هو الغشاء الذي يكون على الطلع.

الطلع: هو ما يطلع من النخلة ثم يصير ثمرًا إذا كانت أنثى، وإن كانت ذكرًا لم يصر ثمرًا، بل يؤكل طريًا ويترك على النخلة أيامًا معلومة حتى يصير فيه شيء أبيض مثل الدقيق وله رائحة زكية فيلقح به الأنثى.

نقاعة الحناء: حمراء مثل عصارة الحناء إذا وضعت في الماء.

كأن رؤسها رؤوس الشياطين: أي أنها مستدقة كرؤوس الحيات، والحية يقال لها الشيطان، وقيل: أراد أنها سيئة المنظر قبيحة الأشكال كرؤوس الشياطين حقيقة.

معنى الحديث:

اليهود لعنهم اللَّه، اتفقوا مع لبيد بن الأعصم، وهو من أسحر اليهود أن يعمل سحرًا لرسول اللَّه ﷺ ويعطوه ثلاثة دنانير، وفعلًا قام ذلك الشقي بعمل السحر في شعرات من شعر النبي ﷺ -قيل أنه حصل عليها من جارية صغيرة كانت تذهب إلى بيوت النبي ﷺ- وعقد عليها سحرًا ووضع السحر في بئر ذروان.

والظاهر من جميع طرق الحديث، أن هذا السحر كان من نوع عقد الرجل عن زوجته، فكان النبي ﷺ يخيل إليه أنه يستطيع أن يجامع إحدى زوجاته، فإذا اقترب منها لم يستطع ذلك، ولم يمس هذا السحر عقله ولا سلوكياته ولا تصرفاته، وإنما كان قاصرًا على ما ذُكر.

واختلف في مدة هذا السحر، فقيل: أربعين يومًا، وقيل غير ذلك فاللَّه أعلم، ثم دعا النبي ﷺ ربه وألح في الدعاء، فاستجاب اللَّه دعاءه، وأنزل ملكين جلس أحدهما عند رأس النبي ﷺ والآخر عند رجليه، فقال أحدهما: ما به؟ فرد عليه الآخر: مطبوب -مسحور- قال: من سحره؟ قال: لبيد بن الأعصم اليهودي، ثم بين أن سحره في مُشط ومُشاطة من شعر النبي ﷺ ووضعه في جف طلع نخل ذكر، ليكون أقوى وأشد تأثيرًا ثم دفنه تحت صخرة في بئر ذروان.

فلما انتهى الملكان من تشخيص حالة النبي ﷺ أمر النبي ﷺ باستخراج السحر ودفنه، وفي بعض الروايات حرقه، ومن جمع طرق الحديث؛ يظهر أن اليهود صنعوا للنبي ﷺ سحرًا من أشد أنواع السحر وكان غرضهم قتله ﷺ.

ومن السحر ما يقتل كما هو معلوم ولكن اللَّه عصمه من كيدهم، فخفف إلى أخف أنواع السحر وهو (الربط).

شبهة وجوابها:

قال المزري رحمه اللَّه: قد أنكر هذا الحديث المبتدعة من حيث إنه يحطُّ منصب النبوة، ويشكك فيها، وأن تجويزه يمنع الثقة بالشرع، وقالوا: فلعله حينئذ يخيل إليه أن جبريل عليه السلام يأتيه وليس ثم جبريل، وأنه أوحي إليه. قال: وهذا الذي قالوه باطل قطعًا لأن دليل الرسالة وهو المعجزة، دل على صدقه فيما يبلغه عن اللَّه تعالى، وعصمته ﷺ فيه، وتجويز ما قام الدليل بخلافه باطل[١].

قال أبو الجكني اليوسفي رحمه اللَّه:

أما وقوع المرض بالنسبة للنبي ﷺ بسبب السحر، فلا يجر خللًا لمنصب النبوة؛ لأن المرض الذي لا نقص فيه في الدنيا يقع للأنبياء ويزيد في درجاتهم في الآخرة عليهم الصلاة والسلام، وحينئذ فإذا خيل له بسبب مرض السحر أنه يفعل شيئًا من أمور الدنيا وهو لم يفعله، ثم زال ذلك عنه بالكلية بسبب اطلاع اللَّه تعالى له على مكان السحر، وإخراجه إياه من محله ودفنه، ولا يلحق الرسالة من هذا كله شيء لأنه مرض كسائر الأمراض، لا تسلط له على عقله بل هو خاص بظاهر جسده كبصره، حيث صار يخيل إليه تارة فعل الشيء من ملامسة بعض أزواجه وهو لم يفعله، وهذا في زمن المرض لا يضر، قال: والعجب ممن يظن هذا الذي وقع من المرض بسبب السحر لرسول اللَّه ﷺ قادحًا في رسالته مع ما هو صريح في القرآن في قصة موسى مع سَحَرة فرعون، حيث صار يُخيَّل إليه من سحرهم أن عصيهم

(١) زاد المسلم (٤/٢٢١).

تسعى، فثبته اللَّه كما دل عليه قوله تعالى: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾ [طه]، ولم يقل أحد من أهل العلم ولا من أهل الذكاء أن ما خُيل لموسى عليه الصلاة والسلام أولًا من سعي عصي السحرة قادح في رسالته، بل وقوع مثل هذا للأنبياء عليهم الصلاة والسلام يزيد قوة الإيمان بهم لكون اللَّه تعالى ينصرهم على أعدائهم، ويخرق لهم العادة بالمعجزات الباهرة، ويخذل السحرة والكفرة ويجعل العاقبة للمتقين كما هو مبين في آيات الكتاب المبين[1].أهـ.

٢- وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ»[2].

مفردات الحديث:

الموبقات: المهلكات.

التولي: الفرار والنكوص.

يوم الزحف: ساعة الجهاد في سبيل اللَّه.

قذف المحصنات: رمي المرأة بالزنا.

الشاهد: والشاهد من الحديث، أن النبي ﷺ أمرنا باجتناب السحر، وبيَّن أنه من الكبائر المهلكات وهذا يدل على أن السحر حقيقة لا خرافة.

٣- وعن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَنْ اقْتَبَسَ عِلْمًا

(١) زاد المسلم (٤/٢٢١).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٢٧٦٧، ٦٨٥٧)، ومسلم (٨٩/١٤٥)، وأبو داود (٢٨٧٤)، والنسائي (٣٦٧١).

مِنْ النُّجُومِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنْ السِّحْرِ؛ زَادَ مَا زَادَ»[(١)].

مفردات الحديث:

من اقتبس: تعلم.

شعبة: قطعة.

زاد ما زاد: زاد من السحر كلما زاد من علم النجوم.

الشاهد: الشاهد من الحديث أن النبي ﷺ وضَّح إحدى الطرق المؤدية إلى تعلم السحر كي يَحذَرهُ المسلمون، وهذا دليل على أن السحر علم حقيقي يُتعلم، ومما يدل على ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة :١٠٢] فاتضح أن السحر علم كالعلوم له أصوله التي يقوم عليها، والآية والحديث في معرض ذم تعلم السحر.

٤- وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من تطير أو تُطير له، أو تكهن أو تُكهن له، أو سحر أو سُحر له، ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»[(٢)].

مفردات الحديث:

تطيَّر: تشاءم وكان العربي في الجاهلية إذا أراد أن يسافر أطلق طيرًا فإذا طار جهة اليمين مضى في سفره، وإذا طار جهة الشمال تشاءم ورجع.

---

(١) صحيح، رواه أبو داود (٣٩٠٥)، وابن ماجه (٣٧٢٦)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٠٥١)، وأحمد في المسند (٢٨٣٦) وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير الوليد بن عبد الله بن أبي مغيث فقد روى له أبو داود وابن ماجة.

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/٢٠/٨٤٨٠): رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا إسحاق بن الربيع وهو ثقة. وقال المنذري في الترغيب (٣٢/٤): إسناده جيد.أهـ، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٠٤١): صحيح لغيره.

تَكهَّن: ادعى معرفة الغيب.

تُكهِّن له: ذهب إلى كاهن يسأله عن المستقبل.

الشاهد: والشاهد أن النبي ﷺ نهى عن السحر والذهاب إلى الساحر، والنبي ﷺ لا ينهي إلا عن شيء موجود وله حقيقة.

٥- وعن أبي موسى الأشعري رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «لا يدخل الجنة مدمن خمر ، ولا مؤمن بسحر ، ولا قاطع رحم»[(١)].

معنى الحديث:

ثلاثة لا يدخلون الجنة إلا بعد أن يعذبوا في النار فترة لذنوبهم ومعاصيهم:

١- مدمن خمر: يعني شارب الخمر الذي أدمنها يعني يداوم على شربها.

٢- مؤمن بسحر: يعتقد أن السحر يؤثر بذاته لا بتقدير اللَّه وإرادته.

٣- قاطع رحم: هاجر لأقاربه فلا يصلهم ولا يزورهم.

الشاهد: أن النبي ﷺ نهى عن الاعتقاد بأن السحر يؤثر بذاته، وإنما يجب على المؤمن أن يعتقد أن السحر وغيره لا يؤثر إلا بإرادة اللَّه ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة :١٠٢].

ثالثًا: بعض أقوال العلماء:

١- قال القرطبي: ذهب أهل السنة إلى أن السحر ثابت وله حقيقة.

٢- قال النووي رحمه اللَّه تعالى: والصحيح أن السحر له حقيقة، وبه قطع الجمهور وعليه عامة العلماء ويدل عليه الكتاب والسنة الصحيحة المشهورة[(٢)].أهـ.

---

(١) رواه ابن حبان وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٠٥٠): حسن لغيره، وأحمد في المسند (١٠٧٢٣، ١١٣٧٢، ٢٦٩٣٨) بلفظ: «لا يدخل الجنة صاحب خمس: مدمن خمر، ولا مؤمن بسحر، ولا قاطع رحم، ولا كاهن، ولا منان»، وقال الأرناؤوط: حسن لغيره.

(٢) نقلًا عن فتح الباري (٢٢٢/١٠).

٣- قال ابن قدامة رحمه الله تعالى: والسحر له حقيقة فمنه ما يقتل وما يمرض وما يأخذ الرجل عن امرأته فيمنعه وطأها ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه. قال: وقد اشتهر بين الناس وجود عقد الرجل عن امرأته حين يتزوجها فلا يقدر على إتيانها، وإذا حُلَّ عَقْدُه يقدر عليها بعد عجزه عنها حتى صار متواترًا لا يمكن جحده، قال: وقد روي من أخبار السحرة ما لا يكاد يمكن التواطؤ على الكذب فيه[١].أهـ.

٤- وقال أبو محمد المقدسي رحمه الله تعالى في (الكافي): السحر عزائم ورُقى، وعقد يؤثر في القلب والأبدان فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه، قال تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة: ١٠٢]، قال سبحانه: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ [الفلق] يعني: السواحر اللاتي يعقدن في سحرهن وينفثن في عقدهن ولولا أن السحر حقيقة لم يأمر الله بالاستعاذة منه[٢].أهـ.

٥- قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في (بدائع الفوائد): وقد دل قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ [الفلق] وحديث عائشة رضي الله عنها، على تأثير السحر وأن له حقيقة[٣].

الاتفاق بين الساحر والشيطان:

غالبًا ما يحدث هناك اتفاق بين الساحر والشيطان، على أن يقوم الأول بفعل بعض الأمور الشركية أو بعض أعمال الكفر الصريح -خفية أو جهرة- وأن يقوم الشيطان بخدمة الساحر أو تسخير من يخدم الساحر.

لأن الاتفاق غالبًا ما يحدث بين الساحر وشيطان من زعماء قبائل الجن

---

(١) المغني (١٠/١٠٦).

(٢) نقلًا عن فتح المجيد (٣١٤).

(٣) نقلًا عن هامش فتح المجيد (٣١٥) تعليق الأرناؤوط.

والشياطين، فيقوم هذا الزعيم بإصداره أمره إلى سفيه من سفهاء القبيلة بأن يخدم هذا الساحر، ويطيعه في تنفيذ أوامره؛ من الإخبار بأمور حدثت، أو القيام بالتفريق بين اثنين أو إلقاء المحبة بينهما، أو عقد رجل على زوجته ... إلى آخر هذه الأمور التي ستتناولها بالتفصيل إن شاء اللَّه تعالى.

فيقوم الساحر بتسخير هذا الجني لأعمال الشر التي يريدها فإن عصاه الجني تقرب الساحر إلى زعيم القبيلة بأنواع من العزائم التي تحمل في طياتها تعظيم هذا الزعيم والاستعانة به من دون اللَّه تعالى، فيقوم هذا الزعيم بمعاقبة الجني وأمره بطاعة الساحر أو تسخير غيره لخدمة هذا الساحر المشرك.

ولذلك نجد العلاقة بين الساحر والجني المُسخَّر لخدمته علاقة كره وبغض، ومن هنا نجد أن هذا الجني كثيرًا ما يؤذي الساحر في أهله وأولاده أو ماله أو غير ذلك بل أحيانًا ما يؤذي الساحر نفسه وهو لا يدري كالصداع الدائم أو الأرق الملازم عند النوم، أو الفزع في الليل إلى غير ذلك من الأمور، بل إن السحرة السفليين غالبًا لا ينجبون لأن الجني يقتل الطفل في الرحم قبل أن يكتمل خلقه وهذا مشهور بين السحرة حتى أنَّ بعضهم ترك السحر كي يرزق بأبناء.

كيف يحضر الساحر جنيًا؟

هناك طرق كثيرة ومتنوعة وكلها تحتوي على شرك أو كفر صريح: والغرض من بيان هذه الطرق، تحذير المسلمين من طرق الشر والضلال، ولتبستبين سبيل المجرمين فمنها:

الطريقة الأولى: طريقة الإقسام:

يدخل الساحر غرفة مظلمة ثم يوقد نارًا ويضع على النار نوعًا من البخور حسب الموضوع المطلوب، إذا كان يريد التفريق أو إلقاء العداوة والبغضاء وما شاكل ذلك، يضع على النار بخورًا ذا رائحة كريهة، وإذا كان يريد إلقاء المحبة أو فك ربط -عقد الرجل عن زوجته- أو حل سحر يضع بخورًا ذا رائحة طيبة ثم يبدأ الساحر

في تلاوة (عزيمته الشركية) وهي طلاسم معينة تحتوي على إقسام على الجن بسيدهم، وسؤالهم بعظيمهم، كما تتضمن أنواعًا من الشرك الأخرى كتعظيم كبراء الجن والاستغاثة بهم وغير ذلك.

بشرط أن يكون الساحر -عليه لعنة اللَّه- غير طاهر إما جُنبًا أو مرتديًا لثوب نجس ... إلخ، وبعدما ينتهي من تلاوة العزيمة الكُفرية، يظهر أمامه شبح على هيئة كلب أو ثعبان أو أي هيئة أخرى فيأمره الساحر بما يريد، وأحيانًا لا يظهر له شيء وإنما يسمع صوتًا، وأحيانًا لا يسمع شيئًا وإنما يعقد على (أثر) من آثار الشخص المطلوب سحره مثل شعره أو قطعة من ثوبه فيها رائحة عرقه... إلخ، ثم يأمر الجني بما يريد.

التعليق على هذه الطريقة:

من دراسة هذه الطريقة يتبين الآتي:

١- الجن تفضل الغرف المظلمة.

٢- من الشرك الظاهر والصريح في هذه الطريقة الإقسام بالجن والاستغاثة بهم.

٣- الجن تفضل النجاسة والشياطين تتقرب من الأنجاس.

الطريقة الثانية: طريقة الذبح:

يحضر الساحر طائرًا أو حيوانًا أو دجاجة أو حمامة أو غيرها بأوصاف معينة حسب طلب الجني -وغالبًا ما تكون سوداء لأن الجن يفضلون اللون الأسود- ثم يذبحها ولا يذكر اسم اللَّه عليها ، وأحيانًا يلطخ المريض بدمها وأحيانًا لا يفعل هذا، ثم يرميها في بعض الخرابات أو الآبار أو الأماكن المهجورة -التي هي غالبًا مسكن الجن- ولا يذكر اسم اللَّه عليها عند الرمي، ثم يعود إلى بيته فيقول عزيمته الشركية ثم يأمر الجني بما يريد.

التعليق على هذه الطريقة:

يتلخص الشرك في هذه الطريقة في أمرين:

أولهما: الذبح للجن وهو محرم باتفاق العلماء سلفًا وخلفًا بل هو شرك لأنه ذبح

لغير اللَّه فلا يجوز لمسلم أن يأكل منه فضلًا عن أن يفعله، ومع ذلك فإن الجهال في كل زمان ومكان يقومون بهذا الفعل الخبيث.

وفي صحيح مسلم من حديث علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ»[١].

ثانيهما: العزيمة الشركية: وهي تلك الألفاظ والطلاسم أثناء تحضيره للجن وهي تتضمن شركًا صريحًا كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في غير ما موضع من كتبه.

الطريقة الثالثة: الطريقة السفلية:

هذه طريقة مشهورة بين السحرة بالطريقة السفلية، وصاحبها تكون له مجموعة كبيرة من الشياطين تخدمه وتُنفذ أمره لأنه أعظم السحرة كفرًا، وأشدهم إلحادًا -عليه لعنة اللَّه- وتتلخص هذه الطريقة فيما يلي:

يقوم الساحر -عليه لعائن اللَّه المتتابعة- بارتداء المصحف في قدميه على هيئة حذاء ثم يدخل به الخلاء، ثم يبدأ في تلاوة الطلاسم الكفرية داخل الخلاء ثم يخرج ويجلس في غرفة ويأمر الجن بما شاء، فنجد الجن يسارعون إلى طاعته وتنفيذ أوامره وما ذلك إلا لأنه كفر باللَّه العظيم، وأصبح أخًا من إخوان الشياطين، فقد باء بالخسران المبين، فعليه لعنة اللَّه رب العالمين.

ويشترط في الساحر السفلي أن يكون مرتكبًا لمجموعة من الكبائر -غير ما ذكرنا- كإيتان المحارم، أو اللواط، أو الزنا بأجنبية، أو سب الأديان، كل ذلك ليرضي الشيطان.

الطريقة الرابعة: طريقة النجاسة:

وفي هذه الطريقة، يكتب الساحر الملعون سورة من سور القرآن الكريم بدم الحيض أو بغيره من النجاسات ثم يقول الطلاسم الشركية، فيحضر الجني فيأمره بما يريد،

---

(١) صحيح، رواه مسلم (١٩٧٨/٤٣، ٤٤).

ولا يخفي ما في هذه الطريقة من الكفر الصريح لأن الاستهزاء بسورة بل بآية من آيات القرآن الكريم كفر باللَّه عظيم، فما بالك بمن كتبها بالنجاسة -نعوذ باللَّه من الخذلان- ونسأله سبحانه أن يثبت قلوبنا على الإيمان، وأن يميتنا على الإسلام، وأن يحشرنا في زمرة خير الأنام.

الطريقة الخامسة: طريقة التنكيس:

وفي هذه الطريقة يقوم الساحر -عليه لعنة اللَّه- بكاتبة سورة من سور القرآن الكريم بالحروف المفردة معكوسة يعني من آخرها إلى أولها ثم يقول عزيمته الشركية فيحضر الجني فيأمره بالمطلوب، وهذه الطريقة محرمة أيضًا مع ما فيها من شرك وكفر.

الطريقة السادسة: التنجيم:

وهذه الطريقة أيضًا تسمى بـ (الرصد) لأن الساحر يترصد طلوع نجم معين ثم يقوم بمخاطبته بتلاوات سحرية ثم يتلو طلسمًا آخر، يحمل في طياته من الشرك والكفر ما اللَّه به عليم ثم يفعل حركات -يزعم أنها تعمل على استنزال روحانية هذا النجم- ولكنها في الحقيقة عبادة لهذا النجم من دون اللَّه وإن كان المنجم لا يدري، فتلك عبادة وتعظيم لغير اللَّه فعند ذلك تقوم الشياطين بتلبية أمر الساحر اللعين فيظن الساحر أن النجم هو الذي ساعده ولكن النجم المُفترى عليه ما يدري بشيء من هذا.

ولا يخفى ما في هذه الطريقة من تعظيم لغير اللَّه واستغاثة بغير اللَّه، وكل هذا شرك، ناهيك عن الطلاسم الكفرية.

الطريقة السابعة: طريقة الكف:

وفي هذه الطريقة يحضر الساحر صبيًا صغيرًا لم يبلغ الحلم بشرط أن يكون غير متوضئ ثم يأخذ كف الصبي الأيسر ثم يرسم عليه مربعًا كهذا:

ويكتب حول هذا المربع طلاسم سحرية -وطبعًا تحتوي على شرك- يكتب هذه الطلاسم حول المربع من جهاته الأربع، ثم يضع في كف الصبي في وسط هذا المربع (زيت وزهرة زرقاء أو زيت وحبر أزرق) ثم يكتب طلاسم أخرى بحروف مفردة على ورقة مستطيلة ثم توضع هذه كالمظلة على وجه الصبي، ويرتدي فوقها قلنسوة حتى تثبت ثم يغطى الطفل كله بثوب ثقيل، والطفل في هذه الحالة يكون ناظرًا في كفه فطبعًا لا يراه لأن الجو مظلم ثم يبدأ الساحر الملعون بقراءة عزيمة كفرية شديدة، فإذا بالطفل يشعر كأن الجو قد أصبح نورًا ويرى صورًا تتحرك في كفه فيقول الساحر للصبي ماذا ترى؟ فيقول الصبي: أرى أمامي صورة رجل، فيقول الساحر: قل له يقول لك المُعزِّم كذا وكذا فتتحرك الصورة حسب الأوامر.

وغالبًا ما يستخدمون هذه الطريقة في البحث عن الأشياء المفقودة، ولا يخفى كذلك ما في هذه الطريقة من شرك وكفر وطلاسم غير مفهومة.

الطريقة الثامنة: طريقة الأثر:

وفي هذه الطريقة يطلب الساحر من المريض بعض آثاره من منديل أو عمامة أو قميص أو أي شيء يحمل رائحة عرق المريض ثم يعقد هذا المنديل من طرفه ثم يقيس مقدار أربعة أصابع ثم يمسك المنديل مسكًا محكمًا، ثم يقرأ سورة التكاثر أو أي سورة قصيرة يرفع بها صوته ثم يقول طلسمًا شركيًا يُسر به ثم ينادي الجن ويقول: إن كان ما به من المرض سببه الجن فقصروه، وإن كان ما به من العين فطولوه، وإن كان من الطب فدعوه كما هو ثم يقيسه مرة أخرى بعد ذلك فإن وجده قد طال عن أربعة أصابع قال: أنت مصاب بعين (الحسد) وإن كان قد قصر قال: أنت مصاب بالجن، وإن وجده كما هو أربعة أصابع قال: ما عندك شيء اذهب إلى طبيب.

التعليق على هذه الطريقة:

١- التلبيس على المريض حيث يرفع الساحر صوته بالقرآن ليظن المريض أنه يعالج

بالقرآن وليس كذلك وإنما السر في الطلسم الذي أسر به.

٢- الاستعانة بالجن ومناداتهم ودعاؤهم كل هذا شرك باللَّه عظيم.

٣- الجن فيهم كذب كثير فما يدريك أن هذا الجني صادق أم كاذب في هذا الأمر وقد تم اختبار فعل بعض السحرة فأحيانًا كانوا صادقين وأحيانًا كثيرة كانوا كاذبين.

وربما يكون هناك طرق أخرى لا نعلمها.

علامات يعرف بها الساحر:

إذا وجدت علامة واحدة من هذه العلامات في أحد المعالجين فهو ساحر بلا أدنى ريب وهذه العلامات هي:

١- يسأل المريض عن اسمه واسم أمه.

٢- يأخذ أثرًا من آثار المريض (ثوب-منديل-فانيلة ...).

٣- أحيانًا يطلب حيوانًا بصفات معينة ليذبحه، ولا يذكر اسم اللَّه عليه وربما لطّخ بدمه أماكن الألم من المريض، أو يرمي به في مكان خرب.

٤- كتابة الطلاسم.

٥- تلاوة العزائم والطلاسم غير المفهومة.

٦- إعطاء المريض حجابًا يحتوي على مربعات بداخلها حروف وأرقام.

٧- يأمر المريض بأن يعتزل الناس فترة معينة في غرفة لا تدخلها الشمس وتسميها العامة (الحجبة).

٨- أحيانًا يطلب من المريض ألا يمس ماء لمدة معينة غالبًا تكون أربعين يومًا، وهذه العلامة تدل على أن الجني الذي يخدم هذا الساحر نصراني.

٩- يعطي للمريض أشياء يدفنها في الأرض.

١٠- يعطي للمريض أوراقًا يحرقها ويتبخر بها.

١١- يتمتم بكلام غير مفهوم.

١٢- أحيانًا يخبر الساحر المريض باسمه واسم بلده ومشكلته التي جاء من أجلها.

١٣- يكتب للمريض حروفًا مقطعة في ورقة (حجاب) أو في طبق من الخزف الأبيض ويأمر المريض بإذابته وشربه.

فإن علمت أن الرجل ساحر فإياك والذهاب إليه وإلا ينطبق عليك قول النبي ﷺ: «من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»[(١)].

أنواع السحر:

هناك عشرة أنواع من السحر:

١- سحر التفريق.

٢- سحر المحبة.

٣- سحر الهواتف.

٤- سحر المرض.

٥- سحر التخييل.

٦- سحر النزيف.

٧- سحر الجنون.

٨- سحر تعطيل الزواج.

٩- سحر الخمول.

١٠- سحر الربط.

أولًا: سحر التفريق:

قال تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ

(١) سبق تخريجه.

فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ [البقرة].

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَالَ: ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ»(١).

تعريفه: هو عمل السحر للتفريق بين الزوجين أو لِبَثِّ البغض والكراهية بين صديقين أو شريكين ...

أنواعه:

١- التفريق بين الرجل وأمه.

٢- التفريق بين الرجل وأبيه.

٣- التفريق بين الرجل وأخيه.

٤- التفريق بين الرجل وصديقه.

٥- التفريق بين الرجل وشريكه في التجارة أو غيرها.

٦- التفريق بين الرجل وزوجته وهذا النوع أخطرها وأكثرها انتشارًا.

أعراض سحر التفريق:

١- انقلاب الأحوال فجأة من حب إلى بغض.

٢- كثرة الشكوك بينهما.

٣- عدم التماس الأعذار.

٤- تعظيم أسباب الخلاف وإن كانت حقيرة.

---

(١) صحيح، رواه مسلم (٢٨١٣/٦٧).

٥- قلب صورة الرجل في عين زوجته، وقلب صورة الزوجة في عين زوجها، فالرجل يرى زوجته في منظر قبيح -وإن كانت من أجمل النساء- والحقيقة أن الشيطان الموكل بالسحر هو الذي يتصور على وجهها بصورة قبيحة، والمرأة ترى زوجها في منظر مخيف مرعب.

٦- كراهية المسحور لكل عمل يقوم به الطرف الآخر.

٧- كراهية المسحور للمكان الذي يجلس فيه الطرف الآخر، فترى الزوج خارج البيت في حالة نفسية جيدة فإذا دخل البيت شعر بضيق نفسي شديد.

يقول الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه تعالى: وسبب التفريق بين الزوجين بالسحر ما يخيل إلى الرجل أو المرأة من الآخر من سوء منظر أو خلق ... أو نحو ذلك من الأسباب المقتضية للفرقة[1].أهـ.

كيف يحدث سحر التفريق؟؟

يذهب الرجل إلى الساحر ويطلب منه أن يفرق بين فلان وزوجته، فيطلب منه الساحر أن يعطيه اسم الرجل المراد سحره، واسم أمه ثم يطلب أثرًا من آثاره (شعره-ثوبه-قلنسوته ...) فإن لم يستطع؛ عمل له سحرًا على ماء مثلًا وأمره أن يسكبه في طريق المراد سحره؛ فإذا تخطاه أصيب بالسحر أو يضعه له على طعام أو شراب.

ثانيًا: سحر المحبة (التِّوَلَة):

يقول النبي ﷺ: «إن الرقى والتمائم والتِّوَلَة شرك»[2].

يقول ابن الأثير (التولة) بكسر التاء وفتح الواو، ما يحبب المرأة إلى زوجها من

---

(١) تفسير ابن كثير (١/١٤٤).

(٢) صحيح، رواه أبو داود (٣٨٨٣)، وابن ماجه (٣٥٣٠)، وابن حبان (١٤١٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٣١)، وأحمد في المسند (٣٦٠٤) وقال الأرناؤوط: صحيح لغيره.

السحر وغيره وجعله من الشرك لاعتقادهم أن ذلك يؤثر ويفعل خلاف ما قدره اللَّه تعالى.أهـ.

وأحب أن أنبه إلى أن الرقية المعنية في الحديث السابق هي الرقية المحتوية على استعانة بالجن والشياطين وغير ذلك مما يدخل في الشرك أما الرقية بالقرآن أو الأدعية والأذكار المشروعة فهي جائزة بإجماع الفقهاء وقد ثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ»(١).

أعراض سحر المحبة:

١- الشغف والمحبة الزائدتان.

٢- الرغبة الشديدة في كثرة الجماع.

٣- عدم الصبر عن زوجته.

٤- التلهف الشديد لرؤيتها.

٥- طاعته لها طاعة عمياء.

كيف يحدث سحر المحبة؟

كثيرًا ما تحدث الخلافات بين الرجل والمرأة، ولكنها سرعان ما تزول وتعود الحياة إلى مجاريها الطبيعية، ولكن هناك نساء لا يصبرن على ذلك فيسارعن إلى الذهاب إلى السحرة ليضعوا لهن سحرًا يحببها إلى زوجها وهذا من قلة دين تلك المرأة أو من جهلها بأن هذا حرام ولا يجوز، فيطلب الساحر منها أثرًا من آثار زوجها (منديلًا-أو قلنسوة- أو ثوبًا- أو فنيلة) بشرط أن تكون حاملة لرائحة عرق الزوج -أي لا تكون جديدة أو مغسولة- بل تكون مستعملة ثم يأخذ منها بعض الخيوط وينفث عليها ويعقدها ثم يأمرها أن تدفنهافي مكان مهجور، أو أن يصنع لها سحرًا على ماء أو طعام، وأشد ما يكون على نجاسة وأشد ما يكون بدم الحيض، ثم يأمرها

---

(١) صحيح، رواه مسلم (٢٢٠٠/٦٤) واللفظ له، وأبو داود (٣٨٨٦) بلفظ: «مَا لَمْ تَكُنْ شِرْكًا» كلاهما عن عوف بن مالك الأشجعي.

بأن تضعه لزوجها في طعامه أو شرابه أو في طيبه.

الآثار العكسية لسحر المحبة:

١- أحيانًا يمرض الزوج بسبب هذا السحر.

٢- أحيانًا ينقلب السحر بالعكس فيكره زوجته، وهذا ناتج عن جهل كثير من السحرة بأصول السحر.

٣- أحيانًا تعمل الزوجة لزوجها سحرًا مزدوجًا بأن يكره كل النساء ويحبها وحدها، فيسبب ذلك كراهية الزوج لأمه وأخواته وعماته وخالاته وجميع ذوي رحمه من نساء.

٤- أحيانًا ينقلب السحر المزدوج فيكره الرجل كل النساء حتى زوجته.

أسباب سحر المحبة:

١- نشوب الخلافات بين الزوجين.

٢- طمع المرأة في مال الزوج خاصة إن كان غنيًا.

٣- إحساس المرأة بأن زوجها سيتزوج بأخرى -رغم أن هذا جائز شرعًا- ولا غضاضة فيه، ولكن المرأة في هذا الزمان -خاصة المتأثرات بأجهزة الإعلام المدمرة- تظن أن زوجها إذا أقدم على الزواج بأخرى فهذا دليل على أنه لا يحبها وهذا خطأ فاحش لأن هناك أسبابًا كثيرة يمكن أن تدفع الرجل إلى الزواج بثانية وثالثة ورابعة رغم أنه يحب زوجته الأولى، منها مثلًا رغبته في كثرة الأولاد، أو عدم صبره عن المعاشرة في وقت حيض امرأته ونفاسها أو رغبته في توطيد علاقته بأسرة معينة أو غير ذلك من الأمور.

وهذه نصيحة أقدمها للمرأة المسلمة وهي أنها يمكنها أن تسحر زوجها بما أحل اللَّه لها بكثرة التزين والتجمل له، فلا تقع عينه على قبيح، ولا يشم منها إلا أطيب ريح، وبالابتسامة المشرقة، وبالكلمة الطيبة، وحسن العشرة، والمحافظة على مال الزوج، ورعاية الأطفال وحسن العناية بهم، وطاعته إلا في معصية اللَّه، ولكن لو

نظرنا إلى مجتمعنا اليوم لوجدنا تناقضًا عجيبًا في هذه الأمور، فنجد أن المرأة تتزين أحسن زينة وتلبس ما لديها من حلي وتخرج كأنها في يوم زفافها، هذا إذا كانت في حفلة أو زيارة لإحدى صديقاتها، فإذا عادت إلى بيتها غسلت زينتها وخلعت حليها ووضعته مكانه انتظارًا لحفلة أخرى، أو زيارة ثانية، وزوجها المسكين الذي اشترى لها هذه الثياب وتلك الحلي محروم من التمتع بها فلا يراها في البيت إلا بأثوابها القديمة، تفوح منها رائحة الطبخ والبصل والثوم.

ولو عقلت المرأة لعلمت أن زوجها أحق بهذه الزينة وهذا التجمل، فإذا خرج زوجك إلى العمل سارعي بإنهاء عمل البيت ثم اغتسلي وتزيني وتجملي وانتظريه فإذا حضر من عمله، رأى أمامه زوجة جميلة وطعامًا معدًا، وبيتًا نظيفًا، فيزداد لك حبًا، وبك تمسكًا فهذا لعمر الله هو السحر الحلال.

ثالثًا: سحر التخييل:

قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾ [طه].

أعراض سحر التخييل:

١- يرى الإنسان الثابت متحركًا والمتحرك ثابتًا.

٢- يرى الصغير كبيرًا والكبير صغيرًا.

٣- يرى الأشياء على غير حقيقتها مثل ما رأى الناس الحبال والعصي ثعابين تتحرك.

كيف يحدث سحر التخييل؟

يقوم الساحر بإحضار شيء يعرفه الناس ثم يقول عزيمته الشركية وطلاسمه الكفرية ويستعين بالشياطين فيرى الناس الشيء على غير حقيقته.

فمن الناس من رأى ساحرًا يضع أمامهم بيضة ثم يعزم عليها فرآها تدور بسرعة فائقة، ومنهم من رأى الساحر يحضر حجرين ويقول طلسمًا فإذا بالحجرين يتناطحان كأنهما كبشان، وهذا كله يستخدمه الساحر أمام الناس إما لإبتزاز أموالهم أو لإظهار البراعة والعجب، وأحيانًا يدخل الساحر هذا النوع من السحر في أنواع أخرى.

ففي سحر التفريق يرى الرجل زوجته الجميلة قبيحة وفي سحر المحبة يرى عكس ذلك، وهذا النوع من السحر يختلف عن النوع الآخر المسمى بالشعوذة وهو ما يعتمد على خفة اليد.

إبطال سحر التخييل بكل ما يطرد الشياطين مثل:

١- الأذان.

٢- قراءة آية الكرسي.

٣- الأذكار المشروعة في طرد الشيطان.

٤- البسملة.

بشرط أن يكون الإنسان متوضئًا، فإذا فعلت ذلك ولم تبطل حيله فهو مشعوذ يعتمد على خفة اليد وليس بساحر.

نموذج عملي لإبطال سحر التخييل:

قصة يرويها الشيخ وحيد عبد السلام بالي في كتابه الصارم البتار:

ساحر يجعل المصحف يدور.

يقول الشيخ وحيد: كان في إحدى القرى ساحر يظهر براعته أمام الناس ويحضر المصحف!! ثم يربطه بخيط من سورة (يس) ثم يربط الخيط بمفتاح ثم يرفع

المصحف ويجعله معلقًا في الخيط ثم يقول طلسمًا ثم يقول للمصحف در يمينًا فيدور المصحف يمينًا بحركة سريعة عجيبة، ثم يقول: در يسارًا فيرجع المصحف ويدور يسارًا بحركة سريعة دونما أن يحرك يده وقد رآه الناس مرارًا حتى كادوا أن يفتنوا به خاصة وهو يعمل هذه الحركة بالمصحف والآراء السائدة عند الناس أن الشياطين لا تستطيع أن تمس المصحف، فلما علمت به ذهبت إليه أنا وأحد الشباب -وكنت آنذاك في الثانوية العامة- وتحديته أمام الناس أن يفعل بالمصحف مثل ما ذكرت فتعجب الناس، لأنهم رأوه كثيرًا وبالفعل أحضر المصحف وربطه من سورة (يس) وعلقه على مفتاح وأمسك المفتاح بيده، عند ذلك ناديت صاحبي وقلت له: إجلس في الجانب الآخر، واقرأ آية الكرسي وكررها، وجلست أنا في الجانب المقابل من الحلقة أقرأ آية الكرسي في نفسي والناس جلوس يشاهدون فلما انتهى من قراءة طلسمه قال للمصحف: در يمينًا فلم يتحرك!! فأعاد قراءة الطلسم ثم قال للمصحف: در يسارًا فلم يتحرك!! فأخزاه اللَّه أمام الناس، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج :٤٠]، فسقطت هيبته أمام الناس، والحمد للَّه وحده وبه الثقة وعليه التكلان.

رابعًا: سحر الجنون:

عن خارجة بن الصلت عن عمه : «أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَسْلَمَ، ثُمَّ أَقْبَلَ رَاجِعًا مِنْ عِنْدِهِ فَمَرَّ عَلَى قَوْمٍ عِنْدَهُمْ رَجُلٌ مَجْنُونٌ مُوثَقٌ بِالْحَدِيدِ فَقَالَ أَهْلُهُ: إِنَّا حُدِّثْنَا أَنَّ صَاحِبَكُمْ هَذَا قَدْ جَاءَ بِخَيْرٍ، فَهَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ تُدَاوِيهِ؟ فَرَقَيْتُهُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ فَبَرَأَ فَأَعْطَوْنِي مِائَةَ شَاةٍ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: هَلْ إِلَّا هَذَا؟ -وَقَالَ مُسَدَّدٌ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: هَلْ قُلْتَ غَيْرَ هَذَا؟- قُلْتُ: لَا، قَالَ: خُذْهَا فَلَعَمْرِي لَمَنْ أَكَلَ بِرُقْيَةِ بَاطِلٍ لَقَدْ أَكَلْتَ بِرُقْيَةِ حَقٍّ»(١).

---

(١) صحيح، رواه أبو داود (٣٨٩٦)، صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

وفي رواية: «فَرَقَاهُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ غُدْوَةً وَعَشِيَّةً كُلَّمَا خَتَمَهَا جَمَعَ بُزَاقَهُ ثُمَّ تَفَلَ»(١).

أعراض سحر الجنون:

١- الشرود والذهول والنسيان الشديد.

٢- التخبط في الكلام.

٣- شخوص البصر وزوغانه.

٤- عدم الاستقرار في مكان واحد.

٥- عدم الاستمرار في عمل معين.

٦- عدم الاهتمام بالمظهر.

٧- وفي الحالات الشديدة ينطلق على وجهه لا يدري أين يذهب، وربما نام في الأماكن المهجورة.

كيف يحدث سحر الجنون؟

يقوم الجني الموكل بالسحر بالدخول في الشخص المسحور والتمركز في مخه -كما كلفه الساحر- ثم يقوم بالضغط على خلايا المخ الخاصة بالتفكير والتذكر أو بالتصرف فيها بأمور يعلمها الله، عند ذلك تظهر الأعراض على الإنسان المسحور.

خامسًا: سحر الخمول:

١- حب الوحدة.

٢- الانطواء الكامل.

٣- الصمت الدائم.

٤- كراهية الاجتماعات.

٥- الشرود الذهني.

٦- الصداع الدائم.

(١) صحيح، رواه أبو داود (٣٤٢٠)، صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٠٢٧).

٧- الهدوء والسكون، والخمول الدائم.

كيف يحدث سحر الخمول؟

يرسل الساحر الجني إلى الشخص المراد سحره ويأمره أن يتمركز في المخ ويسبب للشخص الانطواء والعزلة فيقوم الجني بالمطلوب قدر استطاعته وتظهر الأعراض على المسحور حسب قوة أو ضعف الجني المكلف بالسحر.

سادسًا: سحر الهواتف:

أعراض سحر الهواتف:

١- الأحلام المفزعة.

٢- يرى في منامه كأن مناديًا يناديه.

٣- يسمع أصواتًا تخاطبه في اليقظة ولا يرى أشخاصًا.

٤- كثرة الوساوس.

٥- كثرة الشكوك في الأصدقاء والأحباب.

٦- يرى في منامه كأنه سيسقط من مكان عالٍ.

٧- يرى حيوانات تطارده في المنام.

كيف يحدث سحر الهواتف؟

يرسل الساحر جنيًا ويكلفه بأن يشغل هذا الإنسان في المنام واليقظة، فيتمثل له الجني في المنام بالحيوانات المفترسة التي تنقض عليه ويناديه في اليقظة بأصوات أناس يعرفهم المريض أو بأصوات غريبة ثم يشككه في القريب والبعيد، وتختلف الأعراض حسب قوة السحر وضعفه، فربما زادت الأعراض حتى وصلت به إلى الجنون، وربما ضعفت حتى لا تعدو الوسوسة.

سابعًا: سحر المرض:

١- ألم دائم في عضو من الأعضاء.

٢- نوبات الصرع (التشنجات العصبية).

٣- شلل عضو من أعضاء الجسد.

٤- شلل كلي للجسد.

٥- تعطل أحد الحواس عن العمل.

وأحب أن أنبه أن بعض الأعراض تتشابه مع أعراض الأمراض العضوية، ويتم التفريق بينهما بقراءة الرقية على المريض، فإن شعر المريض أثناء سماعه للرقية بدوخة أو تخدير أو صداع أو اهتزاز في أطرافه أو أي تغير في جسده فالمرض كما ذكرنا، وإلا فهو مرض عضوي يعالج عند الأطباء.

كيف يتم سحر المرض؟

من المعلوم أن المخ هو المسيطر الرئيسي على الجسد بمعنى: أن كل حاسة من حواس الإنسان لها مركز في المخ تتلقى منه الإشارات فلو قربت أصبعك من النار يرسل الأصبع إشارة سريعة إلى مركز الإحساس في المخ فتأتيه الأوامر من هذا المركز بالابتعاد فورًا عن مصدر الخطر فتبتعد اليد عن النار، كل هذا يتم في جزء من الثانية ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [لقمان: ١١].

فإذا أصيب الإنسان بسحر المرض تمركز الجني في المخ عند ذلك المركز المكلف به من قبل الساحر، فيستقر في مركز السمع أو البصر أو إحساس اليد أو الرجل وعند ذلك يكون العضو بين ثلاث حالات:

١- إما أن يمنع الجني -بقدرة اللَّه- الإشارات تمامًا من الوصول إلى العضو فيتعطل عن العمل فيصاب المريض بالعمى أو البكم أو الصم أو الشلل العضوي.

٢- وإما أن يمنع -بقدرة اللَّه- الإشارات أحيانًا ويتركها أحيانًا فيتعطل العضو مرات ويعمل مرات.

٣- وإما أن يجعل الجني المخ يعطي إشارات متتابعة متتالية سريعة بلا أسباب فيتصلب العضو ولا يستطيع الحركة وإن لم يكن مشلولًا.

قال تعالى عن السحرة: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[البقرة:١٠٢].

فأثبت سبحانه وتعالى الضرر الواقع على المسحور من قبل السحرة ولكنه علقه بالمشيئة، فلا تعجب من ذلك.

ثامنًا: سحر النزيف (الاستحاضة):

كيف يحدث سحر النزيف؟

وهذا النوع من السحر لا يحدث إلا للنساء، وفيه يقوم الساحر بتسليط الجني على المرأة المراد سحرها وتكليفه بإنزال النزيف عليها، فيدخل الجني في جسد المرأة ويجري في عروقها مع الدم - يقول النبي ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ»[1]- فإذا وصل الجني إلى عرق معروف في الرحم ركضه ركضة فيسيل هذا العرق دمًا، يقول النبي ﷺ: «إِنَّمَا هَذِهِ رَكْضَةٌ مِنْ رَكَضَاتِ الشَّيْطَانِ»[2].وفي رواية أخرى: «لَيْسَتْ بِالْحَيْضَةِ وَإِنَّمَا هُوَ عِرْقٌ»[3]، فَعُلِمَ من مجموع الروايتين أن هناك نوع من الاستحاضة ركضة من ركضات الشيطان في عرق من العروق الموجودة في رحم المرأة. (هذا سبب من أسباب الاستحاضة وهناك أسباب عضوية أخرى).

ما هو سحر النزيف؟

هو ما يسميه الفقهاء بالاستحاضة ويسميه الأطباء بالنزيف، يقول ابن الأثير: (الاستحاضة أن يستمر بالمرأة خروج الدم بعد أيام حيضتها المعتادة).أهـ.

وقد يستمر النزيف فترة طويلة، وقد يكون الدم قليلًا أو كثيرًا.

---

(١) صحيح، رواه مسلم (٢٣/٢١٧٤) واللفظ له، وأبو داود (٤٧٩١).

(٢) رواه الترمذي (١٢٨)، وأبو داود (٢٨٧) وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٣٥٨٥)، وأحمد في المسند (٢٦٩٢٨).

(٣) صحيح، رواه النسائي (٢١٠، ٣٥٧)، وابن ماجه (٦٢٦)، صححه الألباني.

تاسعًا: سحر تعطيل الزواج:

كيف يحدث سحر تعطيل الزواج؟

يذهب الإنسان الحاقد الماكر إلى ساحر خبيث، ويطلب منه أن يعمل سحرًا لابنة فلان كي لا تتزوج فيطلب منه الساحر اسمها واسم أمها وأثرًا من آثارها، ثم يقوم بعمل السحر، ويوكل جنيًا أو أكثر بهذا السحر، فيذهب الجني ويظل ملازمًا لهذه المرأة حتى يتمكن من الدخول فيها في إحدى هذه الحالات الأربع وهي:

١- الخوف الشديد.

٢- الغضب الشديد.

٣- الغفلة الشديدة.

٤- الانكباب على الشهوات.

فالجني بين حالين:

١- إما أن يدخل في المرأة فيجعلها تتضايق من كل زوج يتقدم لخطبتها وترفضه.

٢- إما أن لا يستطيع أن يدخل فيقوم بعملية سحر التخييل من الخارج فيخيل إلى الرجل أن المرأة قبيحة، ويوسوس له بذلك ويصنع ذلك بالمرأة أيضًا.

فترى كل رجل يتقدم لخطبة هذه المرأة يرفضها وإن وافق مبدئيًا فإنه يتراجع بعد أيام وذلك من وسوسة الشيطان له.

وفي حالات السحر الشديد، تجد الرجل الذي يتقدم إلى خطبة المرأة منذ دخوله باب بيتها يشعر بضيق شديد، وتسود الحياة في وجهه كأنه في سجن فلا يعود مرة أخرى، وفي غضون ذلك يسبب الجني للمرأة صداعًا بين الحين والآخر.

أعراض هذا السحر:

١- صداع بين الحين والآخر لا ينتهي مع أخذ الأدوية الطبية.

٢- ضيق شديد في الصدر خاصة بعد العصر إلى منتصف الليل.

٣- رؤية الخاطب في منظر قبيح.

٤- كثرة التفكير (الشرود الذهني).

٥- القلق الكثير أثناء النوم.

٦- أحيانًا يكون هناك ألم دائم في المعدة.

٧- ألم في فقرات الظهر السفلى.

معلومات هامة عن السحر

١- يمكن أن تتشابه أعراض السحر مع أعراض المس.

٢- الشعور الدائم بألم في معدة المسحور دليل على أن السحر مأكول أو مشروب.

٣- لا يتحقق العلاج القرآني إلا بشرطين:

❁ استقامة المعالج على أمر اللَّه.

❁ ثقة المريض وقناعته بفعالية العلاج القرآني.

٤- معظم أنواع السحر تتفق في هذا العرض: الشعور بضيق الصدر خاصة في الليل.

٥- يمكن معرفة مكان السحر بأمرين:

❁ إخبار الجني الموكل بالسحر، ولا تصدقه حتى ترسل من يبحث عن السحر في المكان المذكور فإن وجدته فهو صادق وإلا فالجن فيهم كذب كثير.

❁ يصلي المريض أو المعالج ركعتين بصدق وإخلاص وطمأنينة وخشوع في ثلث الليل الأخير ويدعو اللَّه أن يدله على مكان السحر، فربما رأيت رؤيا، أو جاء إحساس أو شعور أو غلب على ظنك مكان السحر؛ فإذا حدث ذلك تزداد شكرًا للَّه جل وعلا.

٦- يمكن أن تقرأ الرقية على زيت الحبة السوداء، وتأمر المريض أن يدهن به مكان الألم صباحًا ومساءً، وذلك لكل أنواع السحر.

وثبت في صحيح البخاري أن نبينا ﷺ قال: «فِي الْحَبَّةِ السَّوْدَاءِ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ

إلَّا السَّامَ»[(١)]، يعني: الموت، والحبة السوداء تسمى في بعض البلدان بـ(حبة البركة)، وفي بعضها بـ(الشوينز)، وفي بعضها بـ(القزحة).

عاشرًا: الربط:

هو أن يعجز الرجل مستوِ الخلقة وغير المريض عن إتيان زوجته.

كيف يحدث الربط عند الرجل؟

يتمركز شيطان السحر في المخ وبالتحديد في مركز الإثارة الجنسية الذي يرسل الإشارات إلى الأعضاء التناسلية، ثم يترك الأعضاء التناسلية تعمل طبيعية، فإذا اقترب الإنسان من زوجته وأرد منها المعاشرة، عطل الشيطان مركز الإثارة الجنسية في المخ فتتوقف الإشارات المرسلة إلى الأجهزة التي تضخ الدم في القضيب كي ينتصب، عند ذلك يتراجع الدم سريعًا عن القضيب فيرتخي القضيب وينكمش.

ولذلك تجد الرجل طبيعيًا عندما يأتي زوجته أو يباشرها -أي: منتصب القضيب- فإذا اقترب منها انكمش فلا يستطيع أن يأتي حليلته لأن الانتصاب عامل رئيسي لإتمام العملية الجنسية كما هو معلوم، وأحيانًا تجد الرجل متزوجًا بامرأتين وهو مربوط عن واحدة دون الأخرى لأن شيطان السحر يعطل مركز الإثارة الجنسية إذا اقترب منها لأنه مكلف بربطه عنها فقط.

ربط المرأة:

وكما يحدث للرجل ربط عن زوجته كذلك يحدث للمرأة ربط عن زوجها وربط المرأة خمسة أنواع:

١- **ربط المنع:** وهو أن تحاول المرأة منع زوجها من إتيانها وذلك بأن تلصق فخذيها ببعضها ببعض بحيث لا يستطيع الرجل أن يأتيها ويكون ذلك خارجًا عن إرادة المرأة.

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٥٦٨٨)، ومسلم (٢٢١٥/٨٨)، والترمذي (٢٠٤١)، وابن ماجه (٣٤٤٧).

٢- **ربط التبلد:** وهو أن يتمركز الجني الموكل بالسحر في مركز الإحساس في مخ المرأة فإذا أراد زوجها أن يأتيها أفقدها الجني الإحساس فلا تشعر بلذة ولا تستجيب لزوجها بل تكون أمامه مخدرة الجسد يفعل بها كيفما يشاء، فلا تفرز الغدد السائل الذي يرطب فرج المرأة، فلا تتم العملية الجنسية بنجاح.

٣- **ربط النزيف:** قد تحدثنا عن سحر النزيف في النوع الثامن من أنواع السحر وبينا كيفية حدوثه، ولكن هذا النوع يختلف عن سحر النزيف بأمر واحد وهو أن ربط النزيف يختص بأوقات الجماع أما سحر النزيف لا علاقة له بذلك بل يستمر أيامًا، وربط النزيف هو إذا أراد الرجل أن يأتي زوجته سبّب الشيطان لها نزيفًا شديدًا (استحاضة) فلا يتمكن الرجل من إتيانها.

٤- **ربط الانسداد:** وهو إذا أراد الرجل أن يأتي زوجته وجد سدًا منيعًا أمامه من اللحم لا يستطيع أن يخترقه فلا تنجح عملية اللقاء الجنسي.

٥- **ربط التغوير:** وهو أن يتزوج الرجل بنتًا بكرًا، فإذا أراد أن يأتيها، وجدها كالثيب تمامًا حتى يشك في أمرها، ولكنها عندما تعالج ويبطل السحر يعود غشاء البكارة كما كان.

الفرق بين الربط والعجز الجنسي والضعف الجنسي:

أولًا: الربط:

يشعر المربوط بالنشاط والحيوية والقدرة الكاملة على مباشرة زوجته بل ينتصب قضيبه ما دام بعيدًا عنها، فإذا اقترب منها وأراد هذا الأمر انكمش عضوه وصار غير قادر على إتيانها.

ثانيًا: العجز الجنسي:

هو عدم قدرة الرجل الجنسية سواء كان قريبًا أو بعيدًا عن زوجته بل لا ينتصب عضوه أصلًا.

ثالثًا: الضعف الجنسي:

لا يستطيع الزوج أن يباشر زوجته إلا في فترات متباعدة، وتتم المباشرة للحظات بسيطة مع سرعة تعرض قضيب الرجل للخمول والانكماش بعد فترة بسيطة من المباشرة.

علاج بعض أنواع العقم:

العقم عند الرجل: العقم نوعان:

الأول: عقم عضوي يعالج عند الأطباء إن استطاعوا علاجه.

الثاني: عقم بسبب مس من الجن داخل جسم الإنسان وهذا يعالج بالقرآن والأدعية والأذكار.

كيف تفرق بين العقم الطبيعي والعقم بسبب الجن؟

العقم بسبب الجن له أعراض:

١- ضيق في الصدر خاصة بعد العصر وربما يستمر إلى منتصف الليل.

٢- شرود ذهني.

٣- ألم في أسفل فقرات الظهر.

٤- قلق في النوم.

٥- يرى في نومه أحلامًا مخيفة.

العقم عند المرأة:

كذلك العقم عند المرأة نوعان:

الأول: عقم طبيعي هكذا خلقها اللَّه عقيما.

الثاني: عقم بسبب الجني المستوطن في رحم المرأة حيث يفسد البويضات فلا يتم الإخصاب.

أو يترك الإخصاب يتم ويكتمل الحمل، ولكن بعد عدة شهور من الحمل يركض الشيطان عرقًا في رحم المرأة فينزل الدم (النزيف) فيحدث الإجهاض، فكثيرًا ما

يكون الإجهاض المتكرر بسبب الجن، وقد عولجت حالات من هذا القبيل، وقد ثبت في الصحيح: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ»[١].

حكم السحر في الإسلام:

حكم الساحر في الشريعة الإسلامية:

قال الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه تعالى: وعند مالك أن حكم الساحر حكم الزنديق فلا تقبل توبته، ويقتل حدًا إذا ثبت عليه ذلك وبه قال أحمد.

وقال الشافعي: لا يقتل إلا إن اعترف أنه قتل بسحره فيقتل به[٢].أهـ.

ويتضح مما مر أن جمهور العلماء يقولون بقتل الساحر إلا الشافعي رحمه اللَّه يقول: لا يُقتل إلا إذا قتل بسحره فيقتل قصاصًا، وذهب مالك وأحمد إلى أنه لا تقبل توبته، وحكمه حكم الزنديق.

حكم ساحر أهل الكتاب:

ذهب جمهور العلماء إلى أن ساحر أهل الكتاب لا يُقتل إلا أن يقتل بسحره فيُقتل، لما ثبت أن لبيد بن الأعصم سحر النبي ﷺ فلم يقتله.

هل يجوز حل السحر بالسحر؟

١- قال القرطبي رحمه اللَّه تعالى: واختلفوا هل يُسأل الساحر حل السحر عن المسحور؟ أجازه سعيد بن المسيب على ما ذكره البخاري، وإليه مال المزيني، وقال الشعبي: لا باس بالنشرة العربية، وكرهه الحسن البصري[٣].أهـ.

٢- قال ابن قدامة رحمه اللَّه تعالى: من يحل السحر فإن كان بشيء من القرآن أو بشيء من الذكر والأقسام أو الكلام الذي لا بأس به فلا بأس به، وإن كان بشيء من السحر فقد توقف أحمد بن حنبل عنه[٤].أهـ.

(١) صحيح، رواه مسلم (٢١٧٤/٢٣) واللفظ له، وأبو داود (٤٧٩١).

(٢) فتح الباري (١٠/٢٣٦).

(٣) تفسير القرطبي (٢/٤٩).

(٤) المغنى (١٠/١١٤).

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ النُّشْرَةِ فَقَالَ: «هُوَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ»[١].

وقد بين العلماء أن النشرة نوعان:

الأول: النشرة الجائزة: وهي حل السحر بالقرآن والأدعية والأذكار المشروعة.

الثاني: النشرة المحرمة: وهي حل السحر بالسحر من استعانة بالشياطين وتقرب إليهم واستغاثة بهم وإرضائهم ولعل هذا النوع هو المقصود بقول النبي ﷺ في غير ما حديث عن الذهاب إلى السحرة والكهان وبين أن من صدقهم فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ.

قال ابن القيم رحمه اللَّه تعالى: النشرة حل السحر عن المسحور وهي نوعان:

- أحدهما: حل بسحر مثله وهو الذي من عمل الشيطان وعليه يحمل قول الحسن البصري، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب فيبطل عمله عن المسحور.
- والثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والدعوات المباحة فهذا جائز.

هل يجوز تعلم السحر؟

١- قال الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه تعالى: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة :١٠٢] فيه إشارة إلى أن تعلم السحر كفر[٢].أهـ.

٢- قال ابن قدامة رحمه اللَّه تعالى: تعلم السحر وتعليمه حرام لا نعلم فيه خلافًا بين أهل العلم، قال أصحابنا (يعني الحنابلة): ويكفر الساحر بتعلمه وفعله سواء اعتقد تحريمه أو إباحته[٣].أهـ.

---

(١) صحيح، رواه أبو داود (٣٨٦٨)، صححه الألباني في مشكاة المصابيح (٣٥٥٤)، وأحمد في المسند (١٣٧٢١) وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير عقيل بن معقل - وهو ابن منبه اليماني - فقد روى له أبو داود وهو ثقة.

(٢) فتح الباري (١/٢٥٥).

(٣) المغنى (١٠/١٠٦).

الفرق بين السحر والكرامة والمعجزة:

قال الحافظ ابن حجر: ونقل إمام الحرمين الإجماع على أن السحر لا يظهر إلا من فاسق، وأن الكرامة لا تظهر إلا على فاسق، وقال الحافظ أيضًا: وينبغي أن يعتبر بحال من يقع الخارق منه فإن كان متمسكًا بالشريعة، متجنبًا للموبقات، فالذي يظهر على يده من الخوارق كرامة، وإلا فهو سحر(١).أهـ.

وأما المعجزة فتمتاز عن الكرامة بالتحدي.

تنبيه:

قد لا يكون الرجل ساحرًا ولا يعرف عن السحر شيئًا، ثم إنه غير متمسك بالشريعة بل ربما يكون مرتكبًا لبعض الموبقات، ومع ذلك تظهر على يده بعض الخوارق، وقد يكون من أهل البدع أو من عباد القبور .. فالقول في هذا أنه إعانة من الشياطين حتى تزين للناس طريقته المبتدعة فيتبعها الناس ويتركون السنة وهذا كثير معروف خاصة إذا كان رئيسًا لطريقة من الطرق الصوفية المبتدعة.

إبطال السحر:

وقد وضح النبي ﷺ قاعدة عامة لكل رقية فقد ثبت في صحيح مسلم أناسًا قالوا: كُنَّا نَرْقِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تَرَى فِي ذَلِكَ؟ فَقَالَ: «اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ»(٢). فمن هذا الحديث نأخذ جواز الرقية بالقرآن أو السنة أو الأدعية أو غيرها أو حتى من الرقى الجاهلية ما لم تحتو على شرك.

العلاج:

ويتكون العلاج من ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة ما قبل العلاج وهي:

---

(١) فتح الباري (٣٢٢/١٠)

(٢) صحيح، رواه مسلم (٦٤/٢٢٠٠)، وأبو داود (٣٨٨٦).

١- تهيئة الجو الإيماني الصحيح فتقوم بإخراج الصور من البيت الذي تعالج فيه حتى يتسنى للملائكة أن تدخله.

٢- إخراج ما مع المريض من حجاب أو تميمة وحرقها.

٣- خلو المكان من غناء أو مزمار.

٤- خلو المكان من مخالفة شرعية؛ كرجل يلبس ذهبًا إو امرأة متبرجة أو رجل يشرب دخانًا ...

٥- إعطاء المريض وأهله درسًا في العقيدة بمقتضاه تنزع تعلق قلوبهم بغير اللَّه.

٦- تشخيص الحالة: وذلك بتوجيه بعض الأسئلة للمريض لتتأكد من توفر الأعراض أو معظمها مثل:

أ- هل ترى زوجتك -أحيانًا- بمنظر قبيح؟

ب- هل تحدث بينكما خلافات على أمور تافهة؟

ج- هل تكون مرتاحًا خارج البيت فإذا دخلت البيت شعرت بضيق نفسي؟

د- هل يتضايق أحد الزوجين أثناء عملية الجماع؟

هـ- هل يتعرض أحد الزوجين لقلق في منامه أو يرى أحلامًا مزعجة؟

وتستمر في الأسئلة فإن توفر لديه عرضان أو أكثر تستمر في حالة العلاج.

٧- تتوضأ قبل البدء في العلاج وتأمر من معك بالوضوء.

٨- إذا كانت المريضة أنثى لا تبدأ بعلاجها حتى تحتشم وتشد عليها ملابسها حتى لا تنكشف أثناء العلاج.

٩- ولا تعالج امرأة وهي متلبسة بمخالفة شرعية كأن تكون سافرة أو واضعة طيبًا أو واضعة مناكير على أظافرها تشبهًا بالكافرات...

١٠- ولا تعالج امرأة إلا في وجود أحد محارمها.

١١- ولا تدخل معك أحدًا من غير محارمها.

١٢- تبرأ من الحول والقوة وتستعين باللَّه جل وعلا.

المرحلة الثانية: العلاج:

تضع يدك على رأس المريض وتقرأ هذه الرقية في أذنه بترتيل:

١- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه، ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة].

٢- بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾ [البقرة].

٣- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ۝١٠٢﴾ [البقرة].

تكرر عدة مرات.

٤- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٣ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا

بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة].

٥- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة].

٦- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة].

٧- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾ [آل عمران].

٨- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ

ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف].

٩- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأعراف] تكرر الآيات عدة مرات وتكثر من تكرار قوله تعالى: ﴿وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [الأعراف].

١٠- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [يونس] تكرر عدة مرات وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾ [يونس :٨١] تكثر من تكرارها.

١١- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه :٦٩].

١٢- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [المؤمنون].

١٣- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾ [الصافات].

١٤- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأحقاف]. وتكرر قوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ﴾ [الأحقاف :٣١]تكرر عدة مرات.

١٥- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾﴾ [الرحمن].

١٦- اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر].

١٧- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْءَانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾ [الجن].

١٨- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾

لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص].

١٩- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ [الفلق]. ويكرر قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾ [الفلق] عدة مرات.

٢٠- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ [الناس].

بعد تلاوة هذه الرقية في أذن المريض بترتيل وبصوت مرتفع فسيكون بين ثلاث حالات:

الحالة الأولى: إما أن يُصرع المريض وينطق على لسانه الجني الموكل بالسحر فعند ذلك تتعامل مع هذا الجني كما تتعامل مع حالات المس تمامًا ولكن عليك أن تسأل هذا الجني عدة أسئلة:

١- ما اسمك؟ وما ديانتك؟ وعند ذلك نتعامل معه حسب ديانته فإن كان غير مسلم تعرض عليه الإسلام وإن كان مسلمًا تبين له أن ما يفعله من خدمته للساحر مخالف للإسلام ولا يجوز.

٢- تسأله عن مكان السحر، ولكن لا تصدقه حتى يتبين لك صدق قوله فلو قال لك السحر في مكان كذا وكذا ترسل من يخرجه من هناك فإن وجده وإلا فالجني كاذب لأن الجن فيهم كذب كثير.

٣- تسأله هو وحده الموكل بالسحر أم معه غيره فإن كان معه غيره تطلب منه أن يحضره لك وتتفاهم معه.

٤- أحيانًا يقول لك الجني فلانًا الإنسي هو الذي ذهب إلى الساحر وطلب منه أن يعمل هذا السحر، في هذه الحالة لا تصدق الجني لأنه يريد أن يوقع العداوة بين الناس، ولأن شهادته مردودة عليه شرعًا لأنه فاسق وفسقه ظاهر لكونه يخدم الساحر، يقول تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٦﴾﴾ [الحجرات].

فإن أخبر الجني بمكان السحر واستخرجتموه، فاقرأ على ماء هذه الآيات ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَـٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَـٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأعراف]، ﴿قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [يونس]، ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَـٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه :٦٩]، تقرأ هذه الآيات على إناء به ماء بحيث يكون البخار الخارج بالقرآن نازلًا في الماء ثم تذيب هذا السحر سواء كان أوراقًا أو طينًا أو غيرها في هذا الماء وتقذف في مكان بعيد عن طريق الناس.

وإن قال الجني: إنَّ المسحور قد شرب السحر فاسأل المريض إن كان يشعر بألم في المعدة كثيرًا فالجني صادق وإلا فهو كاذب.

فإن تبين صدق الجني تتفق معه -أي الجني- أن يخرج من المريض ولا يعود إليه وأنك ستبطل السحر إن شاء اللَّه تعالى ثم تقرأ على ماء الآيات الآنفة الذكر وتزيد عليها الآية رقم (١٠٢) من سورة البقرة كل من هذه الآيات يقرأ سبع مرات ثم يشرب منه المسحور (٧ أيام صباحًا ومساءً).

وإن قال الجني إن المسحور قد تخطى السحر أو عمل له على أثر من آثاره (شعره - أو ثوبه ...) في هذه الحالة تقرأ الآيات المذكورة آنفًا على ماء ويغتسل منها المريض (٧) أيام خارج الحمام ويصب الماء في الشارع مثلًا أو في أي مكان خارج دورات المياه.

ثم تأمر الجني أن يخرج ولا يعود إليه مرة أخرى وتأخذ عليه العهد وتأمره بالخروج.

ثم يعود إليك المريض بعد أسبوع فتقرأ عليه الرقية مرة أخرى فإن لم يشعر بشيء فالحمد للَّه قد انتهى السحر، وإن صرع المريض مرة أخرى فالجني كاذب ولم يخرج فسله عن سبب عدم خروجه وتعامل معه باللين فإن استجاب فالحمد للَّه، وإن لم يستجب فالضرب والقراءة وغير ذلك من ألوان التعذيب، وإن لم يصرع المريض ولكنه شعر بدوخةٍ أو رعشة أو غير ذلك فتعطيه شريطًا مسجلًا عليه آية الكرسي مكرر لمدة ساعة يستمع له كل يوم (٣) مرات لمدة شهر كامل ثم يأتيك بعد شهر تقرأ عليه فسيكون قد شفي إن شاء اللَّه تعالى وإلا تسجل له سور (الصافات، يس، الدخان، الجن) على شريط ويستمع له أيضًا (٣) مرات في اليوم لمدة (٣) أسابيع فيشفى بإذن اللَّه تعالى.

الحالة الثانية:

أن يشعر المريض أثناء الرقية (بدوخة أو رعدة أو انتفاضة أو صداع شديد) ولكنه لم يصرع في هذه الحالة تكرر الرقية على المريض (٣) مرات فإن صرع تعامله كما في الحالة الأولى، وإن لم يصرع ولكن بدأت الرعدة والصداع يخفان فاقرأ عليه الرقية (٣ أو ٧ أو ٩) أيام فيشفى بإذن اللَّه تعالى.

فإن لم يتم الشفاء تتبع الآتي:

١- تسجل له سورة الصافات كاملة مرة واحدة وآية الكرسي ٧ مرات على شريط ويستمع له (٣) مرات يوميًا.

٢- يحافظ على الصلاة في جماعة.

٣- يقول بعد صلاة الفجر: (لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير (١٠٠) مرة لمدة شهر مع ملاحظة أن الآلام ستزيد عليه في العشرة أيام الأولى أو (١٥) يومًا تقريبًا ثم تخف تدريجيًا وفي نهاية الشهر يكون قد انتهى الألم عند ذلك اقرأ عليه فلن يشعر بشيء

-إن شاء اللَّه تعالى- ويكون السحر قد بطل.

وربما ظلت زيادة الألم طول الشهر مع الشعور بضيق شديد في الصدر عند ذلك تسأله عن الأعراض مرة أخرى فإن لم تجد معظم الأعراض متوفرة فهذا ليس بمسحور ولا مريض -ويمكن أن تتأكد فتكرر الرقية (٣) مرات- وإن كانت الأعراض متوفرة وكررت الرقية ولم يشعر بشيء- وهذا نادر جدًا، تعطيه الآتي:

١- تسجيل سورة يس والدخان والجن على شريط ويستمع لها (٣) مرات يوميًا.

٢- الإكثار من الاستغفار يوميًا.

٣- الإكثار من قول: (لا حول ولا قوة إلا باللَّه) (١٠٠) مرة أو أكثر يوميًا لمدة شهر ثم تقرأ عليه الرقية وتعامله كما في الحالتين الأوليين:

المرحلة الثالثة من مراحل العلاج: مرحلة ما بعد العلاج:

فإذا شفاه اللَّه على يديك وشعر بالعافية فتحمد اللَّه تبارك وتعالى الذي وفقك لذلك وتزداد فقرًا إلى اللَّه كي توفق في غيرها من الحالات ولا يكون ذلك سببًا في طغيانك وتكبرك ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ [إبراهيم].

والمريض معرض في هذه المرحلة لتجديد السحر لأن كثيرًا ممن يعملون السحر إذا شعروا بأن المريض ذهب لأحد المعالجين للعلاج عادوا إلى الساحر ليجدد لهم السحر مرة أخرى ولذلك يجب على المريض أن لا يعلم أحدًا بذلك، وعليه أن يتبع هذه التحصينات:

١- المحافظة على الصلاة في جماعة.

٢- عدم سماع الأغاني والموسيقى.

٣- الوضوء قبل النوم وقراءة آية الكرسي.

٤- البسملة عند كل شيء.

٥- يقول بعد صلاة الفجر: (لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير) (١٠٠) مرة.

٦- لا يمر عليه يوم إلا ويقرأ شيئًا من كتاب اللَّه أو يستمع إن كان أُميًا.

٧- مصاحبة الصالحين.

٨- المحافظة على أذكار الصباح والمساء.

ملحوظة:

علاج سحر المحبة:

١- تقرأ على المريض الرقية التي ذكرتها آنفًا غير أنك تحذف منها الآية رقم (١٠٢) من سورة البقرة وتضع مكانها الآيات (١٤، ١٥، ١٦) من سورة التغابن وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾ [التغابن].

٢- غالبًا لا يصرح المسحور بهذا النوع من السحر وإنما يشعر بتخدير في الأطراف أو صداع في الرأس أو ضيق في الصدر أو ألم شديد في المعدة خاصة إذا كان قد شرب السحر، وربما تقيأ.

فإن شعر بألم في المعدة أو رغبة في التقيؤ فاقرأ له هذه الآيات على ماء ومره أن يشرب منها أمامك فإن تقيأ شيئًا أصفر أو أحمر أو أسود فقد بطل السحر والحمد للَّه وإلا فمره أن يشرب من هذا الماء (٣) أسابيع.

وهذه الآيات هي: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأعراف]، ﴿قَالَ

مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [يونس]، ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه:٦٩]، آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة] تقرأ هذه الآيات (٧) مرات على الماء، مع ملاحظة الإخفاء عن المرأة لأنها لو علمت جددت له السحر مرة أخرى.

(ما كتبته فيما يتعلق بالسحر نخلته بتصرف من كتاب فضيلة الشيخ/ وحيد عبد السلام بالي -الصارم البتار في التصدي للسحرة الأشرار).

تحصينات ضد السحر والمس الشيطاني:

الحصن الأول:

الاصطباح (أي صباحًا) بسبع تمرات عجوة على الريق يوميًا، تأكل (٧) تمرات عجوة على الريق إن استطعت أن يكون من تمر المدينة المنورة فهذا هو المطلوب، وإن لم تستطع فأي تمر عجوة توفر لديك لقول النبي ﷺ: «مَنْ اصْطَبَحَ بِسَبْعِ تَمَرَاتِ عَجْوَةٍ لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ سَمٌّ وَلَا سِحْرٌ»[1].

الحصن الثاني:

الوضوء: فإن السحر لا يؤثر في المسلم المتوضئ، وإن المسلم المتوضئ محروس بملائكة من قبل الرحمٰن جل وعلا فعن ابن عباس رضي اللّه عنهما أن النبي ﷺ قال: «طهروا هذه الأجساد طهركم اللّه فإنه ليس عبد يبيت طاهراً إلا بات معه ملك في شعاره لا ينقلب ساعة من الليل إلا قال: اللّهم اغفر لعبدك فإنه بات طاهراً»[2].

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٥٧٧٩).

(٢) حسن، رواه المنذر في الترغيب (١٣١٢) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٥٩٩) والطبراني في الأوسط بإسناد جيد.

الحصن الثالث:

المحافظة على صلاة الجماعة: المحافظة على صلاة الجماعة تجعل المؤمن في مأمن من الشيطان والتهاون فيها يجعل الشيطان يستحوذ على الإنسان وإذا استحوذ عليه أصابه بالمس أو السحر أو غيرهما من الأشياء التي يقدر عليها الشيطان فعن أبي الدرداء رضي اللّه عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ وَلَا بَدْوٍ لَا تُقَامُ فِيهِمْ الصَّلَاةُ إِلَّا قَدْ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمْ الشَّيْطَانُ فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ؛ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ الْقَاصِيَةَ»[1].

الحصن الرابع:

قيام الليل: من أراد أن يحصن نفسه من السحر فليقم شيئًا من الليل، ولا يهمل في ذلك لأن الإهمال في قيام الليل يسلط الشيطان على الإنسان، وإذا تسلط عليك الشيطان كنت أرضًا خصبة لتأثير السحر فيك.

فعن ابن مسعود رضي اللّه عنه قال: ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ فَقِيلَ: مَا زَالَ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحَ مَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ فَقَالَ: «ذاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنِهِ»[2].

وروى سعيد بن منصور عن ابن عمر: «ما أصبح رجل على غير وتر إلا أصبح على رأسه جرير قدر سبعين ذراعًا»[3].

الحصن الخامس:

الاستعاذة عند دخول الخلاء: وذلك لأن الشيطان يستغل فرصة وجود المسلم في هذا المكان الخبيث الذي هو مسكن الشياطين ومأواهم ويتسلط عليه فقد صح عن النبي ﷺ أنه كان يقول إذا دخل الخلاء: «بسم اللّه» «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ

(١) حسن، رواه أبو داود (٥٤٧)، والنسائي (٨٤٧)، حسنه الألباني في المشكاة (١٠٦٧).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٣٢٧٠)، ومسلم (٧٧٤/٢٠٥)، والنسائي (١٦٠٨).

(٣) ذكره الحافظ في الفتح (٢٥/٣) وقال: سنده جيد.

الْخُبُثِ وَالْخَبَائِثِ»[١] أي: من ذكران الشياطين وإناثهم.

الحصن السادس:

الاستعاذة عند الدخول في الصلاة: عَنْ ابْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي صَلَاةً قَالَ عَمْرٌو: لَا أَدْرِي أَيَّ صَلَاةٍ هِيَ؟! فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ثَلَاثًا، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ مِنْ نَفْخِهِ وَنَفْثِهِ وَهَمْزِهِ»[٢]. نفخه: الكبر، ونفثه: الشعر، وهمزه: الصرع والجنون.

الحصن السابع:

تحصين المرأة عند العقد بها: بعدما تعقد على زوجتك تضع يدك اليمنى على جبهتها وتقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَمِنْ شَرِّ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ[٣]،اللَّهم بارك لي فيها وقها شر حاسد إذا حسد، وساحر إذا سحر، وماكر إذا مكر».

الحصن الثامن:

افتتاح الحياة الزوجية بالصلاة: قال عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه: «إذا أتتك امرأتك -يعني يوم الدخول بها- فمرها أن تصلي ورائك ركعتين وقل: اللَّهم بارك لي في أهلي، وبارك لهم فيّ، اللَّهم اجمع بيننا ما جمعت بخير، وفرق بيننا إذا فرقت إلى الخير»[٤].

---

(١) صحيح، رواه البخاري (١٤٢، ٦٣٢٢)، ومسلم (٣٧٥/١٢٢)، وأبو داود (٤)، والترمذي (٥، ٦)، والنسائي (١٩)، وابن ماجه (٢٩٨) كلهم عن أنس رضي اللَّه عنه، وزيادة بسم اللَّه في أوله أخرجها سعيد بن منصور انظر فتح الباري (٢٤٤/١).

(٢) صحيح، رواه أبو داود (٧٦٤)، وصححه الألباني في الكلم الطيب (٨٠).

(٣) حسن، رواه أبو داود (٢١٦٠)، وابن ماجه (٢٢٥٢)، حسنه الألباني في الكلم الطيب (٢٠٨).

(٤) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٥٤٧) وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح=

الحصن التاسع:

التحصين عند الجماع: عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما أن النبي ﷺ قال: «لوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ فَقَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبْ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرْ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ لَمْ يَضُرُّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا»(١).

الحصن العاشر:

تتوضأ قبل النوم، وتقرأ آية الكرسي وتذكر اللَّه تعالى حتى يدركك النعاس فقد صح أن الشيطان قال لأبي هريرة: (من قرأ آية الكرسي قبل النوم لا يزال عليه من اللَّه حافظ ولا يقربه الشيطان حتى يصبح). وأقره النبي ﷺ على ذلك فقال: «صدقك وهو كذوب»(٢).

الحصن الحادي عشر:

تقول بعد صلاة الفجر: (لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير) ١٠٠مرة، فقد صح عن النبي ﷺ أن: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنْ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ إِلَّا رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ»(٣).

الحصن الثاني عشر:

تقول عند دخول المسجد «أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ مِنْ

= وقال الألباني في آداب الزفاف (ص: ٢٤): أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة، وكذا عبد الرزاق في مصنفه وسنده صحيح ، وأخرجه الطبراني بسندين صحيحين.

(١) صحيح، رواه البخاري (١٤١، ٣٢٧١، ٦٣٨٨، ٧٣٩٦)، ومسلم (١٤٣٤/١١٦).

(٢) رواه البخاري تعليقًا في كتاب الوكالة مجزومًا به.

(٣) صحيح، رواه البخاري (٣٢٩٣، ٦٤٠٥)واللفظ له، ومسلم (٢٦٩١/٢٨)، والترمذي (٣٤٦٨)، وابن ماجه (٣٧٩٨).

الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ، قَالَ الشَّيْطَانُ: حُفِظَ مِنِّي سَائِرَ الْيَوْمِ»[١].

الحصن الثالث عشر:

تقول في الصباح والمساء «بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ». ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فقط[٢].

الحصن الرابع عشر:

تقول عند الخروج من البيت: «بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، قَالَ: يُقَالُ حِينَئِذٍ: هُدِيتَ وَكُفِيتَ وَوُقِيتَ، فَتَتَنَحَّى لَهُ الشَّيَاطِينُ فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ؟!!»[٣].

الحصن الخامس عشر:

ذكر لرد كيد مردة الجن والشياطين؛ تقول بعد صلاتي الفجر والمغرب «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَذَرَأَ وَبَرَأَ وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمِنْ شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا وَمِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ فِي الْأَرْضِ وَمِنْ شَرِّ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ»[٤].

الحصن السادس عشر:

الاستعاذة بالله تعالى: لقوله عز وجل: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ

---

(١) صحيح، رواه أبو داود (٤٦٦)، صححه الألباني في صحيح الجامع (٤٧١٥).

(٢) صحيح، رواه الترمذي (٣٣٨٨)، وأبو داود (٥٠٨٨)، وابن ماجه (٣٨٦٩)، صححه الألباني (٥٧٤٥، ٦٤٢٦).

(٣) صحيح، رواه أبو داود (٥٠٩٥)، والترمذي (٣٤٢٦) كلاهما عن أنس بن مالك، صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٤٩٩).

(٤) صحيح، رواه أحمد في المسند (١٥٠٣٤، ١٥٠٣٥)(٣/٤١٩) ، وابن السني (٦٣٧)، الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/١٢٧)، صححه الألباني في صحيح الجامع (٧٤).

﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٠٠﴾ [الأعراف]. وقول الرسول ﷺ في حديث الصحيحين لم رآه غاضبًا: «إِنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ ذَا عَنْهُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»(١).

الحصن السابع عشر:

قراءة المعوذتين: قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، لحديث النسائي وغيره: «يَا ابْنَ عَابِسٍ أَلاَ أَدُلُّكَ أَو أَلاَ أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلِ مَا تَعَوَّذَ بِهِ الْمُتَعَوِّذُونَ؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلَى يا رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق] وَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [الناس] هَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ»(٢).

الحصن الثامن عشر:

قراءة سورة البقرة بكاملها؛ لحديث مسلم وفيه: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنْ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ»(٣).

الحصن التاسع عشر:

ذِكر اللَّه تعالى؛ لحديث الترمذي بسند صحيح وفيه: قال يحيى بن زكريا: «آمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللَّهَ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ الْعَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ، كَذَلِكَ الْعَبْدُ لَا يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنْ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ»(٤).

الحصن العشرين:

التعوذ باللَّه عز وجل عند سماع نباح الكلاب ونهيق الحمير؛ لقوله ﷺ في

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٣٢٨٢، ٦٠٤٨، ٦١١٥)، ومسلم (٣٦١٠/١٠٩) واللفظ له، وأبو داود (٤٧٨١).

(٢) صحيح، رواه النسائي (٥٤٣٢) صححه الألباني في السلسة الصحيحة (١١٠٤)، وأحمد في المسند (١٦٨٤٦، ١٦٩٣٨).

(٣) صحيح، رواه مسلم (٧٨٠/٢١٢).

(٤) صحيح، رواه الترمذي (٢٨٦٣) وصححه الألباني في سنن الترمذي.

الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم: «إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ فَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا، وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيقَ الْحِمَارِ فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ رَأَى شَيْطَانًا»[1].

ولقوله ﷺ: «إِذَا سَمِعْتُمْ نُبَاحَ الْكِلَابِ وَنَهِيقَ الْحُمُرِ بِاللَّيْلِ؛ فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ فَإِنَّهُنَّ يَرَيْنَ مَا لَا تَرَوْنَ»[2].



(١) صحيح، رواه البخاري (٣٣٠٣) واللفظ له، ومسلم (٢٧٢٩/٨٢)، وأبو داود (٥١٠٢)، والترمذي (٣٤٥٩).

(٢) صحيح، رواه أبو داود (٥١٠٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٠)، وأحمد في المسند (١٣٨٧١).

تأثير العين

الأدلة من القرآن الكريم على تأثير العين:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [يوسف].

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير هاتين الآيتين: يقول تعالى إخبارًا عن يعقوب عليه السلام: إنه أمر بنيه لما جهزهم مع أخيهم بنيامين إلى مصر، ألا يدخلوا كلهم من باب واحد، ولْيدخلوا من أبواب متفرقة، فإنه كما قال ابن عباس، ومحمد بن كعب، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، والسُّدِّي: إنه خشي عليهم العين، وذلك أنهم كانوا ذوي جمال وهيئة حسنة، ومنظر وبهاء، فخشي عليهم أن يصيبهم الناس بعيونهم؛ فإن العين حق، تستنزل الفارس عن فرسه. وروى ابن أبي حاتم، عن إبراهيم النَّخَعي في قوله: ﴿وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾ [يوسف :٦٧]قال: علم أنه سيلقى إخوته في بعض الأبواب. وقوله: ﴿وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ [يوسف :٦٧] أي: هذا الاحتراز لا يرد قدر الله وقضاءه؛ فإن الله إذا أراد شيئًا لا يُخالف ولا يُمانع، ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا﴾ [يوسف :٦٨] قالوا: هي دفع إصابة العين عنهم(١).أهـ. باختصار.

قال تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾﴾ [القلم].

(١) تفسير ابن كثير (٢/٤٨٥).

يقول الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه تعالى: قال ابن عباس، ومجاهد، وغيرهما: ﴿لَيُزْلِقُونَكَ﴾ [القلم :٥١] لينفذونك ﴿بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾ [القلم :٥١] أي: ليعينونك بأبصارهم، بمعنى: يحسدونك لبغضهم إياك لولا وقاية اللَّه لك، وحمايته إياك منهم. وفي هذه الآية دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حق، بأمر اللَّه، عز وجل، كما وردت بذلك الأحاديث المروية من طرق متعددة كثيرة[1].أهـ.

الأدلة من السنة النبوية على تأثير العين:

١- عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «الْعَيْنُ حَقٌّ»[2].

٢- وعن عائشة رضي اللَّه عنها أن النبي ﷺ قال: «استعيذوا باللَّه من العين فإن العين حق»[3].

٣- وعن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «الْعَيْنُ حَقٌّ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابَقَ الْقَدَرَ سَبَقَتْهُ الْعَيْنُ، وَإِذَا اسْتُغْسِلْتُمْ فَاغْسِلُوا»[4]. أي: وإذا طُلِبَ من أحدكم أن يغتسل لأخيه المسلم؛ لأنه أصابه بالعين، فليلبِّ طلبه وليغتسل له.

٤- وعن أسماء بنت عميس رضي اللَّه عنها قالت: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ وَلَدَ جَعْفَرٍ تُسْرِعُ إِلَيْهِمْ الْعَيْنُ أَفَأَسْتَرْقِي لَهُمْ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابَقَ الْقَدَرَ لَسَبَقَتْهُ الْعَيْنُ»[5].

٥- وعن أبي ذر رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إِنَّ الْعَيْنَ لَتُولِعُ

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/٤١٠).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٥٧٤٠، ٥٩٤٤)، ومسلم (٢١٨٧/٤١)، وأبو داود (٣٨٧٩)، وابن ماجه (٣٥٠٧).

(٣) صحيح، رواه ابن ماجه (٣٥٠٨)، صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٩٣٨).

(٤) صحيح، رواه مسلم (٢١٨٨/٤٢)، والترمذي (٢٠٦٢).

(٥) صحيح، رواه الترمذي (٢٠٥٩)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٤٥٦٠)، وأحمد في المسند (٢٦٩٢٤) وقال الأرناؤوط: حديث حسن.

بِالرَّجُلِ بِإِذْنِ اللَّهِ حَتَّى يَصْعَدَ حَالِقًا ثُمَّ يَتَرَدَّى مِنْهُ»[1]. والمعنى أن العين تصيب الرجل فتؤثر فيه حتى أنه ليصعد مكانًا مرتفعًا ثم يسقط من أعلاه من أثر العين.

٦- وعن ابن عباس رضي اللَّه عنهما أن رسول اللَّه ﷺ قال: «الْعَيْنُ حَقٌّ تَسْتَنْزِلُ الْحَالِقَ»[2].

٧- وعن جابر رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «العين تدخل الرجل القبر، وتدخل الجمل القدر»[3]. والمعنى: أن العين تصيب الرجل فتقتله فيموت ويدفن في القبر، وتصيب الجمل فيشرف على الموت فيذبح ويطبخ في القدر.

٨- وعن عائشة رضي اللَّه عنها قالت: «أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوْ أَمَرَ أَنْ يُسْتَرْقَى مِنْ الْعَيْنِ»[4].

٩- وعن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال: «رَخَّصَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الرُّقْيَةِ مِنْ الْعَيْنِ وَالْحُمَةِ وَالنَّمْلَةِ»[5]، الحمة: كل لدغة فيها سم كلدغة الحية والعقرب وغيرهما، النملة: قروح تخرج في الجنب[6].

١٠- وعن أم سلمة رضي اللَّه عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِجَارِيَةٍ فِي بَيْتِ أُمِّ

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢٠٧٩٥). وصححه الألباني انظر صحيح الجامع الصغير (١٦٨١).

(٢) حسن، رواه أحمد في المسند (٢٤٧٣، ٢٦٧٦) وقال الأرناؤوط: حسن لغيره وهذا إسناد ضعيف، والحاكم في المستدرك (٧٦/٧٤٩٨) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه الزيادة، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٤١٤٦).

(٣) حسن، انظر صحيح الجامع الصغير للشيخ الألباني (٤١٤٤).

(٤) صحيح، رواه البخاري (٥٧٣٨).

(٥) صحيح، رواه مسلم (٥٨/٢١٩٦).

(٦) راجع النهاية لابن الأثير.

سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ رَأَى بِوَجْهِهَا سَفْعَةً فَقَالَ: «بِهَا نَظْرَةٌ فَاسْتَرْقُوا لَهَا» يَعْنِي: بِوَجْهِهَا صُفْرَةً[١]. سفعة: علامة من الشيطان، وقيل: ضربة واحدة منه أي بقعة سوداء أو صفراء في وجهها.

١١- وعن جابر رضي الله عنه قال: رَخَّصَ النَّبِيُّ ﷺ لِآلِ حَزْمٍ فِي رُقْيَةِ الْحَيَّةِ، وَقَالَ لِأَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ: «مَا لِي أَرَى أَجْسَامَ بَنِي أَخِي ضَارِعَةً تُصِيبُهُمُ الْحَاجَةُ؟» قَالَتْ: لَا، وَلَكِنْ الْعَيْنُ تُسْرِعُ إِلَيْهِمْ، قَالَ: «ارْقِيهِمْ» قَالَتْ: فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «ارْقِيهِمْ»[٢].

أقوال العلماء في حقيقة العين:

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: العين إصابتها وتأثيرها حق بأمر الله عز وجل[٣].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: حقيقة العين نظر باستحسان مشوب بحسد من خبيث الطبع يحصل للمنظور منه ضرر[٤].

قال ابن الأثير رحمه الله تعالى: يقال: أصابت فلانًا عين إذا نظر إليه عدو أو حسود فأثرت فيه بمرض بسببها[٥].

قال الحافظ ابن القيم رحمه الله تعالى: فأبطلت طائفة ممن قل نصيبهم من السمع والعقل أمر العين، وقالوا: إنما ذلك أوهام لا حقيقة لها، وهؤلاء من أجهل الناس بالسمع والعقل، ومن أغلظهم حجابًا، وأكثفهم طباعًا، وأبعدهم معرفة عن الأرواح والنفوس وصفاتها وأفعالها وتأثيرها، ولا تنكره وإن اختلفوا في سببه وجهة تأثير العين.

(١) صحيح، رواه البخاري (٥٧٣٩)، ومسلم (٢١٩٧/٥٩) واللفظ له.
(٢) صحيح، رواه مسلم (٢١٩٨/٦٠).
(٣) تفسير ابن كثير (٤/٤١٠).
(٤) فتح الباري (١٠/٢٠٠).
(٥) النهاية لابن الأثير (٣/٣٣٢).

ثم قال: وَلَا رَيْبَ أَنّ اللّهَ سُبْحَانَهُ خَلَقَ فِي الْأَجْسَامِ وَالْأَرْوَاحِ قُوَى وَطَبَائِعَ مُخْتَلِفَةً، وَجَعَلَ فِي كَثِيرٍ مِنْهَا خَوَاصّ وَكَيْفِيّاتٍ مُؤَثّرَةً، وَلَا يُمْكِنُ لِعَاقِلٍ إنْكَارُ تَأْثِيرِ الْأَرْوَاحِ فِي الْأَجْسَامِ فَإِنّهُ أَمْرٌ مُشَاهَدٌ مَحْسُوسٌ، وَأَنْتَ تَرَى الْوَجْهَ كَيْفَ يَحْمَرّ حُمْرَةً شَدِيدَةً إذَا نَظَرَ إلَيْهِ مِنْ يَحْتَشِمُهُ وَيَسْتَحِي مِنْهُ، وَيَصْفَرّ صُفْرَةً شَدِيدَةً عِنْدَ نَظَرِ مَنْ يَخَافُهُ إلَيْهِ، وَقَدْ شَاهَدَ النّاسُ مَنْ يَسْقَمُ مِنْ النّظَرِ وَتَضْعُفُ قُوَاهُ، وَهَذَا كُلّهُ بِوَاسِطَةِ تَأْثِيرِ الْأَرْوَاحِ وَلِشِدّةِ ارْتِبَاطِهَا بِالْعَيْنِ يُنْسَبُ الْفِعْلُ إلَيْهَا، وَلَيْسَتْ هِيَ الْفَاعِلَةَ وَإِنّمَا التّأْثِيرُ لِلرّوحِ، وَالْأَرْوَاحُ مُخْتَلِفَةٌ فِي طَبَائِعِهَا وَقُوَاهَا وَكَيْفِيّاتِهَا وَخَوَاصّهَا، فَرُوحُ الْحَاسِدِ مُؤْذِيَةٌ لِلْمَحْسُودِ أَذًى بَيّنًا وَلِهَذَا أَمَرَ اللّهُ سُبْحَانَهُ رَسُولَهُ أَنْ يَسْتَعِيذَ بِهِ مِنْ شَرّهِ، وَتَأْثِيرُ الْحَاسِدِ فِي أَذَى الْمَحْسُودِ أَمْرٌ لَا يُنْكِرُهُ إلّا مَنْ هُوَ خَارِجٌ عَنْ حَقِيقَةِ الْإِنْسَانِيّةِ، وَهُوَ أَصْلُ الْإِصَابَةِ بِالْعَيْنِ فَإِنّ النّفْسَ الْخَبِيثَةَ الْحَاسِدَةَ تَتَكَيّفُ بِكَيْفِيّةٍ خَبِيثَةٍ وَتُقَابِلُ الْمَحْسُودَ فَتُؤَثّرُ فِيهِ بِتِلْكَ الْخَاصّيّةِ، وَأَشْبَهُ الْأَشْيَاءِ بِهَذَا الْأَفْعَى فَإِنّ السّمّ كَامِنٌ فِيهَا بِالْقُوّةِ، فَإِذَا قَابَلَتْ عَدُوّهَا انْبَعَثَتْ مِنْهَا قُوّةٌ غَضَبِيّةٌ وَتَكَيّفَتْ بِكَيْفِيّةٍ خَبِيثَةٍ مُؤْذِيَةٍ، فَمِنْهَا مَا تَشْتَدّ كَيْفِيّتُهَا وَتَقْوَى حَتّى تُؤَثّرَ فِي إسْقَاطِ الْجَنِينِ، وَمِنْهَا مَا تُؤَثّرُ فِي طَمْسِ الْبَصَرِ كَمَا قَالَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الْأَبْتَرِ وَذِي الطّفْيَتَيْنِ مِنْ الْحَيّاتِ: «إنّهُمَا يَلْتَمِسَانِ الْبَصَرَ وَيُسْقِطَانِ الْحَبَلَ»[1].

والتّأْثِيرُ يَكُونُ تَارَةً بِالِاتّصَالِ، وَتَارَةً بِالْمُقَابَلَةِ، وَتَارَةً بِالرّؤْيَةِ، وَتَارَةً بِتَوَجّهِ الرّوحِ نَحْوَ مَنْ يُؤَثّرُ فِيهِ، وَتَارَةً بِالْأَدْعِيَةِ وَالرّقَى وَالتّعَوّذَاتِ، وَتَارَةً بِالْوَهْمِ وَالتّخَيّلِ، وَنَفْسُ الْعَائِنِ لَا يَتَوَقّفُ تأثيرها على الرؤية، بل قد يكون أَعْمَى فَيُوصَفُ لَهُ الشّيْءُ فَتُؤَثّرُ نَفْسُهُ فِيهِ، وَإِنْ لَمْ يَرَهُ، وَكَثِيرٌ مِنْ الْعَائِنِينَ يُؤَثّرُ فِي الْمَعِينِ بِالْوَصْفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ وَهِيَ سِهَامٌ تَخْرُجُ مِنْ نَفْسِ الْحَاسِدِ وَالْعَائِنِ نَحْوَ الْمَحْسُودِ وَالْمَعِينِ تُصِيبُهُ تَارَةً وَتُخْطِئُهُ تَارَةً، فَإِنْ صَادَفَتْهُ مَكْشُوفًا لَا وِقَايَةَ عَلَيْهِ أَثّرَتْ فِيهِ وَلَا بُدّ، وَإِنْ صَادَفَتْهُ حَذِرًا شَاكِيَ السّلَاحِ لَا مَنْفَذَ فِيهِ لِلسّهَامِ لَمْ تُؤَثّرْ فِيهِ، وَرُبّمَا رُدّتْ السّهَامُ عَلَى صَاحِبِهَا، وَأَصْلُهُ

(١) صحيح، رواه البخاري (٣٢٩٩)، ومسلم (٢٢٣٣/١٢٨).

مِنْ إِعْجَابِ الْعَائِنِ بِالشَّيْءِ، ثُمَّ تَتْبَعُهُ كَيْفِيَّةُ نَفْسِهِ الْخَبِيثَةِ ثُمَّ تَسْتَعِينُ عَلَى تَنْفِيذِ سُمِّهَا بِنَظْرَةٍ إِلَى الْمَعِينِ وَقَدْ يَعِينُ الرَّجُلُ نَفْسَهُ وَقَدْ يَعِينُ بِغَيْرِ إِرَادَتِهِ[1].أهـ مختصرًا.

قلت: ولذلك فالعين عندما تنقدح بنظرة استحسان وإعجاب واستعظام ينبعث من نفس العائن مؤثرات وكأنها السهام فتارة تصيب المعين وترة تخطئه، فإذا صادفته مكشوفًا لا وقاية له أثرت فيه، وإن وجدته حذرًا شاكي السلاح محصنًا بالقرآن الكريم والدعوات والأذكار النبوية، فعند ذلك لا منفذ فيه لهذه المؤثرات وربما ردت على صاحبها.

الفرق بين العين والحسد:

١- الحاسد أعم من العائن، فالعائن حاسد خاص، ولذلك جاءت الاستعاذة في سورة الفلق من الحاسد، فإذا استعاذ المسلم من شر الحاسد دخل فيه العائن، وهذا من شمول القرآن وإعجازه وبلاغته.

٢- الحسد يأتي عن الحقد والبغض وتمني زوال النعمة، أما العين فيكون سببها الإعجاب والاستعظام والاستحسان.

٣- الحسد والعين يشتركان في الأثر حيث يسببان ضررًا للمعين والمحسود ويختلفان في المصدر، فمصدر الحسد تَحَرُّق القلب واستنكار النعمة على المحسود، وتمني زوالها عنه، أما العائن فمصدره انقداح نظرة العين لذا فقد يصيب من لا يحسده من جماد أو حيوان أو نبات أو مال، وربما أصابت عينه نفسه، فرؤيته للشيء رؤية تعجب وتحدق مع تكيف نفسه بتلك الكيفية تؤثر في العين.

٤- الحاسد يمكن أن يحسد في الأمر المتوقع قبل وقوعه بينما العائن لا يعين إلا الموجود بالفعل.

٥- لا يحسد الإنسان نفسه ولا ماله ولكنه قد يعينهما.

---

(١) زاد المعاد (١٤٩/٤).

٦- لا يقع الحسد إلا من نفس خبيثة حاقدة، ولكن العين قد تقع من رجل صالح من وجهة إعجابه بالشيء دون إرادة منه إلى زواله، كما حدث من عامر بن ربيعة عندما أصاب سهل بن حنيف بعين رغم أن عامر رضي اللَّه عنه من السابقين إلى الإسلام بل من أهل بدر.

وممن فرق بين الحسد والعين ابن الجوزي وابن القيم وابن حجر والنووي وغيرهم رحمهم اللَّه جميعًا.

ويستحب للمسلم إذا رأى شيئًا فأعجبه أن يُبرِّك عليه بمعنى أن يدعو بالبركة سواء كان هذا الشيء له أو لغيره لقول النبي ﷺ في حديث سهل بن حنيف: «أَلَّا بَرَّكْتَ إِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ»(١). أي: دعوت بالبركة لأن هذا الدعاء يمنع تأثير العين.

الجن يعينون الإنس:

ثبت في الأحاديث الصحيحة:

١- عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال: «كان رسول اللَّه ﷺ يتعوذ من عين الجان ثم أعين الإنس فلما نزلت المعوذتان أخذهما وترك ما سوى ذلك»(٢).

٢- وعن أمنا أم سلمة رضي اللَّه عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِجَارِيَةٍ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ رَأَى بِوَجْهِهَا سَفْعَةً فَقَالَ: «بِهَا نَظْرَةٌ فَاسْتَرْقُوا لَهَا»(٣) يَعْنِي: بِوَجْهِهَا صُفْرَةً.

قال الفراء: قوله (سفعة) أي: نظرة من الجن.

ومن هذين الحديثين يتبين لنا: أن العين تقع من الجن كما تقع من الإنس، ولذا

---

(١) صحيح، رواه أحمد في المسند (١٥٥٥٠)، ومالك في الموطأ (١٧٤٦، ١٧٤٧)، صححه الألباني في مشكاة المصابيح (٤٥٦٢).

(٢) صحيح، رواه النسائي (٥٤٩٤)، وابن ماجه (٣٥١١).

(٣) صحيح، رواه البخاري (٥٧٣٩)، ومسلم (٥٩/٢١٩٧) واللفظ له.

يجب على كل مسلم أن يذكر اسم اللَّه عندما يخلع ثوبه أو ينظر في المرآة أو يقوم بأي عمل، كي يدفع عن نفسه أذى الجن من أعين وغيرها.

علاج العين:

هناك عدة طرق لعلاج العين منها:

الطريقة الأولى: اغتسال العائن:

إذا عُرف العائن يؤمر بالاغتسال، ثم يؤخذ الماء الذي اغتسل فيه ويصب على المحسود من خلفه فيبرأ بإذن اللَّه تعالى.

فعن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، اغْتَسَلَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ، وَكَانَ رَجُلًا أَبْيَضَ حَسَنَ الْجِسْمِ وَالْجِلْدِ فَنَظَرَ إِلَيْهِ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ أَخُو بَنِي عَدِيِّ بْنِ كَعْبٍ وَهُوَ يَغْتَسِلُ فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ وَلَا جِلْدَ مُخَبَّأَةٍ، فَلُبِطَ سَهْلٌ فَأُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ لَكَ فِي سَهْلٍ؟ وَاللَّهِ مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ وَمَا يُفِيقُ قَالَ: «هَلْ تَتَّهِمُونَ فِيهِ مِنْ أَحَدٍ؟» قَالُوا: نَظَرَ إِلَيْهِ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَامِرًا فَتَغَيَّظَ عَلَيْهِ، وَقَالَ: «عَلَامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ؟ هَلَّا إِذَا رَأَيْتَ مَا يُعْجِبُكَ بَرَّكْتَ؟» ثُمَّ قَالَ لَهُ: «اغْتَسِلْ لَهُ»، فَغَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ وَمِرْفَقَيْهِ وَرُكْبَتَيْهِ وَأَطْرَافَ رِجْلَيْهِ وَدَاخِلَةَ إِزَارِهِ فِي قَدَحٍ، ثُمَّ صُبَّ ذَلِكَ الْمَاءُ عَلَيْهِ يَصُبُّهُ رَجُلٌ عَلَى رَأْسِهِ وَظَهْرِهِ مِنْ خَلْفِهِ يُكْفِئُ الْقَدَحَ وَرَاءَهُ فَفَعَلَ بِهِ ذَلِكَ فَرَاحَ سَهْلٌ مَعَ النَّاسِ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ(١).

واختلف في داخلة الإزار فقيل: المراد موضعه من الجسد، وقيل: المراد مذاكيره، وقيل: المراد وركه إذ هو معقد الإزار، قال القاضي ابن العربي: الظاهر والأقوى بل إنه الحق إنه ما يلي الجسد من الإزار(٢).

(١) صحيح، رواه أحمد في المسند (١٥٥٥٠) واللفظ له، ومالك في الموطأ (١٧٤٦، ١٧٤٧)، صححه الألباني في مشكاة المصابيح (٤٥٦٢).

(٢) عارضة الأحوذي (٨/٢١٧).

صفة الاغتسال:

قال ابن شهاب الزهري رحمه اللَّه تعالى: الغسل الذي أدركنا علماءنا يصفونه: أن يؤتى الرجل العائن بقدح فيدخل كفه فيمضمض، ثم يمجه في القدح، ثم يغسل وجهه في القدح، ثم يدخل يده اليسرى فيصب على كفه اليمنى بالقدح، ثم يدخل يده اليمنى فيصب بها على كفه اليسرى صبة واحدة، ثم يدخل يده اليسرى فيصب على مرفقه الأيمن، ثم يدخل يده اليمنى فيصب على مرفقه الأيسر، ثم يدخل يده اليسرى فيصب بها على قدمه اليمنى، ثم يدخل يده اليمنى فيصب بها على قدمه الأيسر، ثم يدخل يده اليسرى فيصب بها على ركبته اليمنى، ثم يدخل يده اليمنى ويصب بها على ركبته اليسرى، كل ذلك في قدح ثم يغسل داخلة إزاره في القدح، ثم يصب على رأس الرجل الذي أصيب بالعين من خلفه صبة واحدة[١].أهـ.

مشروعية غسل العائن:

١- قال النبي ﷺ: «الْعَيْنُ حَقٌّ وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابَقَ الْقَدَرَ سَبَقَتْهُ الْعَيْنُ وَإِذَا اسْتُغْسِلْتُمْ فَاغْسِلُوا»[٢].

٢- وعن عائشة رضي اللَّه عنها قالت: «كَانَ يُؤْمَرُ الْعَائِنُ فَيَتَوَضَّأُ ثُمَّ يَغْتَسِلُ مِنْهُ الْمَعِينُ»[٣].

ومن هذين الحديثين وغيرهما يؤخذ مشروعية الوضوء أو الاغتسال من العائن للمعين.

الطريقة الثانية:

تضع يدك على رأس المصاب وتقول: «بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ مِنْ

(١) راجع السنن للبيهقي (٩/٢٥٢).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٤٢/٢١٨٨)، والترمذي (٢٠٦٢).

(٣) صحيح، رواه أبو داود (٣٨٨٠)، صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٥٢٢).

شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ اللَّهُ يَشْفِيكَ بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ»[١]، وتكرر ذلك ثلاث أو خمس أو سبع أو تسع مرات.

الطريقة الثالثة:

تضع يدك على رأس المصاب وتقول: «بِاسْمِ اللَّهِ يُبْرِيكَ وَمِنْ كُلِّ دَاءٍ يَشْفِيكَ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ وَشَرِّ كُلِّ ذِي عَيْنٍ»[٢]، تكرر عدة مرات خمسًا أو سبعًا.

الطريقة الرابعة:

تضع يدك على المصاب وتقول: «اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ أَذْهِبْ الْبَاسَ اشْفِهِ وَأَنْتَ الشَّافِي لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا»[٣]، تكررها وترًا.

الطريقة الخامسة:

تحضر إناء به ماء وتقرأ عليه المعوذتين ثم تقول: «اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ أَذْهِبْ الْبَاسَ اشْفِهِ وَأَنْتَ الشَّافِي لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا» (٣) مرات، «بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ اللَّهُ يَشْفِيكَ» (٣) مرات، ثم يسكب الإناء على رأس المحسود مرة واحدة من خلفه بحيث يعم الماء جميع جسده، يشفى بإذن اللَّه.



---

(١) صحيح، رواه مسلم (٢١٨٦/٤٠).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٢١٨٥/٣٩).

(٣) صحيح، رواه البخاري (٥٧٤٣، ٥٧٥٠) واللفظ له، ومسلم (٢١٩١/٤٦، ٤٧).

الركن الثالث من أركان الإيمان

الإيمان بالكتب



الركن الثالث من أركان العقيدة

الإيمان بالكتب

حقيقة الإيمان بالكتب:

معنى الإيمان بالكتب الإلهية الذي هو جزء من عقيدة المؤمن: هو التصديق الجازم بما أوحى اللَّه من كلامه الخاص إلى من اصطفى من رسله عليهم السلام، فجُمع ودُون فكان صُحُفًا مطهرة، وكتبًا قيمة، فما عُرف منها آمن به المؤمن تفصيلًا وما لم يعرف آمن به إجمالًا.

الأدلة على وجوب الإيمان بالكتب السماوية وكونه ركنًا من أركان الإيمان:

إن الإيمان بالكتب السماوية الإلهية لواجب شرعًا كما هو واجب عقلًا وهذا بيان بذلك:

أما كون الإيمان بالكتب الإلهية واجبًا شرعًا وذلك لأن اللَّه تعالى أمر به أمرًا جازمًا لا يقتضي إلا طاعة اللَّه تعالى فيه، وتحريم معصيته إذ قال اللَّه تعالى في الأمر بالإيمان بكتبه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء]، إن هذه الآية وحدها كافية في الدلالة على وجوب الإيمان بكتب اللَّه تعالى عامة، وبالقرآن الكريم كتاب الإسلام والمسلمين خاصة.

إن الإيمان بالكتب ليس واجبًا فحسب بل هو أحد أركان الإيمان الستة التي لا يصح إيمان عبد إلا باستكمالها بالإيمان بها كلها.

ومن السنة:

حديث مسلم عن عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه والذي جاء فيه سؤال جبريل للرسول ﷺ عن الإيمان وجواب الرسول ﷺ له بأنه: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ،

وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»[(١)]، حلوه ومره.

أما كون الإيمان بها واجبًا عقلًا فإنه يظهر للمتأمل من حيث حاجة العباد لها، وإقامة الحجة عليهم بها، فإن الرسول المبلغ عن اللَّه شرائعه، وأحكامه يحتاج غالبًا في إثبات رسالته إلى كتاب من اللَّه تقوم به الحجة له على تلك الأمة التي أُرسل إليها حتى يؤمنوا به ويصدقوه ويتبعوه، ويعملوا بما جاءهم به، والتشريع الإلهي نفسه يحتاج إلى كتاب يحويه ويتضمنه ويثبت فيه، ليبقى بعد وفاة الرسول الذي جاء به شرعًا محفوظًا، تعمل به الأجيال إلى المدى الذي حدد له بنسخه برسالة أخرى، أو بنسخ بعض ما جاء فيه كما حصل للتوارة والإنجيل، فقد نسخ اللَّه تعالى بالإنجيل بعض أحكام التوراة، ونسخ بالقرآن الكريم الإنجيل والتوارة كليهما.

ولولا بقاء الكتاب بعد الرسول لضاع الدين الذي جاء به، أو ضاع الكثير منه، وحينئذ يقول الناس: بم نعبد اللَّه؟ وكيف نعبده ولم يكن لدينا من شرائعه ما نعبده به؟؟ وتكون لهم الحجة على اللَّه تعالى، وهذا ما لم يرده اللَّه تعالى حيث صرح بنفسه في قوله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء].

ما عرف من الكتب الإلهية وما لم يُعرف:

١- ما هو المصدر لمعرفة كتب اللَّه السماوية؟

إن المصدر الوحيد الذي يُرجع إليه لمعرفة الكتب الإلهية بالتفصيل هو القرآن الكريم وحده، إذ هو الكتاب المحفوظ حفظًا لا يتطرق إليه معه الزيادة ولا النقص ولا التحريف ولا التغيير أو التبديل، بحال من الأحوال، لأنه من ساعة نزول الآية منه أو الآيات أو السور القصيرة أو الطويلة ورجال متوفرون لكتابته في سطورهم وحفظه في صدورهم، فلم يتم نزوله في خلال الثلاث والعشرين سنة من عهد النبوة المحمدية حتى حفظه عن ظهر قلب مئات الرجال الأذكياء الأمناء ثم لم يمضِ

(١) صحيح، رواه مسلم (١/٨).

إلا زمن قصير حتى أصبح حفاظ القرآن غيبًا في الصدور عشرات الآلاف من الرجال الأفاضل والنساء الفضليات واستمر محفوظًا في الصدور، ومدونًا في السطور، ترعاه أمم ودول وشعوب وحكومات، وتتوارث حفظه ورعايته الأجيال جيلًا بعد جيل إلى يومنا هذا.

وسوف يستمر القرآن محفوظًا بحفظ اللَّه تعالى له إلى أن يرث اللَّه الأرض ومن عليها مصداقًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [فصلت].

٢- وقد ذكر القرآن الكريم من الكتب السماوية صحف إبراهيم، وصحف موسى، وثلاثة كتب هي: توراة موسى، وزبور داود، وإنجيل عيسى عليه السلام، وذكرها في مواضع متفرقة منه، نذكر منها قوله تعالى في سورة الفرقان: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ۝٣٥﴾ [الفرقان]، والمراد من لفظ الكتاب في هذه الآية التوراة.

وقوله تعالى في الحديث عن اليهود: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٤٣ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ﴾ [المائدة].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء:٥٥].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ۖ﴾ [الحديد:٢٧].

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩﴾ [الأعلى].

٣- جاء في مواضع أخرى من القرآن الكريم ذكر بعض ما جاء فيها من أخبار نحو قوله تعالى في التوراة: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ

بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [المائدة].

حيث ذكرت حكمًا من أحكام القصاص في الأطراف، ونحو قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح :٢٩].

فقد نصت هذه الآية القرآنية على أن وصف رسول الله ﷺ ووصف أصحابه في كل من التوراة والإنجيل بنفس المعنى الذي حوته هذه الآية القرآنية الكريمة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النجم].

فقد نصت هذه الآيات من القرآن الكريم على أن في صحف كل من إبراهيم وموسى: الإخبار بأن النفس المذنبة يوم القيامة لا يحمل عنها ذنبها غيرها، وأن الإنسان ليس له من نتائج العمل إلا ما عمله، وسعى فيه بنفسه، كما أن سعي الإنسان سوف يعرف به، ويجزاه كاملًا غير منقوص.

٤- فهذه الكتب التي ذكرت في القرآن الكريم بأسمائها، وأسماء أصحابها الذين نزلت عليهم، يؤمن بها المؤمن تفصيلًا كما ذكرت مفصلة، ويؤمن بباقي كتب الله تعالى التي لم تذكر في القرآن مفصلة، حيث لم يرد في القرآن ذكر أسمائها ولا أسماء من نزلت عليهم، وإنما ذكرت مجملة كما في قوله تعالى من سورة الحديد: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد :٢٥].

وكما في قوله تعالى من سورة البقرة: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة:٢١٣]، لقد جاء في هاتين الآيتين ذكر الكتاب مجملًا فيؤمن بها المؤمن مجملًا وإن لم يعرف أسماءها وأسماء من أنزلت عليهم.

٥- الخلاصة:

ولذلك فما عرفه المؤمن منها مفصلًا آمن به مفصلًا، وما عرفه منها مجملًا آمن بها مجملًا، ولا يؤمن ببعض ويكفر ببعض تعصبًا وضلالًا، كما هو حال اليهود والنصارى الذين آمنوا بالتوراة المحرفة، والإنجيل المبدل المغيَّر، وكفروا بالقرآن المحفوظ الباقي غضًا طريًّا كما نزل، والصافي المحض الذي لم يُشَب فكانوا كمن آمن بالباطل وكفر بالحق، وهم (يعلم اللَّه) لكذلك.

منزلة القرآن الكريم بين كتب اللَّه تعالى:

وقد تتجلى هذه المنزلة العليا للقرآن العظيم بإمعان النظر في النقاط التالية والتأمل فيها:

١- كونه ناسخًا لها لفظًا وحكمًا، فلا تُقرأ للتعبد، ولا يعمل بما فيها من شرائع وأحكام وذلك:

أ- لما دخلها من تحريف، وما أصابها من تضييع ونسيان إذ لم يبقَ فيها ما يجزم بصحة نسبته إلى اللَّه تعالى أبدًا، عرف هذه الحقيقة وقررها المنصفون والمحققون من علماء أهل الكتابين معًا.

ب- كان التشريع فيها خاصًا ببني إسرائيل، ومؤقتًا بزمن معين، وليس أدل على نسخ القرآن للكتب قبله من أمر اللَّه تعالى لنبي اللَّه محمد ﷺ أن يحكم بين سائر الناس على اختلاف ما ينتحلون من ديانات بالقرآن الحكيم وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ

عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة :٤٨]، وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [النساء :١٠٥].

٢- كونه مهيمنًا عليها رقيبًا شهيدًا، فما صححه منها وأقره فيها صح وقُرَّ، وما أبطله منها ونفاه لكونه دخيلًا عليها بطل وانتفى كما جاء في الآية السابقة: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة :٤٨].

٣- كون ما يحمل من التشريع الإلهي عامًّا لكل الناس في أي مكان وفي أي زمان وجدوا، وذلك لعموم رسالة صاحبه المنزَّل عليه ﷺ، إذ قال سبحانه وتعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان]، وقال: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف :١٥٨]، وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ :٢٨]، بخلاف الكتب التي سبقته فإنها كانت خاصة في المكان والزمان، ولا عموم فيها البتة.

٤- تعهد الرب تبارك وتعالى بحفظه إلى أن يرفعه إليه إذ قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر]، وقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [فصلت]، فحفظه اللَّه تبارك وتعالى بأن قيض له رجالًا أمناء، حفظوه في صدورهم وسطروهم، فلم تقوَ يد العدوان على أن تزيد فيه حرفًا، ولا أن تُنقص منه حرفًا، بخلاف غيره من الكتب كالتوراة فقد ضاعت كلها في غزو بُختنصر البابلي لمملكة إسرائيل، ولم يعثر عليها إلا فيما بعد، ثم ما إن جمعت واللَّه أعلم بصحة ما جمع فيها حتى تسلط عليها عبدة المادة فحرفوها وبدلوها حسب مصالحهم وأهوائهم، أما الإنجيل فيكفي في الدلالة على عدم حفظه أنه اليوم خمسة أناجيل (متى، ومرقص، ولوقا، ويوحنا، وبرنابا) والأخير أصحها، وقد أُخفي من القرن الرابع إلى القرن السابع عشر الميلادية بعد أن

كان يوم نزوله إنجيلًا واحدًا!!!

٥- شموله لأصول الهداية البشرية وفروعها واحتوائه على أعظم منهج رباني محقق لسعادة الإنسان في الدنيا وفي الآخرة متى آمن به وعمل بما فيه.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة].

لوحة مشرقة ببيان ما في القرآن من الهدى والخير:

إن في القرآن المجيد من الهدى والخير لبني البشرية كافة ما لا يوجد في كتاب غيره، وفي الأرقام التالية بيان ذلك وتحقيقه:

١- الهدى الموصل إلى كل خير والمرشد إلى كل كمال والهادي إلى سعادة الدارين، قال سبحانه وتعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ [البقرة] وهو الرحمة بأتم معناها، والتي شملت: الإنسان والجان والحيوان والكبير والصغير، الحر والعبد، والحي والميت، قال تعالى في إثباتها: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [لقمان].

٢- الشفاء التام العام لجميع الأمراض العقلية والنفسية والقلبية شفاء من الكفر والشرك والشك والقلق والضطراب والحيرة والخوف والكبر والحسد والكسل والعجز والبخل والشُّح والظلم والخرف، قال تعالى في إثبات هذا الشفاء وتقريره: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ﴾ [الإسراء].

٣- النور الكاشف لجميع الظلمات القلبية، والمبدد لسائر الجهالات النفسية، والمبين لسائر الحقائق والأسرار الكونية، قال تعالى في تقرير نورانيته: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ [النساء].

٤- الموعظة الداعية إلى اكتساب كل فضيلة، والزاجرة عن كل رذيلة، قال تعالى في ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس :٥٧].

٥- البُشرى بخيريّ الدنيا والآخرة وسعادتهما قال تعالى في ذلك: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [النحل].

٦- أنزله اللَّه عز وجل مؤيدًا ومثبتًا ومقررًا لكل حق قال تعالى: ﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ﴾ [الإسراء :١٠٥]، وقال: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [المائدة :٤٨] أي: متلبسًا به مشتملًا عليه مؤيدًا له ومقررًا.

٧- الذكر الإلهي الذي تحيا عليه القلوب، وتطيب بتلاوته الأرواح، وتزكو بالعمل به النفوس، الذكر المكسب للشرف والموصل لحضرة القدس، والرافع إلى ملأ الأخيار، قال تعالى: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ١﴾ [ص]، وقال في الحديث عنه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ٤٤﴾ [الزخرف].

٨- الخير العام لكل إنسان وجان وحيوان، فما من كائن في هذه الحياة إلا وناله من خيرية القرآن من يوم نزوله إلى يوم رفعه إلى اللَّه وقبضه إليه، اللَّهم إلا المطرودين من شياطين الإنس والجان، المبلسين من كل خير، قال تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ﴾ [النحل :٣٠].

٩- التبيان والبيان لكل شيء مما كان الإنسان في حاجة إليه، ومما تتوقف عليه سعادته في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [النحل :٨٩].

١٠- أنزله اللَّه تبارك وتعالى روحًا تسري في العباد فلا حياة فاضلة كريمة إلا بالقرآن، والناس بدون أن تسري فيهم الروح القرآنية أموات حقًا، لا ينتفعون بوجودهم ولا بحياتهم المادية، قال تعالى في هذا: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي

بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى].

شروط الانتفاع بما في القرآن من الخير والهدى:

لا ينتفع بالقرآن، ولا يتهيأ لفيوضاته الربانية إلا من استجمع أربع صفات:

١- الإسلام.

٢- الإيمان.

٣- الإحسان.

٤- التقوى.

١- الإسلام:

فيسلم وجهه وقلبه ويسخِّر كل ما يملك ابتغاء مرضاة اللَّه فيصبح ويمسي وقد شغله أمر دينه، وليس له همٌّ إلا اللَّه عز وجل ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل :٨٩].

٢- الإيمان:

وهو الإيمان والتصديق الجازم الذي لا يتخلَّله شك بكل ما جاء به المصطفى ﷺ عن ربه فيؤمن بوحدانية اللَّه ويؤمن بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره حلوه ومره ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء].

٣- الإحسان:

وهو أن تعبد اللَّه كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك فتراقب اللَّه عز وجل في الحركات والسكنات والأقوال والأفعال، تراقبه في كل ما تأتي وتذر، وما تقدم وما تؤخر، تراقبه في الطاعة كما تراقبه في المعصية وبمعنى آخر تراقبه في محابّه فتأتيها بإتقان وصدق، كما تراقبه في مساخطه فتجتنبها في كره وبغض قال تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [لقمان].

٤- التقوى:

وهي أن تعمل بطاعة اللَّه عز وجل على نور من اللَّه ابتغاء مرضاة اللَّه، وأن تجتنب معصية اللَّه عز وجل على نور من اللَّه ابتغاء مرضاة اللَّه تخاف عقاب اللَّه عز وجل، قال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ﴾ [البقرة].

ولذلك فمن استكمل هذه الصفات الأربع وحققها، فقد استوجبت كل ما في القرآن من الخير والهدى، فحصل له الشفاء في صدره، والرحمة في قلبه، والنور في بصيرته، والبيان في لسانه، والحق في حكمه، والبشرى في حياته وآخرته، والموعظة الداعية إلى اكتساب كل فضيلة، والزاجرة عن كل رذيلة، وأما من ظلم نفسه ولم يسلم وجهه للَّه عز وجل، فلا ينتفع بما جاء في القرآن من الهدى والخير ولا يزيده القرآن إلا خسارًا، ولذلك فالمسلم الذي لا يقرأ القرآن ولا يتدبر مواعظه ولا يعمل بأحكامه وشرائعه ولا يستشفي بآياته يصدق عليه قول الشاعر:

كالعيس في البيداء يقتلها الظمأ والماء فوق ظهورها محمول

تقرير أخير لعقيدة المؤمن في الكتب السماوية:

أن من عقيدة المؤمن أن يؤمن بكل ما أنزله اللَّه من كتاب إجمالًا فيما لم يُعرف وتفصيلًا فيما يُعرف، فيؤمن بصحف إبراهيم وألواح موسى وتوراته وبزبور داود وإنجيل عيسى وفرقان محمد عليه وعليهم صلوات ربي وسلامه.

كما يؤمن بأن القرآن هو كتاب اللَّه عز وجل الأكمل الذي نسخ اللَّه به كتبه السماوية السابقة؛ لأنه متأخر عنها في النزول وسنة النسخ وطريقته دائمًا أن ينسخ المتأخر المتقدم واللاحق السابق.

كما ويؤمن أن الرسالة التي تضمنها القرآن هي رسالة جاءت لكل الناس أبيضهم وأحمرهم وأصفرهم وأسودهم وعربهم وعجمهم وهي رسالة موجهة أيضًا للثقلين الإنس والجن وليست مخصوصة بشعب دون آخر أو بزمان دون آخر.

كما ويؤمن أن الكتب المتوفرة والموجودة لدى نزول القرآن كالتوراة والزبور

والإنجيل كان قد داخلها التحريف والتبديل والتغيير والزيادة والنقصان فأصبحت لا تمثل حقيقة كتب اللَّه تعالى، ومن ثم اقتضت رحمة اللَّه تعالى أن يجدد للبشرية عهد النبوة بعد اندثاره وعهد الوحي بعد توقفه فبعث اللَّه عز وجل النبي الخاتم محمد بن عبد اللَّه ﷺ وأنزل عليه الكتاب الكامل الجامع ونسخ بالإسلام سائر الكتب السماوية الأخرى وصدق اللَّه تعالى إذ يقول: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة:٤٨]، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران].

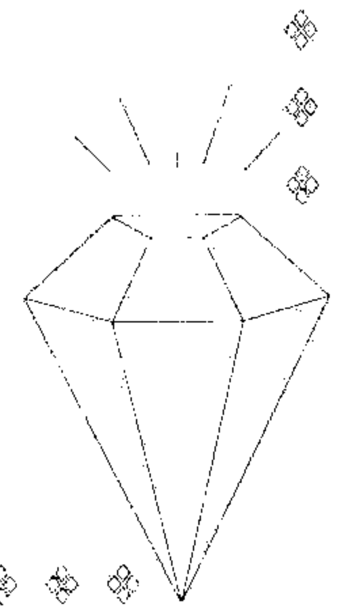
وقال ﷺ مبينًا نسخ كتابه (القرآن) لغيره من الكتب ونسخ دينه الإسلام لغيره من الأديان لعمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه وأرضاه لما أتاه بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب: «لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي»(١).



(١) رواه أحمد في المسند (١٤٧٣٦) وقال الأرناؤوط:إسناده ضعيف لضعف مجالد: وهو ابن سعيد، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٨٨/٦) حسنه الألباني في إرواء الغليل (١٥٨٩).

الركن الرابع من أركان الإيمان

الإيمان بالرسل عليهم السلام



الركن الرابع

الإيمان بالرسل عليهم السلام

مقدمات:

أ- الوحي:

تعريف الوحي: هو الإعلام السريع الخفي، وبأي واسطة حصل، إذ ليس شرطًا فيه أن يكون من قرب، أو بقول أو بين متجانسين، فقد قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾ [النحل :٦٨-٦٩]، وقال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ [القصص :٧].

فقد أعلم اللَّه تعالى النحل مراده ففهمت عنه ذلك، ونفذته كاملًا ولم يكن هنا قرب، ولا قول، ولا تجانس بين الموحي والموحى إليه كما أنه تعالى أعلم أم موسى بمراده ففهمته ونفذته كاملًا تامًا وبدون قرب أيضًا ولا قول ولا تجانس أبدًا بين الموحي والموحى إليه.

الوحي الإلهي وطرقه:

تعريف الوحي الإلهي:

الوحي الإلهي هو ما يوحي به اللَّه تعالى من كلماته الصادقة في أخبارها، العادلة في أحكامها، بطريقة من طرق الوحي إلى من يصطفي من الناس ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾﴾ [النمل :٦].

طرق الوحي:

ولتلقي الوحي طرق بيّنها اللَّه تعالى في كتابه، بقوله من سورة الشورى ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [الشورى].

فهذه طرق ثلاث لتلقي الوحي الإلهي:

الأولى: الوحي المباشر: وهي أن يُعِدَّ اللَّه تعالى قلب المؤمن إعدادًا خاصًا بتصفيته من الظلمات القلبية والرعونات النفسية، ثم يلقي إلى صاحبه بكلماته التي أراد أن يوحي إليه مباشرة فيتلقاها ذو القلب الطاهر وهو النبي من أنبياء اللَّه تعالى ويعيها وعيًا كاملًا صحيحًا وهو جازم بأنها كلام اللَّه تعالى، ووحيه إليه.

الثانية: من وراء حجاب: أي يخاطب اللَّه تعالى من أعده لذلك من أنبيائه ورسله فيُسمعه كلامه المباشر مع القرب وبدونه، ولكن من وراء حجاب فيسمع النبي الكلام ولا يرى المتكلم، وقد تم هذا للنبي ﷺ ليلة الإسراء والمعراج في الملكوت الأعلى، إذ عُرج به ﷺ حتى بلغ سدرة المنتهى، وكلمه ربه تعالى وفرض عليه الصلوات الخمس هذه التي يصليها المؤمنون في كل يوم وليلة، غير أنه لم يرَ ربه تعالى فقد سُئل عن ذلك فقال: «نور أنى أراه»(١).حديث الإسراء ثابت في الصحيحين.

قال تعالى من سورة النجم: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [النجم]؛ فإن الضمير في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [النجم] عائد إلى جبريل عليه السلام وليس عائد على اللَّه تعالى.

كما تم هذا التكلم من وراء حجاب لموسى نبي بني إسرائيل عليه السلام، وكان بجبل الطور في سيناء حيث ناداه ربه بالواد المقدس طوى، ونبأه وأوحى إليه وأرسله إلى فرعون وملائه، كل هذا وموسى عليه السلام يسمع كلام اللَّه المباشر ولا يرى ربه مكلمه عز وجل حتى تاقت نفسه لرؤيته، وسأل ربه ذلك فقال: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾، فقال اللَّه تعالى له: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف:١٤٣] وأقنعه بعجزه عن الرؤية للَّه تبارك وتعالى، فأمره أن ينظر إلى الجبل وقد تجلَّى له، فصار دكًا فنظر

(١) صحيح، رواه مسلم (٢٩١/١٧٨).

موسى إلى الجبل فلم يقوَ على رؤيته فخر مغشيًا عليه فلما أفاق من غشيته قال: ﴿سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

الثالثة: بواسطة ملك يرسله: أو أن يوحي الله لمن اصطفى من رسله بواسطة ملك يرسله إليه، وكان جبريل عليه السلام موكلًا بالنبي ﷺ وهو الذي صحبه في إسرائه ومعراجه، وما زال معه يأتيه بوحي من ربه حتى قُبض ﷺ، والملك الرسول يأتي أحيانًا في صورته الملائكية، وأحيانًا يتمثل بشرًا كما تمثل لمريم البتول عليها السلام، وقال لها لما استعاذت بالرحمن منه: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ۝١٩ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ۝٢٠ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ۝٢١﴾ [مريم].

كما كان يأتي النبي ﷺ في صورة دحية بن خليفة الكلبي وجاء مرة في صورة أعرابي فدخل المسجد وجلس إلى النبي ﷺ وأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع يديه على فخذيه، وأخذ يسأل الرسول ﷺ والرسول يجيبه وهو يصدقه بقوله: «صدقت» حتى عجب الصحابة منه، كيف يسأله ويصدقه، ولما انصرف أمر الرسول أصحابه أن يردوه عليه فطلبوه فلم يظفروا به، فقال لهم: «إِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»[1].

ب- النبوة:

تعريف: النبوة اسم مشتق من نبا الشيء ينبو نبوة إذا ارتفع متجاوزًا غيره ومنه قولهم: نبا السيف ينبو نبوة إذا ارتفع متجاوزًا مضرب الفارس، أو هي اسم مشتق من أنبأ فلان غيره ينبئه إنباء إذا هو أخبره بخبر ذي شأن، ولهذا يقال النبوءة بالهمزة بعد الواو وبها قرأ ورش عن نافع: «وآتيناهم الكتاب والحكم والنبؤة». وقرأ حفص عن عاصم النبوّة بواو مشددة، ويمكن رد القراءة الأولى إلى هذه وذلك

(١) صحيح، جزء من حديث طويل رواه مسلم (١/٨).

بقلب الهمزة واوًا وإدغامها في الواو، وهو إعلال معروف عند النحاة.

وبناء على هذا فالنبوّة الشرعية هي إعلام اللَّه تعالى من اجتبى من الناس لرفعته، والإعلاء من شأنه بإنبائه بالوحي الذي أراده له أو له ولغيره.

النبي:

النبي ذكر من بني آدم أوحى اللَّه تعالى إليه بأمره فإن أمره بتبليغه إلى الناس فهو نبي ورسول، وإن لم يؤمر بتبليغه فهو نبي غير رسول، وبهذا يظهر الفرق بين النبي والرسول، وهو أن الرسول من أُمر بإبلاغ ما أوحي إليه، والنبي من أُحي إليه بشيء ولم يُؤمر بإبلاغه لاختصاصه به دون غيره من الناس، وعليه فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولًا، ومثال النبي غير الرسول يوشع بن نون صاحب موسى وفتاه عليهما السلام، فقد نبأه اللَّه تعالى، وخلف موسى وهارون في بني إسرائيل وهو الذي غزا بيت المقدس وفتحها اللَّه تعالى عليه، ومثال النبي الرسول نبينا محمد ﷺ؛ إذ هو نبي اللَّه ورسوله إلى الناس أجمعين، وكذا سائر المرسلين المذكورين في القرآن الكريم.

مؤهلات النبوة:

الذي ينبغي أن يُعلَم هنا هو أن النبوة والرسالة لا تأتي من طريق الكسب والاجتهاد أبدًا، فلو انقطع المرء إلى العبادة كلية وتبتل إليه تبتيلًا وتخلى عن سائر الحظوظ النفسية، وعن كل الرغبات والشهوات وسائر متع الحياة ولذائذها لم يؤهله ذلك لأن يكون نبيًا أو رسولًا بحال من الأحوال، إذ النبوة هبة خاصة، يختص بها اللَّه واهبها، من أهَّله لها من عبادة المؤمنين ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١] بيد أن اللَّه يهيئ لها بإعداد خاص عبدًا من عباده فيحفظه من التلوث النفسي والضلال العقلي، والفساد الخلقي والانحراف الفكري، ويضفي عليه من الكمالات النفسية والعقلية والخلقية ما يؤهله به لمقام النبوة الشريف.

ومن المؤهلات للنبوة وتلقي الوحي الإلهي:

١- **المثالية:** ونعني بالمثالية ذلك الكمال البشري الذي يحوزه المرء المرشح لمقام النبوة، والذي لا يسمو إليه سواه من المرشحين لها من سائر الناس مثل: (الخُلق والحِلم والرفق والصدق والأمانة والعدل وما إلى ذلك).

٢- **شرف النسب:** إن عامل الوراثة وهو أن كثيرًا من الصفات، والخصائص والمميزات تنتقل بهذه السنة الإلهية (عامل الوراثة) من الأصل الوالد إلى الفرع المولود، ومن هنا كان الأنبياء يبعثون في أشراف أقوامهم، والمراد من الشرف بالمعنى الأعم: الترفع عن الدنايا الخلقية، والتنزه عما يخل بالمروءات، ويهبط بالقيم البشرية السليمة، وتشمئز منه النفوس الكريمة.

٣- **عامل الزمن:** إن المراد بعامل الزمن هو وجود مقتضيات في الزمن المعين، تحتم بعثة نبي، أو إرسال رسول وتقتضيه، ومن ذلك وجود فراغ روحي تسبب عنه فساد اجتماعي كبير فقد أصبحت الحال تتطلب نبيًا مصلحًا، يرد للحياة اعتبارها، وللإنسان قيمته، وذلك كالفراغ الذي كان قبل إرسال موسى وأخيه هارون عليهما السلام، وكالذي كان قبل نبوة عيسى ورسالته عليه السلام، وكالذي كان قبل بعثة محمد ﷺ ورسالته؛ فإن الأحوال التي كانت سائدة في تلك الأزمنة الثلاثة كانت تلح مطالبة بنبوة ورسالة رسول لإصلاح البلاد والعباد.

ج- صفات الأنبياء والمرسلين:

إن للمؤهلين لحمل رسالة الخالق إلى الخلق صفات كمال لا تفقد في أحدهم أبدًا، إذ هي واجبة لكل من يحمل رسالة اللَّه تعالى إلى عباده ومن تلك الصفات:

١- **الصدق:** صدق اللسان، والنية، والعهد والوعد، والأعمال والأحوال، بحيث يستحيل أن يتصف المؤهل للنبوة بضد الصدق وهو الكذب والنفاق.

٢- **الأمانة:** الأمانة في كل شيء، في القول والعمل، في الحكم والقضاء، في

الحديث والنقل، في الرواية والتبليغ، في السر والعلن معًا، إذ يستحيل أن يتصفوا بضدها وهي الخيانة بحال من الأحوال فلا خيانة فيهم أبدًا ولو في أقل الأشياء وأتفهها.

٣- **التبليغ**: والمراد منه أن يبلغ الرسول كل ما أمر بتبليغه لا يخشى في اللَّه لومة لائم فلا يخفى منه شيء، ولا يكتمه بحال من الأحوال، فلا تحمله رغبة ولا رهبة على أن يكتم بعضًا مما أوحي إليه، وأمر بإبلاغه إلى الناس.

٤- **الفطنة**: إن الفطنة ليست الفهم والذكاء فحسب، بل هي مع ذلك رقة الشعور، وصفاء الذهن، ورهافة الحس وصدقه، وسرعة البديهة على حد قول حسان بن ثابت في النبي ﷺ:

لو لم يكن فيك آيات مبينة كانت بديهته تأتيك بالخبر

إذ الفطنة من المؤهلات لتلقي الوحي، والأمانة عليه، فالغباء وبلادة الحس، وبطء الإدراك تتنافى مع مقام النبوة وشرف التلقي عن اللَّه تعالى.

هـ- الرسل عليهم السلام:

الرسل في التاريخ: ما هو المصدر لمعرفة تاريخ الرسل؟

﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر:٢٤]، لا يوجد في مصادر التاريخ اليوم ما يُعوَّل عليه في هذا الشأن، وما يعتمد عليه في هذه المهمةالعظيمة، وهي التاريخ الصادق الكامل لصفوة الخلق، وخلاصة البشر الرسل عليهم السلام، اللَّهم إلا ما كان من كتاب اللَّه تعالى القرآن الكريم، فإنه المصدر الوحيد الموثوق، الذي لا يعدل به غيره ولا يلتفت معه إلا سواه إذ لم يعرف الأنبياء كم نبأهم، ولا يعرف المرسلين المصطفين كمن اصطفاهم وأرسلهم فحسبنا إذًا القرآن في هذا الشأن، فنكتفي بإيراد بعض ما جاء فيه عن رسل اللَّه من حيث عددهم وبيان زمن وجود كل منهم ومعرفة أسمائهم ومعرفة أعاظمهم وأولي العزم منهم، وذكر بلادهم وأقوامهم، وما إلى ذلك من تاريخ حياتهم.

عدد الرسل:

لم نشك أبدًا في أن الرسل كانوا جمًا غفيرًا وذلك لقول اللَّه تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقوله: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، غير أننا لا نستطيع أن نجزم بعدد معين لا نزيد عليه ولا ننقص منه، وذلك لعدم ثبوته عن الوحي الإلهي، والخبر النبوي الصحيح وكل ما ورد عن النبي ﷺ في بيان عدد الأنبياء والمرسلين حديث أبي ذر الغفاري في مسند أحمد وسنده ليس بالقوي، ولفظه: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْأَنْبِيَاءِ كَانَ أَوَّلُ؟ قَالَ: آدَمُ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَنَبِيٌّ كَانَ؟ قَالَ: نَعَمْ نَبِيٌّ مُكَلَّمٌ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَمْ الْمُرْسَلُونَ؟ قَالَ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا، وَقَالَ مَرَّةً: خَمْسَةَ عَشَرَ»(١). وفي لفظ آخر: «قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَمْ وَفَّى عِدَّةُ الْأَنْبِيَاءِ؟ قَالَ: مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا»(٢).

ففي هذا الخبر المرفوع بيان أنّ آدم كان نبيًا يكلمه اللَّه تعالى، ويوحي إليه، وبيان كل من عدد الأنبياء والمرسلين، ولا يستبعد أن يكون هذا الخبر صحيحًا وإن ضعف سنده وذلك لما فيه من آثار طابع النبوة وروحها.

ولما لم يجد علماء الإسلام بديلًا عنه قالوا بالمعنى الذي جاء به فحكموا بنبوة آدم، وحدثوا أن عدد الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألفًا، وأن المرسلين منهم ثلثمائة وخمسة عشر، ولا تثريب عليهم في ذلك لعدم وجود ضرر يترتب على القول بهذا الخبر إذ لا يوجد في الإسلام ما يتنافى معه.

الترتيب الزمني للرسل عليهم السلام يبتدئ بآدم أبي البشر عليه السلام ولم

(١) ضعيف، رواه أحمد في المسند (٢١٠٣٦) وقال الشيخ: الأرناؤوط إسناده ضعيف جدا لجهالة عبيد ابن الخشخاش.

(٢) ضعيف، رواه أحمد في المسند (٢١٧٨٥) وقال الأرناؤوط: إسناده ضعيف جدًا.

يعرف الناس نبيًا من أولاد آدم لصلبه اللَّهم إلا شيت عليه السلام؛ فإنه روي أنه كان حفيدًا لآدم أبي البشر، وقد أنزل عليه عدة صحف، تعرف بصحف شيت عليه السلام، وجاء بعد شيت نبي اللَّه ورسوله إدريس عليه السلام وهو مذكور في الكتاب الكريم، وتقول الأخبار عنه إنه من ذرية شيت عليه السلام، ثم جاء نوح عليه السلام وهو أول رسول كما صرح بذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ [النساء: ١٦٣]، ثم جاء بعده هود فصالح فإبراهيم، فلوط، فإسماعيل، فإسحاق، فيعقوب، فيوسف، ثم شعيب، فموسى وهارون، فداود فسليمان، ثم إلياس فاليسع وأيوب وذو الكفل، ويونس، وزكريا، فيحيى وعيسى، ثم خاتمهم محمد ﷺ وعليهم أجمعين.

وهذا الترتيب الزمني صحيح إلى حد ما، ولولا الخفاء في زمن كل من يونس وأيوب وذي الكفل واليسع لكان إلى الصحة أقرب منه إلى غيرها، والحقيقة في هذا أنه من باب علم لا ينفع، وجهالة لا تضر إذ المطلوب هو الإيمان بالرسل، وتوقيرهم، وتعزيرهم، واتباعهم، والإقتداء بهديهم في أي زمان كانوا، وفي أي أرض وجدوا.

ديار الرسل:

إن عامة من ذكر من الرسل في القرآن الكريم كانت ديارهم في الشرق الأوسط، منها بعثوا وفيها عاشوا مع أقوامهم، وفيها ماتوا ودفنوا، فإبراهيم عليه السلام بعث في العراق، وهاجر منها إلى أرض كنعان، فتنقل بين الحجاز والشام وأرض المعاد حتى توفاه اللَّه تعالى، وإسحاق كان بأرض المعاد وكذا يعقوب وولده إلا أن الأخير هاجر إلى أرض مصر، فعاش بها مع أولاده، ولعله توفي بها وأرسل من بعده يوسف، وعاش بمصر حتى هلك بها، ثم أرسل موسى وهارون، وعاشا بين مصر وسيناء إلى أن توفاهما اللَّه تعالى، وجاء داود وسليمان فكانا في أرض المقدس، وتوالت أنباء بني إسرائيل على أرض الشام وكان آخرهم عيسى عليه السلام فوُلد

في بيت لحم وعاش في أرض المقدس حتى رفعه اللَّه تعالى إليه، ثم ثم بعث خاتم الأنبياء محمد ﷺ بمكة، فولد بها وعاش إلى أن هاجر إلى المدينة من أرض الحجاز، فعاش بها عشر سنوات، وبها توفي، وبها قبره الشريف.

أما نوح عليه السلام فلا يستبعد أنه كان كذلك بين الشرقين الأوسط والأدنى، وأما هود وصالح وشعيب فقد كانوا بأرض العرب، هود في الجنوب ما بين حضرموت والشحر، وصالح في الشمال ما بين الحجاز والشام، وشعيب بغرب الجزيرة، جنوب الأردن الشرقي بأرض مدين، ولوط عليه السلام كان قد هاجر مع عمه إبراهيم الخليل من أرض بابل بالعراق، فبعثه اللَّه تعالى إلى المؤتفكات، وكانت خمس مدن كبيرة أشهرها سدوم وعمورة، فأهلك اللَّه أهل تلك البلاد لفسادهم وخبثهم، ونجى لوطًا ومن معه من المؤمنين، فارتفعوا إلى أرض الشام وأقاموا بها.

أولو العزم من الرسل:

مما يعتبر جزءًا من العقيدة الإسلامية معرفة أولي العزم من الرسل عليهم السلام، إذ جاء في القرآن قوله: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، كما جاء في القرآن بيان عددهم وأسمائهم معًا وذلك في الآية من سورة الأحزاب وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧]، فالكاف من قوله ﴿وَمِنكَ﴾ [الأحزاب: ٧] حرف خطاب تعني محمدًا ﷺ فهو مقدم في اللفظ والفضل.

معنى الإيمان بالرسل والأنبياء:

أن نؤمن بكل من نبأ اللَّه من نبي، وبكل من أرسل من رسول فمن عُرِفَ منهم مجملًا آمنا به مجملًا، ومن عُرِفَ منهم مفصلًا آمنا به مفصلًا ولا نؤمن برسالة بعض ونكفر برسالة بعض؛ إذ الكفر بواحد منهم يعتبر كفرًا بجميعهم وقد تقدم آنفًا بيان الرسل الذين ذكروا في القرآن الكريم، وهم خمسة وعشرون نبيًا ورسولًا منهم ثمانية عَشْرَ ذكروا في أربع آيات من سورة الأنعام: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا

إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام].

وذكر السبعة الباقين مفرقين في عدة سور من القرآن الكريم وهم آدم، وإدريس، وهود، وصالح، وشعيب، وذو الكفل، وخاتمهم محمد ﷺ.

وجوب الإيمان بالأنبياء والرسل وكونه ركنًا من أركان الإيمان:

الإيمان بكل ما أمر الله به من الإيمان بالملائكة، والكتب، والرسل، والبعث، والجزاء، والقدر والقضاء، وبكل غيب أمر الله تعالى بالإيمان به، فيكفي المؤمن دليلًا أن يبلغه خبر الله، وأمره بالإيمان بالرسل كقوله سبحانه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ﴾ [النساء:١٣٦].

هذا وقد جعل الله تبارك وتعالى الإيمان بالرسل هو وصف حال لكل مؤمن فقال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ﴾ [البقرة:٢٨٥]، فلهاتين الآيتين وغيرهما يؤمن المؤمن برسل الله تعالى، ولا يفرق في الإيمان بهم بين رسول ورسول كما فعل اليهود والنصارى، حيث آمن اليهود بأنبياء بني إسرائيل وكفروا بعيسى ابن مريم ومحمد ﷺ، ولا كما آمن النصارى بكافة الأنبياء، وكفروا بخاتمهم وإمامهم محمد ﷺ.

وقد كَفَّرَ الله وتوعد بالعذاب المهين من يؤمن ببعض الرسل ويكفر ببعض في قوله من سورة النساء: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ

سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء].

الخلاصة:

هذا ونظرًا لنسخ جميع شرائع الرسل عليهم السلام بشريعة خاتمهم محمد ﷺ؛ فإنه لم يبق هناك ما يلزم المؤمن إزاء أولئك الرسل سوى الإيمان بهم واعتقاد عصمتهم، وكمالهم، ووجوب تعظيمهم، واحترامهم، أما كتبهم وشرائعهم فلا تقرأ للتعبد ولا يعمل بما جاء فيها من شرائع وأحكام؛ لأن رسالاتهم قد نسخت برسالة محمد ﷺ، وكتبهم قد نسخت بالقرآن الذي جاء مصدقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنًا عليه، ولذلك قال النبي ﷺ لما جاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه ببعض أوراق من كتب أهل الكتاب فقال ﷺ: «لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي»[1].



(١) رواه أحمد في المسند (١٤٧٣٦) وقال الأرناؤوط:إسناده ضعيف لضعف مجالد : وهو ابن سعيد، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٨٨/٦) حسنه الألباني في إرواء الغليل (١٥٨٩).

ترجمة لحياة الرسول ﷺ

محمد رسول الله ﷺ

التعريف به ﷺ:

نسبه:

هو محمد بن عبد اللَّه بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن كعب بن مرة بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن إلياس بن مضر بن معد من ولد عدنان من نسل إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام.

نشأته:

ولد ﷺ بمكة بدار أبي يوسف، والدته آمنة بنت وهب بن زهرة بن عبد مناف ابن كلاب، ولدته صبيحة يوم الاثنين من شهر ربيع الأول عام الفيل، الموافق لأغسطس عام (٥٧١) ميلادية ومات والده عبد اللَّه وهو حمل في بطن أمه، وكفله جده عبد المطلب، وماتت والدته آمنة وهو ابن ست سنين، وحضنته أم أيمن جارية أبيه، ومات جده فكفله عمه أبو طالب.

زواجه وأولاده:

ولما بلغ الخامسة والعشرين من عمره ﷺ تزوج بخديجة بنت خويلد، إحدى شريفات قريش، فأنجب منها ولدين هما القاسم وعبد اللَّه وماتا صغيرين، وأربع بنات هن فاطمة الزهراء وزينب ورقية وأم كلثوم رضي اللَّه عنهم، ولم يزاول من الأعمال ﷺ في هذه الفترة من عمره سوى رعي الغنم، إذ قال ﷺ: «مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ»(١).

(١) صحيح، رواه البخاري (٢٢٦٢).

ثم عمل بالتجارة حيث خرج مع عمه إلى الشام مرة واحدة وخرج بعد ذلك في تجارة لخديجة فربح لها ربحًا عظيمًا، وكان ﷺ في هذه المدة من حياته يتمتع بأفضل الأخلاق، وأطيب الشمائل، فلم يؤثر عليه ما يخل بمكارم الأخلاق قط، فلم يأت ولا مرة ما كان يأتيه بنو قومه أبدًا، فلم يسجد لصنم، ولم يشرب خمرًا، ولم يلعب قمارًا ولا ميسرًا، ولم يستقسم بالأزلام ولم يظلم أحدًا في عرض، ولا مال، ولا دم، لقد كان بشهادة أعدائه وخصومه مثاليًا في أخلاقه، وناهيك بإجماع قريش على إضفاء لقب الأمين عليه، هذا اللقب الذي لم يظفر به أحد في ديارها أبدًا، لقد كان ﷺ أمينًا في سره وعلنه أمينًا في قوله وعمله، أمينًا في غيبه ومشهده، أمينًا في كل شيء، وعلى كل شيء، وإذا كانت قريش قد اضطرت إلى منحه ذلك اللقب السامي الرفيع والكريم لقب الأمين؛ فإن اللَّه تعالى قد أقسم له في مطلع نبوته بأنه على خلق عظيم، وهي شهادة أبدية، إذ قال في سورة القلم: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم].

عناية اللَّه به:

لم يكن الكمال الذي عاش عليه محمد رسول اللَّه ﷺ وعُرف به قبل نبوته، لم يكن نتيجة أب أو أم، أو أثر تعليم أستاذ، أو مرب قط، وإنما كان أثر عناية اللَّه تعالى له، فاللَّه الذي خلقه ليكون واسطة بينه وبين عباده ليبلغهم شرعه ودينه، هو الذي حماه من كل ما يلوث نفسه، أو يعكر صفاء روحه، اعدادًا له لحمل رسالته إلى خلقه، وحمل مثل تلك الرسالة يتطلب كمالًا نفسيًا يكون صاحبه فيه مثلًا أعلى لغيره من سائر الناس، وكذلك كان رسول اللَّه ﷺ، ونستشهد على عناية اللَّه للرسول، وحمايته تعالى له من التلوث النفسي منذ ولادته بما رواه البخاري ومسلم.

روى البخاري ومسلم: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَنْقُلُ مَعَهُمْ الْحِجَارَةَ لِلْكَعْبَةِ

وَعَلَيْهِ إِزَارُهُ، فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ عَمُّهُ: يَا ابْنَ أَخِي لَوْ حَلَلْتَ إِزَارَكَ فَجَعَلْتَ عَلَى مَنْكِبَيْكَ دُونَ الْحِجَارَةِ؟ قَالَ: فَحَلَّهُ فَجَعَلَهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ فَسَقَطَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ، فَمَا رُئِيَ بَعْدَ ذَلِكَ عُرْيَانًا ﷺ»[١].

نبوته وبعثته:

وعلى رأس الأربعين كما هي سنة اللَّه في الأنبياء نُبئ محمد ﷺ إذ جاءه الحق وهو بغار حراء، بعد أن كان قد حبب إليه الخلاء فيه مدة شهر رمضان، فجاءه جبريل فضمه إلى صدره وأرسله ثلاثًا وقال له: «اقْرَأْ، قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ فَقُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣﴾ [العلق] فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي فَقَالَتْ خَدِيجَةُ كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ، وَكَانَ امْرَأً قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنْ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟ قَالَ:

(١) صحيح، رواه البخاري (٣٦٤)، ومسلم (٧٧/٣٤٠).

نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ وَفَتَرَ الْوَحْيُ»(١).

جذعًا: هو الصغير من البهائم، والمقصود يا ليتني أكون شابًا عند ظهور نبوتك حتى أساعد على نصرتك.

الناموس: صاحب السر.

وبعد فترة فتر فيها الوحي، تبدى له جبريل في صورته الملائكية وقد سد الأفق، جالسًا على كرسي بين السماء والأرض، ثم أخذ يدنو منه ويتدلى حتى كان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى اللَّه ما أوحى!! ونزل عليه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾ [المدثر] فأرسل بها ﷺ.

بدء الدعوة:

وبدأ ﷺ دعوته إلى الإيمان باللَّه ورسوله وكتابه، ولقائه وتوحيده تعالى في عبادته، بدأها فردية، وتلقى هو ومن آمن به صنوفًا من الأذى، وأنواعًا من الاضطهاد مما اضطر بعض أصحابه إلى الهجرة إلى الحبشة، ثم إلى المدينة المنورة، كما حوصر هو وأسرته الشريفة والمؤمنون من بني هاشم، حوصروا في شعب أبي طالب ثلاث سنوات، جاعوا فيها جوعًا أكلوا معه ورق الشجر، وفي تلك الفترة توفيت أم المؤمنين خديجة، زوجه المفضلة رضي اللَّه عنها، كما توفي عمه أبو طالب الذي لم يأل جهدًا يدافع عن رسول اللَّه ﷺ ويحميه من كيد أعدائه له، فكان ذلك العام يدعى عام الحزن.

وفي نهاية السنة العاشرة من بعثته ﷺ ومطلع الحادية عشرة عُرج به ﷺ إلى الملكوت الأعلى حتى بلغ سدرة المنتهى عند جنة المأوى، وتجاوزها إلى مقام أسمى سمع عنده صريف الأقلام، وناجاه ربه، وناداه، وفرض عليه وعلى أمته الصلوات الخمس، وحديث الإسراء ثابت في الصحيحين، وفي هذه الأثناء عقد ﷺ اتفاقية

(١) صحيح، رواه البخاري (٤)، ومسلم (١٦٠/٢٥٢).

مع بعض رجال الأوس والخزرج تنص على أن يحمي أولئك الرجال من يهاجر إليهم من المؤمنين مما يحمون به أنفسهم، وأموالهم، وأن لهم عند اللَّه تعالى الجنة، وسميت هذه الاتفاقية ببيعة العقبة الأولى، وتمت عندها أخرى مثلها فسميت ببيعة العقبة الثانية، وهاجر الرسول ﷺ إلى المدينة بعد أن انتشر بها الإسلام، وكانت قبل ذلك تسمى (يثرب) فصارت بحلول النبي فيها تسمى المدينة النبوية، والعامة تسميها المدينة المنورة، وفيها شرعت كل الأحكام والقوانين الجنائية والمدنية، وبها تكونت الدولة الإسلامية الأولى في تاريخ الإسلام، ومن المدينة انطلق المسلمون ينشرون راية العدل والحق في ربوع الأرض، ويخرجون الناس من ظلمات الكفر إلى أنوار الإيمان، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، كما قال ربعي بن حراش لكسرى ملك الفرس، ولم يقبض رسول اللَّه ﷺ حتى انضم إلى الإسلام كامل شبه جزيرة العرب، وحتى تم التشريع الإسلامي أوفر وأقوى ما يكون، ونزل في ذلك قوله تعالى من سورة المائدة: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وقبض رسول اللَّه ﷺ يوم الاثنين من شهر ربيع الأول، بعد ما مضى عشر سنوات وشهران وبعض الليالي على هجرته إلى المدينة، والتي كانت مبدأ التاريخ الإسلامي، ولم يلتحق ﷺ بالرفيق الأعلى حتى لم يترك خيرًا قط إلا دل أمة الإسلام عليه، ولا شرًا إلا حذرها منه فصلوات اللَّه عليه إلى يوم أن نسعد برؤيته وشفاعته.

هذه نظرة سريعة ألقيناها متبركين بها على تاريخ محمد رسول اللَّه ﷺ بمناسبة الحديث عن نبوته.

الأدلة والبراهين الدلة على نبوة النبي محمد بن عبد اللَّه ﷺ:

لا مانع من المزيد من ذكر الأدلة والبراهين لنبوته ﷺ وتقريرًا لها، حتى تجعل الإيمان به اضطراريًا لا يمكن دفعه إلا على ضرب من الجحود والمكابرة والعناد والمجاحدة.

ومن تلك الأدلة ما يلي:

أ- شهادة الكتب السابقة له على نبوته وتبشير الأنبياء السابقين بها:

فقد جاء في إنجيل يوحنا: [الباب الرابع عشر الفقرتان: ١٥، ١٦] .

١- [إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزيًا (فارقليط) آخر ليمكث معكم إلى الأبد] فالفارقليط ترجمته: محمد أو أحمد، وبقاؤه معهم إلى الأبد هو بقاء دينه وكتابه وسننه، فهي محفوظة بحفظ اللَّه، وباقية ببقاء هذه الحياة.

[لكني أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق لأني إن لم أنطلق لم يأتِ المعزي (الفارقليط) ولكن إن ذهبت أرسلته إليكم] (الباب السادس عشر الفقرة: ٧) ، فالفارقليط هو محمد ﷺ ولو لم يذهب عيسى عليه السلام برفع اللَّه تعالى له لما بعث محمد ﷺ على فترة من الرسل كما قال تعالى من سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٩﴾ [المائدة].

٢- وجاء في سفر التثنية من التوراة: (جاء الرب من سيناء وأشرق لنا من ساعير، واستعلن من جبال فاران ومعه ألوف الأطهار) [الباب الثالث والثلاثين].

فهذه شهادة صريحة من التوراة واضحة لمحمد ﷺ بنبوته ورسالته، إذ معنى هذا اللفظ: أن اللَّه تعالى ناجى موسى وأوحى إليه بسيناء، وأرسل عيسى وأوحى إليه بساعير وهي من أرض الجبل بالقدس وبعث محمدًا ﷺ رسولًا معلنًا كلمة (لا إله إلا اللَّه) من مكة الواقعة بين فاران كجبل أبي قبيس وحراء وغيرهما من جبال مكة المحيطة بها.

ب- شهادة علماء أهل الكتابين:

جاء من سورة الشعراء قول اللَّه تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ ءَايَةً أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ

إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾ [الشعراء]، فقد وبخ اللَّه العرب الكافرين على عدم إيمانهم برسالة محمد ﷺ مع وجود آية عظيمة تدل على صدق نبوته وثبوت رسالته، وهي معرفة علماء بني إسرائيل وشهادتهم له بأنه نبي، وما جاء به هو من عند اللَّه، وجاء من سورة البقرة قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [البقرة].

فقد أخبر اللَّه تعالى في هذه الآية أن الذين أوتوا الكتاب (التوراة والإنجيل) يعرفون نبوة محمد ﷺ وصدقه فيها كما يعرفون أولادهم، كما أخبر أن فريقًا كبيرًا منهم يكتمون الحق بعد معرفتهم له، ولذا لم يؤمنوا برسالة محمد ﷺ بعد معرفتهم لها معرفة تامة.

ونكتفي بشهادة عبد اللَّه بن سلام رضي اللَّه عنه عن غيرها من شهادة كثير من علماء اليهود وأحبارهم، أخرج البخاري في صحيحه من كتاب الأنبياء عن أنس بن مالك: «بَلَغَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ مَقْدَمُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلَاثٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ، قَالَ: مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ؟ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ الْوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ، وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ إِلَى أَخْوَالِهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: خَبَّرَنِي بِهِنَّ آنِفًا جِبْرِيلُ قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنْ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ، وَأَمَّا الشَّبَهُ فِي الْوَلَدِ فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَشِيَ الْمَرْأَةَ فَسَبَقَهَا مَاؤُهُ كَانَ الشَّبَهُ لَهُ، وَإِذَا سَبَقَ مَاؤُهَا كَانَ الشَّبَهُ لَهَا، قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهُتٌ، إِنْ عَلِمُوا بِإِسْلَامِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ بَهَتُونِي عِنْدَكَ، فَجَاءَتْ الْيَهُودُ وَدَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ الْبَيْتَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ؟ قَالُوا: أَعْلَمُنَا وَابْنُ أَعْلَمِنَا وَأَخْبَرُنَا وَابْنُ أَخْيَرِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ؟ قَالُوا: أَعَاذَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَقَالُوا: شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا وَوَقَعُوا فِيهِ»[(١)].

وبعد: فإن شهادة عبد الله بن سلام هذه، تعد من أكبر الشهادات بعد شهادة الله ورسوله ﷺ لمحمد بالنبوة والرسالة، ولذا لم نذكر بعدها من شهادات علماء اليهود شهادة غيرها.

أما علماء النصارى؛ فإن لهم من الشهادات برسالة محمد ﷺ ونبوته ما لا يسعه المقام فلذا نكتفي من كل ذلك بشهادة عظيمة أقرها القرآن، وسجلها في صفحاته ألا وهي: شهادة الملك الصالح النجاشي إذ جاء من سورة المائدة قول الله تبارك وتعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [المائدة].

فقد أجمع علماء التفسير والأخبار على أن هذه الآيات نزلت في النجاشي وأصحابه المؤمنين، فقولهم: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [المائدة] قوله هذا يعد شهادة عظيمة بالإسلام ونبيه وكتابه وأمته، ولنستمع إلى شهادة النجاشي رحمه الله تعالى من خلال رده على كتاب رسول الله ﷺ الذي ورده وهو في دار ملكه، وحاضرة وبلاده، إذ جاء فيه:

(بسم الله الرحمن الرحيم ... إلى محمد رسول الله من النجاشي الأصحم بن أبحر،،،

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٣٣٢٩).

سلام اللَّه عليك يا نبي اللَّه ورحمة اللَّه وبركاته، لا إله إلا اللَّه هو الذي هداني إلى الإسلام فقد بلغني كتابك يا رسول اللَّه فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا، وقربنا ابن عمك (جعفر) وأصحابه وأسلمت على يديه للَّه رب العالمين ...)[1].

ج- شهادة بلايين من المسلمين:

إن إيمان بلايين البلايين من المسلمين الذين شهدوا لمحمد ﷺ بنبوته ورسالته وآمنوا بها حق الإيمان، واتبعوا ما جاء به من الحق والهدى، وجاهدوا دونه، وبينهم العلماء والحكماء، والصالحون الصادقون الذين يفوق عددهم الحصر، ويتعذر الإحاطة بهم علمًا، لهو من أعظم الشهادات، وأكثرها إقناعًا للعقول، وجلبًا للطمأنينة والسكون في نفوس المؤمنين بنبوة محمد ورسالته ﷺ.

د- شهادة الحق عز وجل وملائكته:

إن شهادة اللَّه عز وجل، وشهادة ملائكته للنبي محمد ﷺ بالنبوة والرسالة لشهادة مغنية عن كل شهادة، قال تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾ [النساء]، ولولا كزازة النفوس ورعوناتها، وظلمات الجهل باللَّه تعالى التي تغشىٰ كثيرًا من قلوب الناس، لما ذكرنا مع شهادة اللَّه تعالى لمحمد ﷺ بالرسالة شاهدًا أبدًا، ولكن نظرًا لما ذكرنا أوردنا تلك الشهادات السابقة وقفينا عليها بشهادة اللَّه تعالى التي لا يردها عاقل أبدًا.

وشهادة اللَّه تعالى تنقسم إلى قسمين:

١- شهادة الإخبار وهي إخباره تعالى في كتابه عن وحيه واصطفائه لرسوله وإرساله ونصرته.

٢- شهادة المعجزات وهي ما أظهره تعالى على يد نبيه من خوارق العادات، إذ

---

(١) البداية والنهاية (٣/٨٤).

كل خارقة تقول بلسان حالها عن اللَّه تعالى: صدق محمد عبدي ورسولي فيما أخبر عني.

ومن شهادة الأخبار ما يلي:

قوله تعالى من سورة الفتح: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ﴾ [الفتح :٢٩].

قوله تعالى من سورة الأعراف: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف :١٥٨].

قوله تعالى من سورة البقرة: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ﴾ [البقرة :١١٩].

قوله تعالى من سورة النساء: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ [النساء :١٦٣].

قوله تعالى من سورة الأحزاب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ۝٤٦﴾ [الأحزاب].

قوله تعالى من سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ﴾ [المائدة :٦٧].

قوله تعالى من سورة النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ﴾ [النساء :١٧٠].

هـ- شهادة المعجزات:

١- نزول القرآن الكريم عليه وحيًا أوحاه اللَّه تعالى إليه، فإنه أكبر معجزة عرفها الوجود البشري، إذ العادة قاضية بأن أميًا لم يقرأ ولم يكتب ولم يجلس بين يدي أستاذ أو مرب أو معلم، قاض باستحالة تكلمه بالعلوم والمعارف، ومعرفته لها، وتفوقه فيها، فضلًا عن أن يأتي بما لم يأت به غيره من كل معاصريه ومن يأتي بعدهم إلى انقراض الحياة ونهاية الكون.

فالقرآن الكريم وقد حوى أعظم تشريع واشتمل على قدر من العلوم الإلهية،

وعلى أثبت الحقائق العلمية كنظام الزوجية(١) والقوانين الكونية(٢) كما تعرض لبدء الخليقة، وذكر من قصص الماضين، وأخبار السابقين الشيء العجيب، وأخبر بمغيبات عديدة فكانت كما أخبر حرفيًا وبلا زيادة أو نقصان(٣) هذا الكتاب يأتي به أُميّ يتحدى كل الخلق عن الإتيان بمثله، أو بسورة من مثل سوره، فتعجز البشرية ومعها الجن كلهم وتطأطئ رأسها، وتسكت عن المعارضة لأكبر معجزة أوتيها محمد ﷺ لتدل على صدق نبوته، وثبوت رسالته، عرف هذا فداه أبي وأمي حين قال: «مَا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٤).

وهذه صورة التحدي قائمة إلى يوم القيامة تحويها آية واحدة من سورة البقرة، هي قول اللَّه تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة].

ويقول اللَّه تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء]، ويقول أيضًا: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾ [هود: ١٣].

فقوله تعالى: ﴿وَلَن تَفْعَلُوا﴾ [البقرة: ٢٤] أي: الإتيان بسورة قرآنية سواء من قارئ

---

(١) يشير إلى هذا القانون قوله تعالى من سورة يس: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [يس: ٣٦].

(٢) كعملية إنزال المطر المشار إليه بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ [الروم: ٤٨].

(٣) كالإخبار بنهاية حرب الروم مع فارس، وغلب الأولى للأخيرة بعد أن كانت انغلبت وانهزمت، وذلك في قوله تعالى من سورة الروم: ﴿الم ﴿١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾﴾ [الروم].

(٤) صحيح، رواه البخاري (٤٩٨١)، ومسلم (١٥٢/٢٣٩).

أو من أميّ مثل محمد في أميته ما زال قائمًا وقد مضى عليه الآن قرابة الألف وأربعمائة سنة، هيهات أن يأتي أحد بمثل هذا القرآن والله يقول: ﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾.

٢- فيضان الماء من بين أصابعه بالحديبية حتى سقى جيشًا كاملًا قوامه ألف وأربعمائة رجل وامرأة. وهذا ثابت عند الإمام البخاري(١).

٣- تكثير الطعام يوم الخندق حتى أطعم بصاع من شعير وجدي صغير جيشًا كاملًا تعداده ألف رجل أو يزيدون. وقد ثبت هذا في الصحيحين(٢).

٤- حنين الجذع إليه ﷺ ونطقه وسماع مئات الرجال الأخيار له وعدم سكوته إلى أن أتاه الرسول ﷺ وهدهده كما تهدهد الأم طفلها فسكت. وقد ثبت هذا عند البخاري(٣).

٥- رده ﷺ عين قتادة حيث خرجت وتدلت على وجنته بسبب ضربة أصابته يوم أحد فردها ﷺ ومسح عليها فكانت أحسن منها قبل إصابتها(٤).

٦- تسبيح الطعام بين يديه ﷺ وأصحابه يسمعون، وهم عدد كبير من خيار البشر.ثابت عند الإمام البخاري(٥).

٧- انشقاق القمر له ﷺ حين طلبت قريش ذلك استدلالًا على نبوته ﷺ فكان فلقتين على جبل أبي قبيس وأهل مكة كلهم يشاهدون ويعجبون، أُثبتت هذه الحادثة في القرآن الكريم بقول الله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝﴾ [القمر :١]. وحديث الإنشقاق ثابت في الصحيحين(٦).

---

(١) إشارة إلى حديث رواه البخاري (٤١٥٢) عن جابر رضي الله عنه.

(٢) إشارة إلى حديث رواه البخاري (٤١٠٢)، ومسلم (٢٠٣٩/١٤١) عن جابر رضي الله عنه.

(٣) إشارة إلى حديث رواه البخاري (٩١٨، ٣٥٨٥) عن جابر رضي الله عنه.

(٤) السيرة لابن هشام.

(٥) إشارة إلى حديث رواه البخاري (٣٥٧٩) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٦) إشارة إلى حديث رواه البخاري (٣٦٣٦، ٣٨٦٩، ٣٨٧١، ٤٨٦٤، ٤٨٦٥)، ومسلم (٢٨٠٠/٤٣، ٤٤) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

٨- تسليم الشجر والحجر عليه على مرأى من الناس ومسمع، عشرات المرات وتسليم الحجر عليه بمكة وإخباره بهذا ثابت في مسلم[١]، وتسليم الأحجار والأشجار عليه، وسماع علي رضي اللَّه عنه هذا في الترمذي[٢].

٩- الإسراء به والعروج، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم إلى السماء السابعة حيث سدرة المنتهى عند جنة المأوى، فبلغ مستوى سمع فيه صريف الأقلام، وناداه ربه وفرض عليه وعلى أمته الصلوات الخمس[٣]، كل هذه المعجزات وكثير قد ثبتت بما هو أشبه بالمتواتر من الأخبار.

١٠- إخباره بالمغيبات الكثيرة فكانت كما أخبر.

الكلمة الأخيرة في مبحث الإيمان بالرسل:

والكلمة الأخيرة في مبحث الإيمان بالرسل عليهم السلام نتناولها في أمرين هامين:

أولهما: ختم سائر النبوات.

وثانيهما: النبي الخاتم.

أما عن الأمر الأول فنقول: إن اللَّه تعالى قد ختم سائر النبوات بآخر نبوة، وهي نبوة محمد ﷺ فلم يبق من مطمع لأحد في أن يدعي النبوة، أو يؤتاها بعد محمد ﷺ النبي الأمي أبدًا، ومن جهل هذه الحقيقة أو تجاهلها تضليلًا وخداعًا وادعى النبوة فقد كذب على اللَّه، وأعظم الفرية عليه، وكذبه في قوله، وكذب على خلقه ولم يلبث طويلًا حتى يفتضح شر فضيحة ويُلعن بين الناس كما حصل لعديد من الدجالين الكاذبين، مثل مسيلمة الكذاب في الأولين، وأحمد مرزا غلام (صاحب

(١) إشارة إلى حديث رواه مسلم (٢/٢٢٧٧).

(٢) إشارة إلى حديث رواه الترمذي (٣٦٢٤).

(٣) إشارة إلى حديث الإسراء والمعراج، رواه البخاري (٣٤٩، ٣٣٤٢، ٣٥٧٠)، ومسلم (٢٥٩/١٦٢)، والترمذي (٣٣٤٦)، والنسائي (٤٤٨-٤٥٠).

القاديانية الباطلة الكافرة) في الآخرين عليهما لعنة اللَّه والملائكة والناس أجمعين، وذلك لأن اللَّه تعالى قد أخبر بختم النبوات بنبوة محمد ﷺ في قوله تعالى من سورة الأحزاب: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الأحزاب].

وبهذا كان الإيمان بمحمد ورسالته، والعمل بها ضروريًا للنجاة من عذاب يوم القيامة، وللفوز بالنعيم المقيم فيه وأيما عبد لا يؤمن بهذه الرسالة، ولا يعمل بمحتواها في حدود طاقته وما يستطيع إلا وهو من أهل الخسران يوم القيامة، ولا ينفعه إيمان باللَّه، ولا بأنبيائه، وذلك لعدم عمله برسالة محمد الختامية، التي جعلها اللَّه تعالى مزكية للنفوس، مطيبة للأرواح، فلا تزكو نفس امرئ إلا بالإيمان بها، والعمل بما جاء فيها، وزكاة النفس هي المؤهل للفرد لكي ينجو من النار ويفوز بالجنة دار الأبرار، وذلك لقوله تعالى من سورة الشمس: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس].

وعن الأمر الثاني نقول: إن خاتم الأنبياء قطعًا هو النبي محمد ﷺ لقول اللَّه تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الأحزاب].

وإن الواجب على كل إنسان في هذا الوجود البشري أن يؤمن به، ويتبع ما جاء به من الحق والهدى، وذلك لأمر اللَّه تعالى بالإيمان به وباتباع ما جاء به في مثل قوله: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ﴾ [التغابن :٨].

ولتخصيص الرب تبارك وتعالى رحمته وهي الفوز بالجنة بعد النجاة من النار بمن آمن به واتبعه فيما جاء فيه ﷺ قال تعالى من سورة الأعراف: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ

ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف].

ولتعليق اللَّه تعالى هداية الإنسان إلى الكمال البشري، وحصوله على مؤهلات الفرد للسعادة في الدنيا والآخرة على الإيمان به واتباعه إذ قال تعالى من سورة الأعراف: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [الأعراف :١٥٨].

وأخيرًا فإنَّ من الأدلة السمعية على ختم النبوة، وأن محمدًا هو خاتم الأنبياء حديث الصحيحين، الذي فيه يقول الرسول الخاتم ﷺ: «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ قَالَ فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ» (١).

ومثل هذا الحديث فيه الدلالة على ختم النبوة بنبوة محمد ﷺ وأنه الخاتم للأنبياء قبله وكذلك قوله: «إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ كَذَّابُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي» (٢).

وقوله: «إِنَّ لِي أَسْمَاءً أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِيَ الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمَيَّ، وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ أَحَدٌ» (٣).

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٣٥٣٥)، ومسلم (٢٢/٢٢٨٦).

(٢) صحيح، رواه الترمذي (٢٢١٩) عن ثوبان بن بجدد رضي اللَّه عنه، وصححه الألباني، وللحديث شواهد في البخاري (٣٠٦٩، ٧١٢١)، ومسلم (٨٤/١٥٧) كتاب الفتن وأشراط الساعة- باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل... وكلاهما روى الحديث عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه.

(٣) صحيح، رواه البخاري (٣٥٣٢، ٤٨٩٦)، ومسلم (١٢٥/٢٣٥٤) واللفظ له.

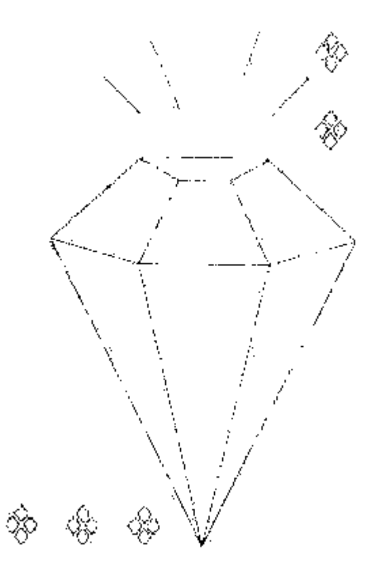
ومن أقوى وأعظم الأدلة والبراهين على ختم نبوة محمد ﷺ لسائر النبوات، أن يمضي الآن ما يقرب من ألف وأربعمائة سنة على الإعلان بختم النبوات بنبوته ﷺ ولم تأتِ نبوة حق، ولا نبي صدق في كل هذه الحقبة من الزمن الطويل، في حين أنه كان قبل نبوة محمد ﷺ تظهر النبوات في كل عصر ومصر، وقد يوجد العديد من الأنبياء في الأمة الواحدة كما وجد داود وسليمان في عصر واحد، وكما جاء زكريا ويحيى وعيسى في بلد واحد وأمة واحدة، وكما وجد إبراهيم ولوط في زمن واحد.





الركن الخامس من أركان الإيمان

الإيمان باليوم الآخر



الركن الخامس من أركان الإيمان

الإيمان باليوم الآخر

تعريفه:

ما المراد باليوم الآخر؟

إنَّ المراد من اليوم الآخر أمران:

الأول: فناء هذه العوالم كلها، وانتهاء هذه الحياة بكاملها.

والثاني: إقبال الحياة الآخرة وابتداؤها.

فدل لفظ اليوم الآخر على آخر يوم من أيام هذه الحياة وعلى اليوم الأول والأخير من الحياة الثانية، إذ هو يوم واحد لا ثاني له فيها البتة، فالإيمان باليوم الآخر مقتض للتصديق بإخبار اللَّه تعالى بفناء الحياة الدنيا، وبما يسبقه من أمارات وما يتم فيه من أهوال، واختلاف أحوال، كما هو مقتض كذلك لتصديق اللَّه تعالى في إخباره عن الحياة الآخرة، وما فيها من نعيم وعذاب، وما يجري فيها من أمور عظام، كبعث الخلائق، وحشرهم وحسابهم، ومجازاتهم على أعمالهم الإرادية الاختيارية التي قاموا بها في هذه الحياة الدنيا.

أدلة البعث:

لقد سلك القرآن الكريم في إثبات المعاد والحياة الثانية مسالك عقلية هي غاية في الوضوح والسهولة منها:

إنَّ الشيء إذا لم يكن ثم كان وأعدم كانت إعادته أيسر وأهون:

البعث والمعاد واليوم الآخر ألفاظ مختلفة، مدلولها واحد، وهو وجود حياة ثانية بعد فناء الأولى،فالذي بنى دارًا ثم هدمها لا يستحيل عليه ولا في حقه إعادة بنائها كما كانت أو خيرًا مما كانت، والذي يصنع آلة من الآلات مخترعًا لها لا يتصعب عليه أن يعديها كما كانت إذا هو كسرها بإرادته واختياره ليحولها إلى آلة أفضل،

ورد هذا المسلك من الاستدلال في سورة الروم إذ قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم].

كما ورد في سورة يس في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [يس].

الاستدلال بنوم الإنسان والحيوان واستيقاظهما:

فالنوم يعتبر موتًا مصغرًا، والاستيقاظ يعتبر حياة مصغرة أيضًا، فكما تتم عملية النوم للإنسان والحيوان، وعملية الاستيقاظ لهما تتم عملية الموت والحياة الكاملة لهما، وجاء هذا الاستدلال في قوله تعالى من سورة الأنعام: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنعام: ٦٠].

الاستدلال بالأرض الميتة بسبب المحل والجدب والقحط، حيث تنعدم فيها الحياة تمامًا، ثم ينزل الغيث، أو تسقى بالماء فتعود إليها الحياة كما كانت، وخيرًا مما كانت نماءً وازدهارًا:

قال تعالى في سورة فصلت: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [فصلت].

وقال تعالى من سورة الحج: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾ [الحج].

الاستدلال بالقدرة الكافية التي بها خلق آدم من تراب، وذريته من نطفة على إمكان المعاد والبعث وتقرير وقوعهما:

قال تعالى من سورة الحج: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا

خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ [الحج :٥].

الاستدلال بالقدرة على خلق العوالم على إمكان إعادة الناس بعد موتهم وفناء أجسادهم:

قال تعالى من سورة النازعات: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ [النازعات].

وقال تعالى من سورة يس ردًا على من قال: ﴿مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾ [يس].

الاستدلال باختلاف سلوك الناس في هذه الحياة بالخير والشر والصلاح والفساد على وجود حياة أخرى يجرى فيها كل عامل بما عمل من خير وشر لعدم استكمال المجازاة في هذه الحياة:

قال تعالى من سورة آل عمران: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالى من سورة يونس: ﴿إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾ [يونس :٤].

وقال تعالى من سورة الليل: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ

بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [الليل].

الاستدلال بالتكاليف الشرعية على وجود حياة أخرى يتم فيها الجزاء على القيام بتلك التكاليف، وعلى تركها وإهمالها، إذ لم يتوفر جزاء كاف في هذه الحياة الدنيا على تلك التكاليف:

قال تعالى من سورة الملك: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ١-٢].

وقال تعالى من سورة المؤمنون: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون].

وقال تعالى من سورة القيامة: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة].

آخر الأدلة:

وآخر الأدلة، وأعظمها على البعث والجزاء والحياة الآخرة إخبار اللَّه تعالى وإخبار رسوله ﷺ، إن من آمن باللَّه، وملائكته، وكتبه، ورسله لا يجد داعيًا للشك، ولا مثارًا للجدل والنزاع في ثبوت المعاد، وكل ما يتم فيه من حساب وجزاء، إذ أخبار اللَّه تعالى كلها صدق وحق، فقد أخبر تعالى بآلاف الأخبار فلم تكن إلا وفق ما أخبر، كما أخبر رسوله آلاف الأخبار فلم يتخلف منها خبر واحد عن مدلوله، فكيف يعقل إذًا أن يخبر اللَّه تعالى ويخبر رسوله بمئات الأخبار عن ثبوت الحياة الثانية، وعن كل ما يجري فيها من بعث وحساب وجزاء، ثم لا يصح شيء من ذلك ولا يثبت، اللَّهم إنَّ هذا باطل لا يصح، ومحال لا يقبل ولا يعقل.

إنَّ حتمية الفناء ووجود معاد كامل وحياة أفضل تحوي نعيمًا للمحسنين الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وجحيمًا للمسيئين الذين أشركوا وعملوا السيئات مما أخبر اللَّه تعالى به، وقرره في كل كتبه، وعلى ألسنة جميع رسله فالشك فيه ضرب من المرض العقلي والهبوط الشخصي، والعياذ باللَّه تعالى من ذلك.

الحكمة في المعاد:

إنَّ الحكمة من المعاد الأخروي الذي هو بعث الخلائق أحياء بعد موتهم وفنائهم، هو مجازاة المكلفين منهم بحسب كسبهم الإرادي الاختياري الذي كسبوه في هذه الدنيا؛ لأن الدنيا دار عمل، والآخرة دار جزاء قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران].

فالناس يعيشون في هذه الحياة الدنيا متفاوتين تفاوتًا كبيرًا في أرزاقهم، وآجالهم، وأعمالهم، وفي سعادتهم، وشقائهم، فمنهم الظالم الغشوم، ومنهم المظلوم المهضوم، ومنهم الصحيح السليم، ومنهم المريض السقيم، ومنهم الغني الثري، ومنهم الفقير الشقي، ومنهم العزيز، ومنهم الذليل، ومنهم المحسن، ومنهم المسيء، إلى غير هذا من التفاوت والاختلاف؛ فلو أنهم يموتون بإنقضاء آجالهم ولا يبعثون لكان ذلك منافيًا للحكمة، مجانبًا للعدل والرحمة، ومن هنا قضى الله تبارك وتعالى بالبعث والجزاء، وحكم بهما فهما كائنان لا محالة، فقد أمر رسوله محمدًا ﷺ أن يقسم عليها في قوله من سورة التغابن: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [التغابن].

وقال تعالى من سورة النحل: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل].

وجوب الإيمان باليوم الآخر:

إنَّ الإيمان باليوم الآخر هو عبارة عن التصديق الجازم بانقلاب هائل يتم في الكون، ويكون انتهاء هذه الحياة الدنيا بكاملها، وابتداء حياة أخرى وهي الدار الآخرة بكل ما فيها من حقائق مدهشة، من بعث الخلائق، وحشرهم، وحسابهم،

ومجازاتهم، هذا الإيمان ليس واجبًا فحسب بل هو أحد أركان ستة عليها تبنى عقيدة المؤمن، فلا تتم إذًا عقيدته إلا به، ولا تصح إلا عليه، قال تعالى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة :١٧٧].

ولأهمية هذا المعتقد في حياة المؤمن ولآثاره الكبرى في استقامة الفرد وصلاحه عني القرآن الكريم به عناية لا تقل عن العناية بالإيمان باللَّه سبحانه وتعالى، فقد ذكره في عشرات السور منه، وفي مئات الآيات، مرة بوصفه والحديث عنه كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحاقة].

ومرة بتقريره وتأكيد مجيئه، كقوله تعالى من سورة الحج: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ [الحج].

وقوله تعالى من سورة التغابن: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [التغابن].

ومرة بتعليق الاستقامة على الإيمان به، كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن

كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ [الطلاق :٢].

وقوله: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ﴾ [الأحزاب :٢١].

ومرة بإثبات الهداية والفلاح للموقنين به، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾ [البقرة].

ومما يؤكد أهمية هذا المعتقد، ويجعله كالصمام لحياة الاستقامة والطهر والخير هو ذكره مقرونًا بالإيمان باللَّه تعالى، وذلك كقوله تعالى من سورة البقرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢﴾ [البقرة]، وكقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ [الطلاق :٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ [النساء :٣٨].

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ [النساء :٥٩].

فدلت هذه العناية القرآنية بهذين الركنين من أركان الإيمان على أنهما قوام حياة الروح، وعليهما مدار استقامة المرء في هذه الحياة، وأن الإيمان بدونهما ليس شيئًا وأن من عُدِمَهُما قد عدم كل خير، وأن من افتقدهما فَقَدَ كل عناصر الخير والفضيلة في نفسه وأصبح من شر البرية، وبالجملة فإن معتقد الإيمان باللَّه واليوم الآخر هو رأس كل عقيدة، وأساس كل إيمان، وعليه مدار استقامة الإنسان وصلاح خلقه وطهارة روحه وبدنه، وبدونه فالإنسان مخلوق لا خير فيه لا لنفسه ولا لغيره، وهو شر كله، لا يؤمن جانبه ولا يطمأن إليه، ولا تسكن النفوس عنده، وذلك لما انعدم عنده من أصول الخير، وينابيع الفضيلة والكمال البشري.

أشراط قيام الساعة:

إن بين يدي الساعة مقدمات وأشراط (صغرى وكبرى):

أشراط صغرى: وهي التي تتقدم الساعة بأزمان متطاولة وتكون من نوع المعتاد

كقبض العلم وظهور الجهل والتطاول في البنيان، وقد يظهر بعضها مصاحبًا للأشرط الكبرى أو بعدها.

أشراط كبرى: وهي الأمور العظام التي تظهر قرب قيام الساعة وتكون غير معتادة الوقوع، كظهور الدجال والدابة وخروج يأجوج ومأجوج.

وقد قسم بعض العلماء أشراط الساعة من حيث ظهورها إلى ثلاثة أقسام:

١- قسم ظهر وانقضى.

٢- قسم ظهر ولا زال يتتابع ويكثر.

٣- قسم لم يظهر إلى الآن.

فأما القسمان الأولان، فهما من أشراط الساعة الصغرى، وأما القسم الثالث، فيشترك فيه الأشراط الكبرى وبعض الأشراط الصغرى.

ومن أشراط الساعة ما يلي:

١- بعثة النبي ﷺ:

لذلك قال النبي ﷺ في الصحيحين: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى»(١).

٢- تمني الموت لشدة البلاء الذي ينزل بالناس:

فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: عن النبي ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ»(٢). وهذا يكون عند ظهور الفتن، فيشتد البلاء بالناس فيغبط الرجل الأموات في قبورهم.

٣- كثرة المال وفيضه وعدم قبول الصدقة:

أخرج البخاري رحمه الله عن حارثة بن وهب قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «تَصَدَّقُوا؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يَمْشِي الرَّجُلُ بِصَدَقَتِهِ فَلَا يَجِدُ مَنْ يَقْبَلُهَا يَقُولُ

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٦٥٠٤) عن أنس رضي الله عنه، ومسلم (٨٦٧/٤٣) واللفظ له عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) صحيح، رواه البخاري (٧١١٥)، ومسلم (١٥٧/٥٣) كتاب الفتن وأشراط الساعة.

الرَّجُلُ: لَوْ جِئْتَ بِهَا بِالْأَمْسِ لَقَبِلْتُهَا فَأَمَّا الْيَوْمَ فَلَا حَاجَةَ لِي بِهَا»[١]، وقد أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ فَيَفِيضَ حَتَّى يُهِمَّ رَبَّ الْمَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ وَحَتَّى يَعْرِضَهُ فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ: لَا أَرَبَ لِي»[٢].

٤- رفع العلم وظهور الجهل وكثرة الزنا وشرب الخمر:

أخرج البخاري عن أنس قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ وَيَثْبُتَ الْجَهْلُ وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ وَيَظْهَرَ الزِّنَا»[٣]. وأخرج البخاري أيضًا عن أنس قال: لَأُحَدِّثَنَّكُمْ حَدِيثًا لَا يُحَدِّثُكُمْ أَحَدٌ بَعْدِي، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَقِلَّ الْعِلْمُ، وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ، وَيَظْهَرَ الزِّنَا، وَتَكْثُرَ النِّسَاءُ، وَيَقِلَّ الرِّجَالُ، حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً الْقَيِّمُ الْوَاحِدُ»[٤].

قال عمر: (أما إنه ليس يُنزع من صدور العلماء، ولكن بذهاب العلماء، وبذلك يظهر أناس جهال يتخذون رؤوسًا فيفتون الناس بغير علم فَيَضِلون ويُضلون).

٥- تقارب الزمان:

أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ وَيَنْقُصُ الْعَمَلُ وَيُلْقَى الشُّحُّ وَتَظْهَرُ الْفِتَنُ وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّمَ هُوَ؟ قَالَ: الْقَتْلُ الْقَتْلُ»[٥].

هناك عدة تفسيرات لمعنى تقارب الزمان:

❁ معناه واللَّه أعلم: تقارب أحوال أهله في قلة الدين حتى لا يكون منهم من

---

(١) صحيح، رواه البخاري (١٤١١، ١٤٢٤، ٧١٢٠).

(٢) صحيح، رواه البخاري (١٤١٢)، ومسلم (٦١/١٥٧) كتاب الزكاة.

(٣) صحيح، رواه البخاري (٨٠)، ومسلم (٨/٢٦٧١).

(٤) صحيح، رواه البخاري (٨١).

(٥) صحيح، رواه البخاري (٧٠٦١).

يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر لغلبة الفسق وظهور أهله وقد جاء في الحديث: «لا يزال الناس بخير ما تفاضلوا، فإذا تساوو هلكوا»[(١)].

❁ قال النووي وغيره: المراد بقصده عدم البركة فيه، وأن اليوم مثلًا يصير الانتفاع به بقدر الانتفاع بالساعة الواحدة.

❁ قال البيضاوي: يحتمل أن يكون المراد بتقارب الزمان تسارع الدول إلى الإنقضاء، والقرون إلى الإنقراض فيتقارب زمانهم وتتدانى أيامهم.

❁ وقال بعضهم: يحتمل أن يكون تقارب الزمان أي يقصر الزمان وتقصر ساعات الليل والنهار قصورًا حسيًا، وهذا يكون قرب قيام الساعة، واللَّه أعلم.

❁ قلت: وقد يكون المراد بتقارب الزمان إشارة إلى وسائل المواصلات ووسائل الاتصال السريع في زماننا.

٦- كثرة القتل:

قوله في رواية مسلم: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْهَرْجُ قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الْقَتْلُ الْقَتْلُ»[(٢)]. وقد ظهر هذا واضحًا جليًا؛ فإن هذه الحروب التي ابتلى بها بنو البشر، قتلاها لا يعدون بالعشرات ولا بالمئات ولا بالألوف بل بعشرات الألوف ومائتها، في حين أن قتلى حروب الإسلام الأولى التي كانت على عهد رسول اللَّه ﷺ والتي دامت زهاء عشر سنين، لم تتجاوز ألفين وخمسمائة قتيل حسب إحصائية وثيقة ذكرها غير واحد من المؤرخين، وهذا ما أكده الشيخ أبو الحسن الندوي بأسانيد لا يتطرق إليها الشك.

٧- اقتتال فئتين عظيمتين دعوتهما واحدة:

قوله ﷺ في رواية الصحيحين: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ

(١) قاله الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه فتح الباري.

(٢) صحيح، رواه مسلم (١٨/١٥٧) كتاب الفتن وأشراط الساعة.

وَتَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ وَدَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ»(١).

هذه العلامة قد ظهرت كما أخبر بها رسول اللَّه ﷺ إذ المراد من الفئتين علي ومن معه، ومعاوية ومن معه رضي اللَّه عنهم أجمعين، والمقتلة العظيمة كانت بصفِّين، ودعواهما واحدة: أي دينهما واحد أي الإسلام، أو المراد أن كلًّا منهما كان يدعي أنه المحق.

٨- بعث الدجالين:

أخرج البخاري رحمه اللَّه عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ دَعْوَتُهُمَا وَاحِدَةٌ، وَحَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ؛ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ»(٢). وقد أخرج مسلم من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه الجزم بالعدد المذكور لفظ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ»(٣).

وقد ظهر مصداق ذلك في آخر زمن النبي ﷺ:

❁ فقد خرج مسيلمة .. باليمامة.

❁ والأسود العنسي ... باليمن.

ثم خرج في خلافة أبي بكر:

❁ أبو بكر طليحة بن خويلد ... في بني أسد

❁ سجاج التميمية ... في بني تميم.

❁ هذا وقد قُتل الأسود العنسي قبل أن يموت النبي ﷺ وقد قُتل مسيلمة في

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٣٦٠٩، ٧١٢١)، ومسلم (١٥٧/١٧) كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إذا تواجه المسلمان.

(٢) صحيح، رواه البخاري (٣٦٠٩، ٧١٢١).

(٣) صحيح رواه مسلم (١٥٧/٨٤) كتاب الفتن وأشراط الساعة- باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل....

خلافة أبي بكر، وتاب طليحة ومات على الصحيح في خلافة عمر، ونقل أن سجاح أيضًا تابت.

❁ ومنهم المختار بن أبي عبيد اللَّه الثقفي في الكوفة في خلافة ابن الزبير.

❁ ومنهم الحارث الكذاب خرج في خلافة عبد الملك بن مروان، وآخرهم خروجًا هو الدجال الأكبر وليس المراد بالحديث من ادعى النبوة مطلقًا، فإنهم لا يحصون عددًا فغالبهم ينشأ لهم عن جنون، وإنما المراد من قامت له شوكة.

٩- كثرة الزلازل:

أخرج البخاري رحمه اللَّه عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ دَعْوَتُهُمَا وَاحِدَةٌ، وَحَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَحَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ»(١).

١٠- كثرة النساء وقلة الرجال:

أخرج البخاري عن أبي موسى رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَطُوفُ الرَّجُلُ فِيهِ بِالصَّدَقَةِ مِنْ الذَّهَبِ، ثُمَّ لَا يَجِدُ أَحَدًا يَأْخُذُهَا مِنْهُ وَيُرَى الرَّجُلُ الْوَاحِدُ يَتْبَعُهُ أَرْبَعُونَ امْرَأَةً يَلُذْنَ بِهِ مِنْ قِلَّةِ الرِّجَالِ وَكَثْرَةِ النِّسَاءِ»(٢).

❁ قال الحافظ: قيل سببه أن الفتن تكثر فيكثر القتل في الرجال لأنهم أهل الحرب.

❁ وقد قيل: أنَّ اللَّه يقدر في آخر الزمان أن يقلَّ من يولد من الذكور، ويكثر من يولد من الإناث، وكون كثرة عدد النساء من العلامات.

❁ قوله القيم الواحد: أي يقوم بأمورهن، ويحتمل أنهن يتبعنه لطلب النكاح حلالًا أو حرامًا.

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٧١٢١).

(٢) صحيح، رواه البخاري (١٤١٤).

وأخرج البخاري من طريق هشام عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال: لَأُحَدِّثَنَّكُمْ حَدِيثًا لَا يُحَدِّثُكُمْ أَحَدٌ بَعْدِي، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَقِلَّ الْعِلْمُ، وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ، وَيَظْهَرَ الزِّنَا، وَتَكْثُرَ النِّسَاءُ، وَيَقِلَّ الرِّجَالُ، حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً الْقَيِّمُ الْوَاحِدُ»[١].

١١- ولادة الأمة ربتها وتطاول الحفاة العراة في البنيان:

أخرج البخاري رحمه الله عن أبي هريرة قال: كان النبي ﷺ بارزًا يومًا للناس، فأتاه رجل فقال ما الإيمان؟ ... حتى يقول: متى الساعة؟ قال ﷺ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا: إِذَا وَلَدَتْ الْأَمَةُ رَبَّهَا، وَإِذَا تَطَاوَلَ رُعَاةُ الْإِبِلِ الْبُهْمُ فِي الْبُنْيَانِ»[٢].

وفي رواية «ربتها»: وهي على عدة أقوال أوجهها:

١- معناه اتساع رقعة الإسلام واستيلاء أهله على بلاد الشرك وسبي ذراريهم فإذا ملك الرجل الجارية واستولدها، كان الولد منها بمنزلة ربها (أي: سيدها) لأنه ولد سيدها، قال النووي وغيره: إنه قول الأكثرين.

٢- أن يكثر العقوق في الأولاد، فيعامل الولد أمه معاملة السيد أمته من الإهانة بالسب والضرب والاستخدام وهذا معنى وجيه عندنا.

إذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان: الإبل البهم أي: الإبل السود، وقد شاهدنا هذا في هذا الزمان.

١٢- اتباع الأمم الأخرى:

أخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: عن النبي ﷺ قال: «لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: فَمَنْ!!»[٣].

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٨١).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٥٠).

(٣) صحيح، رواه البخاري (٧٣٢٠)، ومسلم (٦/٢٦٦٩).

قال ابن بطال: أعلم رسول الله ﷺ أن أمته ستتبع المحدثات من الأمور والبدع كما وقع للأمم قبلهم، وأن الدين إنما يبقى قائمًا عند خاصة من الناس.

١٣- قتال الأعاجم:

أخرج البخاري رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: عن النبي ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا نِعَالُهُمْ الشَّعَرُ وَحَتَّى تُقَاتِلُوا التُّرْكَ صِغَارَ الْأَعْيُنِ حُمْرَ الْوُجُوهِ ذُلْفَ الْأُنُوفِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ»[1].

- والترك: هم شرذمة من قوم يأجوج ومأجوج تركوا من وراء السد.

- ولذلك يقول الشيخ سعيد حوى رحمه الله في كتابه الأساس في التفسير، ولا تخطئ إحدى هذه الصفات أهل شرق آسيا، والله أعلم بالصواب.

- ذلف الأنوف: قصره مع انطباقه أي: (أفطس).

- المجان المطرقة: المجان: جمع مجن وهي الدرقة، المطرقة أي: التي ألبست الأطرقة أي الأغشية من الجلود.

- قال البيضاوي: شبه وجوههم بالترسة لبسطها وتدويرها.

١٤- إضاعة الأمانة بتوسيد الأمر إلى غير أهله:

روى البخاري عن أبي هريرة، أن أعرابيًا سأل رسول الله ﷺ: متى الساعة فقال: «فَإِذَا ضُيِّعَتْ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ»[2].

- وسد الأمر: أي أسند، والأمر كالخلافة والقضاء والإفتاء وغيرها بأن تسند إلى أهل البدع والأهواء.

١٥- ذهاب الصالحين:

أخرج البخاري عن مرداس الأسلمي قال: قال النبي ﷺ: «يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ

(١) صحيح، رواه البخاري (٣٥٨٩).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٥٩).

الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ، وَيَبْقَى حُفَالَةٌ كَحُفَالَةِ الشَّعِيرِ أَوْ التَّمْرِ، لَا يُبَالِيهِمْ اللَّهُ بَالَةً»(١).

- حفالة: أي حثالة وهو الرديء من الشيء قاله الحافظ رحمه اللَّه.

- لا يبالهم اللَّه بالة: أي لا يعبأ اللَّه بهم شيئًا، ولا يرفع لهم قدرًا، ولا يقيم لهم وزنًا، بالة مصدر باليت وتكون مبالاة وبالية وبالة.

١٦- موته ﷺ، وموتان يأخذ المسلمين وهدنة مع الروم:

أخرج البخاري رحمه اللَّه عن عوف بن مالك قال: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، فَقَالَ: اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ مُوْتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنْ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ، فَيَغْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا»(٢).

- موتان: وهو الموت.

- كقعاص الغنم: وهو داء يأخذ الدواب فيسيل من أنوفها شيء فتموت فجأة، ويقال: إن هذه الآية ظهرت في طاعون عمواس في خلافة عمر، وكان بعد فتح بيت المقدس.

- بنو الأصفر: أي الروم. - غاية: أي راية.

١٧- عبادة الأوثان:

أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ حَوْلَ ذِي الْخَلَصَةِ وَكَانَتْ صَنَمًا تَعْبُدُهَا دَوْسٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِتَبَالَةَ»(٣).

(١) صحيح، رواه البخاري (٦٤٣٤).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٣١٧٦).

(٣) صحيح، رواه البخاري (٧١١٦)، ومسلم (٥١/٢٩٠٦) واللفظ له.

- الخَلَصة: اسم للبيت الذي كان فيه الصنم.

- واسم الصنم: ذو الخلصة.

- تَبالة: قرية بين الطائف واليمن.

- تضطرب أليات: أي يتزاحمن عند الطواف حول الصنم بحيث تضرب عجيزة بعضهن الأخرى.

وقد ظهرت هذه العلامة وفق إخباره ﷺ، فقد عادت الجاهلية إلى أرض الجزيرة قبيل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه اللَّه، فعبدت الأشجار والأحجار وانتشر ذلك في شتى بلاد العالم الإسلامي، فذبحت الذبائح، وأوقدت الشموع، ونذرت النذور للمزارات والأضرحة بصورة عجيبة على مرأى ومسمع من كثير من علماء المسلمين، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه.

١٨- انحسار الفرات عن كنز من ذهب:

أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَحْسِرَ الْفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ يَقْتَتِلُ النَّاسُ عَلَيْهِ»[١]، هذه العلامة لم تظهر بعد.

وقد أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا: «تَقِيءُ الْأَرْضُ أَفْلَاذَ كَبِدِهَا أَمْثَالَ الْأُسْطُوَانِ مِنْ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، فَيَجِيءُ الْقَاتِلُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَتَلْتُ، وَيَجِيءُ الْقَاطِعُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَطَعْتُ رَحِمِي، وَيَجِيءُ السَّارِقُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قُطِعَتْ يَدِي، ثُمَّ يَدَعُونَهُ فَلَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئًا»[٢].

وقد أخرج مسلم أيضًا عن أُبيّ بن كعب قال: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: يُوشِكُ الْفُرَاتُ أَنْ يَحْسِرَ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَإِذَا سَمِعَ بِهِ النَّاسُ سَارُوا إِلَيْهِ

(١) صحيح، رواه البخاري (٧١١٩)، ومسلم (٢٩/٢٨٩٤) واللفظ له، وأبو داود (٤٣١٣)، والترمذي (٢٥٦٩)، وابن ماجه (٤٠٤٦).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٦٢/١٠١٣).

فَيَقُولُ مَنْ عِنْدَهُ: لَئِنْ تَرَكْنَا النَّاسَ يَأْخُذُونَ مِنْهُ لَيَذْهَبَنَّ بِهِ كُلِّهِ، قَالَ: فَيَقْتَتِلُونَ عَلَيْهِ فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ»[١].

١٩- خروج القحطاني:

قوله في الصحيحين: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ يَسُوقُ النَّاسَ بِعَصَاهُ»[٢].

قال الحافظ: قال القرطبي في (التذكرة) يسوق الناس بعصاه كناية عن غلبته عليهم وانقيادهم له، ولم يُرد نفس العصا، لكن في ذكرها إشارة إلى خشونته وعَسَفه بهم قال: وقد قيل: إنه يسوقهم بعصا حقيقية كما تساق الإبل والماشية لشدة عنفه وعدوانه.

٢٠- قتال اليهود:

قوله ﷺ في الصحيحين: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلُهُمْ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ»[٣]. وقد بدت بوادر هذه العلامة تلوح في الأفق.

قال الحافظ رحمه اللَّه في رواية أحمد من طريق أخرى عن سالم عن أبيه: «يَنْزِلُ الدَّجَّالُ فِي هَذِهِ السَّبَخَةِ بِمَرِّقَنَاةَ، فَيَكُونُ أَكْثَرَ مَنْ يَخْرُجُ إِلَيْهِ النِّسَاءُ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَرْجِعُ إِلَى حَمِيمِهِ وَإِلَى أُمِّهِ وَابْنَتِهِ وَأُخْتِهِ وَعَمَّتِهِ فَيُوثِقُهَا رِبَاطًا مَخَافَةَ أَنْ تَخْرُجَ إِلَيْهِ، ثُمَّ يُسَلِّطُ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ فَيَقْتُلُونَهُ وَيَقْتُلُونَ شِيعَتَهُ، حَتَّى إِنَّ الْيَهُودِيَّ لَيَخْتَبِئُ تَحْتَ الشَّجَرَةِ أَوْ الْحَجَرِ فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرَةُ لِلْمُسْلِمِ: هَذَا يَهُودِيٌّ تَحْتِي فَاقْتُلْهُ»[٤].

---

(١) صحيح، رواه مسلم (٣٢/٢٨٩٥).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٣٥١٧، ٧١١٧)، ومسلم (٦٠/٢٩١٠).

(٣) صحيح، رواه البخاري (٢٩٢٦)، ومسلم (٨٢/٢٩٢٢) واللفظ له.

(٤) ضعيف، رواه أحمد في المسند (٥٣٣٠) وقال الأرناؤوط: إسناده ضعيف.

وعلى هذا فالمراد بقتال اليهود الذي ينطق فيه الحجر والشجر إذا خرج الدجال ونزل عيسى.

٢١- كثرة أعوان الظلمة:

روى الإمام أحمد عن أبي أمامة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «يَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ رِجَالٌ أَوْ قَالَ: يَخْرُجُ رِجَالٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ مَعَهُمْ أَسْيَاطٌ كَأَنَّهَا أَذْنَابُ الْبَقَرِ يَغْدُونَ فِي سَخَطِ اللَّهِ، وَيَرُوحُونَ فِي غَضَبِهِ»(١).

٢٢- كثرة شهادة الزور، وكتمان شهادة الحق:

جاء في حديث عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه قوله ﷺ: «أَنَّ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ .... وَشَهَادَةَ الزُّورِ وَكِتْمَانَ شَهَادَةِ الْحَقِّ»(٢).

٢٣- أن تكون التحية للمعرفة: تسليم الخاصة:

(أي: أن تسلم على من تعرف فقط).

ومن أشراطها أنَّ الرجل لا يلقي السلام إلا على من يعرفه، ففي الحديث عن ابن مسعود قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُسَلِّمَ الرَّجُلُ عَلَى الرَّجُلِ لَا يُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِلَّا لِلْمَعْرِفَةِ»(٣).

وفي رواية له: «أَنَّ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ تَسْلِيمَ الْخَاصَّةِ»(٤).

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢١٦٤٦) وقال الأرناؤوط: صحيح لغيره وهذا إسناد حسن.

(٢) رواه أحمد في المسند (٣٨٦٠) وقال الأرناؤوط: إسناده حسن، وقال الهيثمي: رجال أحمد والبزار رجال الصحيح وهو وهم ظن سيارا هو أبو الحكم وإنما هو أبو حمزة الكوفي. وصححه أحمد شاكر.

(٣) رواه أحمد في المسند (٣٨٣٨) وقال الأرناؤوط: حسن، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٤) رواه أحمد في المسند (٣٨٦٠) وقال الأرناؤوط: إسناده حسن، وقال الهيثمي: رجال أحمد والبزار رجال الصحيح وهو وهم ظن سيارا هو أبو الحكم وإنما هو أبو حمزة الكوفي. وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

وهذا خلاف السُّنة فإنَّ النبي ﷺ حث على إفشاء السلام على من عرفت ومن لم تعرف.

٢٤- ظهور الكاسيات العاريات:

ففي الحديث عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي اللَّه عنهما قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي رِجَالٌ يَرْكَبُونَ عَلَى السُّرُوجِ كَأَشْبَاهِ الرِّحَالِ يَنْزِلُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ نِسَاؤُهُمْ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، عَلَى رُءُوسِهِمْ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْعِجَافِ، الْعَنُوهُنَّ فَإِنَّهُنَّ مَلْعُونَاتٌ»(١).

٢٥- انتشار الربا:

ومنها ظُهور الربا، وانتشاره بين الناس، وعدم المبالاة بأكل الحرام، ففي الحديث عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «بين يدي الساعة يظهر الرِّبا»(٢). فانتشار البنوك الربوية على مستوى العالم الإسلامي هو علامة من علامات الساعة.

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ الْمَالَ، أَمِنْ حَلَالٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ»(٣).

٢٦- التماسُ العلم عند الأصاغر:

روى الإمام عبد اللَّه بن المبارك بسنده عن أبي أُمية الجُمحي رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «إن من أشراط الساعة ثلاثًا: إحداهُنَّ: أن يُلتَمَسَ العلمُ عند الأصاغر ...»(٤).

---

(١) صحيح، رواه أحمد في المسند (٧٠٤٣) وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٢) صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٨٦١) وقال: رواه الطبراني في الأوسط ورواته رواة الصحيح.

(٣) صحيح، رواه البخاري (٢٠٨٣).

(٤) رواه ابن المبارك في كتاب الزهد، صححه الألباني في صحيح الجامع (٢٢٠٧).

وسُئل الإمام عبد الله بن المبارك عن الأصاغر؟ فقال: (الذين يقولون برأيهم، فأما صغيرٌ يروي عنه كبيرٌ، فليس بصغير).

وقال في ذلك أيضًا: (أتاهم العلم من قِبَلِ أصاغرهم، يعني: أهل البدع والأهواء الذين يقولون في الدين برأيهم).

٢٧- زخرفة المساجد والتباهي بها:

فقد روى الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تَقُوْم السَاعَة حَتَى يَتَباهَى النَاس فِي المساجِدِ»[١].

قال ابن عباس: «لَتُزَخْرِفُنَّهَا كَمَا زَخْرَفَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى»[٢].

٢٨- كثرة الكتابة وانتشارها وظهور القلم:

جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أَنَّ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ ... وَظُهُورَ الْقَلَمِ»[٣].

٢٩- كثرة التجارة:

ومنها كثرة التجارة، وفشوها بين الناس، حتى تشارك النساء فيها الرجال.

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ تَسْلِيمَ الْخَاصَّةِ وَفُشُوَّ التِّجَارَةِ حَتَّى تُعِينَ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا عَلَى التِّجَارَةِ»[٤].

---

(١) صحيح، رواه أحمد في المسند (١١٩٧١، ١٢٠٦٤، ١٢١٢٨، ١٢٩٩١، ١٣٦٠٦) وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، وأبو داود (٤٤٩)، وابن ماجه (٧٣٩) صححه الألباني في صحيح الجامع (٧٤٢١).

(٢) صحيح، ذكره البخاري تعليقًا في كتاب الصلاة- باب بنيان المساجد.

(٣) رواه أحمد في المسند (٣٨٦٠). وقال الأرناؤوط: إسناده حسن، وقال الهيثمي: رجال أحمد والبزار رجال الصحيح وهو وهم ظن سيارا هو أبو الحكم وإنما هو أبو حمزة الكوفي. وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٤) رواه أحمد في المسند (٣٨٦٠). وقال الأرناؤوط: إسناده حسن، وقال الهيثمي: رجال أحمد والبزار رجال الصحيح وهو وهم ظن سيارا هو أبو الحكم وإنما هو أبو حمزة الكوفي. وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

٣٠- تشبب المشيخة:

عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «يَكُونُ قَوْمٌ يَخْضِبُونَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ بِالسَّوَادِ كَحَوَاصِلِ الْحَمَامِ لَا يَرِيحُونَ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ»(١).

٣١- ظهور المعازف واستحلالها:

عن سهل بن سعد أن رسول اللَّه ﷺ قال: «يكون في آخر أمتي خسف ومسخ وقذف» قيل: ومتى ذلك يا رسول اللَّه؟ قال: «إذا ظهرت المعازف والقينات»(٢).

٣٢- كثرة موت الفجأة:

عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه يرفعه إلى النبي ﷺ قال: «إن من أمارات الساعة .... أن يظهر موت الفجأة»(٣).

٣٣- انتفاخ الأهلة:

(أي: أن يرى الهلال ابن ليلة فيقال: ابن ليلتين)

عن عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «من اقتراب الساعة انتفاخ الأهلة»(٤).

٣٤- كثرة المطر وقلة النبات:

عن أنس رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُمْطَرَ النَّاسُ مَطَرًا عَامًّا وَلَا تَنْبُتَ الْأَرْضُ شَيْئًا»(٥).

---

(١) صحيح، رواه النسائي (٥٠٧٥)، وأبو داود (٤٢١٢) واللفظ له، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨١٥٣)، وأحمد في المسند (٢٤٦٦)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين، وصححه أحمد شاكر.

(٢) صحيح، رواه ابن ماجه (٤٠٦٠)، صححه الألباني في صحيح الجامع (٣٦٦٥).

(٣) رواه الطبراني في الأوسط والضياء المقدسي، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٨٩٩).

(٤) صحيح، رواه الطبراني في الكبير، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٨٩٨).

(٥) صحيح، رواه أحمد في المسند (١٢٠٢١) وقال الأرناؤوط: صحيح.

٣٥- وقوع التناكر بين الناس:

«... يُلْقَى بَيْنَ النَّاسِ التَّنَاكُرُ، فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ أَنْ يَعْرِفَ أَحَدًا»(١).

فوقوع التناكر عند كثرة الفتن والمحن وكثرة القتال بين الناس، وحينما تستولي المادة على الناس، ويعمل كل منهم لحظوظ نفسه، غير مكترث بمصالح الآخرين، ولا بحقوقهم، تنتشر الأنانية البغيضة، ويحيى الإنسان في نطاق أهوائه وشهواته.

٣٦- ظهور الخسف والمسخ والقذف إذا ظهر الخبث:

عن عائشة رضي اللَّه عنها قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «يكون في آخر هذه الأمة خسف ومسخ وقذف» قالت: قلت: يا رسول اللَّه، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا ظهر الخبث»(٢).

٣٧- ظهور الفحش وقطيعة الرحم وسوء الجوار:

فعن عبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنهما أن رسول اللَّه ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَظْهَرَ الْفُحْشُ وَالتَّفَاحُشُ، وَقَطِيعَةُ الرَّحِمِ، وَسُوءُ الْمُجَاوَرَةِ»(٣).

وللإمام أحمد عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «أَنَّ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ .... وَقَطْعَ الْأَرْحَامِ»(٤).

٣٨- كلام السباع والجمادات للإنس:

فقد جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: جَاءَ ذِئْبٌ إِلَى رَاعِي غَنَمٍ

---

(١) صحيح، رواه أحمد (٢٢٧٩٥) وقال الأرناؤوط: صحيح لغيره. وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح.

(٢) صحيح، رواه الترمذي (٢١٨٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨١٥٦).

(٣) صحيح، رواه أحمد في المسند (٢٧٧٥٧) وصححه أحمد شاكر.

(٤) حسن، رواه أحمد في المسند (٣٨٦٠) وقال الأرناؤوط: إسناده حسن، وقال الهيثمي: رجال أحمد والبزار رجال الصحيح وهو وهم ظن سيارا هو أبو الحكم وإنما هو أبو حمزة الكوفي. وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

فَأَخَذَ مِنْهَا شَاةً فَطَلَبَهُ الرَّاعِي حَتَّى انْتَزَعَهَا مِنْهُ قَالَ: فَصَعِدَ الذِّئْبُ عَلَى تَلٍّ فَأَقْعَى وَاسْتَذْفَرَ، فَقَالَ: عَمَدْتَ إِلَى رِزْقٍ رَزَقَنِيهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ انْتَزَعْتَهُ مِنِّي، فَقَالَ الرَّجُلُ: تَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ ذِئْبًا يَتَكَلَّمُ، قَالَ الذِّئْبُ: أَعْجَبُ مِنْ هَذَا رَجُلٌ فِي النَّخَلَاتِ بَيْنَ الْحَرَّتَيْنِ يُخْبِرُكُمْ بِمَا مَضَى وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكُمْ، وَكَانَ الرَّجُلُ يَهُودِيًّا، فَجَاءَ الرَّجُلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْلَمَ وَخَبَّرَهُ فَصَدَّقَهُ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّهَا أَمَارَةٌ مِنْ أَمَارَاتٍ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ، قَدْ أَوْشَكَ الرَّجُلُ أَنْ يَخْرُجَ فَلَا يَرْجِعَ حَتَّى تُحَدِّثَهُ نَعْلَاهُ وَسَوْطُهُ مَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ بَعْدَهُ»[1].

معنى أقعى الذئب: أي إذا جلس على إسته، ومعنى استذفر: أي إذا أدخل الذئب ذنبه بين فخديه حتى يلزقه ببطنه).

وفي رواية له عن أبي سعيد الخدري: (فذكر القصة إلى أن قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «صَدَقَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُكَلِّمَ السِّبَاعُ الْإِنْسَ وَيُكَلِّمَ الرَّجُلَ عَذَبَةُ سَوْطِهِ وَشِرَاكُ نَعْلِهِ وَيُخْبِرَهُ فَخِذُهُ بِمَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ بَعْدَهُ»[2].

٣٩- صدق رؤيا المؤمن:

ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال رسول اللَّه ﷺ: «إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُسْلِمِ تَكْذِبُ، وَأَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا، وَرُؤْيَا الْمُسْلِمِ

---

(١) رواه أحمد في المسند (٨٠٠٢) وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح. وقال الأرناؤوط: إسناده ضعيف لضعف شهر بن حوشب ويأتي نحوه في مسند أبي سعيد برقم (١١٣٨٣) (٣ / ٨٣-٨٤) ورجاله رجال الصحيح والمحفوظ عن أبي هريرة هو ما أخرجه البخاري (٢٣٢٤)، ومسلم (١٣/٢٣٨٨) وقد سلف في المسند.

(٢) رواه أحمد في المسند (١١٣٨٣) وقال الأرناؤوط: رجاله ثقات رجال الصحيح ... ورواه الترمذي (٢١٨١) والحاكم (٤/٤٦٧ - ٤٦٨) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، ورواه البيهقي في الدلائل (٦/٤١ - ٤٢) وقال: هذا إسناد صحيح، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٨ / ٢٩١) وقال: رواه أحمد والبزار بنحوه باختصار ورجال أحد إسنادي أحمد رجال الصحيح.

جُزْءٌ مِنْ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنْ النُّبُوَّةِ»[١].

٤٠- كثرة الكذب وعدم التثبت في نقل الأخبار:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي أُنَاسٌ يُحَدِّثُونَكُمْ مَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ»[٢].

٤١- ارتفاع الأسافل وظهور السنوات الخداعة:

ومن الأحاديث الدالة على ارتفاع الأسافل ما رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّهَا سَتَأْتِي عَلَى النَّاسِ سِنُونَ خَدَّاعَةٌ يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ، قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: السَّفِيهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ»[٣].

«لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى تَصِيرَ لِلُكَعِ ابْنِ لُكَعٍ»[٤].

أي: حتى يصير نعيمها وملاذها والوجاهة فيها للأحمق اللئيم ابن اللئيم صغير العلم والعقل.

وفي رواية للإمام أحمد عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكُونَ أَسْعَدَ النَّاسِ بِالدُّنْيَا لُكَعُ ابْنُ لُكَعٍ»[٥].

٤٢- نفي المدينة لشرارها ثم خرابها آخر الزمان:

«يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَدْعُو الرَّجُلُ ابْنَ عَمِّهِ وَقَرِيبَهُ هَلُمَّ إِلَى الرَّخَاءِ، هَلُمَّ إِلَى

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٦٩٨٨، ٧٠١٧)، ومسلم (٦/٢٢٦٣) واللفظ له، وأبو داود (٥٠١٩)، والترمذي (٢٢٧٠، ٢٢٨٠)، وابن ماجه (٣٨٩٤).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٦/٦).

(٣) حسن، رواه أحمد في المسند (٧٨٥٢) وقال الأرناؤوط: حسن وهذا إسناد ضعيف لضعف عبد الملك بن قدامة وجهالة إسحاق بن بكر بن أبي الفرات. وقال أحمد شاكر: إسناده حسن، ومتنه صحيح.

(٤) حسن، رواه أحمد في المسند (٨٤٨٢) وقال الأرناؤوط: حسن لغيره.

(٥) صحيح، رواه الترمذي (٢٢٠٩)، صححه الألباني في صحيح الجامع (٧٤٣١).

الرَّخَاءِ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَخْرُجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ رَغْبَةً عَنْهَا إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ فِيهَا خَيْرًا مِنْهُ، أَلَا إِنَّ الْمَدِينَةَ كَالْكِيرِ تُخْرِجُ الْخَبِيثَ، لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَنْفِيَ الْمَدِينَةُ شِرَارَهَا كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ»(١).

٤٣- عود أرض العرب مروجًا وأنهارًا:

ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ .... حَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا»(٢).

مرج: أرض فضاء ذات الخضرة والكلأ.

٤٤- كثرة الروم وقتالهم للمسلمين:

جاء في حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ .... (فذكر منها): ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ، فَيَغْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا»(٣).

وعن جابر بن سمرة عن نافع بن عتبة قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ .... فَحَفِظْتُ مِنْهُ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ أَعُدُّهُنَّ فِي يَدِي قَالَ: «تَغْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ فَارِسَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَّالَ فَيَفْتَحُهُ اللَّهُ» قَالَ: فَقَالَ نَافِعٌ: يَا جَابِرُ لَا نَرَى الدَّجَّالَ يَخْرُجُ حَتَّى تُفْتَحَ الرُّومُ؟(٤).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «... فَيَقْتُلُونَ مَقْتَلَةً، إِمَّا قَالَ: لَا يُرَى مِثْلُهَا، وَإِمَّا قَالَ: لَمْ يُرَ مِثْلُهَا حَتَّى إِنَّ الطَّائِرَ لَيَمُرُّ بِجَنَبَاتِهِمْ فَمَا يُخَلِّفُهُمْ حَتَّى يَخِرَّ مَيْتًا، فَيَتَعَادُّ بَنُو الْأَبِ كَانُوا مِائَةً فَلَا يَجِدُونَهُ بَقِيَ مِنْهُمْ إِلَّا الرَّجُلُ الْوَاحِدُ، فَبِأَيِّ غَنِيمَةٍ يُفْرَحُ أَوْ أَيُّ مِيرَاثٍ يُقَاسَمُ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ سَمِعُوا بِبَأْسٍ هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَجَاءَهُمْ

---

(١) صحيح، رواه مسلم (١٣٨١/٤٨٧).

(٢) صحيح، رواه مسلم (١٥٧/٦٠) كتاب الزكاة- باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها.

(٣) صحيح، رواه البخاري (٣١٧٦).

(٤) صحيح، رواه مسلم (٢٩٠٠/٣٨).

الصَّرِيخُ إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَلَفَهُمْ فِي ذَرَارِيِّهِمْ ...»(١).

٤٥- حصار العراق والشام وهو مقدمة لخروج المهدي:

أخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن أبي نضرة قال: كُنَّا عِنْدَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ: يُوشِكُ أَهْلُ الْعِرَاقِ أَنْ لَا يُجْبَى إِلَيْهِمْ قَفِيزٌ وَلَا دِرْهَمٌ، قُلْنَا: مِنْ أَيْنَ ذَاكَ؟ قَالَ: مِنْ قِبَلِ الْعَجَمِ يَمْنَعُونَ ذَاكَ، ثُمَّ قَالَ: يُوشِكُ أَهْلُ الشَّأْمِ أَنْ لَا يُجْبَى إِلَيْهِمْ دِينَارٌ وَلَا مُدْيٌ، قُلْنَا: مِنْ أَيْنَ ذَاكَ؟ قَالَ: مِنْ قِبَلِ الرُّومِ، ثُمَّ سَكَتَ هُنَيَّةً ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي خَلِيفَةٌ يَحْثِي الْمَالَ حَثْيًا لَا يَعُدُّهُ عَدَدًا» قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي نَضْرَةَ وَأَبِي الْعَلَاءِ: أَتَرَيَانِ أَنَّهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ؟ فَقَالَا: لَا(٢).

معنى القفيز: مكيال معروف لأهل العراق.

مدي: مكيال معروف لأهل الشام.

٤٦- بيان عمران بيت المقدس وخراب يثرب:

عن معاذ بن جبل رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «عُمْرَانُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ خَرَابُ يَثْرِبَ، وَخَرَابُ يَثْرِبَ خُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ، وَخُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ فَتْحُ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، وَفَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ خُرُوجُ الدَّجَّالِ»(٣).

٤٧- توقف الحج وخراب الكعبة:

وفي الحديث: «يُخَرِّبُ الْكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنْ الْحَبَشَةِ»(٤).

«كَأَنِّي بِهِ أَسْوَدَ أَفْحَجَ يَقْلَعُهَا حَجَرًا حَجَرًا»(٥).

«لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُحَجَّ الْبَيْتُ»(٦).

---

(١) صحيح، رواه مسلم (٣٧/٢٨٩٩).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٦٧/٢٩١٣).

(٣) صحيح، رواه الترمذي (٤٢٩٤)، صححه الألباني في صحيح الجامع (٤٠٩٦).

(٤) صحيح، رواه البخاري (١٥٩١، ١٥٩٦)، ومسلم (٥٧/٢٩٠٩)، والنسائي (٢٩٠٤).

(٥) صحيح، رواه البخاري (١٥٩٥).

(٦) صحيح، رواه البخاري (١٥٩٣).

وهذا يقع في آخر الزمان حيث لا يبقى أحد على الأرض يقول: (اللَّه اللَّه)، كما ثبت في صحيح مسلم «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ اللَّهُ اللَّهُ»(١).

٤٨- المهدي المنتظر:

بعض ما جاء في أخبار المهدي المنتظر:

المهدي المنتظر: هذا الرجل الذي تنتظره الأمة ليقيم خلافة على منهاج النبوة ويطبق شرع اللَّه عز وجل الذي عطل في ديار المسلمين، وتؤمن به السبل وتقام به الحدود ويملأ الأرض قسطًا وعدلًا بعد ما ملئت ظلمًا وجورًا ويعيد للحياة طعمها وللإنسانية كرامتها.

أولًا: بيان أنه من ذرية رسول اللَّه ﷺ وعترته:

روى الإمام أحمد بسند صحيح في مسنده عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَمْتَلِئَ الْأَرْضُ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا، قَالَ: ثُمَّ يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ عِتْرَتِي أَوْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يَمْلَؤُهَا قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا»(٢).

ثانيًا: بيان اسمه وهيئته:

عن عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي»(٣).

وفي رواية: «لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنْ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمَ أَبِي يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا»(٤).

---

(١) صحيح، رواه مسلم (١٤٨/٢٣٤).

(٢) صحيح، رواه أحمد في المسند (١٠٩٢٠) وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) صحيح، رواه الترمذي (٢٢٣٠)، صححه الألباني.

(٤) صحيح، رواه أبو داود (٤٢٨٢) واللفظ له، والترمذي(٢٢٣٠)، وصححه الألباني (٥٣٠٤). وأحمد في المسند (١٠٩٢٠) وقال: «رجل من عترتي أو أهل بيتي»، ولم يذكر: «واسم أبيه اسم أبي». وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «الْمَهْدِيُّ مِنِّي أَجْلَى الْجَبْهَةِ أَقْنَى الْأَنْفِ يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ»(١).

الخسف بالبيداء بالجيش الذي يريد الكعبة:

عن عبد اللَّه بن الزبير رضي اللَّه عنهما، أَنَّ عَائِشَةَ رضي اللَّه عنها قَالَتْ: عَبَثَ - أي: اضطرب جسمه- رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَنَامِهِ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ صَنَعْتَ شَيْئًا فِي مَنَامِكَ لَمْ تَكُنْ تَفْعَلُهُ، فَقَالَ: «الْعَجَبُ إِنَّ نَاسًا مِنْ أُمَّتِي يَؤُمُّونَ بِالْبَيْتِ بِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ لَجَأَ بِالْبَيْتِ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْبَيْدَاءِ خُسِفَ بِهِمْ» فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الطَّرِيقَ قَدْ يَجْمَعُ النَّاسَ، قَالَ: «نَعَمْ؛ فِيهِمْ الْمُسْتَبْصِرُ، وَالْمَجْبُورُ، وَابْنُ السَّبِيلِ، يَهْلِكُونَ مَهْلَكًا وَاحِدًا، وَيَصْدُرُونَ مَصَادِرَ شَتَّى، يَبْعَثُهُمْ اللَّهُ عَلَى نِيَّاتِهِمْ»(٢).

معنى المستبصر: أي المستبين لذلك القاصد له عمدًا.

المجبور: أي المكره.

ابن السبيل: سالك الطريق معهم وليس منهم.

عن عبد اللَّه بن صفوان قال: أَخْبَرَتْنِي حَفْصَةُ رضي اللَّه عنها أَنَّهَا سَمِعَتْ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَيَؤُمَّنَّ هَذَا الْبَيْتَ جَيْشٌ يَغْزُونَهُ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنْ الْأَرْضِ يُخْسَفُ بِأَوْسَطِهِمْ، وَيُنَادِي أَوَّلُهُمْ آخِرَهُمْ ثُمَّ يُخْسَفُ بِهِمْ، فَلَا يَبْقَى إِلَّا الشَّرِيدُ الَّذِي يُخْبِرُ عَنْهُمْ»(٣).

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «يخرج رجل يقال له: السفياني في عمق دمشق ، وعامة من يتبعه من كلب، فيقتل حتى يبقر بطون النساء، ويقتل الصبيان، فتجمع لهم قيس فيقتلها حتى لا يمنع ذنب تلعة، ويخرج رجل من أهل بيتي في الحرة فيبلغ السفياني، فيبعث إليه جندًا من جنده فيهزمهم،

(١) حسن، رواه أبو داود (٤٢٨٥)، حسنه الألباني في المشكاة (٥٤٥٤).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٨/٢٨٨٤).

(٣) صحيح، رواه مسلم (٦/٢٨٨٣).

فيسير إليه السفياني بمن معه حتى إذا صار ببيداء من الأرض خسف بهم، فلا ينجو منهم إلا المخبر عنهم»(١).

والتلاع: مسايل الماء من علو إلى أسفل.

معنى: لا يمنع ذنب تلعة: يريد كثرته وأنه لا يخلو منه موضع.

بيان أن اللَّه عز وجل يصلحه في ليلة واحدة:

عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «الْمَهْدِيُّ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ يُصْلِحُهُ اللَّهُ فِي لَيْلَةٍ»(٢).

بيان أن الخير يزيد في عهده:

عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «يخرج في آخر أمتي المهدي يسقيه اللَّه الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطي المال صحاحا، وتكثر الماشية، وتعظم الأمة، يعيش سبعًا أو ثمانيًا. يعني حججًا»(٣).

٤٩- فتح المسلمين مدينة جانب منها في البحر وجانب منها في البر:

لا تأتي الساعة حتى يفتح المسلمون مدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر.

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ قال: «سَمِعْتُمْ بِمَدِينَةٍ جَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَرِّ وَجَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَحْرِ؟» قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَغْزُوَهَا سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ بَنِي إِسْحَاقَ، فَإِذَا جَاءُوهَا نَزَلُوا فَلَمْ يُقَاتِلُوا بِسِلَاحٍ وَلَمْ يَرْمُوا بِسَهْمٍ، قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ فَيَسْقُطُ أَحَدُ جَانِبَيْهَا، قَالَ ثَوْرٌ: لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ: الَّذِي فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّانِيَةَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ فَيَسْقُطُ جَانِبُهَا

---

(١) صحيح، رواه الحاكم في المستدرك (٨٥٨٦/٢٩٤) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأقره الذهبي.

(٢) صحيح، رواه ابن ماجه (٤٠٨٥) صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٣٧١)، أحمد في المسند (٦٤٦) وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٣) صحيح، رواه الحاكم في المستدرك (٨٦٧٣/٣٨١) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهب. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٧١١).

الْآخَرُ، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّالِثَةَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ فَيُفَرَّجُ لَهُمْ فَيَدْخُلُوهَا فَيَغْنَمُوا، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْمَغَانِمَ إِذْ جَاءَهُمُ الصَّرِيخُ فَقَالَ: إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَرَجَ فَيَتْرُكُونَ كُلَّ شَيْءٍ وَيَرْجِعُونَ»[١].

وقال القاضي: كذا هو «من بني إسحاق» في جميع أصول صحيح مسلم، قال: قال بعضهم: المعروف المحفوظ من بني إسماعيل هو الذي يدل عليه الحديث، وسياقه لأنه إنما أراد العرب وهذه المدينة هي القسطنطينية، والمقصود بـ (ثور) الوارد في سياق الحديث أحد رواة الحديث، واسمه كاملًا: (ثور بن زيد الديلي).

قلت: لعلهم فعلًا من بني إسحاق ممن سيسلم من الغربيين قبيل الملحمة الكبرى وبعدها.

٥٠، ٥١: خروج المسيح الدجال ونزول عيسى عليه السلام:

موجز عن الدجال ونزول عيسى:

- إنه أعور العين اليمنى كأنها عنبة طافية؛ لقوله ﷺ: «أَعْوَرِ الْعَيْنِ الْيُمْنَى كَأَنَّهَا عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ»[٢].
- مكتوب بين عينيه لفظ كافر؛ لقوله ﷺ: «مَا بُعِثَ نَبِيٌّ إِلَّا أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ أَلَا إِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ وَإِنَّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ كَافِرٌ»[٣].
- وفي رواية لمسلم: «يُقْرَؤه كُل مُسلِم»[٤].
- يأتي معه نار وماء فناره ماء بارد، وماؤه نار: لقوله ﷺ: «إِنَّ مَعَهُ مَاءً وَنَارًا فَنَارُهُ مَاءٌ بَارِدٌ وَمَاؤُهُ نَارٌ»[٥].
- ولا يدخل المدينة رعب الدجال وكذلك مكة، لقوله ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ

---

(١) صحيح، رواه مسلم (٢٩٢٠).
(٢) صحيح، رواه البخاري (٧١٢٣).
(٣) صحيح، رواه البخاري (٧١٣١).
(٤) صحيح، رواه مسلم (٢٩٣٣/١٠٣).
(٥) صحيح، رواه البخاري (٧١٣٠).

رُعْبُ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ لَهَا يَوْمَئِذٍ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ عَلَى كُلِّ بَابٍ مَلَكَانِ»(١).

❁ وفي رواية لمسلم: «لَا يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ وَلَا مَكَّةَ»(٢).

❁ «يَجِيءُ الدَّجَّالُ حَتَّى يَنْزِلَ فِي نَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ تَرْجُفُ الْمَدِينَةُ ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ كُلُّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ»(٣).

❁ «يَخْرُجُ إِلَيْهِ يَوْمَئِذٍ رَجُلٌ وَهُوَ خَيْرُ النَّاسِ أَوْ مِنْ خِيَارِ النَّاسِ، فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَّالُ الَّذِي حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَهُ، فَيَقُولُ الدَّجَّالُ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَتَلْتُ هَذَا ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ هَلْ تَشُكُّونَ فِي الْأَمْرِ؟ فَيَقُولُونَ: لَا، فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يُحْيِيهِ، فَيَقُولُ: وَاللَّهِ مَا كُنْتُ فِيكَ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي الْيَوْمَ، فَيُرِيدُ الدَّجَّالُ أَنْ يَقْتُلَهُ فَلَا يُسَلَّطُ عَلَيْهِ»(٤).

❁ والدجال موجود في جزيرة في المشرق، كما جاء في حديث فاطمة بنت قيس في قصة تميم الداري عند الإمام مسلم.

❁ فهذا الرجل كان نصرانيًا فجاء وبايع النبي ﷺ وأسلم وأخبر النبي ﷺ أنه: «رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ لَخْمٍ وَجُذَامَ، فَلَعِبَ بِهِمُ الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ أَرْفَئُوا إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، فَجَلَسُوا فِي أَقْرُبْ السَّفِينَةِ فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ لَا يَدْرُونَ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقَالُوا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قَالُوا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: أَيُّهَا الْقَوْمُ انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، قَالَ: لَمَّا سَمَّتْ لَنَا رَجُلًا فَرِقْنَا مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ، فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا

---

(١) صحيح، رواه البخاري (١٨٧٩).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٢٩٢٧/٨٩).

(٣) صحيح، رواه البخاري (٧١٢٤).

(٤) صحيح، رواه البخاري (١٨٨٢)، ومسلم (٢٩٣٨/١١٢).

وَأَشَدُّهُ وِثَاقًا، مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ، قُلْنَا: وَيْلَكَ، مَا أَنْتَ؟ قَالَ: قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَى خَبَرِي فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ، فَلَعِبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْرًا ثُمَّ أَرْفَأْنَا إِلَى جَزِيرَتِكَ هَذِهِ، فَجَلَسْنَا فِي أَقْرُبِهَا فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْنَا دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ لَا يُدْرَى مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقُلْنَا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قُلْنَا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: اعْمِدُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعًا وَفَزِعْنَا مِنْهَا وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا هَلْ يُثْمِرُ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لَا تُثْمِرَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِيهَا مَاءٌ؟ قَالُوا: هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، قَالَ: أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرَ، قَالُوا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِي الْعَيْنِ مَاءٌ؟ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الْأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ؟ قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ، قَالَ: أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ، قَالَ لَهُمْ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِي الْأَرْضِ فَلَا أَدَعَ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً أَوْ وَاحِدًا مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةً يَحْرُسُونَهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ فِي الْمِنْبَرِ هَذِهِ طَيْبَةُ هَذِهِ طَيْبَةُ هَذِهِ طَيْبَةُ -يَعْنِي الْمَدِينَةَ- أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ

ذَلِكَ؟ فَقَالَ: النَّاسُ نَعَمْ، فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ وَعَنْ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ، أَلَا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّأْمِ، أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ، لَا بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ، وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ»(١).

❁ والمسيح الدجال أي: مسيح الضلالة يقتله مسيح الهدى عيسى بن مريم حيث ينزل من السماء عند المنارة البيضاء شرقي دمشق واضعًا كفيه على أجنحة ملكين، فيطلب المسيح الدجال حتى يدركه عند باب لُدّ فيقتله كما جاء ذلك صريحًا في صحيح مسلم(٢).

نزول عيسى بن مريم عليه السلام:

وعندما ينزل عيسى عليه السلام يقدمه أحد أئمة المسلمين للصلاة، فيأبى كما جاء ذلك في صحيح مسلم قال ﷺ: «فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ»(٣).

جاء في الصحيحين عن النبي ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»(٤).

- معنى حكمًا عدلًا: أي؛ حاكمًا بهذه الشريعة بالعدل؛ فإن هذه الشريعة باقية لا تنسخ بل يكون عيسى حاكمًا من حكام هذه الأمة.

- يكسر الصليب: ليبطل ما تزعمه النصارى من تعظيمه.

---

(١) صحيح، رواه مسلم (٢٩٤٢/١١٩).

(٢) إشارة إلى حديث رواه مسلم (٢٩٣٧/١١٠) عن النواس بن سمعان.

(٣) صحيح، رواه مسلم (١٥٦/٢٤٧).

(٤) صحيح، رواه البخاري (٣٤٤٨)، ومسلم (١٥٥/٢٤٢).

- ويضع الجزية: والمعنى أن الدين يصير واحدًا فلا يبقى أحد من أهل الذمة يؤدي الجزية.

- ويفيض المال: أي يكثر، وتقل الرغبة في اقتنائه لعلمهم بقرب الساعة.

- حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها: فهذا يشير إلى صلاح الناس في ذلك الوقت وشدة إيمانهم وإقبالهم على الخير؛ فلذلك تجدهم يؤثرون الركعة الواحدة على الدنيا وما فيها.

وبعد أن يقتل عيسى بن مريم المسيح الدجال، «ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّأْمِ، فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ، قَالَ: سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السِّبَاعِ لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا»، وعلى هؤلاء تقوم الساعة كما جاء ذلك صريحًا في صحيح مسلم(١).

- معنى في خفة الطير وأحلام السباع: أي؛ في سرعتهم إلى الشر وقضاء الشهوة والفساد كطيران الطير، وفي العدوان وظلم بعضهم بعضًا في أخلاق السباع العاتية.

المسيح الدجال ونزول عيسى بن مريم عليه السلام:

هناك عدة أسباب لإطلاق اسم (الدجال) على هذا الكذاب، منها:

❁ السبب الأول: سمي الكذاب دجالًا؛ لأنه يغطي الحق بباطله، فيقال: دجل البعير بالقطران إذا غطاه، والإناء بالذهب إذا طلاه.

❁ السبب الثاني: قال ثعلب: الدجال المموه، سيف مدجل: إذا طلي.

❁ السبب الثالث: قال ابن دريد: سمي دجالًا؛ لأنه يغطي الحق بالكذب.

---

(١) صحيح، رواه مسلم (٢٩٤٠/١١٦) عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي اللَّه عنهما.

❁ السبب الرابع: سمي بذلك؛ لأنه كذاب، فالدجال هو الكذاب وجمعه: دجالون ودجاجلة في التكسير.

❁ السبب الخامس: سمي بذلك لضربه في نواحي الأرض وقطعه لها، يقال: دجل الرجل إذا فعل ذلك.

❁ السبب السادس: سمي بذلك لأن الدجال هو ماء الذهب الذي يطلى به الشيء فيحسن باطله وداخله خزف أو عود، سمي الدجال بذلك لأنه يحسن الباطل.

قصة ابن صائد، وهل هو المسيح الدجال؟

اعتقد بعض الصحابة على أن الدجال هو ابن صياد فقد قال جابر رضي اللَّه عنه فيما يرويه عن محمد بن المنكدر قال: «رَأَيْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَحْلِفُ بِاللَّهِ أَنَّ ابْنَ صَائِدٍ الدَّجَّالُ، فَقُلْتُ: أَتَحْلِفُ بِاللَّهِ؟ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ عُمَرَ يَحْلِفُ عَلَى ذَلِكَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يُنْكِرْهُ النَّبِيُّ ﷺ»(١).

وقد ورد عن غير جابر ما يدل على أن ابن صياد هو الدجال، كالحديث الذي أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن ابن عمر قال: «لقيت ابن صياد يوما ومعه رجل من اليهود فإذا عينه قد طفيت، وكانت عينه خارجة مثل عين الجمل، فلما رأيتها قلت : أنشدك اللَّه يا ابن صياد متى طفيت عينك؟ قال : لا أدري والرحمن، فقلت: كذبت، لا تدري وهي في رأسك؟! قال: فمسحها، قال: فنخر ثلاثًا (النخير: صوت الأنف)، فزعم اليهودي أني ضربت بيدي على صدره، اخسأ فلن تعدو قدرك، قال: فذكرت ذلك لحفصة، فقالت: اجتنب هذا الرجل، فإنما يُتحدث أن الدجال يخرج عند غضبة يغضبها»(٢).

وقد أخرج مسلم الحديث بمعناه من وجه آخر عن ابن عمر ولفظه: «لَقِيتُهُ مَرَّتَيْنِ»،

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٧٣٥٥)، مسلم (٢٩٢٩/٩٤).

(٢) رواه عبد الرزاق في مصنفه (٢٠٨٣٢/١١/٣٩٦)، وكما في فتح الباري (١٣/٣٢٥).

فذكر الأولى ثم قال: «فَلَقِيتُهُ لَقْيَةً أُخْرَى وَقَدْ نَفَرَتْ عَيْنُهُ، قَالَ: فَقُلْتُ: مَتَى فَعَلَتْ عَيْنُكَ مَا أَرَى؟ قَالَ: لَا أَدْرِي، قَالَ: قُلْتُ: لَا تَدْرِي وَهِيَ فِي رَأْسِكَ؟! قَالَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ خَلَقَهَا فِي عَصَاكَ هَذِهِ، قَالَ: فَنَخَرَ كَأَشَدِّ نَخِيرِ حِمَارٍ سَمِعْتُ، قَالَ: فَزَعَمَ بَعْضُ أَصْحَابِي أَنِّي ضَرَبْتُهُ بِعَصًا كَانَتْ مَعِيَ حَتَّى تَكَسَّرَتْ، وَأَمَّا أَنَا فَوَاللَّهِ مَا شَعَرْتُ، قَالَ: وَجَاءَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ فَحَدَّثَهَا فَقَالَتْ: مَا تُرِيدُ إِلَيْهِ؟ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ قَالَ: إِنَّ أَوَّلَ مَا يَبْعَثُهُ عَلَى النَّاسِ غَضَبٌ يَغْضَبُهُ؟»[١].

وفي رواية عنده في نفس الموضوع عن نافع قال: «لَقِيَ ابْنُ عُمَرَ ابْنَ صَائِدٍ فِي بَعْضِ طُرُقِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ قَوْلًا أَغْضَبَهُ، فَانْتَفَخَ حَتَّى مَلَأَ السِّكَّةَ، فَدَخَلَ ابْنُ عُمَرَ عَلَى حَفْصَةَ وَقَدْ بَلَغَهَا، فَقَالَتْ لَهُ: رَحِمَكَ اللَّهُ، مَا أَرَدْتَ مِنْ ابْنِ صَائِدٍ؟! أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنَّمَا يَخْرُجُ مِنْ غَضْبَةٍ يَغْضَبُهَا»[٢].

- ومعنى قوله: «فَانْتَفَخَ حَتَّى مَلَأَ السِّكَّةَ»: السكة الطريق، وجمعها سكك.

- قال أبو عبيد: أصل السكة الطريق المصطفة من النخيل، قال: وسميت الأزقة سككًا، لاصطفاف الدور فيها.

- نفرت عينه: أي ورمت ونتأت.

ففي هذه القصة -أعني قصة حفصة وابن عمر- دليل على أنهما أرادا الدجال الأكبر.

وقد وقع لابن صائد مع أبي سعيد الخدري قصة أخرى تتعلق بأمر الدجال، فأخرج مسلم في صحيحه من طريق داود بن أبي هند عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال: «صَحِبْتُ ابْنَ صَائِدٍ إِلَى مَكَّةَ فَقَالَ لِي: أَمَا قَدْ لَقِيتُ مِنْ النَّاسِ يَزْعُمُونَ أَنِّي الدَّجَّالُ أَلَسْتَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّهُ لَا يُولَدُ لَهُ؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَقَدْ وُلِدَ لِي، أَوَلَيْسَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: لَا يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ وَلَا مَكَّةَ؟

(١) صحيح، رواه مسلم (٢٩٣٢/٩٩).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٢٩٣٢/٩٨).

قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَقَدْ وُلِدْتُ بِالْمَدِينَةِ، وَهَذَا أَنَا أُرِيدُ مَكَّةَ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ لِي فِي آخِرِ قَوْلِهِ: أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ مَوْلِدَهُ وَمَكَانَهُ وَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فَلَبَسَنِي»[(١)].

ومعنى: (لبسني): أي جعلني ألتبس في أمره وأشك.

وليلاحظ بصفة عامة -كما قال العلماء- أن قصة ابن صياد مشكلة وأمره مشتبه، ولكن لا شك أنه دجال من الدجاجلة، والظاهر أن النبي ﷺ لم يوحَ إليه في أمره بشيء، وإنما أوحى إليه بصفات الدجال، وكان في ابن صياد قرائن محتملة، فلذلك كان ﷺ لا يقطع في أمره بشيء بل قال لعمر: «دَعْهُ فَإِنْ يَكُنْ الَّذِي تَخَافُ لَنْ تَسْتَطِيعَ قَتْلَهُ»[(٢)].

- قال النووي: ومن اشتباه قصته وكونه أحد الدجاجلة الكذابين، قوله للنبي ﷺ: (أتشهد أني رسول اللَّه)، ودعواه: (أنه يأتيه صادق وكاذب)، وقوله: (إنه تنام عينه ولا ينام قلبه)، وقوله: (إنه يرى عرشًا على الماء، وإنه لا يكره أن يكون هو الدجال، وأنه يعرف موضعه وأين هو الآن).

- وقد رجح القرطبي أن الدجال هو ابن صياد.

- وقال ابن عمر: واللَّه ما أشك أن المسيح الدجال ابن صياد.

- وقد ذهب كثير من أهل العلم إلى خلاف ذلك وهو أن الدجال الأكبر هو غير ابن صياد، وخير دليل على ذلك قصة تميم الداري في حديث فاطمة بنت قيس، والذي يرويه مسلم وسيأتي ذكرها فيما بعد، وممن رجح أنَّ الدجال الأكبر هو غير ابن صياد شيخ الإسلام ابن تيمية قدس اللَّه روحه، وكثير من العلماء.

متى يخرج الدجال؟

يخرج الدجال كما جاء في الحديث عند فتح المسلمين القسطنطينية الرومية، فقد روى أبو هريرة رضي اللَّه عنه عن رسول اللَّه ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ

---

(١) صحيح، رواه مسلم (٨٩/٢٩٢٧).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٨٥/٢٩٢٤).

الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ، أَوْ بِدَابِقٍ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنْ الْمَدِينَةِ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، فَإِذَا تَصَافُّوا قَالَتْ الرُّومُ: خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لَا وَاللَّهِ لَا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا فَيُقَاتِلُونَهُمْ فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لَا يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ، وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ لَا يُفْتَنُونَ أَبَدًا فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ، إِذْ صَاحَ فِيهِمْ الشَّيْطَانُ إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ فَيَخْرُجُونَ وَذَلِكَ بَاطِلٌ، فَإِذَا جَاءُوا الشَّأْمَ خَرَجَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ إِذْ أُقِيمَتْ الصَّلَاةُ، فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ فَأَمَّهُمْ، فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللَّهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لَانْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ»[1].

أين العرب يوم خروج الدجال؟

لقد سألت أم شريك هذا السؤال عندما قال النبي ﷺ: «لَيَفِرَّنَّ النَّاسُ مِنْ الدَّجَّالِ فِي الْجِبَالِ قَالَتْ أُمُّ شَرِيكٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَيْنَ الْعَرَبُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: هُمْ قَلِيلٌ»[2].

ما هو سبب خروج الدجال؟

سبب خروج الدجال هو غضبة يغضبها فتدفعه إلى فعل وإتيان كل ما أخبرتنا به الأحاديث النبوية أنه فاعله، وقد ثبت ذلك في حديث ابن عمر عن حفصة، فقد قالت له في حديث طويل: «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنَّمَا يَخْرُجُ مِنْ غَضْبَةٍ يَغْضَبُهَا؟»[3].

وفي رواية: «أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ قَالَ: إِنَّ أَوَّلَ مَا يَبْعَثُهُ عَلَى النَّاسِ غَضَبٌ يَغْضَبُهُ؟»[4]، وقد سبق معنا بتمامه.

---

(١) صحيح، رواه مسلم (٣٤/٢٨٩٧).

(٢) صحيح، رواه مسلم (١٢٥/٢٩٤٥).

(٣) صحيح، رواه مسلم (٩٨/٢٩٣٢).

(٤) صحيح، رواه مسلم (٩٩/٢٩٣٢).

من أين يخرج الدجال؟

يخرج الدجال ما بين الشام والعراق، كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام: «إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا»(١).

معنى عاث: فالعيث هو الفساد.

هل كان الدجال موجودًا في العهد النبوي؟

يقتضي حديث فاطمة بنت قيس في قصة تميم الداري الذي أخرجه مسلم أن الدجال كان موجودًا في العهد النبوي وأنه محبوس في بعض الجزائر.

فقد قالت فاطمة: نَكَحْتُ ابْنَ الْمُغِيرَةِ وَهُوَ مِنْ خِيَارِ شَبَابِ قُرَيْشٍ يَوْمَئِذٍ، فَأُصِيبَ فِي أَوَّلِ الْجِهَادِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا تَأَيَّمْتُ خَطَبَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَخَطَبَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى مَوْلَاهُ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، وَكُنْتُ قَدْ حُدِّثْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّنِي فَلْيُحِبَّ أُسَامَةَ» فَلَمَّا كَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ: أَمْرِي بِيَدِكَ فَأَنْكِحْنِي مَنْ شِئْتَ، فَقَالَ: «انْتَقِلِي إِلَى أُمِّ شَرِيكٍ» -وَأُمُّ شَرِيكٍ امْرَأَةٌ غَنِيَّةٌ مِنْ الْأَنْصَارِ عَظِيمَةُ النَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَنْزِلُ عَلَيْهَا الضِّيفَانُ- فَقُلْتُ: سَأَفْعَلُ، فَقَالَ: «لَا تَفْعَلِي إِنَّ أُمَّ شَرِيكٍ امْرَأَةٌ كَثِيرَةُ الضِّيفَانِ، فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَسْقُطَ عَنْكِ خِمَارُكِ، أَوْ يَنْكَشِفَ الثَّوْبُ عَنْ سَاقَيْكِ، فَيَرَى الْقَوْمُ مِنْكِ بَعْضَ مَا تَكْرَهِينَ، وَلَكِنْ انْتَقِلِي إِلَى ابْنِ عَمِّكِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ»، -وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي فِهْرٍ فِهْرِ قُرَيْشٍ وَهُوَ مِنْ الْبَطْنِ الَّذِي هِيَ مِنْهُ-. فَانْتَقَلْتُ إِلَيْهِ، فَلَمَّا انْقَضَتْ عِدَّتِي سَمِعْتُ نِدَاءَ الْمُنَادِي مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُنَادِي: «الصَّلَاةَ جَامِعَةً»، فَخَرَجْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَصَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَكُنْتُ فِي صَفِّ النِّسَاءِ الَّتِي تَلِي ظُهُورَ الْقَوْمِ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاتَهُ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَهُوَ يَضْحَكُ فَقَالَ: «لِيَلْزَمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلَّاهُ» ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «إِنِّي وَاللَّهِ مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلَا

---

(١) صحيح، جزء من حديث طويل رواه مسلم (٢٩٣٧/١١٠).

لِرَهْبَةٍ، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ لِأَنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ كَانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَّالِ: حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ لَخْمٍ وَجُذَامَ فَلَعِبَ بِهِمْ الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ أَرْفَئُوا إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، فَجَلَسُوا فِي أَقْرُبْ السَّفِينَةِ فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ لَا يَدْرُونَ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقَالُوا: وَيْلَكِ! مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قَالُوا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: أَيُّهَا الْقَوْمُ انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، قَالَ: لَمَّا سَمَّتْ لَنَا رَجُلًا فَرِقْنَا مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ، فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا وَأَشَدُّهُ وِثَاقًا، مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ، قُلْنَا: وَيْلَكَ! مَا أَنْتَ؟ قَالَ: قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَى خَبَرِي فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ أُنَاسٌ مِنْ الْعَرَبِ رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ فَلَعِبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْرًا ثُمَّ أَرْفَأْنَا إِلَى جَزِيرَتِكَ هَذِهِ، فَجَلَسْنَا فِي أَقْرُبِهَا فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْنَا دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ لَا يُدْرَى مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقُلْنَا: وَيْلَكِ! مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قُلْنَا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: اعْمِدُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعًا وَفَزِعْنَا مِنْهَا، وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا هَلْ يُثْمِرُ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لَا تُثْمِرَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِيهَا مَاءٌ؟ قَالُوا: هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، قَالَ: أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرَ، قَالُوا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِي الْعَيْنِ مَاءٌ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الْأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ؟ قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ قَالَ: أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ

عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنْ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ، قَالَ لَهُمْ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ فَأَخْرُجَ، فَأَسِيرَ فِي الْأَرْضِ فَلَا أَدَعَ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً أَوْ وَاحِدًا مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةً يَحْرُسُونَهَا»، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ فِي الْمِنْبَرِ: «هَذِهِ طَيْبَةُ هَذِهِ طَيْبَةُ هَذِهِ طَيْبَةٌ»، يَعْنِي: الْمَدِينَةَ «أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ؟» فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ، «فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ وَعَنْ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ، أَلَا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّأْمِ أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ لَا بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ»، وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ، قَالَتْ: فَحَفِظْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»[(١)].

وكما هو واضح من هذا الحديث الطويل فإن الدجال موجود في العهد النبوي، محبوس في جزيرة ما، في المشرق هي التي أشار إليها تميم الداري.

فتوحات المسلمين قبل خروج الدجال:

يقوم المسلمون بثلاث فتوحات قبل خروج الدجال، هي فتح جزيرة العرب، ثم فتح فارس، ثم الروم، فقد قال نافع بن عتبة: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ قَالَ: فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ قَوْمٌ مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ عَلَيْهِمْ ثِيَابُ الصُّوفِ، فَوَافَقُوهُ عِنْدَ أَكَمَةٍ، فَإِنَّهُمْ لَقِيَامٌ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَاعِدٌ، قَالَ: فَقَالَتْ لِي نَفْسِي: ائْتِهِمْ فَقُمْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ لَا يَغْتَالُونَهُ، قَالَ: ثُمَّ قُلْتُ: لَعَلَّهُ نَجِيٌّ مَعَهُمْ، فَأَتَيْتُهُمْ فَقُمْتُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، قَالَ: فَحَفِظْتُ مِنْهُ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ أَعُدُّهُنَّ فِي يَدِي، قَالَ: تَغْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ فَارِسَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَّالَ فَيَفْتَحُهُ اللَّهُ»، قَالَ: فَقَالَ نَافِعٌ يَا جَابِرُ: لَا نَرَى الدَّجَّالَ يَخْرُجُ حَتَّى تُفْتَحَ الرُّومُ[(٢)].

---

(١) صحيح، رواه مسلم (١١٩/٢٩٤٢).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٣٨/٢٩٠٠).

قتال المسلمين والروم قبل خروج الدجال مباشرة:

من الحوادث التي أخبرنا بها رسول اللَّه ﷺ أنها تقع قبل خروج الدجال مباشرة: حدوث قتال عظيم بين المسلمين والروم.

فقد قال يسير بن جابر: هَاجَتْ رِيحٌ حَمْرَاءُ بِالْكُوفَةِ فَجَاءَ رَجُلٌ لَيْسَ لَهُ هِجِّيرَى إِلَّا «يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ جَاءَتْ السَّاعَةُ»، قَالَ: فَقَعَدَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ: «إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ حَتَّى لَا يُقْسَمَ مِيرَاثٌ، وَلَا يُفْرَحَ بِغَنِيمَةٍ»، ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ هَكَذَا وَنَحَّاهَا نَحْوَ الشَّأْمِ، فَقَالَ: «عَدُوٌّ يَجْمَعُونَ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَيَجْمَعُ لَهُمْ أَهْلُ الْإِسْلَامِ» قُلْتُ: الرُّومَ تَعْنِي؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَتَكُونُ عِنْدَ ذَاكُمْ الْقِتَالِ رَدَّةٌ شَدِيدَةٌ، فَيَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمْ اللَّيْلُ فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمْ اللَّيْلُ فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يُمْسُوا فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الرَّابِعِ نَهَدَ إِلَيْهِمْ بَقِيَّةُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَيَجْعَلُ اللَّهُ الدَّبْرَةَ عَلَيْهِمْ فَيَقْتُلُونَ مَقْتَلَةً» إِمَّا قَالَ: «لَا يُرَى مِثْلُهَا»، وَإِمَّا قَالَ: «لَمْ يُرَ مِثْلُهَا، حَتَّى إِنَّ الطَّائِرَ لَيَمُرُّ بِجَنَبَاتِهِمْ فَمَا يُخَلِّفُهُمْ حَتَّى يَخِرَّ مَيِّتًا، فَيَتَعَادُّ بَنُو الْأَبِ كَانُوا مِائَةً فَلَا يَجِدُونَهُ بَقِيَ مِنْهُمْ، إِلَّا الرَّجُلُ الْوَاحِدُ فَبِأَيِّ غَنِيمَةٍ يُفْرَحُ أَوْ أَيُّ مِيرَاثٍ يُقَاسَمُ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ سَمِعُوا بِبَأْسٍ هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَجَاءَهُمْ الصَّرِيخُ إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَلَفَهُمْ فِي ذَرَارِيِّهِمْ، فَيَرْفُضُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَيُقْبِلُونَ، فَيَبْعَثُونَ عَشَرَةَ فَوَارِسَ طَلِيعَةً»، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ وَأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ، هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ» أَوْ «مِنْ خَيْرِ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ»[1].

---

(١) صحيح، رواه مسلم (٣٧/٢٨٩٩).

خير فوارس الأرض تستطلع خبر الدجال:

عندما يأتي المسلمون خبر الدجال؛ فإنهم يبعثون خير فوارس الأرض لتستطلع خبره، وعدد هؤلاء الفرسان عشرة، قال عنهم رسول اللَّه ﷺ: إِنِّي لَأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ وَأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ، هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ» أَوْ «مِنْ خَيْرِ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ»[1].

هل يستطيع الدجال القتل والإحياء؟

من القدرات التي يعطيها اللَّه تعالى للدجال القدرة على الإحياء والإماتة، لدرجة أنه يقتل بعض المؤمنين ويقسمه نصفين بالمنشار، ثم يمشي بين القطعتين ثم يقول له قم، فيستوي قائمًا.

فقد قال رسول اللَّه عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فَيَتَوَجَّهُ قِبَلَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَتَلْقَاهُ الْمَسَالِحُ مَسَالِحُ الدَّجَّالِ، فَيَقُولُونَ لَهُ: أَيْنَ تَعْمِدُ؟ فَيَقُولُ: أَعْمِدُ إِلَى هَذَا الَّذِي خَرَجَ، قَالَ: فَيَقُولُونَ لَهُ: أَوَ مَا تُؤْمِنُ بِرَبِّنَا؟ فَيَقُولُ: مَا بِرَبِّنَا خَفَاءٌ، فَيَقُولُونَ: اقْتُلُوهُ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَلَيْسَ قَدْ نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا أَحَدًا دُونَهُ؟ قَالَ: فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ إِلَى الدَّجَّالِ، فَإِذَا رَآهُ الْمُؤْمِنُ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَذَا الدَّجَّالُ الَّذِي ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَيَأْمُرُ الدَّجَّالُ بِهِ فَيُشَبَّحُ فَيَقُولُ: خُذُوهُ وَشُجُّوهُ فَيُوسَعُ ظَهْرُهُ وَبَطْنُهُ ضَرْبًا، قَالَ: فَيَقُولُ: أَوَ مَا تُؤْمِنُ بِي؟ قَالَ: فَيَقُولُ: أَنْتَ الْمَسِيحُ الْكَذَّابُ، قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُؤْشَرُ بِالْمِئْشَارِ مِنْ مَفْرِقِهِ حَتَّى يُفَرَّقَ بَيْنَ رِجْلَيْهِ، قَالَ: ثُمَّ يَمْشِي الدَّجَّالُ بَيْنَ الْقِطْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: قُمْ، فَيَسْتَوِي قَائِمًا، قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتُؤْمِنُ بِي؟ فَيَقُولُ: مَا ازْدَدْتُ فِيكَ إِلَّا بَصِيرَةً، قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا يَفْعَلُ بَعْدِي بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، قَالَ: فَيَأْخُذُهُ الدَّجَّالُ لِيَذْبَحَهُ، فَيُجْعَلَ مَا بَيْنَ رَقَبَتِهِ إِلَى تَرْقُوَتِهِ نُحَاسًا فَلَا يَسْتَطِيعُ إِلَيْهِ سَبِيلًا، قَالَ: فَيَأْخُذُ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ

(١) صحيح، جزء من حديث طويل رواه مسلم (٣٧/٢٨٩٩) عن يسير بن جابر، انظر التخريج السابق.

فَيَقْذِفُ بِهِ، فَيَحْسِبُ النَّاسُ أَنَّمَا قَذَفَهُ إِلَى النَّارِ، وَإِنَّمَا أُلْقِيَ فِي الْجَنَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هَذَا أَعْظَمُ النَّاسِ شَهَادَةً عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ»(١).

وروى أبو سعيد الخدري فقال: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا حَدِيثًا طَوِيلًا عَنْ الدَّجَّالِ فَكَانَ فِيمَا حَدَّثَنَا قَالَ: «يَأْتِي وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ نِقَابَ الْمَدِينَةِ فَيَنْتَهِي إِلَى بَعْضِ السِّبَاخِ الَّتِي تَلِي الْمَدِينَةَ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ يَوْمَئِذٍ رَجُلٌ هُوَ خَيْرُ النَّاسِ، أَوْ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ فَيَقُولُ لَهُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَّالُ الَّذِي حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَهُ فَيَقُولُ: الدَّجَّالُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَتَلْتُ هَذَا ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ أَتَشُكُّونَ فِي الْأَمْرِ؟ فَيَقُولُونَ: لَا، قَالَ: فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يُحْيِيهِ، فَيَقُولُ حِينَ يُحْيِيهِ: وَاللَّهِ مَا كُنْتُ فِيكَ قَطُّ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي الْآنَ، قَالَ: فَيُرِيدُ الدَّجَّالُ أَنْ يَقْتُلَهُ فَلَا يُسَلَّطُ عَلَيْهِ». قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ يُقَالُ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ هُوَ الْخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامِ(٢).

وقد يقال: كيف يجوز أن يجري اللَّه الآية على يد كافر؟ فإنَّ إحياء الموتى آية عظيمة من آيات الأنبياء، فكيف ينالها الدجال وهو كذاب مُفترٍ يدَّعي الربوبية؟

ويجيب على ذلك الحافظ ابن حجر في فتح الباري فيقول: الجواب: أنه على سبيل الفتنة للعباد، إذ كان عندهم ما يدل على أنه مُبطل غير مُحق في دعواه، وهو أنه أعور مكتوب على جبهته (كافر) يقرؤه كل مسلم، فدعواه داحضة مع وسم الكفر ونقص الذات والقدر... إذ لو كان إلهًا لأزال ذلك عن وجهه، وآيات الأنبياء سالمة من المعارضة، فلا يشتبهان.

وفي الدجال مع ذلك دلالة بينة على كذبه؛ لأنه ذو أجزاء مؤلفة، وتأثير الصنعة فيه ظاهر مع ظهور الآفة به من عور عينيه، فإذا دعا الناس إلى أنه ربهم، فسألوا حال من يراه من ذوي العقول أن يعلم أنه لم يكن ليسوي خلق غيره ويعدله ويحسنه ولا يدفع النقص عن نفسه، فأقل ما يجب أن يقول: يا من يزعم أنه خالق

---

(١) صحيح، رواه مسلم (٢٩٣٨/١١٣) عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه.

(٢) صحيح، رواه البخاري (١٨٨٢)، ومسلم (٢٩٣٨/١١٢).

السماوات والأرض، صور نفسك وعدلها، وأزل عنها العاهة ... فإن زعمت أن الرب لا يحدث في نفسه شيئًا، فأزل ما هو مكتوب بين عينيك.

وقال ابن العربي: الذي يظهر على يدي الدجال من الآيات من إنزال المطر والخصب على من يصدقه والجدب على من يكذبه، واتباع كنوز الأرض له، وما معه من جنة ونار ومياه تجري، كل ذلك محنة من اللَّه واختبار، ليهلك المرتاب وينجو المتيقن، وذلك كله أمر مخوف، لهذا قال ﷺ: «لا فتنة أعظم من فتنة الدجال» وكان يستعيذ منها في صلاته تشريعًا لأمته.أهـ.

انتبه... فهذه حقيقة ماء الدجال !! وهذه حقيقة ناره !!

يأتي الدجال ومعه ماء ونار، أما النار التي يخوف بها الناس ليغويهم، فليست نارًا، وإنما هي في الحقيقة ماء، وأيضًا فإن الماء الذي معه ليس ماء، وإنما هو نار، ومن هنا فمن أدرك ذلك فيجب عليه أن يشرب من الذي يراه أنه نار، فإنه سيجده ماء.

ويؤيد هذا ما قاله ربعي بن حراش قال: «اجْتَمَعَ حُذَيْفَةُ وَأَبُو مَسْعُودٍ فَقَالَ حُذَيْفَةُ: لَأَنَا بِمَا مَعَ الدَّجَّالِ أَعْلَمُ مِنْهُ، إِنَّ مَعَهُ نَهْرًا مِنْ مَاءٍ، وَنَهْرًا مِنْ نَارٍ، فَأَمَّا الَّذِي تَرَوْنَ أَنَّهُ نَارٌ مَاءٌ، وَأَمَّا الَّذِي تَرَوْنَ أَنَّهُ مَاءٌ نَارٌ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَأَرَادَ الْمَاءَ فَلْيَشْرَبْ مِنْ الَّذِي يَرَاهُ أَنَّهُ نَارٌ فَإِنَّهُ سَيَجِدُهُ مَاءً».

قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ: هَكَذَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ»[(١)].

ويروي كذلك ربعي بن حراش رواية أخرى فيقول: انْطَلَقْتُ مَعَهُ -أي: عقبة بن عمرو- إِلَى حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ فَقَالَ لَهُ عُقْبَةُ: حَدِّثْنِي مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الدَّجَّالِ؟ قَالَ: «إِنَّ الدَّجَّالَ يَخْرُجُ وَإِنَّ مَعَهُ مَاءً وَنَارًا، فَأَمَّا الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ مَاءً فَنَارٌ تُحْرِقُ، وَأَمَّا الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ نَارًا فَمَاءٌ بَارِدٌ عَذْبٌ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَلْيَقَعْ فِي الَّذِي يَرَاهُ نَارًا؛ فَإِنَّهُ مَاءٌ عَذْبٌ طَيِّبٌ». فَقَالَ عُقْبَةُ: وَأَنَا قَدْ سَمِعْتُهُ تَصْدِيقًا لِحُذَيْفَةَ[(٢)].

---

(١) صحيح، رواه مسلم (٢٩٣٤-١٠٨/٢٩٣٥).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٢٩٣٤-١٠٧/٢٩٣٥).

وروى البخاري في كتاب الفتن، باب ذكر الدجال؛ عن حذيفة عن النبي ﷺ قال في الدجال: «إِنَّ مَعَهُ مَاءً وَنَارًا فَنَارُهُ مَاءٌ بَارِدٌ وَمَاؤُهُ نَارٌ» قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ: أنا سَمِعْته من رسول اللَّه ﷺ(١).

يقول الحافظ في الفتح: وهذا كله يرجع إلى اختلاف المرئي بالنسبة إلى الرائي ... فإما أن يكون الدجال ساحرًا، فيخيل الشيء بصورة عكسه، وإما أن يجعل اللَّه باطن الجنة التي يسخرها الدجال نارًا، وباطن النار جنة، وهذا الراجح.

أسلحة الدجال الإغوائية المزيفة:

جنة الدجال نار ... وناره جنة:

من الأسلحة الإغوائية التي يستخدمها الدجال نار وجنة زائفتان، حيث إن حقيقة كل منهما عكس الظاهر منها، فناره جنة وجنته نار!!

بين ذلك رسول اللَّه ﷺ فقال: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنْ الدَّجَّالِ حَدِيثًا مَا حَدَّثَهُ نَبِيٌّ قَوْمَهُ؟ إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّهُ يَجِيءُ مَعَهُ مِثْلُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَالَّتِي يَقُولُ إِنَّهَا الْجَنَّةُ هِيَ النَّارُ، وَإِنِّي أَنْذَرْتُكُمْ بِهِ كَمَا أَنْذَرَ بِهِ نُوحٌ قَوْمَهُ»(٢).

رواية لحذيفة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «الدَّجَّالُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى جُفَالُ الشَّعَرِ مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ فَنَارُهُ جَنَّةٌ وَجَنَّتُهُ نَارٌ»(٣).

ومعنى جفال الشعر: أي؛ كثيره.

لعله يكون قد تبين لنا من خلال هذين الحديثين اللذين وردا من طريقتين مختلفتين عن أبي هريرة ثم عن حذيفة؛ أن الدجال أسلحته مزيفة، وأن المؤمن عندما يدرك حقيقتها؛ فإنه سيكون من السهل عليه أن يتغلب عليها، وبالتالي يتجاوز فتنة ذلك الأعور.

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٧١٣٠).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٣٣٣٨)، ومسلم (١٠٩/٢٩٣٦) كلاهما عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه.

(٣) صحيح، رواه مسلم (١٠٤/٢٩٣٤).

هل يستخدم الدجال الطعام والماء كسلاح للإغواء؟

إذا كنت تسأل أخي المؤمن هذا السؤال، فقد سأله من قبلك المغيرة بن شعبة للرسول ﷺ، حيث قال في الحديث الصحيح: مَا سَأَلَ أَحَدٌ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ الدَّجَّالِ أَكْثَرَ مِمَّا سَأَلْتُهُ، قَالَ: «وَمَا سُؤَالُكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: إِنَّهُمْ يَقُولُونَ مَعَهُ جِبَالٌ مِنْ خُبْزٍ وَلَحْمٍ، وَنَهَرٌ مِنْ مَاءٍ؟ قَالَ: «هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ»(١).

قال الحافظ في الفتح: وقال عياض: معناه هو أهون على الله من أن يجعل ما يخلقه على يديه مضلًا للمؤمنين ومشككًا لقلوب الموقنين، بل إنما جعله له ليزداد الذين آمنوا إيمانًا، ويرتاب الذين في قلوبهم مرض، فهو مثل قول الذي يقتله: ما كنت أشد بصيرة مني فيك الآن، وليس معناه أنه ليس معه شيء من ذلك، بل المراد: أهون من أن يجعل شيئًا من ذلك آية على صدقه ولا سيما وقد جعل فيه آية ظاهرة في كذبه وكفره يقرأها من يقرأ ومن لا يقرأ.أهـ.

وفي رواية أخرى للحديث قال المغيرة بن شعبة: مَا سَأَلَ أَحَدٌ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ الدَّجَّالِ أَكْثَرَ مِمَّا سَأَلْتُ، قَالَ: «وَمَا يُنْصِبُكَ مِنْهُ؟ إِنَّهُ لَا يَضُرُّكَ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ مَعَهُ الطَّعَامَ وَالْأَنْهَارَ قَالَ: «هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ»(٢).

ومعنى «وَمَا يُنْصِبُكَ مِنْهُ»: أي؛ ما يتعبك من أمره؟

ما هي المدة التي يمكثها الدجال في الأرض؟

سأل الصحابة الرسول ﷺ عن ذلك فقالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا لَبْثُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: «لَا اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ»(٣).

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٧١٢٢)، ومسلم (٢٩٣٩/١١٥).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٢٩٣٩/١١٤).

(٣) صحيح، جزء من حديث طويل رواه مسلم (٢٩٣٧/١١٠) عن النواس بن سمعان.

ومعنى قوله: «اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ» كما قال القاضي وغيره: أن هذا حكم مخصوص بذلك اليوم، شرعه لنا صاحب الشرع، على أساس أنه إذا مضى بعد طلوع الفجر قد ما يكون بينه وبين الظهر كل يوم فصلوا الظهر، ثم إذا مضى بعده قدر ما يكون بينها وبين العصر فصلوا العصر، وإذا مضى بعد هذا قد ما يكون بينها وبين المغرب فصلوا المغرب، وكذا العشاء والصبح ثم الظهر والعصر ثم المغرب وهكذا حتى ينقضي ذلك اليوم، وأما الثاني كالشهر، والثالث الذي كجمعة فقياسًا على اليوم الأول أن يُقدر لهما كاليوم الأول، على ما ذكرناه.

هل يتبع اليهود الدجال؟

أثبت الزمن أن اليهود قوم مُضلّون ضالون، على قلوبهم أقفال، وتغشى أبصارهم الظلمات، ولذا فليس من المستغرب أن يتبع الكثير منهم المسيح الدجال، وقد قال الرسول ﷺ: «يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمْ الطَّيَالِسَةُ»(١).

والطيالسة: جمع طيلسان، والطيلسان أعجمي معرب قال في معيار اللغة: ثوب يلبس على الكتف، يحيط بالبدن، خال من التفصيل والخياطة.

وما إسراعه في الأرض؟

سأل الصحابة عن ذلك فقالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ»(٢).

والمعنى أن سرعته كالمطر عندما ينزل فتتبعه الريح.

المسيح ابن مريم يضع حدًا لفتنة الدجال:

عندما يكون الدجال في أوج فتنته، وهو يبعث بالأشياء ويفتن الناس، يأتي ابن مريم لكي يضع حدًا له، فيقتله.

فقد قال رسول اللَّه ﷺ عنه: «فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ،

(١) صحيح، رواه مسلم (٢٩٤٤/١٢٤).
(٢) صحيح، جزء من حديث طويل رواه مسلم (٢٩٣٧/١١٠).

وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالْأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ»(١).

ومعاني الحديث نوضحها فيما يلي من خلال توضيح وشرح مفرداته.

- أما تروح فمعناه: ترجع آخر النهار.
- والسارحة: هي الماشية التي تسرح، أي: تذهب أول النهار إلى المراعي.
- والذرا: الأعالي جمع ذروة.
- وأسبغه: أي؛ أطوله لكثرة اللبن، وكذا أمد خواصر: امتلاؤها من الشبع.
- يصبحون ممحلين: قال القاضي: أي أصابهم المحل من قلة المطر، ويبس الأرض من الكلأ، وفي القاموس: المحل، على وزن فَعل، الجدب والقحط، والإمحال كون الأرض ذات جدب وقحط أمحل البلد إذا أجدب.
- ويعاسيب النحل: هي ذكور النحل، هكذا فسره ابن قتيبة وآخرون، ولكن قال القاضي: المراد جماعة النحل لا ذكورها خاصة، لكنه كنّى عن الجماعة باليعسوب، وهو أميرها.
- وأما (فيقطعه جزلتين رمية الغرض) فالجزلة بالفتح على المشهور، وحكى ابن دريد كسرها، أي قطعتين.

---

(١) صحيح، جزء من حديث طويل رواه مسلم (٢٩٣٧/١١٠).

- ومعنى (رمية الغرض): أي يجعل بين الجزلتين مقدار رمية، هذا هو الظاهر المشهور.

- والمنارة البيضاء المشار إليها في الحديث موجودة اليوم شرقي دمشق.

- والمهرودتان: ثوبان مصبوغان بورس ثم بزعفران، وقيل: هما شقتان، والشقة نصف الملاءة.

- و(تحدر منه جمان كاللؤلؤ): الجمان حبات من الفضة تصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار، والمراد يتحدر منه الماء على هيئة اللؤلؤ في صفائه، فسمي الماء جمانًا لشبهه به في الصفاء والحسن.

- ومعنى (فلا يحل): لا يمكن ولا يقع.

- (باب لد): بلدة قريبة من بيت المقدس في فلسطين.

وفي حديث آخر في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ لَا أَدْرِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا، أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا، أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا، فَيَبْعَثُ اللَّهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ»(١).

وقد قال القاضي رحمه الله تعالى: نزول عيسى عليه السلام، وقتله الدجال، حق صحيح عند أهل السنة، للأحاديث الصحيحة في ذلك، وليس في العقل ولا في الشرع ما يبطله فوجب إثباته.

كيف يتقي المؤمن فتنة الدجال؟

لم يترك الشارع الحكيم المؤمنين لقمة سائغة للدجال الأعور؛ وإنما وضح لهم الوسائل التي يمكنهم عن طريقها الاعتصام بها من فتنته، فذكر صفاته وسماته وزيف أسلحته، وبالتالي يسهل على المؤمنين التعرف عليه واجتنابه.

ومن الأمور التي نبه إليها الرسول عليه الصلاة والسلام كسلاح واق من الدجال:

---

(١) صحيح، رواه مسلم (٢٩٤٠/١١٦).

حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف أو من خواتيمها، فقال النبي ﷺ: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ». قَالَ أَبُو دَاوُد: وَكَذَا قَالَ هِشَامٌ الدَّسْتُوَائِيُّ عَنْ قَتَادَةَ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ حَفِظَ مِنْ خَوَاتِيمِ سُورَةِ الْكَهْفِ»، وقَالَ شُعْبَةُ عَنْ قَتَادَةَ: «مِنْ آخِرِ الْكَهْفِ»[1].

وأيضًا فإن الأمور التي يتمكن المؤمن بواسطتها من الاعتصام من فتنة الدجال: سكنى المدينة المنورة؛ لأن الرسول ﷺ أخبر أنها محرمة على الدجال، فلا يمكنه دخولها، حيث قال ﷺ: «يَأْتِي وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ نِقَابَ الْمَدِينَةِ فَيَنْتَهِي إِلَى بَعْضِ السِّبَاخِ الَّتِي تَلِي الْمَدِينَةَ»[2]. ومعنى (نقاب المدينة): أي طرقها وفجاجها وهو جمع نقب وهو الطريق بين جبلين.

وقال أيضًا: «الْمَدِينَةُ يَأْتِيهَا الدَّجَّالُ فَيَجِدُ الْمَلَائِكَةَ يَحْرُسُونَهَا، فَلَا يَقْرَبُهَا الدَّجَّالُ، وَلَا الطَّاعُونُ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ»[3].

ومن الأماكن التي لا يدخلها الدجال: أربعة مساجد:

١- الكعبة.

٢- ومسجد الرسول عليه الصلاة والسلام.

٣- والمسجد الأقصى.

٤- والطور.

ففي حديث جنادة بن أبي أمية قال: أَتَيْنَا رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ مِنْ الصَّحَابة قَالَ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِينَا فَقَالَ: «أَنْذَرْتُكُمْ الْمَسِيحَ..» الحديث وفيه: «يَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ

---

(١) صحيح، رواه أبو داود (٤٣٢٣)، صححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٠١). وقد رواه أيضًا مسلم (٢٥٧/٨٠٩) في كتاب التفسير، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، من حديث همام وهشام وشعبة عن قتادة، بألفاظ مختلفة، أما روايات أبي داود ففي كتاب الملاحم باب خروج الدجال.

(٢) صحيح، رواه مسلم (١١٢/٢٩٣٨) عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه.

(٣) صحيح، رواه البخاري (٧٤٧٣) عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه.

أَرْبَعِينَ صَبَاحًا يَبْلُغُ سُلْطَانُهُ كُلَّ مَنْهَلٍ، لَا يَأْتِي أَرْبَعَةَ مَسَاجِدَ: الْكَعْبَةَ، وَمَسْجِدَ الرَّسُولِ، وَالْمَسْجِدَ الْأَقْصَى، وَالطُّورَ»(١).

وبالإضافة إلى ما سبق من الاستعاذة من فتنة الدجال في الصلاة فقد كان يقول في الصلاة بعد التشهد وقبل السلام: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ»(٢).

وقد قال الحافظ الذهبي: الاستعاذة من الدجال متواترة عن الرسول ﷺ.

عودة المسيح:

من المعلوم أن السيد المسيح لم يمت وإنما رفعه اللَّه إليه، ثم يعيده مرة أخرى إلى الأرض لكي يقوم بمهمة أخرى كشفت عنها الأحاديث النبوية.

مثل قول الرسول ﷺ فيما يرويه عنه يَعْقُوبَ بْنَ عَاصِمِ بْنِ عُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيِّ يَقُولُ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو وَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: مَا هَذَا الْحَدِيثُ الَّذِي تُحَدِّثُ بِهِ؟ تَقُولُ: إِنَّ السَّاعَةَ تَقُومُ إِلَى كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ أَوْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهُمَا، لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ لَا أُحَدِّثَ أَحَدًا شَيْئًا أَبَدًا إِنَّمَا قُلْتُ: إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدَ قَلِيلٍ أَمْرًا عَظِيمًا يُحَرَّقُ الْبَيْتُ وَيَكُونُ وَيَكُونُ، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ، لَا أَدْرِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا، فَيَبْعَثُ اللَّهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ، ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّأْمِ فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ» قَالَ:

---

(١) صحيح، رواه أحمد في المسند (٢٢٥٨٠) وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح. وقال ابن حجر في فتح الباري (١٠٥/١٣): رجاله ثقات.

(٢) صحيح، رواه البخاري (١٣٧٧)، ومسلم (١٢٨/٥٨٨)، وأبو داود (٩٨٣)، والترمذي (٣٦٠٤)، والنسائي (١٣١٠، ٥٥٠٥)، وابن ماجه (٩٠٩).

سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ، وَأَحْلَامِ السِّبَاعِ، لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمْ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ: أَلَا تَسْتَجِيبُونَ؟! فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌّ رِزْقُهُمْ حَسَنٌ عَيْشُهُمْ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا، قَالَ: وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ قَالَ: فَيَصْعَقُ وَيَصْعَقُ النَّاسُ ....» (١).

معنى: أصغى ليتًا ورفع ليتًا: أي حرك رقبته ورفع رأسه ليصغي للصوت.

يلوط حوض إبله: أي يصلحه حتى تشرب منه الإبل.

كيف يمكن للمؤمنين أن يتعرفوا على عيسى عند نزوله؟

أما أوصافه فقد ذكرها الرسول ﷺ في قوله ليلة أُسري به: «لَقِيتُ مُوسَى قَالَ: فَنَعَتَهُ فَإِذَا رَجُلٌ حَسِبْتُهُ قَالَ: مُضْطَرِبٌ رَجِلُ الرَّأْسِ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ قَالَ: وَلَقِيتُ عِيسَى فَنَعَتَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: رَبْعَةٌ أَحْمَرُ كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ، يَعْنِي الْحَمَّامَ» (٢).

وكما يظهر من هذا الحديث فإن موسى رجل خفيف اللحم ممشوق مستدق، وهذا هو معنى قوله : «مضطرب»، وشعره ليس بشديد الجعودة ولا شديد السباطة، بل وسط بينهما، وهذا معنى: «رجل الرأس»، كأنه من شنوءة وهي قبيلة مشهورة في الجاهلية.

أما عيسى فهو وسط ليس بالطويل ولا بالقصير، إنما وسط بينهما، يبدو شكله كأنه يكاد يكون خارجًا من الحمام.

عيسى يصلي خلف المهدي:

من المكارم التي يكرم اللَّه بها هذه الأمة أن بعضهم أمراء على بعض، فلا يأخذ أحد

---

(١) صحيح، رواه مسلم (١١٦/٢٩٤٠).

(٢) جزء من حديث رواه البخاري (٣٣٩٤، ٣٤٣٧)، ومسلم (٢٧٢/١٦٨) كلاهما عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه.

موضع الإمام إلا إذا كان منهم، ولذلك فإن المهدي يصلي إمامًا بعيسى ابن مريم.

بدليل ما رواه جابر عن الرسول ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» ... قال: «فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ»[١].

ما هي المهمة المكلف بها المسيح عند عودته؟

سبق معنا أن أول المهام المنوطة بالمسيح عليه السلام هي قتل الدجال، وقد أوردنا حديثًا طويلًا يدل على ذلك، ولكن ليست هذه هي المهمة الوحيدة التي سيقوم بها المسيح ابن مريم، حيث إنه سيحكم بين الناس بالعدل، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، وقبل هذا وذاك، فإنه يدعو الناس إلى الإسلام حتى أن اللَّه يهلك في زمانه الملل كلها إلا الإسلام.

وفي رواية للشيخين قال الرسول ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»[٢].

ثم يقول أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [النساء][٣].

٥٢- خروج يأجوج ومأجوج:

يأجوج ومأجوج هما طائفتان من الترك من ذرية آدم من ولد يافث بن نوح عليه السلام فقد جاء في الصحيح:

عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ، قَالَ: وَمَا

---

(١) صحيح، رواه مسلم (٢٤٧/١٥٦).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٣٤٤٨)، ومسلم (٢٤٢/١٥٥).

(٣) صحيح، رواه البخاري (٣٤٤٨)، ومسلم (٢٤٢/١٥٥).

بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج:٢] قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَيُّنَا ذَلِكَ الْوَاحِدُ؟ قَالَ: أَبْشِرُوا فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلًا وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّعَرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَبْيَضَ، أَوْ كَشَعَرَةٍ بَيْضَاءَ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَسْوَدَ»[1].

والترك كما جاء وصفهم في صحيح البخاري: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا نِعَالُهُمْ الشَّعَرُ وَحَتَّى تُقَاتِلُوا التُّرْكَ صِغَارَ الْأَعْيُنِ حُمْرَ الْوُجُوهِ ذُلْفَ الْأُنُوفِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ»[2]. ولا تكاد تخلو هذه الصفات من سكان شرق آسيا، والله أعلم.

وأما من زعم أن منهم الطويل كالنخلة، ومنهم القصير كالشيء الحقير، ومنهم من له آذان يتغطى بإحداهما، ويتوطأ الأخرى، فقد تكلف ما لا علم له به، وقال ما لا دليل عليه.

وهم القوم الذين عزلهم ذو القرنين بالسد الذي بناه فحجز بين شر هؤلاء القوم المفسدين في الأرض والقوم الذين لا يكادون يفقهون قولًا، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا

(١) صحيح، رواه البخاري (٣٣٤٨).

(٢) صحيح، وراه البخاري (٣٥٨٩).

رَحۡمَةٌ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا ﴿٩٨﴾ وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا ﴿٩٩﴾﴾ [الكهف].

خروج هؤلاء القوم على الناس علامة من علامات الساعة قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الأنبياء :٩٦-٩٧].

وهؤلاء يخرجون على الناس بعد أن يقتل عيسى بن مريم المسيح الدجال كما جاء ذلك صريحًا في صحيح مسلم: «يَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمْ اللَّهُ مِنْهُ فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ، وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ»(١).

فبعد أن يملأ هؤلاء القوم الأرض فسادًا،، يَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ النَّغَفَ (نوع من الدود) فِي رِقَابِهِمْ فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى (قتلى) كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ (المرآة)، ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنْ الرُّمَّانَةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ (اللبن)، حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنْ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنْ النَّاسِ (الجماعة)، وَاللِّقْحَةَ مِنْ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنْ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنْ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنْ النَّاسِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَأْخُذُهُمْ

---

(١) صحيح، جزء من حديث طويل رواه مسلم (٢٩٣٧/١١٠).

تَحْتَ آبَاطِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ[1]. (أي يجامع الرجال النساء علانية بحضرة الناس كما تفعل الحمير ولا يكترثون بذلك).

٥٣، ٥٤- طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة:

جاء في الحديث الصحيح: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ فَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ فَذَلِكَ حِينَ: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨] »[2].

قال الحافظ في الفتح: والذي يترجح من مجموع الأخبار؛ أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العامة في معظم الأرض وينتهي ذلك بموت عيسى ابن مريم، وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي، وينتهي ذلك بقيام الساعة.أهـ.

ولعل خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب فقد أخرج مسلم بسنده عن عبد اللّه بن عمرو بن العاص رضي اللّه عنهما مرفوعًا: «إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى، وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا»[3].

قال الحاكم أبو عبد اللّه: الذي يظهر أن طلوع الشمس يسبق خروج الدابة ثم تخرج الدابة في ذلك اليوم أو الذي يقرب منه.

قال الحافظ: والحكمة في ذلك؛ أنه عند طلوع الشمس من المغرب يغلق باب التوبة، فتخرج الدابة تميز المؤمن من الكافر تكميلًا للمقصود من إغلاق باب التوبة.أهـ.

---

(١) اقرأ الحديث بحرفيته في صحيح مسلم (٢٩٣٧/١١٠).

(٢) صحيح، جزء من حديث رواه البخاري (٦٥٠٦).

(٣) صحيح، رواه مسلم (٢٩٤١/١١٨).

أخرج الإمام أحمد والترمذي عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال: «تَخْرُجُ الدَّابَّةُ وَمَعَهَا عَصَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام، وَخَاتَمُ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَام، فَتَخْطِمُ الْكَافِرَ -قَالَ عَفَّانُ (أحد رواة الحديث): أَنْفَ الْكَافِرِ- بِالْخَاتَمِ، وَتَجْلُو وَجْهَ الْمُؤْمِنِ بِالْعَصَا، حَتَّى إِنَّ أَهْلَ الْخِوَانِ لَيَجْتَمِعُونَ عَلَى خِوَانِهِمْ فَيَقُولُ هَذَا: يَا مُؤْمِنُ، وَيَقُولُ هَذَا: يَا كَافِرُ»(١).

- معنى تجلو وجه المؤمن: الجلي هو انحسار مقدم الشعر والمعنى تصقله وتبيضه.
- الخوان: هو ما يوضع عليه الطعام عند الأكل.

تضارب أقوال العلماء في تعين دابة الأرض إلى عدة أقول:

الأول: أنها فصيل ناقة صالح، قال القرطبي وهو أصحها واللَّه أعلم.

الثاني: أنها الجساسة المذكورة في حديث تميم الداري.

وقيل غير ذلك من الأقوال واللَّه أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

٥٥، ٥٦- آية الدخان والخسوف الثلاثة:

جاء في الحديث الذي رواه مسلم: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ. فَذَكَرَ: الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنْ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ»(٢).

٥٧- الجهجاه!!:

عن أبي هريرة قال الرسول عليه الصلاة والسلام: «لَا تَذْهَبُ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي حَتَّى

---

(١) رواه الترمذي (٣١٨٧) ضعفه الألباني، وأحمد في المسند (٧٨٧٧) وقال الأرناؤوط: إسناده ضعيف. وصححه أحمد شاكر في المسند (١٥/٧٩- ٨٢).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٢٩٠١/٣٩).

يَمْلِكَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ الْجَهْجَاهُ»(١). وقَالَ مُسْلِم: هُمْ أَرْبَعَةُ إِخْوَةٍ: شَرِيكٌ، وَعُبَيْدُ اللَّهِ، وَعُمَيْرٌ، وَعَبْدُ الْكَبِيرِ بَنُو عَبْدِ الْمَجِيدِ.

٥٨- آية النار وهم آيتان:

الآية الأولى: وهي التي ظهرت في الثالث من جمادي الآخرة عام (٦٥٤هـ)؛ وهي قوله في الصحيحين: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ تُضِيءُ أَعْنَاقَ الْإِبِلِ بِبُصْرَى»(٢).

وقد ظهرت هذه العلامة كما أخبر بها ﷺ فقد احترقت الحرة الشرقية من المدينة النبوية واستمرت النار ملتهبة فيها مدة طويلة، ولهبها يرى من بصرى الشام (وهي أرض حوران)، وما زالت حجارتها سوداء محترقة كالفحم إلى الآن، وكان ظهور هذه العلامة ليلة الأربعاء في الثالث من جمادي الآخرة من عام (٦٥٤هـ).

الآية الثانية: فهي لم تظهر بعد؛ فقد سأل عبد الله بن سلام رسول الله ﷺ عن أول أشراط الساعة فقال ﷺ: «أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنْ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ»(٣).

ولفظ آخر عند مسلم في بعض الطرق قال المصطفى ﷺ: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ. فَذَكَرَ: الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنْ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ»(٤).

(١) صحيح، رواه مسلم (٦١/٢٩١١)

(٢) صحيح، رواه البخاري (٧١١٨)، ومسلم (٤٢/٢٩٠٢) كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) صحيح، جزء من حديث رواه البخاري (٣٣٢٩، ٤٤٨٠).

(٤) صحيح، رواه مسلم (٣٩/٢٩٠١).

وهذا في الظاهر يعارض حديث البخاري حيث قال فيه النبي ﷺ: «أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنْ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ»[١].

ويجمع بينهما بأن آخريتها باعتبار ما ذكر معها من الآيات وأوليتها باعتبار أنها أول الآيات التي لا شيء بعدها من أمور الدنيا أصلًا، بل يقع بانتهائها النفخ في الصور، بخلاف ما ذكر معها؛ فإنه يبقى بعد كل آية منها أشياء من أمور الدنيا.

حال الناس عند قيام الساعة:

فقد جاء في صحيح البخاري عن النبي ﷺ: «وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا فَلَا يَتَبَايَعَانِهِ وَلَا يَطْوِيَانِهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ فَلَا يَطْعَمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يَلِيطُ حَوْضَهُ فَلَا يَسْقِي فِيهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أَحَدُكُمْ أُكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ فَلَا يَطْعَمُهَا»[٢].

معنى يليط حوضه: أي يصلحه بالطين والمدر فيسد شقوقه ليملأه، ويُسقى منه دوابه.

بداية الإنقلاب الحقيقي: (نفخة الفناء)

إذا أذن اللَّه جل جلاله بانقراض الكون وانتهاء الحياة الدنيا أمر إسرافيل أن ينفخ في الصور نفخة واحدة (نفخة الفناء) -فتنحل بهذه النفخة روابط هذا الكون- فترج الأرض رجًا، وتزلزل زلزالًا مروعًا، وتدك دكًا، وتُبس الجبال بسًا فكانت هباءً منبثًا، وتفجر البحار تفجيرًا، وتصاب السماء بانفطار عظيم ويبطل قانون الجاذبية المعروف الآن، وتتناثر النجوم والكواكب، وتنكدر الشمس، ويذهب ضوء الكل، وتنصهر الأجرام السماوية بجميع مجراتها فإذا هي كالنحاس المذاب، وصدق اللَّه العظيم إذ يقول: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨﴾ [المعارج]، وإذا العالم كله سديم وبخار كما كان قبل خلقه.

---

(١) صحيح، جزء من حديث رواه البخاري (٣٣٢٩، ٤٤٨٠).

(٢) صحيح، جزء من حديث رواه البخاري (٦٥٠٦).

وأما هذا الإنسان الذي يزعم أنه سيد هذا الكون، ولم يبرح يتطاول حتى على خالقه عندما يشاهد هذه الأهوال بعينه، ويسمع دويها بأذنيه، يفقد رشده وصوابه حتى يصبح كالفراش المبثوث في حمقه، ويصبح هائجًا مائجًا سكران من شدة الفزع والهول وما هو بسكران، مراضعه عما أرضعت ذاهلة، وحوامله لما في بطونها واضعة وها هي آيات رب الكون تنطق بكل ما سيجري:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢)﴾ [الحج].

﴿الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ (٥)﴾ [القارعة].

﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ (٨) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (٩)﴾ [المعارج].

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا (٣)﴾ [الزلزلة].

﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ (١) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ (٢) وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (٣)﴾ [الانفطار].

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣)﴾ [التكوير].

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢) خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ (٣) إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا (٤) وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا (٥) فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا (٦)﴾ [الواقعة].

نشوء الحياة الثانية:

بعد فناء العالم بنفخة إسرافيل نفخة الفناء كما تقدم آنفًا، فبعد أربعين لا ندري هل هي أربعون يومًا أو أربعون شهرًا أو أربعون سنة، بعد مضي هذا الوقت من الزمن يُنزل اللَّه تعالى من السماء ماءً فتنبت الأجسام تحت الأرض كما ينبت البقل، حيث يتفاعل هذا الماء مع عُظيم صغير في آخر سلسلة فقرات الظهر اسمه عَجْبُ الذنب، فإذا اكتملت الأجسام وأصبحت هياكل تامة التكوين تحت الأرض أرسل اللَّه الأرواح التي قبضها ملك الموت إلى الأجساد فتحيا، ثم ينادي مناد اللَّه

تبارك وتعالى: أن قوموا إلى ربكم، فتسمع وتجيب، وتنشق الأرض عنهم سراعًا، ويقومون من قبورهم أحياء للحشر بعد أن تم النشر، وهذه المعلومات اليقينية التي سقناها لك قد جاءت بها آيات قرآنية وصحت بها سنن نبوية لا مجال لإنكارها أو الشك فيها قال تعالى: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ق].

﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾ [القمر].

قد جاء في صحيح البخاري ومسلم واللفظ له: «مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ، قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالُوا: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالُوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ، ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ، قَالَ: وَلَيْسَ مِنْ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(١).

في هذا الحديث لم يبين أبو هريرة راوي الحديث لفظ الأربعين، هل هو أربعون يومًا أو شهرًا أو عامًا، غير أنه ورد في رواية أخرى مفسرًا بلفظ: «سنة»، قاله النووي في شرحه على صحيح مسلم.

الحشر في عرصات القيامة:

قال الرسول ﷺ في الصحيحين: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ لَيْسَ فِيهَا عَلَمٌ لِأَحَدٍ»(٢).

- معنى عفراء: أي بيضاء تميل إلى الحمرة قليلًا.
- وقرصة النقي: الخبز الأبيض السالم من الغش والنقي من النخالة.

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٤٨١٤، ٤٩٣٥)، ومسلم (٢٩٥٥/١٤١) واللفظ له.

(٢) صحيح، رواه البخاري (٦٥٢١)، ومسلم (٢٧٩٠/٢٨) واللفظ له، كلاهما عن سهل بن سعد.

- العلم: أو المعلم: هو البناء المرتفع.

وفي الصحيحين أيضًا: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؟! قَالَ ﷺ: يَا عَائِشَةُ، الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ»[١].

معنى غرلًا: جمع أغرل وهو من لم يختتن.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾﴾ [الفرقان].

وقيل للرسول ﷺ: كَيْفَ يُحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى رِجْلَيْهِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟!!»[٢].

قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾ [مريم].

- المعنى: وفدًا: قال ابن عباس أي: ركبانًا.

- وردًا: أي عطاشًا قد تقطعت أعناقهم من العطش؛ ولكنهم لا يردون إلى ماء بل إلى جهنم وجحيمها ومهلها وحميمها.

جاء في صحيح مسلم عن المقداد بن الأسود قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ»، قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ: فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ، أَمَسَافَةَ الأَرْضِ أَمْ الْمِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ؟ قَالَ: «فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٦٥٢٧)، ومسلم (٥٦/٢٨٥٩) واللفظ له عن عائشة رضي الله تعالى عنها.

(٢) صحيح، رواه البخاري (٤٧٦٠)، ومسلم (٥٤/٢٨٠٦) واللفظ له عن قتادة عن أنس رضي الله عنهما.

إِلْجَامًا». قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ(١).

- معنى حقويه: مثنى حقو وهو الخصر.

فسبحان اللَّه وبحمده واللَّه أكبر كانوا في الدنيا على السواء، يأكلون ويشربون ويلبسون ويركبون ويُرزقون يؤتاها من يحبُّه اللَّه تعالى ومن لا يحب، فلما جاء الموت عرف كل منهم سبيله، واتضح له مقيله، وأفضى كل منهم في برزخه إلى ما قدم، فبينما هم كذلك إذ صرخ بهم الصارخ، وصاح بهم الصائح، فخرجوا من الأجداث مسرعين، وإلى الداعي مهطعين، هؤلاء على الركائب، وهؤلاء على أقدامهم، وأولئك على وجوههم يحشرون، هؤلاء في النور ينظرون وأولئك في الظلمات لا يبصرون، هؤلاء إلى الرحمـٰن يَفدون، وأولئك إلى النار يُردون، هؤلاء حُلّوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابًا طهورًا، وأولئك لهم مقامعُ من حديد، يُصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود، هؤلاء عليهم حلل السندس والإستبرق، وأولئك مقرنون في الأصفاد سرابيلهم من قطران، وتغشى وجوههم النار هؤلاء يقال لهم: سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار، وأولئك يقال لهم: اخسأوا فيها ولا تكلمون، وما هم بخارجين من النار.

فحينئذ ظهر الفرقان، وامتاز الفريقان، وصار الغيب شهادة والسر علانية، فكم من كاسٍ في الدنيا عَظُمَ يومئذٍ عُرْيُهُ، وكم من طاعم في الدنيا عظم يومئذٍ جوعه، وكم من ريان في الدنيا اشتد يومئذٍ عطشه، وكم من ناعم في الدنيا اشتد يومئذٍ بأسه، ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص]، ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية].

أول من يدعى يوم القيامة آدم وإخراج بعث النار:

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ قال: «أَوَّلُ مَنْ يُدْعَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ آدَمُ،

(١) صحيح، رواه مسلم (٦٢/٢٨٦٤).

فَتَرَاءَى ذُرِّيَّتُهُ فَيُقَالُ: هَذَا أَبُوكُمْ آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ جَهَنَّمَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ كَمْ أُخْرِجُ؟ فَيَقُولُ: أَخْرِجْ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِذَا أُخِذَ مِنَّا مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ فَمَاذَا يَبْقَى مِنَّا؟ قَالَ: «إِنَّ أُمَّتِي فِي الْأُمَمِ كَالشَّعَرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ»(١).

وعن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، قَالَ: يَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ، قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، قَالَ: فَذَاكَ حِينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج:٢]»، قَالَ: فَاشْتَدَّ عَلَيْهِمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ؟ فَقَالَ: «أَبْشِرُوا فَإِنَّ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا وَمِنْكُمْ رَجُلٌ» قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ»، فَحَمِدْنَا اللَّهَ وَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ»، فَحَمِدْنَا اللَّهَ وَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، إِنَّ مَثَلَكُمْ فِي الْأُمَمِ كَمَثَلِ الشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ، أَوْ كَالرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الْحِمَارِ»(٢).

عذاب الممتنعين عن دفع زكاة أموالهم يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾ [آل عمران].

قال اللَّه عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ

(١) صحيح، رواه البخاري (٦٥٢٩).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٣٣٤٨، ٤٧٤١، ٦٥٣٠، ٧٤٨٣)، ومسلم (٣٧٩/٢٢٢).

ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة].

وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ مَالُهُ شُجَاعًا أَقْرَعَ، لَهُ زَبِيبَتَانِ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ -يَعْنِي: بِشِدْقَيْهِ- يَقُولُ: أَنَا مَالُكَ أَنَا كَنْزُكَ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الآيَةَ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٨٠] إِلَى آخِرِ الآيَةِ»(١).

عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ، لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ...»(٢).

حوض النبي ﷺ يوم القيامة:

ويرد المسلمون حوض النبي ﷺ ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وآنيته كنجوم السماء، من شرب منه فلا يظمأ أبدًا، وليردن على رسول اللّه ﷺ الحوض رجال من أمته يعرفهم بعلامة الوضوء غرًّا محجلين، ثم يُطردون عن الحوض لأنهم نكصوا على أعقابهم وغيَّروا بعده ﷺ وما أكثرهم هذا الزمان، **اللّهم يا مقلب القلوب ثبِّت قلوبنا على دينك.**

عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «تَرِدُ عَلَيَّ أُمَّتِي الْحَوْضَ وَأَنَا أَذُودُ النَّاسَ عَنْهُ كَمَا يَذُودُ الرَّجُلُ إِبِلَ الرَّجُلِ عَنْ إِبِلِهِ، قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَتَعْرِفُنَا؟ قَالَ: نَعَمْ، لَكُمْ سِيمَا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ غَيْرِكُمْ، تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ

(١) صحيح، رواه البخاري (٤٥٦٥).
(٢) صحيح، جزء من حديث رواه مسلم (٢٤/٩٨٧).

الْوُضُوءِ، وَلَيُصَدَّنَّ عَنِّي طَائِفَةٌ مِنْكُمْ فَلَا يَصِلُونَ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ هَؤُلَاءِ مِنْ أَصْحَابِي، فَيُجِيئُنِي مَلَكٌ فَيَقُولُ: وَهَلْ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ؟»(١).

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي اللَّه عنها قالت: قال النبي ﷺ: «إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ وَسَيُؤْخَذُ نَاسٌ دُونِي فَأَقُولُ: يَا رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي؟ فَيُقَالُ: هَلْ شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ؟ وَاللَّهِ مَا بَرِحُوا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ»(٢).

وقد اختلف العلماء في الحوض والورود عليه أين يكون ومتى الورود؟

فقيل: يكون قبل الصراط إذ يحشر الناس عطشى فيرد المؤمن الحوض ويتساقط الكفار في النار بعد أن يسألوا السقيا كما سيأتي، وقيل: إنه يكون بعد الحساب والميزان والصراط والأول أقرب فإن النبي ﷺ قد ضرب موعدًا لأصحابه رضي اللَّه عنهم على الحوض، فعن عبد اللَّه بن زيد ين عاصم رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال للأنصار: «إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ»(٣).

وعن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي اللَّه عنهما قال: قال النبي ﷺ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا»(٤).

وقد سُئل النبي ﷺ عن عرضه وعن شرابه كما جاء في حديث ثوبان فقال: «مِنْ مَقَامِي إِلَى عُمَّانَ»، وَسُئِلَ عَنْ شَرَابِهِ فَقَالَ: «أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، يَغُتُّ فِيهِ مِيزَابَانِ يَمُدَّانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ وَالْآخَرُ مِنْ وَرِقٍ»(٥) ورق: أي فضة.

---

(١) صحيح، رواه مسلم (٣٧/٢٤٧).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٦٥٩٣)، ومسلم (٢٢٩٣).

(٣) صحيح، رواه البخاري (٤٣٣٠)، ومسلم (١٣٩/١٠٦١).

(٤) صحيح، رواه البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٧/٢٢٩٢).

(٥) صحيح، رواه مسلم (٣٧/٢٣٠١).

طعام أهل الجنة يوم القيامة:

وفي هذا اليوم الطويل يكرم اللَّه جل ثناؤه عباده الذين ارتضى لهم الجنة دارًا ومسكنًا، ويقلب لهم الأرض خبزة واحدة فيأكلون منها حتى يدخلوا الجنة.

عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه عن رسول اللَّه ﷺ قال: «تَكُونُ الأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً يَكْفَؤُهَا الْجَبَّارُ بِيَدِهِ، كَمَا يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ، نُزُلًا لِأَهْلِ الْجَنَّةِ» قَالَ: فَأَتَى رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ: بَارَكَ الرَّحْمَنُ عَلَيْكَ أَبَا الْقَاسِمِ، أَلَا أُخْبِرُكَ بِنُزُلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «بَلَى» قَالَ: تَكُونُ الأَرْضُ خُبْزَةً وَاحِدَةً كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَنَظَرَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِإِدَامِهِمْ؟ قَالَ: «بَلَى» قَالَ: إِدَامُهُمْ بَالَامُ وَنُونٌ، قَالُوا: وَمَا هَذَا؟ قَالَ: ثَوْرٌ وَنُونٌ يَأْكُلُ مِنْ زَائِدَةِ كَبِدِهِمَا سَبْعُونَ أَلْفًا»(١).

شفاعة النبي ﷺ في إدخال من لا حساب عليه من أمته الجنة:

قال اللَّه عز وجل: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾﴾ [ق].

وقال اللَّه عز وجل: ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾﴾ [التكوير].

وعن أبي هريرة وحذيفة رضي اللَّه عنهما قالا: قال رسول اللَّه ﷺ: «يَجْمَعُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزْلَفَ لَهُمُ الْجَنَّةُ، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: يَا أَبَانَا اسْتَفْتِحْ لَنَا الْجَنَّةَ فَيَقُولُ: وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ؟ لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ اذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ...»(٢).

وقد رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا بِلَحْمٍ فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً(٣)، فَقَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ بِمَ ذَاكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٦٥٢٠)، ومسلم (٣٠/٢٧٩٢).

(٢) صحيح، جزء من حديث رواه مسلم (٣٢٩/١٩٥).

(٣) أي: أكل منها بمقدم أسنانه

صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُسْمِعُهُمْ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمْ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنْ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَمَا لَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَلَا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ؟ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ائْتُوا آدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنْ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى الْأَرْضِ وَسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ ﷺ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَذَكَرَ كَذَبَاتِهِ نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى فَيَأْتُونَ مُوسَى ﷺ فَيَقُولُونَ يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ فَضَّلَكَ اللَّهُ بِرِسَالَاتِهِ وَبِتَكْلِيمِهِ عَلَى النَّاسِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا فَيَقُولُ لَهُمْ مُوسَى ﷺ إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ﷺ، فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَلِمَةٌ مِنْهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ عِيسَى ﷺ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا

إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَأْتُونِّي فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ وَغَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنْ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنْ الْأَبْوَابِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى»(١).

- ما بين المصراعين: ما بين جانبي الباب من أبواب الجنة.
- هَجَرَ: قرية في البحرين.
- بصرىٰ: منطقة في بلاد الشام.

سؤال النبي ﷺ ربه عز وجل عدد الذين يدخلون الجنة من أمته بغير حساب وإجابة الكريم الوهاب:

عن أبي أمامة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال: «وَعَدَنِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا وَثَلَاثُ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ»(٢).

أمة محمد ﷺ أول من يحاسب من بين الأمم:

وفي هذا اليوم يُكرم اللَّه جل ثناؤه النبي ﷺ ومن اتبعه من المسلمين فهم وإن

(١) صحيح، رواه البخاري (٣٣٤٠، ٣٣٦١، ٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤/٣٢٧) واللفظ له.

(٢) صحيح، رواه الترمذي (٢٤٣٧)، وابن ماجه (٤٢٨٦)، صححه الألباني في صحيح الجامع (٧١١١)، وأحمد في المسند (٢١٨٠٠) واللفظ له، وقال الأرناؤوط: صحيح وهذا إسناد حسن.

كانوا آخر الأمم إلا أن اللَّه سبحانه يجعلهم أول من يحشر، وأول من يحاسب، وأول من يدخل الجنة.

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «نَحْنُ الْآخِرُونَ وَنَحْنُ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بَيْدَ أَنَّ كُلَّ أُمَّةٍ أُوتِيَتْ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ، ثُمَّ هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْنَا هَدَانَا اللَّهُ لَهُ، فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ الْيَهُودُ غَدًا، وَالنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ»(١).

وفي رواية عن أبي هريرة وحذيفة رضي اللَّه عنهما : «نَحْنُ الْآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَالْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمَقْضِيُّ لَهُمْ قَبْلَ الْخَلَائِقِ»(٢).

وعن ابن عباس رضي اللَّه عنهما أن النبي ﷺ قال: «نَحْنُ آخِرُ الْأُمَمِ وَأَوَّلُ مَنْ يُحَاسَبُ يُقَالُ: أَيْنَ الْأُمَّةُ الْأُمِّيَّةُ وَنَبِيُّهَا؟ فَنَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ»(٣).

من صور الحساب:

قال اللَّه عز وجل: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١﴾ [الأنبياء].

قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝٢٦﴾ [الغاشية].

وقال اللَّه تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝٧﴾ [الأعراف].

وقال اللَّه عز وجل: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ۝٢٠ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ۝٢١ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ۝٢٤ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ۝٢٥﴾ [القيامة].

وعن جرير بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ»(٤). بمعنى أنكم سترون ربكم رؤية واضحة كما ترون هذا القمر.

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٨٧٦، ٨٩٨، ٣٤٨٦)، ومسلم (١٩/٨٥٥).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٢٢/٨٥٦).

(٣) صحيح، رواه ابن ماجه (٤٢٩٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٧٤٩).

(٤) صحيح، رواه البخاري (٥٥٤، ٧٤٣٤)، ومسلم (٢١١/٦٣٣) واللفظ له.

كفر المتبوع بالتابع:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾ [مريم].

قال الله جل ثناؤه: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [يونس].

وقال الله عز وجل: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة].

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [سبأ].

في يوم القيامة وعند الحساب يقول الأتباع المستضعفون للكهنة والقساوسة والسادة والقادة: أنتم صددتمونا عن الهدى وأورثتمونا العذاب فيقول هؤلاء: نحن أمرناكم برفض الإسلام وأمرناكم باتخاذ الأنداد، فما كان منكم إلا السمع والطاعة، دون أن تفكروا فيما قلناه لكم.

تبرؤ الملائكة من المشركين:

قال الله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ].

تقول الملائكة سبحانك لا إله إلا أنت نحن عبيدك ونبرأ إليك من عبادتهم لنا ما أمرنا بذلك ولكنهم كانوا يعبدون الشياطين وبهم يؤمنون.

فيقول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [سبأ].

عجز الأوثان عن نصر الكافرين:

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾ [الكهف].

وقال اللَّه عز وجل: ﴿وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [القصص].

وقال جل ثناؤه: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنعام].

يخبر اللَّه عز وجل عما يوبخ به المشركين يوم القيامة: ادعوا الآلهة التي كنتم تعبدونها في الحياة الدنيا هل ينصرونكم أو ينتصرون؟ يقول تعالى: ﴿ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [القصص].

تبرؤ المسيح عليه السلام ممن اتخذه وأمه إلهين من دون الواحد القهار:

قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة].

يقول عيسى عليه السلام: يا رب ما يكون لي أن أقول ما ليس من حقي، يا رب إنه لا يخفى عليك شيء، يا رب ما أمرتهم إلا بما أرسلتني به: إن اللَّه ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم وكنت شهيدًا عليهم مدة حياتي بينهم وأنا يا رب بريء مما أحدثوا بعدي والأمر بيدك، يا رب فافعل بهم ما تشاء.

قال تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١٩﴾ [المائدة].

يقول تعالى مجيبًا عبده ورسوله عيسى عليه السلام هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم، أي: الموحدين الموقنين المخلصين الخاشعين بما يكون لهم من ثواب في جنان الخلد التي تجري من تحتها الأنهار ورضوان من اللَّه أكبر وذلك هو الفوز العظيم.

من فضائل هذه الأمة شهادتهم على الأمم جميعًا يوم القيامة:

ثم يُدعى الرسل والأنبياء وأممهم يوم القيامة فتنكر الأمم تبليغ الرسل فتشهد هذه الأمة على قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم شعيب وغيرهم أن رسلهم بلغتهم وأنهم كذّبوا رسلهم، عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «يُجَاءُ بِنُوحٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ، فَتُسْأَلُ أُمَّتُهُ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا جَاءَنَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ شُهُودُكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ فَيُجَاءُ بِكُمْ فَتَشْهَدُونَ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ [البقرة :١٤٣] قَالَ: عَدْلًا ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ [البقرة :١٤٣]»[1].

وعنه أيضًا رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «يَجِيءُ النَّبِيُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلَانِ وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَيُدْعَى قَوْمُهُ فَيُقَالُ لَهُمْ: هَلْ بَلَّغَكُمْ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: لَا، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَّغْتَ قَوْمَكَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لَهُ: مَنْ

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٧٣٤٩).

يَشْهَدُ لَكَ، فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَيُدْعَى مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: هَلْ بَلَّغَ هَذَا قَوْمَهُ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُقَالُ: وَمَا عِلْمُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جَاءَنَا نَبِيُّنَا فَأَخْبَرَنَا أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ بَلَّغُوا فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة :١٤٣] قَالَ: يَقُولُ: عَدْلًا ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة :١٤٣]»(١).

مناقشة الحساب:

ثم يحاسب اللَّه عز وجل عباده فمنهم من يناقشه في الحساب ويستقصي عليه ويوقفه على قبيح أعماله ثم يساق إلى جهنم، قال اللَّه عز وجل: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [مريم]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران :٣٠].

السؤال يومئذ عن خمس:

عن عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال: «لَا تَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ، وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ»(٢).

وكذلك اليوم تنسى:

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا، قَالَ: فَيَلْقَى الْعَبْدَ فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ وَأُسَوِّدْكَ وَأُزَوِّجْكَ وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فَيَقُولُ:

(١) صحيح، رواه أحمد في المسند (١١١٦٤) وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) حسن، رواه الترمذي (٢٤١٦)، حسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٢٩٩).

لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي، ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِيَ فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ وَأُسَوِّدْكَ وَأُزَوِّجْكَ وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، أَيْ رَبِّ فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي، ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ آمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ وَبِرُسُلِكَ وَصَلَّيْتُ وَصُمْتُ وَتَصَدَّقْتُ وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ، فَيَقُولُ: هَاهُنَا إِذًا قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الْآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ، وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ: انْطِقِي فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ وَذَلِكَ لِيُعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ، وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللَّهُ عَلَيْهِ»[١].

وفي حديث أنس عند مسلم: « ... ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ قَالَ: فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ»[٢].

وعن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ؛ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ بِي»[٣].

من نوقش العذاب عُذِّب:

عن عائشة أم المؤمنين رضي اللَّه عنها أن رسول اللَّه ﷺ قال: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا هَلَكَ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [الانشقاق] فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا ذَلِكِ الْعَرْضُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُنَاقَشُ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا عُذِّبَ»[٤].

---

(١) صحيح، رواه مسلم (١٦/٢٩٦٨).

(٢) صحيح، جزء من حديث رواه مسلم (١٧/٢٩٦٩).

(٣) صحيح، رواه البخاري (٦٥٥٧) واللفظ له، ومسلم (٥١/٢٨٠٥).

(٤) صحيح، رواه البخاري (٦٥٣٧)، ومسلم (٧٩/٢٨٧٦).

لا ترجمان بين العبد وبين ربه عز وجل:

عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»[١].

أول ما يحاسب الناس عليه يومئذ:

أول ما يحاسب العبد عليه يومئذ الصلاة فإن صَلُحت صَلُح له سائر عمله.

عن أنس بن حكيم الضبيّ قال : خَافَ مِنْ زِيَادٍ أَوْ ابْنِ زِيَادٍ فَأَتَى الْمَدِينَةَ فَلَقِيَ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: فَنَسَبَنِي فَانْتَسَبْتُ لَهُ، فَقَالَ: يَا فَتَى أَلَا أُحَدِّثُكَ حَدِيثًا؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلَى رَحِمَكَ اللَّهُ، قَالَ يُونُسُ -أحد رواة الحديث-: وَأَحْسَبُهُ ذَكَرَهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ النَّاسُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ الصَّلَاةُ، قَالَ: يَقُولُ رَبُّنَا جَلَّ وَعَزَّ لِمَلَائِكَتِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ: انْظُرُوا فِي صَلَاةِ عَبْدِي أَتَمَّهَا أَمْ نَقَصَهَا، فَإِنْ كَانَتْ تَامَّةً كُتِبَتْ لَهُ تَامَّةً، وَإِنْ كَانَ انْتَقَصَ مِنْهَا شَيْئًا قَالَ: انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ؟ فَإِنْ كَانَ لَهُ تَطَوُّعٌ قَالَ: أَتِمُّوا لِعَبْدِي فَرِيضَتَهُ مِنْ تَطَوُّعِهِ، ثُمَّ تُؤْخَذُ الْأَعْمَالُ عَلَى ذَلِك»[٢].

الحساب اليسير:

ويدني الله عز وجل بعض المؤمنين الذين أسرفوا على أنفسهم فيعرض عليهم أعمالهم ويقررهم ويذكرهم بذنوب عملوها في الدنيا، ثم يعفو ليعلموا منّة الله جل ثناؤه على أهل الإيمان والإسلام.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٧٥١٢)، ومسلم (١٠١٦/٦٧).

(٢) صحيح، رواه أبو داود (٨٦٤) صححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٧١)، وأحمد في المسند (٩٢١٠) وقال الأرناؤوط: صحيح وهذا إسناد ضعيف.

الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيَقُولُ الأَشْهَادُ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود:١٨]»(١).

أول ما يقضى بين الناس يومئذ في الدماء:

عن عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ»(٢).

قال العلماء: ليس هذا الحديث مخالفًا للحديث المتقدم: «أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ النَّاسُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ الصَّلَاةُ»(٣)؛ لأن هذا الأخير فيما يتعلق بعبادة الخالق أما الآخر فهو فيما يتعلق بمعاملات الخلق.

كيفية القصاص يومئذ:

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ»(٤).

وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٢٤٤١) واللفظ له، ومسلم (٥٢/٢٧٦٨).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٦٨٦٤)، ومسلم (٢٨/١٦٧٨) واللفظ له.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) صحيح، رواه البخاري (٢٤٤٩).

هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»(١).

المُراؤون أول الناس الذين يقضى عليهم يوم القيامة:

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ؛ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ؛ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ؛ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»(٢).

المصورون من أشد الناس عذابًا يومئذٍ:

عن عائشة أم المؤمنين رضي اللَّه عنها قالت: قال النبي ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُصَوِّرُونَ هَذِهِ الصُّوَرَ»(٣).

وعن عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما أن رسول اللَّه ﷺ قال: «إِنَّ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ هَذِهِ الصُّوَرَ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ»(٤).

---

(١) صحيح، رواه مسلم (٢٥٨١/٥٩) واللفظ له، والترمذي (٢٤١٨).

(٢) صحيح، رواه مسلم (١٩٠٥/١٥٢) واللفظ له، والنسائي (٣١٣٧).

(٣) صحيح، رواه البخاري (٦١٠٩).

(٤) صحيح، رواه البخاري (٥٩٥١)، ومسلم (٢١٠٨/٩٧).

عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ، يَجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسًا فَتُعَذِّبُهُ فِي جَهَنَّمَ»(١).

الذين لا يعودون المرضى. ولا يطعمون ولا يسقون المحتاجين:

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟! قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟! قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟! قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي»(٢).

صبغة النار وصبغة الجنة:

عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ»(٣).

وعن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «يُؤْتَى بِالرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَقُولُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ كَيْفَ وَجَدْتَ مَنْزِلَكَ؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ خَيْرُ مَنْزِلٍ،

(١) صحيح، رواه مسلم (٢١١٠/٩٩).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٢٥٦٩/٤٣).

(٣) صحيح، رواه مسلم (٢٨٠٧/٥٥).

فَيَقُولُ: سَلْ وَتَمَنَّ، فَيَقُولُ: مَا أَسْأَلُ وَأَتَمَنَّى إِلَّا أَنْ تَرُدَّنِي إِلَى الدُّنْيَا فَأُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ عَشْرَ مَرَّاتٍ، لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ، وَيُؤْتَى بِالرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَيَقُولُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ كَيْفَ وَجَدْتَ مَنْزِلَكَ؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ شَرُّ مَنْزِلٍ، فَيَقُولُ لَهُ: أَتَفْتَدِي مِنْهُ بِطِلَاعِ الْأَرْضِ ذَهَبًا؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ نَعَمْ، فَيَقُولُ: كَذَبْتَ قَدْ سَأَلْتُكَ أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ وَأَيْسَرَ فَلَمْ تَفْعَلْ، فَيُرَدُّ إِلَى النَّارِ»(١).

قِصَر يوم القيامة على المؤمنين:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يوم القيامة على المؤمنين كقدر ما بين الظهر والعصر»(٢).

صفة حساب رجل ممن شاء الله تعالى أن يغفر له بالرغم من كثرة سيئاته:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟ فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي

---

(١) صحيح، رواه أحمد (١٢٧٥٠) وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، وروى النسائي جزء منه (٣١٦٠) صححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٩٦).

(٢) صحيح، رواه الحاكم في المستدرك (٢٨٤/٢٨٤)، صححه الألباني في صحيح الجامع (٨١٩٣).

كَفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتْ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتْ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ»[١].

الأمر باتباع كل أمة ما كانت تعبد وسقوط الكفار في النار، وكشف الساق، وتحول الخلائق من الموقف والمرور على الصراط وشفاعة النبي ﷺ والنبيين والملائكة عليهم السلام والمؤمنين وشفاعة أرحم الراحمين؛ ثم ينادي المنادي: ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون، فيسمعون ويطيعون ويتساقطون في جهنم ولا يبقى إلا من كان يعبد اللَّه من بَرٍّ وفاجر فيأتيهم اللَّه جل ثناؤه في صورة غير التي رأوه فيها أول مرة فيقول: أنا ربكم، فيستعيذون باللَّه منه ويقولون: إذا جاء ربنا عرفناه، فيقول: هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها؟ فيقولون: نعم الساق، فيكشف الرحمن عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ويستعصي السجود على المنافق والمرائي، ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول تبارك وتعالى في صورته الأولى فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت، ثم يؤتى بالصراط فيجعل بين ظهري جهنم ويمر الناس عليه إلى الجنة وهو أدق من الشعرة، وأحدّ من السيف، وسرعة الناس عليه على قدر أعمالهم فالمؤمن كالطرف، وكالبرق، وكالريح، وكأجاويد الخيل والركاب، وعلى الصراط خطاطيف مأمورة، فمن الناس من ينجو، ومنهم من يخدش، ومنهم الموبق بعمله، فإذا فرغ اللَّه عز وجل من القضاء بين عباده أذن للشافعين في إخراج المؤمنين الذين أوبقتهم أعمالهم في النار، فيخرجون وقد ماتوا وتفحموا فيلقون في نهر الحياة بأفواه الجنة فينبتون كما تنبت الحبة فيخرجون كأنهم اللؤلؤ، ثم يدخلهم اللَّه جل ثناؤه الجنة.

حديث الصراط:

عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا؟» قُلْنَا: لَا،

---

(١) صحيح، رواه الترمذي (٢٦٣٩) واللفظ له، وابن ماجه (٤٣٠٠) صححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٧٦)، وأحمد في المسند (٦٩٥٥) وقال الأرناؤوط: إسناده قوي رجاله ثقات رجال الصحيح غير إبراهيم بن إسحاق الطالقاني، والحاكم في المستدرك (٩/٩) وقال: هذا حديث صحيح ولم يخرج في الصحيحين، وهو صحيح على شرط مسلم.

قَالَ: «فَإِنَّكُمْ لَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَتِهِمَا» ثُمَّ قَالَ: «يُنَادِي مُنَادٍ: لِيَذْهَبْ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيبِهِمْ، وَأَصْحَابُ الْأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ، وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ، حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ وَغُبَّرَاتٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَأَنَّهَا سَرَابٌ، فَيُقَالُ لِلْيَهُودِ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللَّهِ فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟ قَالُوا: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا، فَيُقَالُ: اشْرَبُوا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ، ثُمَّ يُقَالُ لِلنَّصَارَى: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ، فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا، فَيُقَالُ: اشْرَبُوا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ، حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا يَحْبِسُكُمْ وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ؟ فَيَقُولُونَ: فَارَقْنَاهُمْ وَنَحْنُ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَيْهِ الْيَوْمَ، وَإِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، وَإِنَّمَا نَنْتَظِرُ رَبَّنَا، قَالَ: فَيَأْتِيهِمُ الْجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا فَلَا يُكَلِّمُهُ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ؟ فَيَقُولُونَ: السَّاقُ فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ رِيَاءً وَسُمْعَةً فَيَذْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدَ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا، ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجَسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْجَسْرُ؟ قَالَ: «مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ تَكُونُ بِنَجْدٍ يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا، فَمَا أَنْتُمْ بِأَشَدَّ لِي مُنَاشَدَةً فِي الْحَقِّ، قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِ يَوْمَئِذٍ لِلْجَبَّارِ، وَإِذَا رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ نَجَوْا فِي إِخْوَانِهِمْ يَقُولُونَ: رَبَّنَا إِخْوَانُنَا كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا وَيَصُومُونَ مَعَنَا وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، وَيُحَرِّمُ اللَّهُ صُوَرَهُمْ عَلَى النَّارِ،

فَيَأْتُونَهُمْ وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ فِي النَّارِ إِلَى قَدَمِهِ وَإِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا ثُمَّ يَعُودُونَ فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا ثُمَّ يَعُودُونَ فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا». قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَإِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي فَاقْرَءُوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠] «فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ، فَيَقُولُ الْجَبَّارُ: بَقِيَتْ شَفَاعَتِي، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ أَقْوَامًا قَدْ امْتُحِشُوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرٍ بِأَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ فِي حَافَتَيْهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، قَدْ رَأَيْتُمُوهَا إِلَى جَانِبِ الصَّخْرَةِ وَإِلَى جَانِبِ الشَّجَرَةِ، فَمَا كَانَ إِلَى الشَّمْسِ مِنْهَا كَانَ أَخْضَرَ، وَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ كَانَ أَبْيَضَ، فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمْ اللُّؤْلُؤُ، فَيُجْعَلُ فِي رِقَابِهِمْ الْخَوَاتِيمُ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فَيَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ: هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ الرَّحْمَنِ أَدْخَلَهُمْ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلُهُ مَعَهُ»(١).

امتحشوا: أي احترقوا.

رواية أخرى لحديث الصراط:

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قَالَ أُنَاسٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ، يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمْ اللَّهُ فِي غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا أَتَانَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمْ اللَّهُ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ:

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٧٤٤٠) واللفظ له، ومسلم (١٨٣/٣٠٢).

أَنْتَ رَبُّنَا، فَيَتْبَعُونَهُ وَيُضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ». قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ وَدُعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَبِهِ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، أَمَا رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهَا لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ، فَتَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، مِنْهُمُ الْمُوبَقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمُ الْمُخَرْدَلُ، ثُمَّ يَنْجُو حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ مِنَ النَّارِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ مِمَّنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوهُمْ، فَيَعْرِفُونَهُمْ بِعَلَامَةِ آثَارِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ مِنِ ابْنِ آدَمَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيُخْرِجُونَهُمْ قَدِ امْتُحِشُوا، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءٌ يُقَالُ لَهُ: مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، وَيَبْقَى رَجُلٌ مِنْهُمْ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا فَاصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ، فَلَا يَزَالُ يَدْعُو اللَّهَ فَيَقُولُ: لَعَلَّكَ إِنْ أَعْطَيْتُكَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ؟ فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، فَيَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، ثُمَّ يَقُولُ: بَعْدَ ذَلِكَ يَا رَبِّ قَرِّبْنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: أَلَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ؟ وَيْلَكَ ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ، فَلَا يَزَالُ يَدْعُو فَيَقُولُ: لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ تَسْأَلُنِي غَيْرَهُ؟ فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، فَيُعْطِي اللَّهَ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهُ، فَيُقَرِّبُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا رَأَى مَا فِيهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: رَبِّ أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَوَلَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ؟ وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ لَا تَجْعَلْنِي أَشْقَى خَلْقِكَ، فَلَا يَزَالُ يَدْعُو حَتَّى يَضْحَكَ، فَإِذَا ضَحِكَ مِنْهُ أَذِنَ لَهُ بِالدُّخُولِ فِيهَا، فَإِذَا دَخَلَ فِيهَا قِيلَ لَهُ: تَمَنَّ مِنْ كَذَا فَيَتَمَنَّى، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: تَمَنَّ مِنْ كَذَا فَيَتَمَنَّى حَتَّى تَنْقَطِعَ بِهِ الْأَمَانِيُّ، فَيَقُولُ لَهُ: هَذَا لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ».

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَذَلِكَ الرَّجُلُ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا. قَالَ عَطَاءٌ: وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ جَالِسٌ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ لَا يُغَيِّرُ عَلَيْهِ شَيْئًا مِنْ حَدِيثِهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ: «هَذَا لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ» قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «هَذَا لَكَ

وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: حَفِظْتُ مِثْلَهُ مَعَهُ[١].

شفاعة النبي ﷺ في إخراج المؤمنين من النار:

فإذا قضى اللَّه جل ذكره بين العباد وعرف كلٌ سبيله، أذن سبحانه بالشفاعة، فيشفع الأنبياء والملائكة والمؤمنون فيمن كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، وشفع الملائكة فيمن احترق من أهل الذنوب والمعاصي، حتى إذا شفع هؤلاء قال الرحمن: بقيت شفاعتي، فيقبض قبضة من النار فيخرج أقوامًا قد امتحشوا فيلقون في نهر بأفواه الجنة يقال له: ماء الحياة فينبتون في حافتيه.

عن معبد بن هلال عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال: حدثنا محمد ﷺ قال: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللَّهِ، فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى فَإِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ، فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَأْتُونِي فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي، وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا لَا تَحْضُرُنِي الْآنَ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ أَوْ خَرْدَلَةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٦٥٧٤) واللفظ له، ومسلم (١٨٢/٢٩٩).

حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنْ النَّارِ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ»(١).

شفاعة النبي ﷺ في أهل الكبائر من أمته:

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا»(٢).

أسعد الناس بشفاعة النبي ﷺ:

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ»(٣).

إخراج العصاة الموحدين من النار بعد موتهم فيها رحمة من عند اللَّه تعالى:

عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمْ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ -أَوْ قَالَ: بِخَطَايَاهُمْ- فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ: كَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ كَانَ بِالْبَادِيَةِ»(٤).

قال النووي رحمه اللَّه: وأما معنى الحديث فالظاهر واللَّه أعلم أن الكفار الذين هم أهل النار والمستحقون للخلود لا يموتون فيها ولا يحيون، كما قال تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر:٣٦]، كما قال تعالى:

(١) صحيح، رواه البخاري (٧٥١٠) واللفظ له، ومسلم (٣٢٦/١٩٣).
(٢) صحيح، رواه البخاري (٦٣٠٤)، ومسلم (٣٣٨/١٩٩) واللفظ له.
(٣) صحيح، رواه البخاري (٩٩).
(٤) صحيح، رواه مسلم (٣٠٦/١٨٥).

﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝١٣﴾ [الأعلى]، وهذا جارٍ على أهل الحق أن نعيم أهل الجنة دائم وأن عذاب أهل الخلود في النار دائم، وأما قوله: «وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمْ النَّارُ ... » إلى آخره فمعناه أن المذنبين من المؤمنين يميتهم اللَّه تعالى إماتة بعد أن يعذبوا المدة التي أرادها اللَّه تعالى، هذه الإماتة إماتة حقيقية يذهب معها الإحساس، ويكون عذابهم على قدر ذنوبهم، ثم يميتهم ثم يكونون محبوسين في النار من غير إحساس المدة التي قدرها اللَّه تعالى، ثم يخرجون من النار موتى قد صاروا فحمًا فيحملون ضبائر كما تحمل الأمتعة ويلقون على أنهار الجنة فيصب عليهم ماء الحياة فيحيون وينبتون ويصيرون إلى منازلهم، وتكتمل أحوالهم فهذا هو الظاهر من لفظ الحديث ومعناه، واللَّه أعلم.

أصحاب الأعراف:

قال اللَّه عز وجل: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٤ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ۝٤٥ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ۝٤٦ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٧ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ۝٤٨ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ۝٤٩﴾ [الأعراف].

وعن حذيفة رضي اللَّه عنه قال: «أصحاب الأعراف قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار، وقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة، فإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا: ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين، فبينما هم كذلك إذا اطّلع عليهم ربك قال: «قوموا ادخلوا الجنة، فإني قد غفرت لكم»[(١)].

---

(١) صحيح، رواه الحاكم في المستدرك (٣٦٤/٣٢٤٧) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

قال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه: لما ذكر اللَّه تعالى مخاطبة أهل الجنة مع أهل النار، نبه أن بين الجنة والنار حجابًا وهو الحاجز المانع من وصول أهل النار إلى الجنة.

قال ابن جرير الطبري رحمه اللَّه: وهو السور الذي قال اللَّه تعالى فيه: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد :١٣]وهو الأعراف الذي قال تعالى فيه: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ [الأعراف :٤٦] قال: والأعراف جمع عرف وكل مرتفع من الأرض عند العرب يسمى عرفًا، وإنما قيل لعرف الديك عرفًا لارتفاعه.

قال ابن كثير: واختلفت عبارات المفسرين في أصحاب الأعراف من هم؟ وكلها قريبة ترجع إلى معنى واحد، وهو أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، نص عليه حذيفة وابن عباس وابن مسعود وغير واحد من السلف والخلف رحمهم اللَّه.

القنطرة بين الصراط والجنة:

فإذا جاء المؤمنون على الصراط، ونجوا من النار، وشُفِّعوا فيمن أذن اللَّه تعالى من أهل النار دخلوا الجنة، إلا من كانت له مظلمة عند أخيه، فإنهم يُحبسون على قنطرة بين الجنة والنار لِيُقتصَّ لبعضهم من بعض، ثم يؤذن لهم في دخول الجنة.

عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ النَّارِ فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا»(١).

قال الحافظ ابن حجر: لعل أصحاب الأعراف منهم يعني -رحمه اللَّه- الذين كانت عندهم مظالم كثيرة لإخوانهم بحيث تستوي حسناتهم وسيئاتهم فيطول حبسهم ويرون أصحاب الصراط يسقطون في النار فيُشفقون منها ويرون أصحاب الجنة فينادونهم ﴿أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ [الأعراف :٤٦].

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٦٥٣٥).

النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء:

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال النبي ﷺ: «تَحَاجَّتْ الجَنَّةُ وَالنَّارُ فَقَالَتْ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتْ الجَنَّةُ: مَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ؟ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا، فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ، فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَلَا يَظْلِمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَأَمَّا الجَنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا»[1].

الموت يذبح بين الجنة والنار:

عن ابن عمر قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إِذَا صَارَ أَهْلُ الجَنَّةِ إِلَى الجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ، جِيءَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ ثُمَّ يُذْبَحُ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ لَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ، فَيَزْدَادُ أَهْلُ الجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ، وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ»[2].

صفة النار ومن هم أهلها

تلاعن المشركين في النار:

ثم يُلقى المشركون في النار أُمةً بعد أُمة، جنّهم وإنسهم كلما دخلت أُمة لعنت أختها، حتى إذا اجتمع فيها أهلها جميعًا شكت آخر أمة إلى اللَّه تعالى أول أمة؛ لأنهم الذين أضلوهم السبيل، فتقول أول أُمة لآخر أُمة: لقد ضللتم كما ضللنا، على الرغم من الحجج الكثيرة التي قامت علينا وعليكم في الدنيا على ألسنة الرسل، ولو هدانا اللَّه لهديناكم، سواء علينا وعليكم أصبرنا أم جزعنا ما لنا من خلاص.

قال اللَّه جل ذكره: ﴿قَالَ ٱدْخُلُواْ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ

(١) صحيح، رواه البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦/٣٦).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٦٥٤٨)، ومسلم (٢٨٥٠/٤٣).

فِي ٱلنَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الأعراف].

وقال اللَّه تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ بَلَىٰ قَالُواْ فَٱدْعُواْ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾﴾ [غافر].

وقال اللَّه عز وجل: ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾ [إبراهيم].

وقال جل ثناؤه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب].

وقال اللَّه جل ذكره: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الشعراء].

تبرؤ الشيطان من أتباعه في النار:

فإذا قضىٰ اللَّه بين عباده يُلقى الذين كفروا في جهنم فيناديهم الشيطان ويتبرأ من أن يكون شريكًا للَّه كما جعلوه في الحياة الدنيا فاطاعوه واتبعوه حتى عصوا اللَّه ورسله.

قال اللَّه جل ثناؤه: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [إبراهيم].

يقول إبليس: لا أستطيع اليوم أن أنفعكم فأخلصكم من العذاب الأليم، ولا تقدرون أنتم على شيء من ذلك فتخلصوني مما أنا فيه من العذاب العظيم، إن اللَّه عز وجل وعدكم وعدًا صادقًا فعصيتم وكذبتم، ووعدتكم وعدًا كاذبًا فأجبتم وصدقتم فلا تلوموني ولوموا أنفسكم.

حسرة أهل النار وندامتهم:

قال اللَّه جل ثناؤه: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان].

وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال النبي ﷺ: «لَا يَدْخُلُ أَحَدٌ الْجَنَّةَ إِلَّا أُرِيَ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ لَوْ أَسَاءَ لِيَزْدَادَ شُكْرًا، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ إِلَّا أُرِيَ مَقْعَدَهُ مِنْ الْجَنَّةِ لَوْ أَحْسَنَ لِيَكُونَ عَلَيْهِ حَسْرَةً»[1].

وعن عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ، جِيءَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ثُمَّ يُذْبَحُ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ، فَيَزْدَادُ أَهْلُ

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٦٥٦٩).

الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ، وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ»(١).

وزاد مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [مريم]، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الدُّنْيَا(٢).

دوام عذاب أهل النار:

قال الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل النار ليبكون حتى لو أجريت السفن في دموعهم لجرت وإنهم ليبكون الدم»(٣).

أصفاد النار وقطرانها:

قال الله عز وجل: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥﴾﴾ [الرعد]. وقال الله جل ثناؤه: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾﴾ [إبراهيم].

شجرة الزقوم:

وقال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٦٥٤٨)، ومسلم (٢٨٥٠/٤٣).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٢٨٤٩/٤٠).

(٣) صحيح، رواه الحاكم في المستدرك (٨٧٩١/١١٦) عن سلام بن مسكين وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٠٣٢).

ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الدخان].

وقال اللَّه تعالى: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الصافات].

وعن عبد اللَّه بن عباس رضي اللَّه عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الزَّقُّومِ قُطِرَتْ فِي دَارِ الدُّنْيَا لَأَفْسَدَتْ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا مَعَايِشَهُمْ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَكُونُ طَعَامَهُ؟!»(١).

صديدها:

قال اللَّه عز وجل: ﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾ [إبراهيم].

قال اللَّه جل ثناؤه: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾ [الحج].

---

(١) صحيح، رواه الترمذي (٢٥٨٥)، وابن ماجه (٤٣٢٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٢٥٠).

عقوبة الذين يأمرون بالمعروف ولا يفعلونه وينهون عن المنكر ويأتونه:

عن أسامة بن زيد رضي اللَّه عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ مَا لَكَ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنْ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَى قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَى عَنْ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ»[(١)].

عمق قعرها:

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ سَمِعَ وَجْبَةً فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَدْرُونَ مَا هَذَا؟» قَالَ: قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا»[(٢)].

وقال عتبة بن غزوان رضي اللَّه عنه: «ذُكِرَ لَنَا أَنَّ الْحَجَرَ يُلْقَى مِنْ شَفَةِ جَهَنَّمَ فَيَهْوِي فِيهَا سَبْعِينَ عَامًا لَا يُدْرِكُ لَهَا قَعْرًا، وَوَاللَّهِ لَتُمْلَأَنَّ»[(٣)].

إحاطة النار بأهلها:

قال اللَّه عز جل: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾ [الزمر].

قال اللَّه تعالى: ﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [الأنبياء].

أهون أهل النار عذابًا:

عن النعمان بن بشير رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا مَنْ لَهُ نَعْلَانِ وَشِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلِ الْمِرْجَلُ، مَا

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٣٢٦٧)، ومسلم (٥١/٢٩٨٩).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٣١/٢٨٤٤).

(٣) صحيح، جزء من حديث رواه مسلم (١٤/٢٩٦٧).

يَرَى أَنَّ أَحَدًا أَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا، وَإِنَّهُ لأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا»(١).

تفاوت العذاب فيها:

عن سُمرة بن جندب رضي الله عنهما أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى حُجْزَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى تَرْقُوَتِهِ»(٢). حجزته: منطقة الخصر ومنتصف الجسم.

قال الله عز وجل: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾﴾ [المدثر] أي: أنها تأكل لحومهم وعروقهم وعصبهم وجلودهم ثم تبدل غير ذلك وهم في ذلك لا يموتون ولا يحيون.

وقال الله تعالى: ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [المعارج] أي: أنها لشدة حرارتها تبري الجلد عن العظم وتنزعه ثم يبدل بعد ذلك.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً؟ قَالَ: «فُضِّلَتْ عَلَيْهِنَّ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا»(٣).

صفة خلق الكافر فيها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ضِرْسُ الْكَافِرِ أَوْ نَابُ الْكَافِرِ مِثْلُ أُحُدٍ وَغِلَظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلَاثٍ»(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَا بَيْنَ مَنْكِبَيْ الْكَافِرِ مَسِيرَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ لِلرَّاكِبِ الْمُسْرِعِ»(٥).

---

(١) صحيح، رواه مسلم (٣٦٣/٢١٣).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٣٣/٢٨٤٥).

(٣) صحيح، رواه البخاري (٣٢٦٥)، ومسلم (٣٠/٢٨٤٣).

(٤) صحيح، رواه مسلم (٤٤/٢٨٥١).

(٥) صحيح، رواه البخاري (٦٥٥٣)، ومسلم (٤٥/٢٨٥٢).

وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إِنَّ غِلَظَ جِلْدِ الْكَافِرِ اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ ذِرَاعًا، وَإِنَّ ضِرْسَهُ مِثْلُ أُحُدٍ، وَإِنَّ مَجْلِسَهُ مِنْ جَهَنَّمَ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ»(١).

النساء أكثر أهل النار:

عن أسامة بن زيد رضي اللَّه عنهما عن النبي ﷺ قال: «قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَكَانَ عَامَّةَ مَنْ دَخَلَهَا الْمَسَاكِينُ وَأَصْحَابُ الْجَدِّ مَحْبُوسُونَ، غَيْرَ أَنَّ أَصْحَابَ النَّارِ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ، وَقُمْتُ عَلَى بَابِ النَّارِ فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا النِّسَاءُ»(٢).

أصحاب الجد: الأغنياء.

صفة الجنة وأهلها

مهما وصفت الجنة فإن حقيقتها أعظم من الوصف ففيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ينعم فيها المؤمن الذي صدق قوله عمله، وكان من المتقين فجزاه اللَّه أحسن الجزاء وأنعم عليه بدخوله جنة الخلد.

النبي ﷺ أول الناس دخولاً الجنة:

عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ»(٣).

صفة أول زمرة يدخلون الجنة وعددهم:

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ، وَلَا يَتْفُلُونَ، أَمْشَاطُهُمْ

---

(١) صحيح، رواه الترمذي (٢٥٧٧)، صححه الألباني في المشكاة (٥٦٧٥).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٥١٩٦، ٦٥٧٤)، ومسلم (٢٧٣٦/٩٣).

(٣) صحيح، رواه مسلم (١٩٧/٣٣٣).

الذَّهَبِ، وَرَشْحُهُمْ الْمِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمْ الْأَلُوَّةُ، وَأَزْوَاجُهُمْ الْحُورُ الْعِينُ، أَخْلَاقُهُمْ عَلَى خُلُقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ»[(١)].

- مجامرهم: أي المكان الذي يوضع فيه الجمر.

- الألوة: عود البخور الهندي.

وعن أبي حازم عن سهل بن سعد رضي اللَّه عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا -أَوْ سَبْعُ مِائَةِ أَلْفٍ لَا يَدْرِي أَبُو حَازِمٍ أَيُّهُمَا قَالَ- مُتَمَاسِكُونَ آخِذٌ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، لَا يَدْخُلُ أَوَّلُهُمْ حَتَّى يَدْخُلَ آخِرُهُمْ، وُجُوهُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ»[(٢)].

وعن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: قال النبي ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى ﷺ وَقَوْمُهُ، وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ فَقِيلَ لِي: انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ الْآخَرِ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ» فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمْ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمْ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ وَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «مَا الَّذِي تَخُوضُونَ فِيهِ؟» فَأَخْبَرُوهُ فَقَالَ: «هُمْ الَّذِينَ لَا يَرْقُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «أَنْتَ مِنْهُمْ»، ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»[(٣)].

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٣٣٢٧)، ومسلم (١٥/٢٨٣٤) واللفظ له.

(٢) صحيح، رواه البخاري (٣٢٤٧، ٦٥٥٤)، ومسلم (٣٧٣/٢١٩).

(٣) صحيح، رواه البخاري (٥٧٥٢)، ومسلم (٣٧٤/٢٢٠) واللفظ له.

ذكر ما لأدنى أهل الجنة منزلة من الكرامة وما لأعلاهم:

عن المغيرة بن شعبة يرفعه إلى رسول اللَّه ﷺ قال: «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ: مَا أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلْ الجَنَّةَ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ؟ فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ فَقَالَ فِي الخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، قَالَ: رَبِّ فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، قَالَ: وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]»[(١)].

وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «قَالَ اللَّهُ أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]»[(٢)].

ذكر أبوابها:

وأبواب الجنة ثمانية وقد تقدم أن ما بين جانبي الباب كما بين مكة وهَجَر أو كما بين مكة وبصرى، وسيدعى الصالحون كلٌّ بما سبق به من التطوع فمن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومنهم من سيدعى من جميع الأبواب ولعلهم السابقون.

قال اللَّه عز وجل: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزمر].

---

(١) صحيح، رواه مسلم (٣١٢/١٨٩).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢/٢٨٢٤).

وقال اللَّه تعالى: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾﴾ [ص].

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ»(١).

قال الحافظ ابن حجر: في الحديث إشعارٌ بقلّةِ من يدعى من تلك الأبواب، وفيه إشارة إلى أن المراد ما يتطوع به من الأعمال المذكورة لا واجباتها لكثرة من يجتمع له العمل بالواجبات كلها بخلاف التطوعات، فقلَّ من يجتمع له العمل بجميع أنواعها، ثم من يجتمع له ذلك إنما يُدعى من جميع الأبواب على سبيل التكريم له، وإلا فدخوله إنما يكون من باب واحد ولعله باب العمل الذي يكون أغلب عليه، واللَّه أعلم.

عن سهل بن سعد رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ: الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَدْخُلُ مَعَهُمْ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَدْخُلُونَ مِنْهُ فَإِذَا دَخَلَ آخِرُهُمْ أُغْلِقَ، فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ»(٢).

درجات الجنة:

الجنة درجات كثيرة، وما بين درجة وأخرى كما بين السماء والأرض، منها مائة درجة للمجاهدين، ودرجات أخرى للمؤمنين والعلماء، والفردوس أوسط الجنة

(١) صحيح، رواه البخاري (١٨٩٧)، مسلم (١٠٢٧/٨٥).
(٢) صحيح، رواه البخاري (١٨٩٦)، ومسلم (١١٥٢/١٦٦).

وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة. قال الله جل ثناؤه: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾ [طه].

وقال الله عز وجل: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

وقال الله جل ذكره: ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾ [النساء].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ» أُرَاهُ قَالَ: «وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ»(١).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا؛ فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا»(٢).

علو غرفها:

قال الله تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾﴾ [الزمر: ٢٠].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ فِي الْأُفُقِ، مِنْ

(١) صحيح، رواه البخاري (٢٧٩٠).

(٢) صحيح، رواه أبو داود (١٤٦٤)، والترمذي (٢٩١٤) صححه الألباني في الصحيحة (٢٢٤٠).

الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تِلْكَ مَنَازِلُ الأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ؟ قَالَ: بَلَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ»(١).

مأكل أهل الجنة:

قال جل ثناؤه: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿١٨﴾ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الواقعة].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتْفُلُونَ، وَلَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ» قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟ قَالَ: «جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفَسَ»(٢).

لا يتغوطون: لا يتبرزون.

خيامها وجنانها وتربتها:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ طُولُهَا سِتُّونَ مِيلًا، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ يَطُوفُ

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٣٢٥٦)، ومسلم (٢٨٣١/١١).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٢٨٣٥/١٨).

عَلَيْهِمْ الْمُؤْمِنُ فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا»[١].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: وساق حديث الإسراء. قال رسول الله ﷺ: «ثُمَّ انْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى نَأْتِيَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى، فَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لَا أَدْرِي مَا هِيَ قَالَ: ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا فِيهَا جَنَابِذُ اللُّؤْلُؤَ، وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ»[٢]. جنابذ: خيام.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ»[٣].

صفة شجرها:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ الْجَوَادَ الْمُضَمَّرَ السَّرِيعَ مِائَةَ عَامٍ مَا يَقْطَعُهَا»[٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةٌ إِلَّا وَسَاقُهَا مِنْ ذَهَبٍ»[٥].

صفة سوقها:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ، فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدْ ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللَّهِ لَقَدْ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ وَاللَّهِ لَقَدْ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا»[٦].

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٤٨٨٠)، مسلم (٢٣/٢٨٣٨).
(٢) صحيح، رواه البخاري (٣٣٤٢)، مسلم (٢٦٣/١٦٣).
(٣) صحيح، رواه البخاري (٤٨٧٨، ٧٤٤٤)، ومسلم (٢٩٦/١٨٠).
(٤) صحيح، رواه البخاري (٦٥٥٣)، ومسلم (٢٨٢٨).
(٥) صحيح، رواه الترمذي (٢٥٢٤)، صححه الألباني في صحيح الجامع (٥٦٤٧).
(٦) صحيح، رواه مسلم (١٣/٢٨٣٣).

صفة قصورها:

قال اللَّه عز وجل: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة].

وعن جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا أَنَا بِقَصْرٍ مِنْ ذَهَبٍ فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ فَمَا مَنَعَنِي أَنْ أَدْخُلَهُ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ إِلَّا مَا أَعْلَمُ مِنْ غَيْرَتِكَ» قَالَ: وَعَلَيْكَ أَغَارُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟!»[١].

صفة أنهارها:

قال اللَّه جل ثناؤه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾ [الكهف].

وقال اللَّه تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾ [محمد].

وعن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا أَنَا بِنَهْرٍ حَافَتَاهُ خِيَامُ اللُّؤْلُؤِ، فَضَرَبْتُ بِيَدِي إِلَى مَا يَجْرِي فِيهِ الْمَاءُ فَإِذَا مِسْكٌ أَذْفَرُ، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَهُ اللَّهُ»[٢].

صفة الحور العين:

قال اللَّه عز وجل: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾ [الصافات].

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٧٠٢٤)، ومسلم (٢٣٩٤/٢٠).

(٢) صحيح، رواه الترمذي (٢٥٤٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٦٥)، وأحمد في المسند (١١٥٩٧) واللفظ له، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

وقال الله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾ [الرحمن].

وقال جل ثناؤه: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ [ص].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَرَوْحَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ غَدْوَةٌ خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ مِنْ الْجَنَّةِ أَوْ مَوْضِعُ قِيدٍ -يَعْنِي سَوْطَهُ- خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ لَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا وَلَمَلَأَتْهُ رِيحًا وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»(١).

نصيفها: أي خمارها.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يُعْطَى الْمُؤْمِنُ فِي الْجَنَّةِ قُوَّةَ كَذَا وَكَذَا مِنْ الْجِمَاعِ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَ يُطِيقُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «يُعْطَى قُوَّةَ مِائَةٍ»(٢).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إن أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهن بأحسن أصوات ما سمعها أحد قط، إن مما يُغنين: نحن الخيرات الحسان، أزواج قوم كرام، ينظرون بقرة أعيان، وإن مما يغنين به: نحن الخالدات فلا يمتنه، نحن الآمنات فلا يخفنه نحن المقيمات فلا يظعنه»(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله، هل نصل إلى نسائنا في الجنة؟ فقال: «إن الرجل ليصل في اليوم إلى مائة عذراء»(٤).

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٢٧٩٦).

(٢) صحيح، رواه الترمذي (٢٥٣٦) صححه الألباني في المشكاة (٥٦٣٦).

(٣) صحيح، رواه الطبراني في الأوسط، صححه الألباني في صحيح الجامع (١٥٦١).

(٤) صحيح، رواه أبو نعيم في صفة الجن وقال الضياء المقدسي: رجاله عندي على شرط الصحيح، وصححه الألباني في الصحيحة (٣٦٧).

دوام نعيم أهلها:

قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ۝٥٧﴾ [النساء].

وعن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبِّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ؟! فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟! فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»(١).

وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي اللَّه عنهما عن النبي ﷺ قال: «يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]»(٢).

وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ: «مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لَا يَبْأَسُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ، وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ»(٣).

وعن زيد بن أرقم رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَيُعْطَى قُوَّةَ مِائَةِ رَجُلٍ فِي الأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالْجِمَاعِ وَالشَّهْوَةِ». فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ: إِنَّ الَّذِي يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ تَكُونُ مِنْهُ الْحَاجَةُ؟ قَالَ: «يَفِيضُ مِنْ جِلْدِهِ عَرَقٌ فَإِذَا بَطْنُهُ قَدْ ضَمَرَ»(٤).

أعظم كراماتها:

قال اللَّه عز وجل: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ۝٢٣﴾ [القيامة].

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٦٥٤٩)، ومسلم (٩/٢٨٢٩).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٢٢/٢٨٣٧).

(٣) صحيح، رواه مسلم (٢١/٢٨٣٦).

(٤) صحيح، رواه الدارمي (٢٨٢٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٦٢٧).

وعن صهيب بن سنان الرومي رضي اللَّه عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنْ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ»[1]. وَزَادَ في رواية: «ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]»[2].

تساؤل أهل الجنة عن المكذبين:

فبينما أهل الجنة على سررهم متقابلين والخدم يطوفون عليهم بأطيب المآكل والمشارب، تذكر أحدهم صاحبًا له من المكذبين بيوم الدين، وما كان يسخر به من أمور البعث والحساب والجنة والعذاب، فنادى منادٍ: هل أنتم مطلعون؟ فاطلعوا فإذا بالمكذب في وسط الجحيم، فحينئذ يقول صاحبه من أهل الجنة: تاللَّه إن كدت لتردين، أي: لقد كدت أن تهلكني لو أطعتك ولولا فضل اللَّه عليَّ لصرت مثلك في سواء الجحيم.

قال اللَّه جل ذكره: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَاكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الصافات].

---

(١) صحيح، رواه مسلم (٢٩٧/١٨١).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٢٩٨/١٨١).

مفاتيح الجنة

سأكتفي بذكر ثلاثين سببًا تمثل مفاتيح لدخول الجنة، ومن أراد أن يستزيد ففي كتب العلم المزيد ... فمن هذه الأسباب والمفاتيح:

السبب الأول والثاني: الإيمان والعمل الصالح:

جاء في القرآن الكريم أن الإيمان من أهم الأسباب الموصلة إلى دخول الجنة بإذن اللَّه تبارك وتعالى، ولكنه دائمًا يأتي مقرونًا بالعمل الصالح لذلك لا تكاد تجد موضعًا فيه ذكر للإيمان وأنه سببٌ لدخول الجنة إلا وهو مقرون بالعمل الصالح.

قال تبارك وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [البقرة].

السبب الثالث: التقوى:

ومن أهم تعريفاتها:

- **التقوى:** هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل.
- من تعريفات التقوى أيضًا هو: أن تعمل بطاعة اللَّه على نور من اللَّه (أي: كما جاء في كتاب اللَّه وسنة نبيه ﷺ) ترجو ثواب الآخرة وتترك معصية اللَّه على نور من اللَّه تخاف عقاب اللَّه.

قال تبارك وتعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران].

وقال ﷺ: «أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ، وَأَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ الْفَمُ وَالْفَرْجُ»(١).

---

(١) حسن، رواه الترمذي (٢٠٠٤)، حسنه الألباني في الصحيحة (٩٧٧).

السبب الرابع: طاعة اللّه تبارك وتعالى وطاعة رسوله ﷺ:

قال تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح :١٧].

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي اللّه عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»(١).

السبب الخامس: الجهاد في سبيل اللّه:

ويكون القتال في سبيل اللّه بالنفس والمال واللسان.

قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ﴾ [التوبة :١١١].

وقال تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ [الممتحنة].

السبب السادس: التوبة بشروطها الخمسة:

(الإقلاع عن الذنب، الندم على ما فرّط العبد في جنب اللّه عزَّ وجلَّ، العزم على عدم العودة إلى مقارفة الذنب من جديد، التحلل من المظالم بردِّها إلى أهلها، أن يأتي العبد بالحسنات الماحيات لأنَّ الحسنات يذهبن السيئات).

فالتوبة تَجُبُّ ما قبلها وكما قال ﷺ: «التَّائِبُ مِنْ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ»(٢).

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٧٢٨٠).

(٢) حسن، رواه ابن ماجه (٤٢٥٠) عن عبد اللّه بن مسعود، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣١٤٥).

وقال تبارك وتعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾﴾ [مريم].

السبب السابع: الاستقامة على دين الله:

قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الأحقاف].

وعن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ -وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُسَامَةَ غَيْرَكَ- قَالَ: «قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِمْ»[1].

السبب الثامن: طلب العلم لوجه الله تبارك وتعالى:

في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « ... وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمْ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»[2].

السبب التاسع: بناء المساجد:

وفي الصحيحين عن عثمان بن عفان أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ بَنَى مَسْجِدًا -قَالَ بُكَيْرٌ حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ- بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ»[3].

السبب العاشر: حسن الخلق:

قال ﷺ: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ

---

(١) صحيح، رواه مسلم (٣٨/٦٢).

(٢) صحيح، جزء من حديث رواه مسلم (٢٦٩٩/٣٨)، وأبو داود (١٤٥٥، ٤٩٤٦)، والترمذي (١٤٢٥، ١٩٣٠)، وابن ماجه (٢٢٥).

(٣) صحيح، رواه البخاري (٤٥٠)، ومسلم (٥٣٣/٢٤).

فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَـرَكَ الْكَـذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًـا، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ»(١).

السبب الحادي عشر: ترك المراء: للحديث السالف الذكر.

السبب الثاني عشر: ترك الكذب ولو كان مازحًا: للحديث السالف الذكر.

السبب الثالث عشر: المداومة على التطهر عند كل حدث، وصلاة ركعتين بعد الآذان:

روى الإمام الترمذي في سننه والحاكم وابن خزيمة في صحيحه عن عبد اللَّه بن بريدة عن أبيه رضي اللَّه عنهما قال: أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدَعَا بِلَالًا فَقَالَ: «يَا بِلَالُ بِمَ سَبَقْتَنِي إِلَى الْجَنَّةِ؟ مَا دَخَلْتُ الْجَنَّةَ قَطُّ إِلَّا سَمِعْتُ خَشْخَشَتَكَ أَمَامِي! دَخَلْتُ الْبَارِحَةَ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ خَشْخَشَتَكَ -أي: مشيتك- أَمَامِي» فقال بلال: يا رسول اللَّه، ما أذنت قط إلا صليت ركعتين، وما أصابني حدث قط إلا توضأت عندها ، فقال رسول اللَّه ﷺ: «بهذا»(٢).

السبب الرابع عشر: الذهاب إلى المسجد والعودة منه لأداء الصلوات:

روى الإمام مسلم في صحيحه والإمام البخاري في صحيحه وغيرهما عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ: «مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ نُزُلًا كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ»(٣).

ويقول الإمام النووي رحمه اللَّه في شرح هذا الحديث: (قوله ﷺ: «أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ نُزُلًا» النُزُل ما يُهيأ للضيف عند قدومه.

---

(١) حسن، رواه أبو داود (٤٨٠٠)، حسنه الألباني في صحيح الجامع (١٤٦٤).

(٢) صحيح، روى الترمذي الجزء الأول منه (٣٦٨٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٨٩٤). والحاكم في المستدرك (٢٩/١١٧٩) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وابن خزيمة في صحيح الترغيب والترهيب (١٩٤).

(٣) صحيح، رواه البخاري (٦٦٢)، ومسلم (٢٨٥/٦٦٩).

السبب الخامس عشر: الإكثار من السجود للَّه تبارك وتعالى:

روى الإمام مسلم في صحيحه عن ربيعة بن كعب الأسلمي قال: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِي: «سَلْ» فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟» قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ، قَالَ: «فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»(١).

السبب السادس عشر: الحج المبرور:

قال ﷺ: «مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»(٢).

وقال ﷺ: «الْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ»(٣).

السبب السابع عشر: قراءة آية الكرسي دبر كل صلاة:

لقوله ﷺ: «من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة لم يَحُلْ بينه وبين دخول الجنة إلا الموت»(٤).

وهناك أذكار أخرى وُعِدَ من قالها موقنًا بها بدخول الجنة منها دعاء سيد الاستغفار: جاء في صحيح البخاري عن شداد بن أوس رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال: «سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» قَالَ: «وَمَنْ قَالَهَا مِنْ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ،

---

(١) صحيح، رواه مسلم (٤٨٩/٢٢٦)، وأبو داود (١٣٢٠)، والنسائي (١١٣٨).

(٢) صحيح، رواه البخاري (١٥٢١)، ومسلم (١٣٥٠/٤٣٨)، والترمذي (٨١١)، والنسائي (٢٦٢٧)، وابن ماجه (٢٨٨٩) كلهم عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه.

(٣) صحيح، رواه البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (١٣٤٩/٤٣٧)، والترمذي (٩٣٣)، والنسائي (٢٦٢٢، ٢٦٢٣)، وابن ماجه (٢٨٨٨)، وأحمد في المسند (٧٣٠٧).

(٤) صحيح، رواه النسائي في زاد المعاد (١/١١٠)، وابن السني (١٢١) صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٧٢).

وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»(١).

السبب الثامن عشر: صلاة اثنتي عشرة ركعة كل يوم وليلة تطوعًا لله تعالى:

عن أم حبيبة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ: «مَنْ صَلَّى فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ: أَرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعِشَاءِ، وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ»(٢).

السبب التاسع عشر: إفشاء السلام وإطعام الطعام وصلة الأرحام والصلاة بالليل والناس نيام:

قال ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ»(٣).

السبب العشرون: الصدق في الحديث والوفاء بالوعد وأداء الأمانة وحفظ الفرج وغض البصر وكف اليد:

عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ: «اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمُ الْجَنَّةَ اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ وَأَدُّوا إِذَا اؤْتُمِنْتُمْ وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ»(٤).

السبب الحادي والعشرون (وهو خاص بالنساء):

«إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا،

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٦٣٠٦).

(٢) صحيح، رواه الترمذي (٤١٥)، صححه الألباني في المشكاة (١١٥٩).

(٣) صحيح، رواه الترمذي (٢٤٨٥)، وابن ماجه (٣٢٥١) عن عبد الله بن سلام، صححه الألباني في صحيح الجامع (٧٨٦٥).

(٤) حسن، رواه أحمد في المسند (٢٢٢٥١) وقال الأرناؤوط: حسن لغيره وهذا إسناد رجاله ثقات، وابن خزيمة (٩١/٣)، وابن حبان (١٠٧)، والحاكم (٣٥٨/٤، ٣٥٩)، والبيهقي في الشعب (١/٤٧/٢) عن عمرو عن المطلب بن عبد الله عن عبادة مرفوعا، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٤٧٠).

قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ»(١).

السبب الثاني والعشرون: القيام بتربية وإعالة ثلاث بنات أو أخوات:

«مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ دَخَلْتُ أَنَا وَهُوَ الْجَنَّةَ كَهَاتَيْنِ وَأَشَارَ بِأُصْبُعَيْهِ»(٢).

السبب الثالث والعشرون: الاحتساب والصبر على موت الأولاد والأصفياء:

قال ﷺ: «مَنْ احْتَسَبَ ثَلَاثَةً مِنْ صُلْبِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ» فَقَامَتْ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: أَوْ اثْنَانِ؟ قَالَ: «أَوْ اثْنَانِ»(٣).

وروى البخاري في صحيحه وأحمد في مسنده عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ: «مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلَّا الْجَنَّةُ»(٤).

السبب الرابع والعشرون: كفالة اليتيم:

روى الإمام البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد عن النبي ﷺ: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا» وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى(٥).

السبب الخامس والعشرون: عيادة المريض أو زيارة أخ في اللَّه عزَّ وجلّ:

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللَّهِ نَادَاهُ مُنَادٍ: أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ، وَتَبَوَّأْتَ مِنْ الْجَنَّةِ مَنْزِلًا»(٦).

السبب السابع والعشرون: السماحة في البيع والشراء:

لقوله ﷺ: «أَدْخَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْجَنَّةَ رَجُلًا كَانَ سَهْلًا مُشْتَرِيًا وَبَائِعًا

---

(١) رواه أحمد في المسند (١٦٦٤) وقال الأرناؤوط: حسن لغيره، وابن حبان في صحيحه باب الهدى، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٦٠).

(٢) صحيح، رواه مسلم (١٤٩/٢٦٣١)، والترمذي (١٩١٤) واللفظ له.

(٣) صحيح، رواه النسائي (١٨٧٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٩٦٩).

(٤) صحيح، رواه البخاري (٦٤٢٤)، وأحمد في المسند (٩١٢٧).

(٥) صحيح، رواه البخاري (٦٠٠٥).

(٦) حسن، رواه الترمذي (٢٠٠٨)، وابن ماجه (١٤٤٣)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٣٨٧).

وَقَاضِيًا وَمُقْتَضِيًا»(١).

السبب الثامن والعشرون: التجاوز عن المعسر:

لقوله ﷺ: «كَانَ رَجُلٌ يُدَايِنُ النَّاسَ فَكَانَ يَقُولُ لِفَتَاهُ: إِذَا أَتَيْتَ مُعْسِرًا فَتَجَاوَزْ عَنْهُ لَعَلَّ اللَّهَ يَتَجَاوَزُ عَنَّا، فَلَقِيَ اللَّهَ فَتَجَاوَزَ عَنْهُ»(٢).

السبب التاسع والعشرون: مجموعة أعمال صالحة إذا اجتمعت في المسلم في يوم دخل الجنة بفضل اللَّه:

روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»(٣).

السبب الثلاثون: الصبر على فقد نعمة البصر:

لما جاء في الحديث القدسي: «إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ»(٤).

❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) صحيح، رواه النسائي (٤٦٩٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٨١١)، وأحمد في المسند (٥١٠) واللفظ له، وقال الأرناؤوط: حسن لغيره.

(٢) صحيح، رواه البخاري (٢٠٧٨، ٣٤٨٠)، ومسلم (٣١/١٥٦٢) واللفظ له.

(٣) صحيح، رواه مسلم (٨٧/١٠٢٨).

(٤) صحيح، رواه البخاري (٥٦٥٣).

نعيم البرزخ وعذابه

البرزخ: لغة هو ما حجز بين شيئين، وفي عرف الدين هو الحياة التي تحدث للعبد من بعد موته إلى قيام الساعة.

ومن الأدلة على نعيم البرزخ وعذابه:

نذكر منها: قول اللَّه عز وجل: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر]، فقد ذكر الحق تبارك وتعالى في هذه الآيات عذاب الدارين: دار البرزخ ودار القرار ذكرًا صريحًا لا يحتمل غيره.

ومن السنة النبوية:

حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما أَن رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَرَّ عَلَى قَبْرَيْنِ فَقَالَ: «أَمَا إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ» قَالَ: فَدَعَا بِعَسِيبٍ رَطْبٍ فَشَقَّهُ بِاثْنَيْنِ ثُمَّ غَرَسَ عَلَى هَذَا وَاحِدًا وَعَلَى هَذَا وَاحِدًا ثُمَّ قَالَ: «لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا»[١].

حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ قال: «إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشَهُّدِ الْآخِرِ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ: مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ»[٢].

ومنها الأحاديث التي وردت في سؤال القبر:

كحديث قتادة عن أنس رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ لِمُحَمَّدٍ ﷺ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ

(١) صحيح، رواه البخاري (٢١٦، ٢١٨، ١٣٦١، ٦٠٥٢، ٦٠٥٥)، ومسلم (١١١/٢٩٢) واللفظ له، وأبو داود (٢٠)، والترمذي (٧٠)، والنسائي (٣١)، وابن ماجه (٣٤٧).

(٢) صحيح، رواه مسلم (١٣٠/٥٨٨).

وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا» قَالَ قَتَادَةُ: وَذُكِرَ لَنَا: «أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ» ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ: «وَأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ»[1].

وعن البراء بن عازب أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْمُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم :٢٧]»[2].

ومنها الأحاديث التي تبين صورًا من عذاب القبر:

فمن ذلك حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِمَّا يكثر أن يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا؟ فَيَقُصُّ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُصَّ، وَإِنَّهُ قَالَ لَنَا ذَاتَ غَدَاةٍ: إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي، وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي: انْطَلِقْ، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي عَلَيْهِ بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ، فَيَثْلَغُ بِهَا رَأْسَهُ فَيَتَهَدْهَد الْحَجَرُ هَاهُنَا فَيَتْبَعُ الْحَجَرَ يَأْخُذُهُ، فَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَى، قَالَ: قُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا هَذَانِ؟ قَالَا لِي: انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنا فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِكَلُّوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقَّيْ وَجْهِهِ فَيُشَرْشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرَهُ إِلَى قَفَاهُ وَعَيْنَاهُ إِلَى قَفَاهُ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الْأَوَّلِ، فَمَا يَفْرُغُ

---

(١) صحيح، رواه البخاري (١٣٧٤)، ومسلم (٢٨٧٠/٧٠).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٤٦٩٩) واللفظ له، ومسلم (٢٨٧١/٧٣)، وأبو داود (٤٧٥٠)، والترمذي (٣١٢٠)، والنسائي (٢٠٥٦، ٢٠٥٧)، وابن ماجه (٤٢٦٩).

مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ حَتَّى يَصِحَّ الجانب كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَى، وقَالَ: قُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا هَذَانِ؟ قَالَا لِي: انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى مِثْلِ التَّنُّورِ قَالَ: (يعني راوي الحديث) فَأَحْسَبُ أَنَّهُ كان يقول وَإِذَا فِيهِ لَغَطٌ وَأَصْوَاتٌ قَالَ: فَاطَّلَعْنا فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهبٌ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضَوْا قَالَ: قُلْتُ لهم: مَا هَؤُلَاءِ؟قَالَا لِي: انْطَلِقْ قَالَ: فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ حَسِبْتُ أَنَّهُ -كان يقول:- أَحْمَرَ مِثْلِ الدَّمِ، وَإِذَا فِي النَّهَرِ رَجُلٌ سابح يَسْبَحُ -وإذ على شط النهر رجل- قَدْ جَمَعَ الْحِجَارَةَ كثيرة، وإذا ذلك السابح يسبح ثم يأتي ذلك الذي قد جمع عنده الحجارة فَيَفْغَرُ لَهُ فَاهُ فَيُلْقِمُهُ حَجَرًا، فَيَنْطَلِقُ يَسْبَح ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ فَغَرَ فَاهُ فَأَلْقَمَهُ حَجَرًا، قَالَ: قُلْتُ لهما: مَا هَذَان؟ قَالَ: قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ قال: فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ كَرِيهِ الْمَرْآةِ كَأَكْرَهِ مَا أَنْتَ رَاءٍ رَجُلًا مَرْآةً، وَإِذَا عِنْده نَارٍ يَحُشُّهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا، قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا؟ قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى رَوْضَةٍ مُعْتمةٍ فِيهَا مِنْ كُلِّ نَوْرِ الرَّبِيعِ وَإِذَا بَيْنَ ظَهْرَيْ الرَّوْضَةِ رَجُلٌ قَائِمٌ طَوِيلٌ لَا أَكَادُ أَنْ أَرَى رَأْسَهُ طُولًا فِي السَّمَاءِ، وَإِذَا حَوْلَ الرَّجُلِ مِنْ أَكْثَرِ وِلْدَانٍ رَأَيْتُهُمْ قَطُّ، قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا وَمَا هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا فَانْتَهَيْنَا إِلَى روضة عَظِيمَةٍ لَمْ أَرَ روضة قَطُّ أَعْظَمَ مِنْهَا وَلَا أَحْسَنَ، قَالَ: فَقَالَا لِي: ارْقَ فِيهَا قال: فَارْتَقَيْنَا فِيهَا فَانْتَهَيْتُ إِلَى مَدِينَةٍ مَبْنِيَّةٍ بِلَبِنِ ذَهَبٍ وَلَبِنِ فِضَّةٍ، فَأَتَيْنَا بَابَ الْمَدِينَةِ فَاسْتَفْتَحْنَا فَفُتِحَ لَنَا، فَدَخَلْنَاها فتلَقانا فِيهَا رِجَال شَطْرٌ مِنْ خَلْقِهِمْ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ، وَشَطْرٌ كَأَقْبَحِ مَا أَنْتَ رَاءٍ، قَالَا لَهُمْ: اذْهَبُوا فَقَعُوا فِي ذَلِكَ النَّهَرِ، قال: وَإِذَا نَهَرٌ مُعْتَرِضٌ يَجْرِي كَأَنَّ ماءه الْمَحْضُ فِي الْبَيَاضِ، فَذَهَبُوا فَوَقَعُوا فِيهِ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْنَا وَقَدْ ذَهَبَ ذَلِكَ السُّوءُ عَنْهُمْ، فصَارُوا فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، قَالَ: قَالَا لِي: هَذِهِ جَنَّةُ عَدْنٍ، وَهَذَاكَ مَنْزِلُكَ، قَالَ: فسما بَصَرِي صُعُدًا، فَإِذَا قَصْرٌ مِثْلُ الرَّبَابَةِ الْبَيْضَاءِ (أي: السحابة البيضاء) قال: قُلْتُ لَهُمَا: بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا ذَرَانِي فَلَأَدْخُلَهُ، قَالَا: أما الْآنَ

فَلَا، وَأَنْتَ دَاخِلُهُ، قَالَ: قلت لهما: فَإِنِّي رَأَيْتُ مُنْذُ اللَّيْلَةِ عَجَبًا، فَمَا هَذَا الَّذِي رَأَيْتُ؟ قَالَ: قَالَا لِي: أَمَا إِنَّا سَنُخْبِرُكَ: أَمَّا الرَّجُلُ الْأَوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُثْلَغُ رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ فَإِنَّهُ الرَجُلُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ وَيَنَامُ عَنْ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ، وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُشَرْشَرُ شِدْقُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنَاهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرَاهُ إِلَى قَفَاهُ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكَذِبَةَ تَبْلُغُ الْآفَاقَ، وَأَمَّا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ الْعُرَاةُ الَّذِينَ فِي مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُّورِ فَإِنَّهُمْ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي، وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي يَسْبَحُ فِي النَّهَرِ وَيُلْقَمُ الْحِجَارَةَ فَإِنَّهُ آكِلُ الرِّبَا، وَأَمَّا الرَّجُلُ الْكَرِيهُ الْمَرْآةِ الَّذِي عِنْدَ النَّارِ يَحُشُّهَا ويسعى حولها فَإِنَّهُ مَالِكٌ خَازِنُ جَهَنَّمَ، وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرَّوْضَةِ فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَام، وَأَمَّا الْوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ، قَالَ: فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ، وَأَمَّا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَانَ شَطْرٌ مِنْهُمْ حَسَنًا وَشَطْرٌ قَبِيحًا، فَإِنَّهُمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا فَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُمْ»(١).

معنى يحشها: أي يحركها ويوقدها، يثلغ: أي يشرخ، ضوضوا: أي صرخوا.

فإذا قال قائل: فإنا نكشف القبر فلا نجد فيه ملائكة يضربون الموتى بمطارق من حديد، ولا نيران تأجج؟ فالرد عليه من وجوه:

١- أن اللَّه سبحانه وتعالى جعل الدور ثلاثة: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار، وجعل لكل دار أحكامًا تختص بها.

٢- أن اللَّه سبحانه وتعالى جعل أمر الآخرة وما يتعلق بها غيبًا، وحجبها عن إدراك المكلفين، وذلك من كمال حكمته، وليتميز المؤمنون بالغيب عن غيرهم.

٣- أن النار في القبر، والخضرة التي في القبر، ليست من نار الدنيا، ولا من زروع الدنيا.

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٧٠٤٧) بنحوه.

وأعجب من هذا أن الرجلين يدفنان أحدهما إلى جانب الآخر، هذا في حفرة من حفر النار لا يصل حرها إلى جاره، وهذا في روضة من رياض الجنة لا يصل ريحها ونعيمها إلى جاره، وقد أرانا اللَّه من آيات قدرته في هذه الدنيا ما هو أعجب من ذلك، ولكن كثير من النفوس مولعة بالتكذيب بما لم تحط به علمًا إلا من وفقه اللَّه وعصمه.

فإنا نجد النائمين في فراش واحد، وهذا روحه في النعيم، ويستيقظ وأثر النعيم على بدنه، وهذا روحه في العذاب، ويستيقظ وأثر العذاب على بدنه، وليس عند أحدهما خبر بما عند الآخر.

وهذا جبريل عليه السلام كان يأتي إلى النبي ﷺ ويكلمه بكلام يسمعه ومَن إلى جانب النبي لا يسمعه وأحيانًا كان يأتي مثل صلصلة الجرس، ولا يسمعه غيره من الحاضرين.

وها هي الملائكة نزلت في غزوة بدر تضرب أعناق الكفار وتقاتل مع المسلمين، وهم لا يرونهم ولا يسمعونهم.

وها هم الملائكة (ملائكة الموت) ينزلون على المحتضر معهم كفن من أكفان الجنة وحنوطها، إن كان مؤمنًا أو معهم المسوح إن كان كافرًا، ويراهم الميت عيانًا، ويكلمونه وعندما تخرج الروح تخرج، ولها رائحة كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، أو كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، والناس لا يرونهم، ولا يشمون تلك الرائحة، والمولى تبارك وتعالى يقول: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الواقعة] أي: أقرب إليه بملائكتنا ورسلنا.

واللَّه تبارك وتعالى يقول: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾﴾ [الأنفال]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ

تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنعام].

وخلاصة القول: أن اللَّه تبارك وتعالى قد أشهد بني آدم في هذه الدار ما كان منها أما ما كان من أمر الآخرة فقد أسدل عليه الغطاء، ليكون الإقرار به والإيمان به أي بالغيب سببًا لسعادتهم، فإذا كشف عنهم الغطاء صار عيانًا مشاهدًا.

القبر عذابه ونعيمه:

ما يكون قبيل قبض الروح، تردد اللَّه سبحانه وتعالى في قبض نفس المؤمن:

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»(١).

حضور الشيطان عند الاحتضار:

يحرص الشيطان على الحضور عند الاحتضار، ليختم للمرء بالشر والفسوق والعصيان، كما هو شأنه الحرص على الحضور عند سائر الأعمال، ودليل ذلك ما رواه جابر رضي اللَّه عنه سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَحْضُرُ أَحَدَكُمْ عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ شَأْنِهِ، حَتَّى يَحْضُرَهُ عِنْدَ طَعَامِهِ فَإِذَا سَقَطَتْ مِنْ أَحَدِكُمْ اللُّقْمَةُ فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَذًى ثُمَّ لِيَأْكُلْهَا وَلَا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ، فَإِذَا فَرَغَ فَلْيَلْعَقْ أَصَابِعَهُ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ تَكُونُ الْبَرَكَةُ»(٢).

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٦٥٠٢).

(٢) صحيح، رواه مسلم (١٣٥/٢٠٣٣).

عند مجيء الموت:

طلب الكافر الرجوع للدنيا إذا جاءه الموت:

قال اللَّه تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون].

سكرات الموت:

روى البخاري عن عائشة رضي اللَّه عنها أنها قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ»(١).

عدم قبول إيمان الكافر عند الموت:

عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لَمَّا أَغْرَقَ اللَّهُ فِرْعَوْنَ قَالَ: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [يونس: ٩٠] فَقَالَ جِبْرِيلُ: يَا مُحَمَّدُ فَلَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا آخُذُ مِنْ حَالِ الْبَحْرِ فَأَدُسُّهُ فِي فِيهِ مَخَافَةَ أَنْ تُدْرِكَهُ الرَّحْمَةُ»(٢).

مجيء ملك الموت قبيل موت العبد عند رأس الميت.

تبشير ملك الموت للمؤمن بالمغفرة والرضوان، وللكافر بالسخط والغضب.

ما يكون بعد قبض الروح:

- سهولة خروج نفس العبد المؤمن، وعذاب الكافر بسبب صعوبة خروجها.
- خروج نفس العبد المؤمن كأطيب نفحة مسك وجدت، وخروج نفس الكافر كأنتن ريح جيفة وجدت.
- المؤمن تخرج نفسه وهو يحمد اللَّه تعالى، قال رسول اللَّه ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ تَخْرُجُ نَفْسُهُ مِنْ بَيْنِ جَنْبَيْهِ وَهُوَ يَحْمَدُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ»(٣).

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٤٤٤٩، ٦٥١٠).

(٢) صحيح، رواه الترمذي (٣١٠٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٢٠٦)، وأحمد في المسند (٢٨١٦) وقال الأرناؤوط: إسناده ضعيف والأصح وقفه.

(٣) صحيح، رواه النسائي (١٨٤٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٦٥٢)، وأحمد في المسند (٢٤٠٨) واللفظ له وقال الأرناؤوط: حسن، كلاهما عن ابن عباس.

❁ إذا قبض على الروح تبعه البصر؛ لقوله ﷺ: «إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ»(١).

❁ استفتاح الملائكة للسماوات كلها، واحدة تلو الأخرى بروح المؤمن وتفتح له جميعها.

❁ لا تفتح أبواب السماء للكفار.

❁ يأمر اللَّه تعالى أن تعاد روح المؤمن إلى الأرض بعد أن يكتب كتابه في عليين.

❁ تطرح روح الكافر من السماء طرحًا حتى تقع في جسده، بعد أن يكتب كتابه في سجين.

❁ استئناس الميت بجلوس الصالحين عند قبره حين يدفن، قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها، لما ثبت عن عمرو بن العاص رضي اللَّه عنه أنه قال: «فَإِذَا دَفَنْتُمُونِي فَشُنُّوا عَلَيَّ التُّرَابَ شَنًّا، ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزُورٌ وَيُقْسَمُ لَحْمُهَا، حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ، وَأَنْظُرَ مَاذَا أُرَاجِعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي»(٢).

❁ ضغطة القبر ولا نجاة لأحد منها: عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لَوْ نَجَا أَحَدٌ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ لَنَجَا سَعْدُ بن مُعَاذٍ، وَلَقَدْ ضُمَّ ضَمَّةً ثُمَّ رُخِّيَ عَنْهُ»(٣).

❁ رد العقول على الموتى في القبر، عن عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ فَتَّانَ الْقُبُورِ فَقَالَ عُمَرُ: أَتُرَدُّ عَلَيْنَا عُقُولُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ كَهَيْئَتِكُمْ الْيَوْمَ» فَقَالَ عُمَرُ: بِفِيهِ الْحَجَرُ(٤).

---

(١) صحيح، جزء من حديث رواه مسلم (٧/٩٢٠).

(٢) صحيح، رواه مسلم (١٩٢/١٢١).

(٣) صححه الألباني في صحيح الجامع (٥٣٠٦).

(٤) حسن، رواه أحمد في المسند (٦٥٦٧) وقال الأرناؤوط: حسن لغيره، وصحيح الترغيب والترهيب للشيخ الألباني (٣٥٥٣) وحسنه.

❁ سماع الميت قرع نعال أصحابه إذا انصرفوا عنه، ويبدأ سؤاله بعد الفراغ من الدفن، فقد كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ: «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ وَسَلُوا لَهُ بِالتَّثْبِيتِ فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ»[1].

مجيء الملكين للسؤال:

اسما الملكين اللذين يأتيان الميت وصفتهما:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ -أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ- أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ وَالْآخَرُ النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَيَقُولَانِ قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا...»[2].

تثبيت الله تعالى المؤمنين في القبر:

قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أُقْعِدَ الْمُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ أُتِيَ ثُمَّ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ [إبراهيم:٢٧]»[3].

إجابة المؤمن وارتباك الكافر:

يجلس الرجل الصالح في قبره غير فزع قبل السؤال، أما الرجل السوء فإنه يجلس في قبره فزعًا مشغوفًا، عن عائشة رضي الله عنها قالت: جَاءَتْ يَهُودِيَّةٌ فَاسْتَطْعَمَتْ عَلَى بَابِي فَقَالَتْ: أَطْعِمُونِي أَعَاذَكُمْ اللَّهُ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ وَمِنْ فِتْنَةِ عَذَابِ الْقَبْرِ، قَالَتْ: فَلَمْ أَزَلْ أَحْبِسُهَا حَتَّى جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا تَقُولُ هَذِهِ الْيَهُودِيَّةُ؟ قَالَ: «وَمَا تَقُولُ؟» قُلْتُ: تَقُولُ: أَعَاذَكُمْ اللَّهُ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ وَمِنْ

---

(١) صحيح، رواه أبو داود (٣٢٢١)، صححه الألباني في المشكاة (١٣٣).

(٢) حسن، جزء من حديث رواه الترمذي (١٠٧١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٢٤).

(٣) صحيح، رواه البخاري (١٣٦٩) عن البراء بن عازب رضي الله عنهما.

فِتْنَةِ عَذَابِ الْقَبْرِ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرَفَعَ يَدَيْهِ مَدًّا يَسْتَعِيذُ بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ وَمِنْ فِتْنَةِ عَذَابِ الْقَبْرِ ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا فِتْنَةُ الدَّجَّالِ فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ إِلَّا قَدْ حَذَّرَ أُمَّتَهُ، وَسَأُحَذِّرُكُمُوهُ تَحْذِيرًا لَمْ يُحَذِّرْهُ نَبِيٌّ أُمَّتَهُ، إِنَّهُ أَعْوَرُ وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، فَأَمَّا فِتْنَةُ الْقَبْرِ فَبِي تُفْتَنُونَ وَعَنِّي تُسْأَلُونَ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ أُجْلِسَ فِي قَبْرِهِ غَيْرَ فَزِعٍ وَلَا مَشْعُوفٍ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: فِيمَ كُنْتَ؟ فَيَقُولُ: فِي الْإِسْلَامِ، فَيُقَالُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَصَدَّقْنَاهُ، فَيُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ النَّارِ فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَا وَقَاكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ إِلَى الْجَنَّةِ فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ مِنْهَا، وَيُقَالُ: عَلَى الْيَقِينِ كُنْتَ وَعَلَيْهِ مِتَّ وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ السُّوءُ أُجْلِسَ فِي قَبْرِهِ فَزِعًا مَشْعُوفًا فَيُقَالُ لَهُ: فِيمَ كُنْتَ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، فَيُقَالُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ قَوْلًا فَقُلْتُ كَمَا، قَالُوا: فَتُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ الْجَنَّةِ فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَا صَرَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْكَ، ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ النَّارِ فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا وَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ مِنْهَا كُنْتَ عَلَى الشَّكِّ وَعَلَيْهِ مِتَّ وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يُعَذَّبُ»[1].

❃ يفتح للمؤمن باب إلى الجنة من قبره.

❃ يفتح للكافر باب إلى النار من قبره.

❃ رؤية العبد المؤمن مقعده من الجنة، ورؤية العبد الكافر مقعده من النار.

❃ يفسح للمؤمن في قبره مد البصر، ويضيق قبر الكافر.

❃ يتمثل العمل الصالح بشكل رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح،

---

(١) صحيح، رواه أحمد في المسند (٢٤٥٦٦) وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

مبشرًا، وأما العمل الخبيث فإنه يأتي بشكل رجل قبيح الثياب، منتن الريح، مبشرًا بما يسوؤه.

ضرب الكافر بمرزبة حتى يصير بها ترابًا:

ودليل ذلك حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنْ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (مستقبل القبلة) وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ وَكَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنْ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنْ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنْ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَام حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ -وفي رواية المطمئنة-، قَالَ: فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا -وفي رواية إذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض، وكل ملك في السماء، وفتحت له أبواب السماء، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله أن يُعرج بروحه من قِبلهم- فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، فذلك قوله تعالى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام :٦١]، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، قَالَ: فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ -يَعْنِي بِهَا- عَلَى مَلَإٍ مِنْ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٢٠ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝٢١﴾ [المطففين]

فيكتب كتابه في عليين، ثم يقال: أَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ فَإِنِّي -وعدتهم أني- مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى، قَالَ: -فيرد إلى الأرض- فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ -قال: فإنه يسمع خفق نعال أصحابه إذا ولوا عنه مدبرين- فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ -شديدا الانتهار- فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ دِينِيَ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ -وهي آخر فتنة تعرض على المؤمن فذلك حين يقول الله عز وجل: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ [إبراهيم:٢٧] فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ، قَالَ: وَيَأْتِيهِ -وفي رواية: يمثل له- رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، -أبشر برضوان من الله، وجنات فيها نعيم مقيم- هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، -فوالله ما علمتك إلا كنت سريعًا في طاعة الله، بطيئًا في معصية الله، فجزاك الله خيرًا، ثم يفتح له باب من الجنة، وباب من النار، فيقال: هذا منزلك لو عصيت الله، أبدلك الله به هذا فإذا رأى ما في الجنة- فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي، -قال: فيقال له: اسكن- قَالَ: وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ -وفي رواية الفاجر- إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ -غلاظ شداد- سُودُ الْوُجُوهِ مَعَهُمُ الْمُسُوحُ -من النار- فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ، قَالَ: فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ -الكثير الشعب- مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ -فيلعنه كل ملك بين السماء والأرض، وكل ملك في السماء، وتغلق أبواب السماء، ليس من أهل باب إلا وهم

يدعون اللَّه ألا تعرج روحه من قبلهم- فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَإٍ مِنْ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ فَلَا يُفْتَحُ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف :٤٠] فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الأَرْضِ السُّفْلَى، -ثم يقال: أعيدوا عبدي إلى الأرض فإني وعدتهم أني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى- فَتُطْرَحُ رُوحُهُ -من السماء- طَرْحًا ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج :٣١] فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ -قال: فإنه ليسمع خفق نعال أصحابه إذا ولوا عنه- وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ -شديدا الانتهار فينتهرانه- وَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا -تقول في- هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ -فلا يهتدي لاسمه، فيقال: محمد- فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي -سمعت الناس يقولون ذاك! قال فيقال: لا دريت ولا تليت- فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنْ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَافْرِشُوا لَهُ مِنْ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ -وفي رواية ويمثل له- رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ قَبِيحُ الثِّيَابِ مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: -وأنت بشرك اللَّه بالشر- مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ! فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، -فواللَّه ما علمتك إلا كُنْتَ بَطِيئًا عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ سَرِيعًا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ- فَجَزَاكَ اللَّهُ شَرًّا، ثُمَّ يُقَيَّضُ لَهُ أَعْمَى أَصَمُّ أَبْكَمُ فِي يَدِهِ مِرْزَبَّةٌ! لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ كَانَ تُرَابًا، فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً حَتَّى يَصِيرَ تُرَابًا ثُمَّ يُعِيدُهُ اللَّهُ كَمَا كَانَ، فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً

أُخْرَى فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهُ كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنَ النَّارِ وَيُمَهَّدُ مِنْ فُرُشِ النَّارِ– فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ»(١).

❁ شم الملائكة لروح المؤمن.

❁ فرح المؤمنين باستقبال روح المؤمن الجديدة، أشد من أهل الغائب بغائبهم.

❁ ترك أرواح المؤمنين لتستريح من غم الدنيا فترة من الزمن.

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال: «إن المؤمن إذا قبض أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون: اخرجي إلى روح اللَّه فتخرج كأطيب ريح المسك، حتى إنه ليناوله بعضهم بعضًا فيشمونه، حتى يأتوا به باب السماء فيقولون: ما هذه الريح الطيبة التي جاءت من الأرض؟ ولا يأتون سماء إلا قالوا مثل ذلك، حتى يأتوا به أرواح المؤمنين، فإنهم أشد فرحًا به من أهل الغائب بغائبهم، فيقولون: ما فعل فلان؟ فيقولون: دعوه حتى يستريح فإنه كان في غم الدنيا، فيقول: قد مات أما أتاكم؟ فيقولون: ذهب به إلى أمه الهاوية»(٢).

استمرار عرض مقعد المرء من الجنة أو النار في القبر:

قال سبحانه: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر].

عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما أن رسول اللَّه ﷺ قال: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، يُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»(٣).

---

(١) صحيح، رواه أحمد في المسند (١٨١٤٠)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح رجاله رجال الصحيح.

(٢) صحيح، رواه النسائي (١٨٣٣) صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٥٩).

(٣) صحيح، رواه البخاري (١٣٧٩)، ومسلم (٦٥/٢٨٦٦)، والترمذي (١٠٧٣)، والنسائي (٢٠٧٠-٢٠٧٢)، وابن ماجه (٤٢٧٠).

سماع البهائم لأصوات من يعذبون:

عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْمَوْتَى لَيُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ، حَتَّى إِنَّ الْبَهَائِمَ لَتَسْمَعُ أَصْوَاتَهُمْ»(١).

القبر أول منزل من منازل الآخرة:

عن هانيء مولى عثمان بن عفان قال: كَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرٍ يَبْكِي حَتَّى يَبُلَّ لِحْيَتَهُ، فَقِيلَ لَهُ: تَذْكُرُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ وَلَا تَبْكِي وَتَبْكِي مِنْ هَذَا؟ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ» قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ»(٢).

امتلاء قبور من وقعوا بالمعاصي بالظلمة:

قال ﷺ: «إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ»(٣).

عذاب القبر لا يطيق سماعه الأحياء:

قال رسول اللَّه ﷺ: «إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ»(٤). أَنْ لَا تَدَافَنُوا: أي أن تتركوا الدفن.

الأكل من شجر الجنة قبل يوم القيامة:

قال ﷺ: «إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٥).

---

(١) صحيح، رواه الطبراني في الكبير (٢/٧٨/٣) صححه الألباني في صحيح الجامع (١٩٦٥).

(٢) حسن، رواه ابن ماجه (٤٢٦٧)، حسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٦٢٣).

(٣) صحيح، جزء من حديث رواه مسلم (٧١/٩٥٦)، وأحمد في المسند (٨٨٠٤) عن أبي هريرة.

(٤) صحيح، جزء من حديث رواه مسلم (٦٧/٢٨٦٧) عن زيد بن ثابت.

(٥) صحيح، رواه النسائي (٢٠٧٣) واللفظ له، وابن ماجه (٤٢٧١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٣٧٣)، وأحمد في المسند (١٥٣٥١) وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح.

نفس المؤمن معلقة بدَينه:

قال ﷺ: «نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ»[١].

دعاء أهل السماء للعبد المؤمن:

قال ﷺ: «إِذَا خَرَجَتْ رُوحُ الْمُؤْمِنِ تَلَقَّاهَا مَلَكَانِ يُصْعِدَانِهَا -قَالَ حَمَّادٌ فَذَكَرَ مِنْ طِيبِ رِيحِهَا وَذَكَرَ الْمِسْكَ- قَالَ: وَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ: رُوحٌ طَيِّبَةٌ، جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الْأَرْضِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكِ، وَعَلَى جَسَدٍ كُنْتِ تَعْمُرِينَهُ، فَيُنْطَلَقُ بِهِ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَقُولُ: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الْأَجَلِ، قَالَ: وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا خَرَجَتْ رُوحُهُ -قَالَ حَمَّادٌ: وَذَكَرَ مِنْ نَتْنِهَا وَذَكَرَ لَعْنًا- وَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ: رُوحٌ خَبِيثَةٌ، جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الْأَرْضِ، قَالَ: فَيُقَالُ: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الْأَجَلِ»[٢].

- التنوير للمؤمن في القبر.
- نوم المؤمن في قبره.
- شوق الميت لتبشير أهله.

قال رسول اللَّه ﷺ: «إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ -أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ- أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ وَالْآخَرُ النَّكِيرُ فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: مَا كَانَ يَقُولُ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: نَمْ فَيَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ فَقُلْتُ مِثْلَهُ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ فَيُقَالُ لِلْأَرْضِ: الْتَئِمِي عَلَيْهِ فَتَلْتَئِمُ

---

(١) صحيح، رواه الترمذي (١٠٧٨، ١٠٧٩)، وابن ماجه (٢٤١٣) كلاهما عن أبي هريرة، صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٦٧٧٩).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٢٨٧٢/٧٥) عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه.

عَلَيْهِ فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ»(١).

قبر المؤمن يملأ عليه خضرًا إلى يوم يبعثون:

قال ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ -لِمُحَمَّدٍ ﷺ؟- فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا» قَالَ قَتَادَةُ: وَذُكِرَ لَنَا: «أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ» -وفي رواية: أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا وَيُمْلَأُ عَلَيْهِ خُضْرًا إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ- ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ: «وَأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً -وفي رواية: بَيْنَ أُذُنَيْهِ- فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ -وفي رواية: يَضِيقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ أَضْلَاعُهُ-»(٢).

* جواب المؤمن في القبر هداية من الله تعالى.
* لا يسأل العبد عن غير العبادة والدين في القبر.

قال ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ أَتَاهُ مَلَكٌ فَيَقُولُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَعْبُدُ؟ فَإِنْ اللَّهُ هَدَاهُ قَالَ: كُنْتُ أَعْبُدُ اللَّهَ، فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَمَا يُسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ غَيْرِهَا، فَيُنْطَلَقُ بِهِ إِلَى بَيْتٍ كَانَ لَهُ فِي النَّارِ فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا بَيْتُكَ، كَانَ لَكَ فِي النَّارِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ عَصَمَكَ وَرَحِمَكَ فَأَبْدَلَكَ بِهِ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: دَعُونِي حَتَّى أَذْهَبَ فَأُبَشِّرَ أَهْلِي فَيُقَالُ لَهُ: اسْكُنْ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ أَتَاهُ مَلَكٌ فَيَنْتَهِرُهُ فَيَقُولُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَعْبُدُ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، فَيُقَالُ لَهُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، فَيُقَالُ لَهُ: فَمَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ:

---

(١) حسن، رواه الترمذي (١٠٧١) عن أبي هريرة، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٢٤).

(٢) صحيح، رواه البخاري (١٣٧٤)، ومسلم (٢٨٧٠/٧٠).

كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيَضْرِبُهُ بِمِطْرَاقٍ مِنْ حَدِيدٍ بَيْنَ أُذُنَيْهِ فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا الْخَلْقُ غَيْرُ الثَّقَلَيْنِ»(١).

عدم سماع الموتى لما يجري على الأرض:

قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [النمل].

سماع أهل القليب لكلام النبي ﷺ، وعدم قدرتهم على الجواب:

فقد ثبت في البخاري أن النبي ﷺ اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أَهْلِ الْقَلِيبِ فَقَالَ: «وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟» فَقِيلَ لَهُ: تَدْعُو أَمْوَاتًا؟ فَقَالَ: «مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ مِنْهُمْ وَلكِنْ لَا يُجِيبُونَ»(٢).

شوق الصحابة في البرزخ -ممن استشهدوا في سبيل الله تعالى، لإخبار من لم يمت من إخوانهم بالكرامة المعدة للشهداء:

قال ﷺ: «لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُدٍ جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ، فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَأْكَلِهِمْ وَمَشْرَبِهِمْ وَمَقِيلِهِمْ قَالُوا: مَنْ يُبَلِّغُ إِخْوَانَنَا عَنَّا أَنَّا أَحْيَاءٌ فِي الْجَنَّةِ نُرْزَقُ لِئَلَّا يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ وَلَا يَنْكُلُوا عِنْدَ الْحَرْبِ، فَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ»(٣).

العذاب الجسمي للعصاة:

عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِمَّا يكثر أن يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا؟ فَيَقُصُّ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُصَّ، وَإِنَّهُ قَالَ لَنَا ذَاتَ غَدَاةٍ: إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي: انْطَلِقْ، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ

---

(١) صحيح، رواه الترمذي (٤٧٥١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه، صححه الألباني في صحيح الجامع (١٩٣٠).

(٢) صحيح، رواه البخاري (١٣٧٠) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) رواه أبو داود (٢٥٢٠)، صححه الألباني في صحيح الجامع (٥٢٠٥)، وأحمد في المسند (٢٣٨٤) وقال الأرناؤوط: حسن.

مَعَهُمَا، وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ، فَيَثْلَغُ بِهَا رَأْسَهُ فَيَتَهدَهْد الْحَجَرُ هَاهُنَا فَيَتْبَعُ الْحَجَرَ فَيَأْخُذُهُ، فَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَى، قَالَ: قُلْتُ لهما: سُبْحَانَ اللَّهِ، مَا هَذَانِ؟ قَالَا لِي: انْطَلِقْ، انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِكَلُّوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقَّيْ وَجْهِهِ فَيُشَرْشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنَاهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرَهُ إِلَى قَفَاهُ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الْأَوَّلِ، فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ حَتَّى يَصِحَّ الجانب كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عليه فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَى، قَالَ: قُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، مَا هَذَانِ؟ قال: قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى مِثْلِ التَّنُّورِ فَأَحْسَبُ أَنَّهُ قَالَ: فَإِذَا فِيهِ لَغَطٌ وَأَصْوَاتٌ فَاطَّلَعْنا فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهبٌ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضَوْا قُلْتُ: مَا هَؤُلَاءِ؟ قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ حَسِبْتُ أَنَّهُ كان يقول: أَحْمَرَ مِثْلِ الدَّمِ، وَإِذَا فِي النَّهَرِ رَجُلٌ سابح يَسْبَحُ وإذ على شط النهر رجل قَدْ جَمَعَ عنه حِجَارَةً كثيرة، وإذا ذلك السابح يسبح ثم يأتي ذلك الرجل الذي قد جمع عنده الحجارة فَيَفْغَرُ لَهُ فَاهُ فَيُلْقِمُهُ حَجَرًا، قَالَ: قُلْتُ لهما: مَا هَذَانِ؟ قَالَ: قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ، قال: فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ كَرِيهِ الْمَرْآةِ، أو كَأَكْرَهِ مَا أَنْتَ رَاءٍ رَجُلًا مَرْآةً، فإذا هو عِنْده نَارٍ يَحُشُّهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا، قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا؟ قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى رَوْضَةٍ مُعْتمةٍ فِيهَا مِنْ كُلِّ نَوْرِ الرَّبِيعِ، وَإِذَا بَيْنَ ظَهْرَيْ الرَّوْضَةِ رَجُلٌ طَوِيلٌ، لَا أَكَادُ أَنْ أَرَى رَأْسَهُ طُولًا فِي السَّمَاءِ، وَإِذَا حَوْلَ الرَّجُلِ مِنْ أَكْثَرِ وِلْدَانٍ رَأَيْتُهُمْ قَطُّ، قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا؟ وَمَا هَؤُلَاءِ؟ قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا فَانْتَهَيْنَا إِلَى روضة عَظِيمَةٍ لَمْ أَرَ روضة قَطُّ أَعْظَمَ مِنْهَا وَلَا أَحْسَنَ، قَالَ: قَالَا لِي: ارْقَ فِيهَا، فَارْتَقَيْنَا فِيهَا إِلَى مَدِينَةٍ مَبْنِيَّةٍ بِلَبِنِ ذَهَبٍ وَلَبِنِ فِضَّةٍ، فَأَتَيْنَا بَابَ الْمَدِينَةِ فَاسْتَفْتَحْنَا فَفُتِحَ لَنَا، فَدَخَلْنَاها فتلقانا فِيهَا رِجَال شَطْرٌ

مِنْ خَلْقِهِمْ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ، وَشَطْرٌ منهم كَأَقْبَحِ مَا أَنْتَ رَاءٍ، قَالَا لَهُمْ: اذْهَبُوا فَقَعُوا فِي ذَلِكَ النَّهَرِ، قال: وإِذَا نَهَرٌ مُعْتَرِضٌ يَجْرِي كَأَنَّ ماءه الْمَحْضُ فِي الْبَيَاضِ، فَذَهَبُوا فَوَقَعُوا فِيهِ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْنَا وَقَدْ ذَهَبَ ذَلِكَ السُّوءُ عَنْهُمْ، فصَارُوا فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، قَالَ: قَالَا لِي: هَذِهِ جَنَّةُ عَدْنٍ، وَهَذَاكَ مَنْزِلُكَ، فسما بَصَرِي صُعُدًا، فَإِذَا قَصْرٌ مِثْلُ الرَّبَابَةِ الْبَيْضَاءِ قَالَا لِي: هذا منزلك قُلْتُ لَهُمَا: بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا ذَرَانِي فَلأَدْخُلَهُ، قَالَا: أما الْآنَ فَلَا، وَأَنْتَ دَاخِلُهُ، قلت لهما: فَإِنِّي رَأَيْتُ مُنْذُ اللَّيْلَةِ عَجَبًا، فَمَا هَذَا الَّذِي رَأَيْتُ؟ قَالَا لِي: أَمَا إِنَّا سَنُخْبِرُكَ: أَمَّا الرَّجُلُ الْأَوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُثْلَغُ رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ؛ فَإِنَّهُ الرَجُلُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ، وَيَنَامُ عَنْ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ، وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُشَرْشَرُ شِدْقُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنَاهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرَاهُ إِلَى قَفَاهُ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكَذِبَةَ تَبْلُغُ الْآفَاقَ، وَأَمَّا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ الْعُرَاةُ الَّذِينَ فِي مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُّورِ فَإِنَّهُمْ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي، وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أتيت يَسْبَحُ فِي النَّهَرِ وَيُلْقَمُ الْحِجَارَةَ فَإِنَّهُ آكِلُ الرِّبَا، وَأَمَّا الرَّجُلُ الْكَرِيهُ الْمَرْآةِ الَّذِي عِنْدَ النَّارِ يَحُشُّهَا ويسعى حولها؛ فَإِنَّهُ مَالِكٌ خَازِنُ جَهَنَّمَ، وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرَّوْضَةِ فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَام، وَأَمَّا الْوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ -وفي رواية البرقاني (ولد على الفطرة)-، فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ، وَأَمَّا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَانَ شَطْرٌ مِنْهُمْ حَسَنًا وَشَطْرٌ قَبِيحًا، فَإِنَّهُمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا، فَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُمْ»(١).

من الذنوب التي يعذب عليها العصاة في القبر:

١- عذاب الذي يأخذ بالقرآن ويرفضه، والنائم عن الصلاة المكتوبة:

جاء في حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه بطوله، وفيه: «أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ، فَيَثْلَغُ بِهَا رَأْسَهُ فَيَتَهدَهْد الْحَجَرُ هَاهُنَا فَيَتْبَعُ الْحَجَرَ فيأْخُذُهُ، فلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ

(١) صحيح، رواه البخاري (٧٠٤٧).

كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الأُولَى»، ثم جاء البيان في آخر الحديث بقول الملكين للرسول: «أَمَّا الرَّجُلُ الأَوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُثْلَغُ رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ؛ فَإِنَّهُ الرَجُلُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ، وَيَنَامُ عَنْ الصَّلاَةِ الْمَكْتُوبَةِ». وفي رواية: «فيفعل به إلى يوم القيامة».

٢- عذاب الكذب:

وفي حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه كذلك: «فَانْطَلَقْنا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِكَلُّوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقَّيْ وَجْهِهِ فَيُشَرْشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنَاهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرَهُ إِلَى قَفَاهُ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الْجَانِبِ الآخَرِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الأَوَّلِ، فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ حَتَّى يَصِحَّ الجانب كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عليه فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الأُولَى».

وفي آخر الحديث: «وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُشَرْشَرُ شِدْقُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنَاهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرَاهُ إِلَى قَفَاهُ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكَذِبَةَ تَبْلُغُ الآفَاقَ».

وفي رواية : «فيفعل به إلى يوم القيامة».

٣-عذاب الزناة والزواني:

وفي الحديث السابق كذلك: «فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى مِثْلِ التَّنُّورِ فَأَحْسَبُ أَنَّهُ قَالَ: فَإِذَا فِيهِ لَغَطٌ وَأَصْوَاتٌ فَاطَّلَعْنا فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهبٌ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضَوْا». وفي بيان هؤلاء، جاء في الحديث: «وَأَمَّا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ الْعُرَاةُ الَّذِينَ في مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُّورِ فَإِنَّهُمْ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي».

٤- عذاب آكل الربا:

وأيضًا بيانه في الحديث السابق الذكر، وفيه: «فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ حَسِبْتُ أَنَّهُ كان يقول: أَحْمَرَ مِثْلِ الدَّمِ، وَإِذَا فِي النَّهَرِ رَجُلٌ سابح يَسْبَحُ وإذ على شط النهر رجل قَدْ جَمَعَ عنه حِجَارَةً كثيرة، وإذا ذلك السابح يسبح ثم يأتي ذلك الرجل الذي قد جمع عنده الحجارة فَيَفْغَرُ لَهُ فَاهُ فَيُلْقِمُهُ حَجَرًا» وفي آخر الحديث: «وَأَمَّا

الرَّجُلُ الَّذِي أتيت يَسْبَحُ فِي النَّهَرِ وَيُلْقَمُ الْحِجَارَةَ فَإِنَّهُ آكِلُ الرِّبَا».

٥- عذاب من لا يستبرئ من البول:

قال رسول اللَّه ﷺ: «أَكْثَرُ عَذَابِ الْقَبْرِ مِنْ الْبَوْلِ»(١).

٦- زيادة عذاب الكافر ببعض بكاء أهله عليه:

قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَزِيدُ الْكَافِرَ عَذَابًا بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ»(٢).

٧- عذاب الميت بما نيح عليه:

قال ﷺ: «الْمَيِّتُ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ بِمَا نِيحَ عَلَيْهِ»(٣).

٨- عذاب الميت ببعض أقوال أهله فيه:

قال رسول اللَّه ﷺ: «مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ بَاكِيهِ فَيَقُولُ: وَا جَبَلَاهْ وَا سَيِّدَاهْ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، إِلَّا وُكِّلَ بِهِ مَلَكَانِ يَلْهَزَانِهِ: أَهَكَذَا كُنْتَ»(٤).

٩- عذاب من كان يمشي في النميمة:

عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى قَبْرَيْنِ فَقَالَ: «أَمَا إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ؛ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ؛ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ»(٥).

الأنبياء والبرزخ:

توكيل اللَّه تعالى ملكًا عند قبر النبي ﷺ لإخباره بمن يصلي عليه، بتسمية الشخص الذي صلى على الرسول ﷺ باسمه، قال ﷺ: «أكثروا الصلاة علي؛

---

(١) صحيح، رواه ابن ماجه (٣٤٨) عن أبي هريرة، صححه الألباني في صحيح الجامع (١٢٠٢).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٩٢٩) عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما.

(٣) صحيح، رواه البخاري (١٢٩٢)، ومسلم (٩٢٧/١٧) عن عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه.

(٤) حسن، رواه الترمذي (١٠٠٣) عن أبي موسى، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٧٨٨).

(٥) صحيح، رواه البخاري (٢١٦، ١٣٧٨، ٦٠٥٢)، ومسلم (٢٩٢/١١١)، وأبو داود (٢٠)، والترمذي (٧٠)، والنسائي (٣١)، وابن ماجه (٣٤٧).

فإن اللّه وكل بي ملكًا عند قبري، فإذا صلَّ علي رجل من أمتي قال لي ذلك الملك: يا محمد إن فلان بن فلان صلى عليك الساعة»(١).

وقال ﷺ: «أَكْثِرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَإِنَّهُ مَشْهُودٌ تَشْهَدُهُ الْمَلَائِكَةُ، وَإِنَّ أَحَدًا لَنْ يُصَلِّيَ عَلَيَّ إِلَّا عُرِضَتْ عَلَيَّ صَلَاتُهُ»(٢).

- الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء:

قال ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنْ الصَّلَاةِ فِيهِ؛ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ» قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرِمْتَ؟ يَقُولُونَ: بَلِيتَ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ»(٣).

الأنبياء في القبور أحياء (حياة برزخية تختلف أحكامها عن أحكام الدنيا).

- صلاتهم عليهم السلام في قبورهم.

قال ﷺ: «الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون»(٤).

وقال ﷺ: «مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام وَهُوَ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ»(٥).

- التقاء الرسول بآدم ويحيى وعيسى ويوسف وإدريس وهارون وموسى وإبراهيم عليهم الصلاة والسلام.

---

(١) حسن، رواه الديلمي (١/١/٣١) عن أبي بكر، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٢٠٧).

(٢) صحيح، جزء من حديث رواه ابن ماجه (١٣٦٧) عن أبي الدرداء، وصححه الألباني في المشكاة (١٣٦٦).

(٣) صحيح، رواه أبو داود (١٠٤٧)، والنسائي (١٣٧٤) عن أوس بن أوس، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٢١٢).

(٤) صحيح، رواه البزار في مسنده (٢٥٦)، وتمام الرازي في الفوائد (٥٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٢١).

(٥) صحيح، رواه مسلم (١٦٤/٢٣٧٥)، والنسائي (١٦٣١) عن أنس رضي اللّه عنه.

– بكاء موسى عليه السلام في البرزخ حسد غبطة.

– نصيحة موسى عليه السلام لرسولنا ﷺ، أن يسأل اللَّه تعالى التخفيف فيما فرضه على عباده من الصلاة.

– عن مالك بن صعصعة رضي اللَّه عنه عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «بَيْنَمَا أَنَا فِي الْحَطِيمِ -وَرُبَّمَا قَالَ: فِي الْحِجْرِ مُضْطَجِعًا- إِذْ أَتَانِي آتٍ، فَقَدَّ قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ فَشَقَّ مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ -فَقُلْتُ لِلْجَارُودِ وَهُوَ إِلَى جَنْبِي مَا يَعْنِي بِهِ؟ قَالَ: مِنْ ثُغْرَةِ نَحْرِهِ إِلَى شِعْرَتِهِ- وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: مِنْ قَصِّهِ إِلَى شِعْرَتِهِ فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي، ثُمَّ أُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إِيمَانًا فَغُسِلَ قَلْبِي، ثُمَّ حُشِيَ ثُمَّ أُعِيدَ، ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ دُونَ الْبَغْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ أَبْيَضَ، -فَقَالَ لَهُ الْجَارُودُ: هُوَ الْبُرَاقُ يَا أَبَا حَمْزَةَ، قَالَ أَنَسٌ: نَعَمْ- يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ، فَانْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفَتَحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا فِيهَا آدَمُ فَقَالَ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالِابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفَتَحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يَحْيَى وَعِيسَى وَهُمَا ابْنَا الْخَالَةِ، قَالَ: هَذَا يَحْيَى وَعِيسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا، فَسَلَّمْتُ فَرَدَّا ثُمَّ قَالَا: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يُوسُفُ قَالَ: هَذَا يُوسُفُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ قِيلَ: أَوَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ

جَاءَ، فَفُتِحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ إِلَى إِدْرِيسَ قَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الْخَامِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا هَارُونُ قَالَ: هَذَا هَارُونُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّادِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا مُوسَى قَالَ: هَذَا مُوسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ بَكَى قِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: أَبْكِي لِأَنَّ غُلَامًا بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي، ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ: هَذَا أَبُوكَ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ قَالَ: مَرْحَبًا بِالِابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ رُفِعَتْ إِلَيَّ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، فَإِذَا نَبْقُهَا مِثْلُ قِلَالِ هَجَرَ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفِيَلَةِ، قَالَ: هَذِهِ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ: نَهْرَانِ بَاطِنَانِ، وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَانِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنِّيلُ وَالْفُرَاتُ، ثُمَّ رُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ فَقَالَ: هِيَ الْفِطْرَةُ الَّتِي أَنْتَ عَلَيْهَا وَأُمَّتُكَ، ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ الصَّلَوَاتُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى فَقَالَ: بِمَا أُمِرْتَ؟ قَالَ: أُمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي وَاللَّهِ قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ

مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِعَشْرِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ: بِمَ أُمِرْتَ؟ قُلْتُ: أُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، قَالَ: سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ، وَلَكِنِّي أَرْضَى وَأُسَلِّمُ قَالَ: فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَى مُنَادٍ: أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي»[1].

ما ينتفع به الميت بعد موته:

١- الصلاة عليه:

قال رسول اللَّه ﷺ: «مَا مِنْ مَيِّتٍ تُصَلِّي عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ يَبْلُغُونَ مِائَةً كُلُّهُمْ يَشْفَعُونَ لَهُ إِلَّا شُفِّعُوا فِيهِ»[2].

وقال ﷺ: «مَا مِنْ مَيِّتٍ يُصَلِّي عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنْ النَّاسِ إِلَّا شُفِّعُوا فِيهِ»[3].

٢- استئناس الميت بإخوانه في اللَّه بعد الدفن، قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها:

وقد تقدم معنا قول عمرو بن العاص رضي اللَّه عنه: «فَإِذَا دَفَنْتُمُونِي فَشُنُّوا عَلَيَّ التُّرَابَ شَنًّا، ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزُورٌ وَيُقْسَمُ لَحْمُهَا، حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ، وَأَنْظُرَ مَاذَا أُرَاجِعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي»[4].

٣- الدعاء له بعد دفنه مباشرة بالتثبيت والاستغفار له:

عن عثمان بن عفان رضي اللَّه عنه قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٣٨٨٧) واللفظ له، ومسلم (٢٦٤/١٦٤).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٥٨/٩٤٧) عن عائشة رضي اللَّه عنها.

(٣) حسن، رواه النسائي (١٩٩٣) عن ميمونة زوج النبي ﷺ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٧٨٧).

(٤) صحيح، رواه مسلم (١٩٢/١٢١).

وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ: «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ وَسَلُوا لَهُ بِالتَّثْبِيتِ فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ»[١].

٤- الصدقة الجارية التي عملها في حياته، وعلم نافع، وولد صالح يدعو له:

قال ﷺ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»[٢].

٥- الصدقة من قبل ابنه:

عن عائشة رضي اللَّه عنها أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنَّ أُمِّي افْتُلِتَتْ نَفْسُهَا وَأَظُنُّهَا لَوْ تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقَتْ، فَهَلْ لَهَا أَجْرٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ»[٣]. افتلتت نفسها: أي ماتت.

٦- الدعاء والاستغفار من سائر المسلمين والمؤمنين:

لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠].

وقال ﷺ: «من استغفر للمؤمنين وللمؤمنات، كتب اللَّه له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة»[٤].

٧- رباط في سبيل اللَّه تعالى في الدنيا:

قال ﷺ: «كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الَّذِي مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنَّهُ يُنْمَى لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيَأْمَنُ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ»[٥].

---

(١) صحيح، رواه أبو داود (٣٢٢١)، وصححه الألباني في المشكاة (١٣٣).

(٢) صحيح، رواه مسلم (١٤/١٦٣١) عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه.

(٣) صحيح، رواه البخاري (١٣٨٨) واللفظ له، ومسلم (٥١/١٠٠٤)، وأبو داود (٢٨٨١)، والنسائي (٣٦٤٩)، وابن ماجه (٢٧١٧).

(٤) حسن، رواه المتقي الهندي في كنز العمال (٢٠٦٧)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٠٢٦).

(٥) صحيح، رواه أبو داود (٢٥٠٠)، والترمذي (١٦٢١) واللفظ له، كلاهما عن فضالة بن عبيد، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٥٦٢).

ما ينجي من عذاب القبر:

١- الاستشهاد في ساحة القتال:

أ- قال ﷺ: «لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ يَغْفِرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دُفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ، وَيُرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الأَكْبَرِ، وَيُحَلَّى حُلَّةَ الْإِيمَانِ، وَيُزَوَّجُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَقَارِبِهِ»[١].

ب- وعن رجل من أصحاب النبي ﷺ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا بَالُ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ إِلَّا الشَّهِيدَ؟ قَالَ: كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً»[٢].

٢- الرباط في سبيل الله تعالى:

أ- قال ﷺ: «رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَأَمِنَ الْفَتَّانَ»[٣].

ب- قال ﷺ: «كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الَّذِي مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يُنْمَى لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيَأْمَنُ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ»[٤].

٣- الموت بداء البطن:

عن عبد الله بن يسار قال: كُنْتُ جَالِسًا وَسُلَيْمَانُ بْنُ صُرَدٍ وخَالِدُ بْنُ عُرْفُطَةَ فَذَكَرُوا أَنَّ رَجُلًا تُوُفِّيَ مَاتَ بِبَطْنِهِ، فَإِذَا هُمَا يَشْتَهِيَانِ أَنْ يَكُونَا شُهَدَاءَ جَنَازَتِهِ فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلآخَرِ: أَلَمْ يَقُلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يَقْتُلْهُ بَطْنُهُ فَلَنْ يُعَذَّبَ فِي قَبْرِهِ»؟ فَقَالَ الْآخَرُ: بَلَى[٥]. وفي رواية: «صدقت».

---

(١) صحيح، رواه الترمذي (١٦٦٣)، وابن ماجه (٢٧٩٩) واللفظ له عن المقدام بن معديكرب. وصححه الألباني في أحكام الجنائز (ص:٢١).

(٢) صحيح، رواه النسائي (٢٠٥٣)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١٣٨٠).

(٣) صحيح، رواه مسلم (١٦٣/١٩١٣) عن سلمان بن الإسلام.

(٤) صحيح، رواه أبو داود (٢٥٠٠)، والترمذي (١٦٢١) واللفظ له، كلاهما عن فضالة بن عبيد، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٥٦٢).

(٥) صحيح، رواه الترمذي (١٠٦٤)، والنسائي (٢٠٥٢) واللفظ له، وصححه الألباني في سنن النسائي (٤/٩٨).

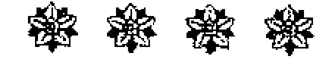
٤- قراءة سورة تبارك:

قال ﷺ: «سورة تبارك هي المانعة من عذاب القبر»[١].

٥- الموت يوم الجمعة أو ليلتها:

قال ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَوْ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ إِلَّا وَقَاهُ اللَّهُ فِتْنَةَ الْقَبْرِ»[٢].

❁ **ملاحظة:** كل الأحاديث التي ذكرناه في الحديث عن عالم البرزخ هي أحاديث ثابتة في السنة الصحيحة.



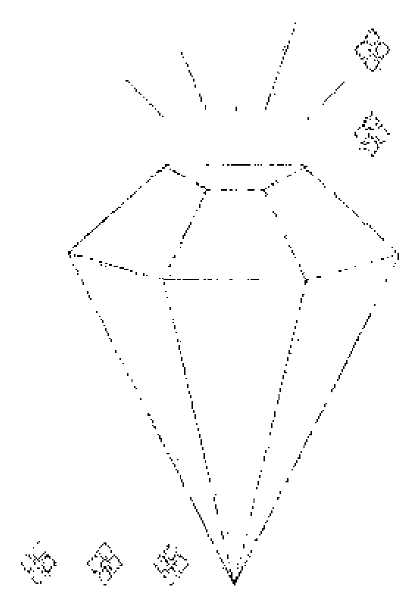
(١) صحيح، رواه أبو الشيخ في طبقات الأصبهانيين (٢٦٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٦٤٣).

(٢) رواه الترمذي (١٠٧٤)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٧٧٣).

الركن السادس من أركان الإيمان

الإيمان بالقضاء والقدر

خيره وشره، وحلوه ومره



الركن السادس من أركان الإيمان

الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره، وحلوه ومره

ثمرة الرضا بالقضاء:

وللرضا بالقضاء نتائج سارة وثمرات طيبة ومن هذه النتائج السارة والثمرات الطيبة:

١- أنه يكسب صاحبه قوة الشكيمة، ومضاء العزيمة، فإن من اطمأنت نفسه إلى أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، خلت جميع أعماله من الحيرة والتردد، وانتفى من حياته القلق والاضطراب؛ لأنه بمجرد ما يترجح لديه الإقدام على أمر ما أقدم عليه في غير ما خوف، ولا هيبة ولا تردد، ومن هنا فإنه لا يحزن على ماضٍ، ولا يغتم لحاضر، ولا يؤلمه هم المستقبل، وبذلك يكون أسعد الناس حالًا وأطيبهم نفسًا، وأصلحهم بالًا، وأهدأهم خاطرًا.

٢- أنه يكون من أشجع الناس عقلًا وقلبًا، وأكرمهم قولًا ونفسًا، فإن من عرف أن أجله محدود، ورزقه معدود، فلا الجبن يزيد في عمره، ولا الشح يزيد في رزقه، نافس في البطولات وسابق في المكرمات.

ومما لا شك فيه أن هذه الصفات قد تجلت واضحة في أمة الإسلام، أيام كانت عقيدة القضاء والقدر واضحة في نفوسهم، قوية في قلوبهم فقد فاقوا الناس شجاعة وكرمًا وصبرًا وحلمًا، ومعرفةً وعلمًا، الأمر الذي تمكنوا به من سيادة العالم، وقيادته مدة من الزمن طويلة غير قصيرة[1].

---

(١) راجع ما كتبه فضيلة الشيخ أبو بكر الجزائري في كتابه عقيدة المؤمن (بتصرف).

موجز اعتقاد أهل السنة والجماعة في القضاء والقدر:

الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره يشمل:

١- الإيمان بأن اللَّه تعالى علم ما يكون قبل أن يكون كيف يكون فقدَّر ذلك وقضاه وكتبه في اللوح المحفوظ.

٢- أن ما شاء اللَّه كان وما لم يشأ لم يكن، فلا يكون في ملك اللَّه تعالى إلا ما يشاء، فإذا شاء جاء ما شاء في الوقت الذي يشاء على الوجه الذي يشاء.

٣- أهل السنة والجماعة يثبتون للَّه تعالى الإرادة والمشيئة، وأن للمخلوق إرادة ومشيئة ولكنها تابعة لإرادة الخالق ومشيئته.

٤- لا جبر، ولا نفي للقدر، والإنسان فاعل مختار على الحقيقة واللَّه خالق الإنسان وخالق أفعاله.

٥- واللَّه عليم بعباده علم إحاطة فيعلم من يستحق الهداية ممن يستحق الغواية، فأما من كان من أهل السعادة فَيُيَسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاوة فييسر لعمل أهل الشقاوة، ولذلك فكلٌ ميسر لما خلق له.

٦- هداية العباد وإضلالهم بيد اللَّه فمنهم من هداه اللَّه فضلًا، ومنهم من حقت عليه الضلالة عدلًا.

٧- إثبات الحكمة في أفعال اللَّه تعالى فما خلق اللَّه تعالى في كونه من شيء إلا لحكمة بالغة قد نعلمها وقد لا نعلمها.

٨- الآجال مكتوبة والأرزاق مقسومة، والسعادة والشقاوة مكتوبتان على الناس قبل خلقهم.

٩- الاحتجاج بالقدر يكون على المصائب والآلام، ولا يجوز الاحتجاج به على المعايب والآثام، بل تجب التوبة منها، ويلام فاعلها.

١٠- الأسباب لها تأثير بإذن اللَّه ومشيئته، ونفي تأثير الأسباب مخالف للشرع والعقل، والانقطاع إلى الأسباب كليةً شركٌ في التوحيد، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع، والتوكل لا ينافي الأخذ بالأسباب، ولذلك فالمؤمن يأخذ بالأسباب ويتعلق بربها.

١١- الجزاء من ثواب وعقاب قائم على أساس الرحمة والعدل، فكل نعمة فهي رحمة من اللَّه وفضل، وكل نقمة منه عدل.

ما للعباد عليه حق واجب ... كلا ولا سعي لديه ضائع
إن عُذِّبوا فبعدله أو نُعِّموا ... فبفضله وهو الكريم الواسع

القدر قدران:

قدر عام: وهو الذي يشمل الكون كله وما يجري فيه من أحداث كالحياة والموت والقحط والجدب وما إلى ذلك من أحداث جارية على نظام السنن التي يقول اللَّه فيها: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾ [فاطر:٤٣]، فالشمس والقمر والأرض والنجوم والكواكب وسائر المخلوقات كل ذلك مشدود بقوانين عجيبة، ومحكوم بسنن ثابتة لا تتبدل ولا تتغير، كما صرح بذلك القرآن الكريم، وهذا قد سلم به وآمن به كل المؤمنين، ولم ينكره ولم يمارِ فيه أحد.

القدر الخاص: وهو المتعلق بأفعال العباد حسنها وسيئها، صالحها وفاسدها، وهذا هو الذي تضاربت به الأقوال، وتغيرت به الأحوال، وانقسم به الناس إلى أربعة أقسام واحدة على الحق، وثلاث فئات ترتع في الضلال، أما الثلاث فئات التي ترتع في الضلال فهم: (القدرية) أي: نفاة القدر، (والجبرية) (والإبليسية)، وأما الفرقة التي على الحق المبين فهم أهل السنة والجماعة الذين قالوا: (لا جبر، ولا نفي للقدر، والإنسان فاعل مختار على الحقيقة، واللَّه خالق الإنسان وخالق أفعاله).

وإليك التفصيل في هذه الفرق:

أولًا: القدرية (نفاة القدر):

أول ما ظهر القول فيه على عهد عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي الراشد، وذلك في حدود المائة الأولى من الهجرة، قال به وأظهره ودعا إليه غيلان الدمشقي حتى قتله هشام بن عبد الملك، وهذا لا ينافي ما روي من أن القول بنفي القدر كان في أواخر أيام الصحابة رضي اللَّه عنهم، إذ ما قيل في تلك الأيام كان مجرد قول قاله فرد أو أفراد، فأنكره عليهم من وجد من أصحاب رسول اللَّه ﷺ كابن عمر، وابن عباس رضي اللَّه عنهم، حتى قضوا عليه واخمدوا نار فتنته إلى حين.

ونفي أولئك النفر للقدر معناه أن الأمور المتعلقة بأفعال العباد لم تُقض أزلًا ولم تكتب في كتاب المقادير (اللوح المحفوظ) ولم يعلمها اللَّه تعالى قبل وجودها، ويبدو أن الطائفة التي قالت بنفي القدر بهذا المعنى قد دحضت حجتها وذهب باطلها وانتهت نهائيًا من الوجود؛ لأن نصوص الكتاب والسنة في إثبات القدر الخاص والعام متكاثرة متضافرة بحيث يُعَدُّ منكرها كافرًا لا مقام له بين المسلمين، وها نحن نورد تلك النصوص تسجيلًا لها في هذا المقام بهذه المناسبة، ليرتادها القلب كلما رانت عليه أثر الشبه التي لا تبرح تمر بالقلب، وتحوم حوله للإغواء والفتنة، ومن تلك النصوص قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، وقوله: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٣﴾﴾ [الأعلى]، وقوله: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد].

وقول الرسول ﷺ في رواية لمسلم: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»(١).

وقوله ﷺ في رواية للبخاري: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى

(١) صحيح، رواه مسلم (٢٦٥٣/١٦).

الْمَاءِ ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ»(١)، والذكر هو اللوح المحفوظ.

وقوله ﷺ في رواية أبي داود: «أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ، وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»(٢).

قال ابن عمر رضي الله عنها في صحيح مسلم وقد أخبر أن ناسًا يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أُنُفٌ -أي مستجد لم يسبق به علم الله ولا قدره- قوله لمن أخبره بذلك: «فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللَّهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ»(٣).

وفي حديث ابن عباس عند الترمذي بسند حسن صحيح قوله ﷺ: «رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ»(٤).

غير أنه قد وجد فيما بعد من يقول بنفي القدر عن أفعال العباد، فزعم أن العبد يخلق أفعاله بنفسه، وأن الله تعالى لا دخل له في ذلك، ولا علم، وأن أفعال العباد لم تقدر ولم يعلمها الله تعالى قبل وجودها.

قالوا: كيف يفعل الله القبيح وهو ينهى عنه ويحرمه، وهذا هو أساس شبهتهم التي بنوا عليها مذهبهم في كون الله تعالى لم يخلق أفعال العباد ولم يقدرها لهم أو عليهم، وإنما العبد وحده هو الخالق لأفعاله وأضافوا إلى شبهتهم هذه شبهة أخرى وهي قولهم: كيف يخلق الله تعالى أفعال العباد ثم يعاقبهم عليها؟ وأصبحوا بهذا يعرفون بالقدرية، أي نفاة القدر، ولزمهم أن العبد مادام يستقل بخلق أفعاله فقد

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٧٤١٨).

(٢) صحيح، رواه أبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٢١٥٥، ٣٣١٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٠١٨).

(٣) صحيح، جزء من حديث طويل رواه مسلم (١/٨).

(٤) صحيح، رواه الترمذي (٢٥١٦)، وصححه الألباني في المشكاة (٥٣٠٢).

أصبح ربًا يخلق ما أراد أن يخلق من الأفعال، وبطل بذلك التوحيد الذي هو أصل الدين وأساسه، ومن هنا سموا بمجوس هذه الأمة، لتعدد الخالقين بحسب مذهبهم في أن الإنسان خالق أفعاله بمقتضى قدرته وعلمه لا بمقتضى قدرة اللَّه وعلمه.

ثانيًا: الجبرية (طائفة من المعتزلة):

الجبر وحقيقته:

وعلى العكس من نفاة القدر كانت طائفة الجبرية من المعتزلة، أول من ظهر منهم الجعد بن درهم، وكان قد تلقى مذهب الجبر من يهودي من يهود الشام، وتلقاه عنه الجهم بن صفوان رئيس الطائفة الجهمية نفاة الصفات المعطلين.

ومما تجدر الإشارة إليه أن مذهب القدر كمذهب الجبر كليهما من صنع اليهود لإفساد عقيدة المؤمنين، إذ سبق أن ذكرنا أن أول من قال بنفي القدر غيلان الدمشقي، الذي قتله هشام بن عبد الملك فلا يبعد أن يكون غيلان هذا قد تلقاه من يهود الشام أيضًا.

وحقيقة الجبر:

أن الإنسان لا يخلق أفعاله، ولا ينبغي أن تنسب إليه إلا على سبيل المجاز، فهي نسبة فعل لا نسبة إرادة واختيار إذ هي أفعال اللَّه، أجراها على يد العبد غير مؤاخذ على أفعاله، وأنه لا يعاب منه فعل، ولا يلام عليه، ولو كان في غاية القبح والفساد، ولذا كان هذا المذهب أفسد وأشد شرًا من سابقه الذي هو مذهب القدرية، والذي ينبغي الإشارة إليه هنا هو أن عقيدة الجبر بالرغم من كونها أكثر ضررًا وفسادًا من عقيدة نفي القدر فقد ظلت ظاهرة في المسلمين، سارية فيهم وبدون إرادة منهم لها، ولا رغبة فيها، ولعل السبب يعود في ذلك إلى أن عقيدة الجبر هذه لا تلقي التبعة على العبد فيما يرتكب من المعاصي، وفيما يقارف من الذنوب، وتجعله معذورًا أمام نفسه حتى قال بعض ضحايا هذا المعتقد الخطير: (أصبحت منفعلًا لما يختار مني ... ففعلي كله طاعات) وكم قعد هذا المعتقد الخاطيء الفاسد بكثير

من المسلمين عن العمل الجاد النافع فضعفوا ووهنوا، وأصيبوا بكل قاصمة للظهر حتى أصبحوا مثلًا في العجز والكسل، والتخلف في ميادين العمل والإنتاج، ووجد بسببهم العدو الكافر مجالًا للطعن في عقيدة الإسلام والاحتجاج على المسلمين فيما أصابهم، ونزل بهم بسلوك هؤلاء الذين قتلهم مذهب الجبر، وأفسد عليهم دينهم ودنياهم.

فلننظر كيف تحول مذهب الجبر إلى مذهب معطل قاتل، ولا يقود أهله إلا إلى خسران الدنيا والآخرة، أرأيت لو أخذ الناس كلهم بهذا المذهب ماذا كان يحدث للحياة؟ كانت تنتهي وكفى!!

فسبحان اللَّه! ماذا يفعل التضليل بالناس! وهذا شأن كل المذاهب الهدامة التي هبطت بالإنسان إلى منزلة الحيوان، وبالتأمل يظهر لنا أن جميع المذاهب الهدامة المدمرة في العالم كانت من صنع اليهود الحاقدين على البشرية، الناقمين عليها، ومن هنا فإنني لا أشك أن مذهب الجبر كمذهب القدر، كمذهب التشيع كأكثر طرق الصوفية، الكل طبخ في مطابخ اليهود، وقدم طعامًا مسمومًا للمسلمين ليموتوا به، ويهلكوا عليه. ولا حول ولا قوة إلا باللَّه.

والآن حان لنا أن نعرض عقيدة القدر والقضاء عرضًا أكثر وضوحًا وتحديدًا من ذي قبل وتحت عنوان:

لا جبر ولا نفي للقدر:

الإنسان فاعل على الحقيقة مختار، واللَّه خالق الإنسان وخالق أفعاله، وهو عليم بعباده علم إحاطة فيعلم من يستحق الهداية ممن يستحق الغواية، فأما من كان من أهل السعادة، فييسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاوة فييسر لعمل أهل الشقاوة، فكل ميسر لما خلق له.

إنه قد صعب على غير الموفقين من الناس التوفيق بين كون الإنسان فاعلًا لأفعاله، مريدًا لها، مختارًا فيها، مهيأ للثواب عليها إن كانت خيرًا، وللعقاب عليها إن

كانت شرًا، وبين كون اللَّه تعالى هو خالقه وخالق أفعاله خيرها وشرها، مع اعتقاد عدل اللَّه وتنزيهه عن الظلم.

ومن هنا انقسموا فرقًا فقالت فرقة منهم: إن العبد هو خالق أفعاله بنفسه، وليس للَّه تعالى فيها دخل ألبتة، واعتذروا بكون أفعال الإنسان منها ما هو شر وقبيح ينزه اللَّه تعالى عنه، ولا تجوز نسبته إليه، فالتزموا بناءً على هذا المذهب بمبدأ نفي القدر عن أفعال العباد، أي لم يعلمها اللَّه تعالى أزلًا، ولم يقدرها، ولم تكتب في الذكر (كتاب المقادير)، ولزمهم في معتقدهم هذا أن يكون للكون غير خالق واحد، وهو رد صريح لقول اللَّه تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات]، وقوله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام].

فكانوا بهذا مجوسًا لإثباتهم خالقين مع اللَّه تعالى في الكون، وقد روى أحمد وأبو داود بسند حسن أن النبي ﷺ قال: «الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ إِنْ مَرِضُوا فَلَا تَعُودُوهُمْ وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ»(١).

وقالت فرقة أخرى بعكس ما قالت الأولى، فكانوا على النقيض معهم إذ قالوا: إن العبد لا إرادة له في أفعاله ولا اختيار، وليس هو بالفاعل على الحقيقة أبدًا، وإنما الفاعل هو اللَّه عز وجل وما ورد في القرآن من نسبة الفعل إلى العبد كقوله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: ٩١].

إلى غير ذلك من الآيات التي تسند الفعل إلى العبد خيرًا كان أو شرًا، إنما هي نسبة مجازية علاقتها السببية ولم تكن نسبة حقيقية أبدًا، إن هي إلا أفعال اللَّه تعالى أجراها على يد العبد، والعبد مجبور عليها، غير مريد لها، ولا اختيار له في

---

(١) حسن، رواه أبو داود (٤٦٩١)، وحسنه الألباني في المشكاة (١٠٧)، وأحمد في المسند (٥٥٥٩) بنحوه.

فعلها أو تركها، ولزمهم بذلك أن لا يكون في فعل العبد حسن ولا قبح، ولا خير ولا شر، وبالتالي فلا حساب عليها ولا عقاب، وبناء على مذهبهم هذا فإنه لم يبق من معنى لبعثة الرسل، وإنزال الكتب، ووضع الشرائع، ومن هنا كان هذا المذهب مذهب الجبر والتعطيل أسوأ، وأفسد، وأقبح من القدرية.

ثالثًا: الإبليسية:

وقال فريق ثالث: إنه ما دام اللَّه تبارك وتعالى قد نفى الظلم عن نفسه في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠] وحرَّمه على نفسه وعلى عباده في قوله في الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا»(١).

فكيف يجوز إذًا عقلًا أن يكتب على العبد أزلًا أعماله ليقوم بها حتمًا، ثم يؤاخذه عليها؟ بل ذهبوا إلى أكثر من هذا القول بشاعة وقبحًا فقالوا: ما دام اللَّه تعالى علم مصير العبد وقرره، حيث قدره بكتابته في كتاب المقادير العام (اللوح المحفوظ)، وأصبح العبد لا محالة صائرًا إليه شاء أم أبى، أحب أم كره، فكيف يؤمر العبد وينهى، ويطالب بفعل الطاعات، وترك المعاصي، والأمر قد بُتَّ فيه، وفُرِغَ منه، وإنما يؤمر وينهى من لم يحدد له مصير، وتقرر له نهاية، فمثل هذا يؤمر ويُنهىٰ لتقرير مصيره بحسب استجابته لما أمر به ونهي عنه، وعدمها.

ولزمهم في مذهبهم هذا ما أصبحوا به شرًا من إبليس ألا وهو الاعتراض على اللَّه تعالى، ونسبة الظلم إليه وهو المنزه عن الظلم، البعيد عن كل نقص سبحانه لا إله إلا هو، ولا رب سواه.

وأخيرًا ينبغي أن تسمى هذه الفرقة الحيارى المترددة (بالإبليسية) وإن كانت شرًا من إبليس، وهدى اللَّه أهل الإيمان والتقوى إلى الحق الذي اختلفت فيه تلك الفرق فضلت عنه وجانبته، وعاشت بعيدة عنه، وهي ما بين مجوسية نافية لأقدار اللَّه

(١) صحيح، جزء من حديث رواه مسلم (٢٥٧٧/٥٥).

تعالى، مُثبتةً باطلًا خالقين متعددين في العالم، في حين أنه لا خالق إلا اللَّه سبحانه وتعالى، وبين جبرية معطلة للشرع، منكرة للعقل، وبين إبليسية معترضة على اللَّه تعالى في قدره، نافية لمشيئته وحكمته، شاكة في عدله ورحمة قضائه.

هدى اللَّه تعالى أهل الإيمان والتقوى إلى الحق بإذنه فآمنوا بقضاء اللَّه وقدره، وعدله ورحمته، وإرادته ومشيئته، وحكمته، وقالوا: لا يتم إيمان عبد حتى يؤمن بقدر اللَّه تعالى.

ذلك القدر الذي هو سر نظام الحياة، وهو علم اللَّه الأزلي، وتقديره لكل شيء، وكتابته في اللوح المحفوظ، والمعبر عنه أحيانًا بالإمام المبين كقوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس :١٢].

فلا يزيد شيء عما كتب ولا ينقص، الأحداث الصغار التي تجري في هذا الكون كالأحداث الكبار والأعراض والصفات كالأجسام والذوات، كل شيء كان منذ كان الكون أو سيكون إلى انقراض الكون، قد جرى به العلم، ومضى فيه التقدير، وكتب في الذكر حتى عجز الخاملين، وكيس النابهين.

روى مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ قوله: «كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى الْعَجْزِ وَالْكَيْسِ»(١).

وأخرج الشيخان عن علي أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنْ النَّارِ وَمَقْعَدُهُ مِنْ الْجَنَّةِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ الْعَمَلَ؟ قَالَ: اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦﴾ [الليل]»(٢)(٣).

---

(١) صحيح، رواه مسلم (١٨/٢٦٥٥).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٤٩٤٩)، ومسلم (٦/٢٦٤٧).

(٣) راجع ما كتبه أبو بكر الجزائري في الحديث عن القدرية والجبرية والإبليسية في كتابه عقيدة المؤمن (بتصرف).

الجهاد ماضٍ إلى قيام الساعة

الجهاد مأخوذ من الجهد وهو الطاقة والمشقة، يُقال: جاهد يُجاهد جهادًا ومجاهدة، إذا استفرغ وسعه، وبذل طاقته، وتحمل المشاق في مقاتلة العدو ومدافعته من أجل إعلاء كلمة اللَّه تعالى، وهو ما يُعبر عنه بالحرب في العُرف الحديث، والحرب هي القتال المُسلح بين دولتين أو أكثر، وهي أمر طبيعي في البشر، لا تكاد تخلو منه أمة ولا جيل.

تشريع الجهاد في الإسلام

أرسل اللَّه رسوله إلى الناس جميعًا، وأمره أن يدعو إلى الهُدى ودين الحق، ولبث في مكة يدعو إلى اللَّه بالحكمة والموعظة الحسنة.

وكان لابد من أن يلقى مناوأة من قومه الذين رأوا أن الدعوة الجديدة خطر على كيانهم المادي والأدبي.

فكان توجيه اللَّه له أن يلقى هذه المناوأة بالصبر، والعفو، والصفح الجميل: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾ [الطور :٤٨]، ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٌۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [الزخرف]، ﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ﴾ [الحجر :٨٥]، ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ [الجاثية :١٤].

ولم يأذن اللَّه بأن يقابل السيئة بالسيئة، أو يواجه الأذى بالأذى، أو يُحارب الذين حاربوا الدعوة، أو يُقاتل الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات.

﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [المؤمنون].

وكل ما أمر به جهادًا في هذه الفترة أن يُجاهد بالقرآن، والحُجة، والبرهان ﴿وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا﴾ [الفرقان :٥٢].

ولما اشتد الأذى وتتابع الاضطهاد حتى وصل قمته بتدبير مؤامرة لاغتيال الرسول الكريم ﷺ، اضطر أن يُهاجر من مكة إلى المدينة، ويأمر أصحابه بالهجرة إليها بعد

ثلاث عشرة سنة من البعثة ... قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال].

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٤٠].

وفي المدينة -عاصمة الإسلام الجديدة- تقرر الإذن بالقتال حين أطبق عليهم الأعداء واضطروا إلى امتشاق الحُسام، دفاعًا عن النفس، وتأمينًا للدعوة.

وكان أول آية نزلت قول اللَّه سبحانه: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الحج: ٣٩-٤٠]. ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج].

وفي هذه الآيات تعليل للإذن بالقتال بأمور ثلاثة:

١- أنهم ظُلموا بالاعتداء عليهم، وإخراجهم من ديارهم بغير حق إلا أن يدينوا دين الحق، ويقولوا: ربنا اللَّه.

٢- أنه لولا إذن اللَّه للناس بمثل هذا الدفاع، لهدمت جميع المعابد التي يُذكر فيها اسم اللَّه كثيرًا، بسبب ظُلم الكافرين الذين لا يؤمنون باللَّه ولا باليوم الآخر.

٣- أن غاية النصر والتمكين في الأرض والحكم؛ إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

إيجابه:

وفي السنة الثانية من الهجرة، فرض اللَّه القتال، وأوجبه بقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة].

الجهاد فرض كفاية:

والجهاد ليس مفروضًا على كل فرد من المسلمين، وإنما هو فرض على الكفاية، إذا قام به البعض واندفع به العدو، وحصل به الغناء، سقط عن الباقين.

يقول اللَّه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة].

وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴿٧١﴾﴾ [النساء].

وفي البخاري: ويذكر ابن عباس: «انفروا ثبات» : سرايا متفرقين.

وقال سبحانه: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾ [النساء:٩٥].

وثبت في الحديث الصحيح أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ بَعْثًا إِلَى بَنِي لَحْيَانَ مِنْ هُذَيْلٍ فَقَالَ: «لِيَنْبَعِثْ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا وَالأَجْرُ بَيْنَهُمَا»[١].

ولو وجبت على الكل لفسدت الدنيا فوجب أن لا يقوم به إلا البعض.

تنبيه:

من الفرائض ما يجب على كل فرد أن يقوم به ولا يسقط بإقامة البعض له مثل: الإيمان والطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج، فهذه فرائض عينية يلزم كل فرد أداؤها، ولا يحل له أن يُقصِّر فيها.

ومن الفرائض ما يجب على بعض الناس دون البعض الآخر، وتسمى هذه الفرائض بفروض الكفاية وهي أنواع:

١- **النوع الأول ديني:** مثل: العلم، والتعليم،، وحكم الشُبهات، والرد على

---

(١) صحيح، رواه مسلم (١٣٧/١٨٩٦).

الشكوك التي تُثار حول الإسلام، وصلاة الجنازة، والأذان ونحو ذلك.

٢- **والنوع الثاني ما يتصل بإصلاح النظام المعيشي**: مثل: الزراعة، والصناعة، والطب، ونحو ذلك من الحرف التي يَضرُّ تعطيلها أمر الدين والدنيا.

٣- **والنوع الثالث من الفروض الكفائية ما يشترط فيه الحاكم**: مثل: الجهاد، وإقامة الحدود؛ فإن هذه من حق الحاكم وحده، وليس لأي فرد أن يقيم الحد على غيره.

٤- **والنوع الرابع ما لا يشترط فيه الحاكم**: مثل: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الفضائل، ومطاردة الرذائل.

فهذه الفروض الكفائية لا تجب على كل فرد، وإنما الواجب أن ينهض بها بعض الأفراد، فإذا قاموا بها وحصلت بهم الكفاية، سقط الوجوب عن الأفراد جميعًا، وإذا لم يقوموا بها، أثموا جميعًا.

متى يكون الجهاد فرض عين؟

ولا يكون الجهاد فرض عين إلا في الصور الآتية:

١- أن يحضر المكلَّف صف القتال، فإن الجهاد يتعين في هذه الحال، يقول اللَّه سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ﴾ [الأنفال :٤٥]. ويقول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾﴾ [الأنفال].

٢- إذا حضر العدو المكان أو البلد الذي يُقيم به المسلمون؛ فإنه يجب على أهل البلد جميعًا أن يخرجوا لقتاله، ولا يحل لأحد أن يتخلى عن القيام بواجبه نحو مقاتلته إذا كان لا يمكن دفعه إلا بتكتلهم عامة، ومناجزتهم إياه. يقول اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ [التوبة :١٢٣].

٣- إذا استفر الحاكم أحدًا من المكلفين؛ فإنه لا يسعه أن يتخلى عن الاستجابة

إليه. لما رواه ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا»[1]. أي: إذا طلب منكم الخروج إلى الحرب فاخرجوا.

تنبيه:

أي لا هجرة من مكة إلى المدينة بعد فتح مكة، وكانت هذه الهجرة فرضًا في الإسلام فنُسخت بهذا الحديث. أما الهجرة من دار الحرب إلى دار الإسلام فهي لم تُنسخ، بل هي مفروضة على من لا يأمن فيها على دينه.

يقول اللَّه سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾ [التوبة].

على من يجب؟

يجب الجهاد على المسلم الذكر العاقل البالغ الصحيح الذي يجد من المال ما يكفيه ويكفي أهله حتى يفرغ من الجهاد.

فلا يجب على غير المسلم، ولا على المرأة، ولا على الصبي، ولا على المجنون، ولا على المريض، فلا حرج على واحد من هؤلاء في التخلف عن الجهاد؛ لأن ضعفهم يحول بينهم وبين الكفاح، وليس لهم غَناء يعتد به في الميدان، وربما كان وجودهم أكثر ضررًا مع قلة نفعه.

وفي هذا يقول اللَّه سبحانه: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة :٩١].

ويقول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور :٦١].

وعن ابن عمر قال: عَرَضَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ فِي الْقِتَالِ وَأَنَا ابْنُ أَرْبَعَ

(١) صحيح، رواه البخاري (٢٧٨٣، ٢٨٢٥).

عَشْرَةَ سَنَةً فَلَمْ يُجِزْنِي[١]. ولأنه عبادة فلا يجب إلا على بالغ.

روى أحمد والبخاري عن عائشة قالت: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَى النِّسَاءِ جِهَادٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ عَلَيْهِنَّ جِهَادٌ لَا قِتَالَ فِيهِ الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ»[٢].

وفي رواية: «لَكِنَّ أَفْضَلَ الْجِهَادِ حَجٌّ مَبْرُورٌ»[٣].

وروى الواحدي والسيوطي في الدر المنثور عن مجاهد قال: قالت أم سلمة رضي اللَّه عنها: يا رسول اللَّه تغزو الرجال ولا نغزو، وإنما لنا نصف الميراث؟ فأنزل اللَّه تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾ [النساء]. أي: للرجال عمل خاص بهم كلفوا به وللنساء عمل خاص فلا يصح أن يتمنى كل من الفريقين عمل الآخر.

عن أنس رضي اللَّه عنه قال: «لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ انْهَزَمَ النَّاسُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَائِشَةَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ وَأُمَّ سُلَيْمٍ وَإِنَّهُمَا لَمُشَمِّرَتَانِ أَرَى خَدَمَ سُوقِهِمَا تَنْقُزَانِ الْقِرَبَ -وَقَالَ غَيْرُهُ تَنْقُلَانِ الْقِرَبَ- عَلَى مُتُونِهِمَا، ثُمَّ تُفْرِغَانِهِ فِي أَفْوَاهِ الْقَوْمِ، ثُمَّ تَرْجِعَانِ فَتَمْلَآنِهَا ثُمَّ تَجِيئَانِ فَتُفْرِغَانِهَا فِي أَفْوَاهِ الْقَوْمِ»[٤].

خدم سوقهما: الخلاخل في سوقهما.

وعنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَغْزُو بِأُمِّ سُلَيْمٍ وَنِسْوَةٍ مِنْ الْأَنْصَارِ مَعَهُ إِذَا غَزَا فَيَسْقِينَ الْمَاءَ وَيُدَاوِينَ الْجَرْحَى[٥].

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٢٦٦٤)، ومسلم (٩١/١٨٦٨) واللفظ له.

(٢) صحيح، رواه البخاري (٢٨٧٥)، وابن ماجه (٢٩٠١) واللفظ له، وأحمد في المسند (٢٣٩٤٢).

(٣) صحيح، رواه البخري (١٥٢٠، ٢٧٨٤).

(٤) صحيح، رواه البخاري (٢٩٠٢، ٣٨١١)، ومسلم (١٣٦/١٨١١).

(٥) صحيح، رواه مسلم (١٣٥/١٨١٠)، وأبو داود (٢٥٣١)، والترمذي (١٥٧٥).

إذن الوالدين

الجهاد الواجب لا يُعتبر فيه إذن الوالدين، وأما جهاد التطوع فإنه لابد فيه من إذن الوالدين المسلمين الحرين أو إذن أحدهما.

قال ابن مسعود: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا» قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «بِرُّ الْوَالِدَيْنِ» قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»[١].

وقال عبد اللَّه بن عمرو: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْجِهَادِ فَقَالَ: «أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ»[٢].

الاستعانة بالفجرة والمنافقين على الغزو:

يجوز الاستعانة بالمنافقين والفسقة على قتال الكفرة، وقد كان عبد اللَّه بن أُبي ومن معه من المنافقين يخرجون للقتال مع رسول اللَّه ﷺ.

وقصة أبي محجن الثقفي -الذي كان يدمن شرب الخمر- وبلاؤه في حرب فارس مشهورة، وأما قتال الكفرة مع المسلمين فلا يجوز أن يستعان بهم لما ثبت في السنة الصحيحة أن النبي ﷺ خرج إلى بدر فتبعه رجل من المشركين فَلَحِقَهُ عِنْدَ الحرَّةِ فَقَالَ: إِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أَتْبَعَكَ وَأُصِيبَ مَعَكَ، قَالَ: تُؤْمِنُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولِهِ؟ قَالَ: لَا قَالَ: ارْجِعْ فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ»[٣].

الاستنصار بالضعفاء

عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال: رأى أبي فضلًا على دونه فقال النبي ﷺ: «هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ»[٤].

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٥٩٧٠)، ومسلم (٨٥/١٣٩).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٣٠٠٤)، وأبو داود (٢٥٢٩)، والترمذي (١٦٧١)، والنسائي (٣١٠٣).

(٣) صحيح، رواه مسلم (١٨١٧/١٥٠)، وأبو داود (٢٧٣٢)، والترمذي (١٥٥٨)، وابن ماجه (٢٨٣٢)، وأحمد في المسند (٢٤٦٣٢) واللفظ له.

(٤) صحيح، رواه البخاري (٢٨٩٦)، والنسائي (٣١٧٨).

وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ»(١).

أي: أن الرجل قد يبدو في هيئة لا تسترعي الأنظار ولكنه قوي الإيمان، صادق اليقين، فلو دعا ربه لاستجاب له بمجرد دعائه.

فضل الجهاد والاستشهاد

الجهاد أفضل نوع من أنواع التطوع:

الجهاد: إعلاء لكلمة اللَّه، وتمكين لهدايته في الأرض، وتركيز للدين الحق، ومن ثم كان أفضل من تطوع الحج والعمرة، وأفضل من تطوع الصلاة والصوم.

وهو مع ذلك ينتظم كل لون من ألوان العبادات، سواء منها ما كان من عبادات الظاهر أو الباطن؛ فإن فيه من عبادة الباطن الزهد في الدنيا، ومفارقة الوطن، وهجرة الرغبات، وفيه من التضحية بالنفس والمال وبيعهما للَّه ما هو ثمرة من ثمرات الحب والإيمان، واليقين والتوكل.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة].

المُجاهد خير الناس

عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ النَّاسِ؟ رَجُلٌ مُمْسِكٌ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالَّذِي يَتْلُوهُ؟ رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ فِي غُنَيْمَةٍ لَهُ يُؤَدِّي حَقَّ اللَّهِ فِيهَا، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشَرِّ النَّاسِ؟ رَجُلٌ يُسْأَلُ بِاللَّهِ وَلَا يُعْطِي بِهِ»(٢).

وسئل النبي ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ فِي

(١) صحيح، رواه مسلم (١٣٨/٢٦٢٢)، (٤٨/٢٨٥٤).

(٢) صحيح، رواه الترمذي (١٦٥٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٠١).

سَبِيلِ اللَّهِ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ» قَالُوا: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «مُؤْمِنٌ فِي شِعْبٍ مِنْ الشِّعَابِ يَتَّقِي اللَّهَ وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ»[1].فقوله: «مُؤْمِنٌ فِي شِعْبٍ مِنْ الشِّعَابِ يَتَّقِي اللَّهَ وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ» فيه دليل لمن قال بتفضيل العزلة على الاختلاط، وفي ذلك خلاف مشهور.

فمذهب الشافعي وأكثر العلماء: أن الاختلاط أفضل بشرط رجاء السلامة من الفتن، ومذهب طوائف أن الاعتزال أفضل.

وأجاب الجمهور عن هذا الحديث بأنه محمول على الاعتزال في زمن الفتن والحروب، أو هو فيمن لا يسلم الناس منه ولا يصبر عليهم، أو نحو ذلك من الخصوص.

وقد كانت الأنبياء صلوات اللَّه عليهم وجماهير الصحابة والتابعين والعلماء والزهاد مختلطين، فيحصلون منافع الاختلاط، كشهود الجمعة، والجماعة، والجنازة، وعيادة المرضى، وحِلَق الذكر، وغير ذلك.

وأما الشِّعب فهو: ما انفرج بين جبلين، وليس المراد نفس الشعب خصوصًا، بل المراد الانفراد، والاعتزال، وذكر الشعب مثالًا؛ لأنه خالٍ من الناس غالبًا.

وهذا الحديث نحو الحديث الآخر، حين سئل ﷺ عن النجاة (أي في زمن الفتنة) فقال: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ»[2].

الجنة للمجاهد

روى الترمذي: فَقَالَ: «لَا تَفْعَلْ، فَإِنَّ مُقَامَ أَحَدِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ سَبْعِينَ عَامًا، أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ الْجَنَّةَ؟ اغْزُو فِي سَبِيلِ

(١) صحيح، رواه البخاري (٢٧٨٦)، ومسلم (١٨٨٨/١٢٢، ١٢٣)، وأبو داود (٢٤٨٥)، والترمذي (١٦٦٠)، والنسائي (٣١٠٥)، وابن ماجه (٣٩٧٨).

(٢) صحيح، رواه الترمذي (٢٤٠٦) عن عقبة بن عامر، وصححه الألباني في الترغيب والترهيب (٢٧٤١).

اللَّهِ، مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فُوَاقَ نَاقَةٍ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»(١). فُواق: هي المدة الزمنية التي تُستغرق في حلب الناقة.

المجاهد يرتفع مائة درجة في الجنة:

قال رسول اللَّه ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ» أُرَاهُ قال: «وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ»(٢).

الجهاد لا يعدله شيء

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: «قِيلَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا يَعْدِلُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ: لَا تَسْتَطِيعُونَهُ قَالَ: فَأَعَادُوا عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ: لَا تَسْتَطِيعُونَهُ وَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ: مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْقَانِتِ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ وَلَا صَلَاةٍ حَتَّى يَرْجِعَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى»(٣).

فضل الشهادة

قال رسول اللَّه ﷺ: «لَا يُكْلَمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ -وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ- إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجُرْحُهُ يَثْعَبُ دَمًا اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ، وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكِ»(٤).

---

(١) حسن، رواه الترمذي (١٦٥٠) عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٣٧٩).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٢٧٩٠).

(٣) صحيح، رواه البخاري (٢٧٨٥)، ومسلم (١٨٧٨/١١٠) واللفظ له، والترمذي (١٦١٩)، والنسائي (٣١٢٨).

(٤) صحيح، رواه البخاري (٢٣٧، ٢٨٠٣، ٥٥٣٣)، ومسلم (١٨٧٦/١٠٥)، والترمذي (١٦٥٦)، والنسائي (٣١٤٧) واللفظ له، وابن ماجه (٢٧٥٣) كلهم عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه.

قال محمد بن إبراهيم: أملى عليَّ عبد اللَّه بن المبارك حين ودعته للخروج هذه الأبيات، وأرسلها معي إلى الفُضيل بن عياض:

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا ... لعلمت أنك في العبادة تلعب

من كان يخضب خده بدموعه ... فنحورنا بدمائنا تتخضب

أو كان يتعب خيله في باطل ... فخيولنا يوم الصبيحة تتعب

ريح العبير لكم ونحن عبيرنا ... وهج السنابك والغبار الأطيب

ولقد أتانا من مقال نبينا ... قول صحيح صادق لا يكذب

لا يستوي غبار أهل اللَّه في ... أنف امرىءٍ ودخان نار لا يكذب

هذا كتاب اللَّه ينطق بيننا ... ليس الشهيد بميت لا يكذب

قال: فلقيت الفُضيل بن عياض بكتابه في المسجد الحرام، فلما قرأه ذرفت عيناه وقال: صدق أبو عبد الرحمن، ونصحني.

جاء في الحديث الصحيح: «للشهيد عند اللَّه سبع خصال: يغفر له في أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويحلى حلة الإيمان، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويشفع في سبعين إنسانا من أهل بيته»[١].

وقال رسول اللَّه ﷺ: «أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَسْرَحُ مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ»[٢].

وقال ﷺ: «مَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مِنْ ألم الْقَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مِنْ ألم الْقَرْصَةِ»[٣].

---

(١) صحيح، رواه الترمذي (١٦٦٣)، وابن ماجه (٢٧٩٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥١٨٢).

(٢) صحيح، رواه مسلم (١٢١/١٨٨٧)، والترمذي (٣٠١١)، وابن ماجه (٢٨٠١).

(٣) صحيح، رواه الدارمي (٢٤٠٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٧٤٥).

عن جابر بن عتيك أن النبي ﷺ قال: «الشَّهَادَةُ سَبْعٌ: سِوَى الْقَتْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، الْمَطْعُونُ شَهِيدٌ، وَالْغَرِقُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ ذَاتِ الْجَنْبِ شَهِيدٌ، وَالْمَبْطُونُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ الْحَرِيقِ شَهِيدٌ، وَالَّذِي يَمُوتُ تَحْتَ الْهَدْمِ شَهِيدٌ، وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجُمْعٍ شَهِيدٌ»(١).

مفردات الحديث:

المطعون: من مات بالطاعون.

الغرق: الغريق.

ذات الجنب: وهو حالات التهاب الرئة وينشأ عنها بعد ذلك سوائل تتجمع على الرئة داخل الغشاء البلوري.

المبطون: من مات بمرض البطن، وهو مرض الاستسقاء.

بجمع: أي تموت عند الولادة والجنين داخل الرحم.

وعن سعيد بن زيد، أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»(٢).

قال العلماء: المراد بشهادة هؤلاء كلهم، غير المقتول في سبيل اللَّه، أنهم يكون لهم في الآخرة ثواب الشهداء، وأما في الدنيا فيغسلون ويصلى عليهم.

وعن عبد اللَّه بن عمرو أن رسول اللَّه ﷺ قال: «يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا الدَّيْنَ»(٣).

ويلحق بالدين مظالم العباد، مثل: القتل، وأكل أموال الناس بالباطل، ونحو ذلك.

---

(١) صحيح، رواه أبو داود (٣١١١)، والنسائي (١٨٤٦)، وصححه الألباني في المشكاة (١٥٦١).

(٢) صحيح، رواه أبو داود (٤٧٧٣)، والترمذي (١٤٢١) واللفظ له، والنسائي (٤٠٩٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤٤٥).

(٣) صحيح، رواه مسلم (١١٩/١٨٨٦).

الجهاد لإعلاء كلمة اللَّه

إن الجهاد لا يسمى جهادًا حقيقًا إلا إذا قُصِدَ به وجه اللَّه، وأُريد به إعلاء كلمته، ورفع راية الحق، ومطاردة الباطل، وبذل النفس في مرضاة اللَّه، فإذا أريد به شيء من حظوظ الدنيا؛ فإنه لا يسمى جهادًا على الحقيقة.

فمن قاتل ليحظى بمنصب، أو يظفر بمغنم، أو يظهر شجاعة، أو ينال شهرة، فإنه لا نصيب له في الأجر، ولا حظ له في الثواب.

فعن أبي موسى قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ -من أجل الغنيمة- وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ -ليذكر بين الناس- وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ، فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»(١).

إنّ النية: هي روح العمل، فإذا تجرد العمل منها كان عملًا ميتًا، لا وزن له عند اللَّه.

روى البخاري عن عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه، أن رسول اللَّه ﷺ قال: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»(٢).

وإن الإخلاص هو الذي يعطي الأعمال قيمتها الحقيقة، ومن ثم فإن المرء يبلغ بالإخلاص درجة الشهداء، ولو لم يستشهد.

يقول الرسول ﷺ: «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ»(٣).

ويقول ﷺ: «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ»

---

(١) صحيح، رواه البخاري (١٢٣، ٢٨١٠، ٣١٢٦، ٧٤٥٨)، ومسلم (١٩٠٤/ ١٤٩)، وأبو داود (٢٥١٧)، والترمذي (١٦٤٦)، والنسائي (٣١٣٦)، وابن ماجه (٢٧٨٣).

(٢) صحيح، رواه البخاري (١)، وأبو داود (٢٢٠١)، وابن ماجه (٤٢٢٧).

(٣) صحيح، رواه مسلم (١٥٧/١٩٠٩)، وأبو دادود (١٥٢٠)، والترمذي (١٦٥٣)، والنسائي (٣١٦٢)، وابن ماجه (٢٧٩٧).

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟ قَالَ: «وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ حَبَسَهُمْ الْعُذْرُ»(١).

وإذا لم يكن الإخلاص هو الباعث على الجهاد، بل كان الباعث شيئًا آخر من أشياء الدنيا وأعراضها لم يحرم المجاهد الثواب والأجر فقط، بل إنه بذلك يعرض نفسه للعذاب يوم القيامة.

فعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ؛ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ؛ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ؛ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»(٢).

أجر الأجير

ومهما كان المجاهد مخلصًا، وأخذ الغنيمة فإن ذلك ينقص من أجره، فعن عبد اللَّه بن عمرو قال رسول اللَّه ﷺ: «مَا مِنْ غَازِيَةٍ أَوْ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فَتَغْنَمُ وَتَسْلَمُ إِلَّا كَانُوا قَدْ تَعَجَّلُوا ثُلُثَيْ أُجُورِهِمْ، وَمَا مِنْ غَازِيَةٍ أَوْ سَرِيَّةٍ تُخْفِقُ وَتُصَابُ إِلَّا تَمَّ أُجُورُهُمْ»(٣).

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٤٤٢٣) عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه.

(٢) صحيح، رواه مسلم (١٩٠٥/١٥٢) واللفظ له، والنسائي (٣١٣٧).

(٣) صحيح، رواه مسلم (١٩٠٦/١٥٤).

قال النووي: وأما معنى الحديث: فالصواب الذي لا يجوز غيره؛ أن الغزاة إذا سلموا أو غنموا يكون أجرهم أقل من أجر من لم يسلم، أو سلم ولم يغنم، وأن الغنيمة هي في مقابلة جزء من أجر غزوهم؛ فإذا حصلت لهم فقد تعجلوا ثلثي أجرهم المترتب على الغزو، وتكون هذه الغنيمة من جملة الأجر ... وهذا موافق للأحاديث الصحيحة المشهورة عن الصحابة.

فضل الرباط في سبيل اللَّه

توجد ثغور يمكن أن تكون منافذ ينطلق منها العدو إلى دار الإسلام، ومن الواجب أن تحصن هذه الثغور تحصينًا منيعًا، كي لا تكون جانب ضعف يستغله العدو ويجعله منطلقًا له.

وقد رغب الإسلام في حماية هذه الثغور، بإعداد الجنود ليكونوا قوة للمسلمين، وأطلق على لزوم هذه الثغور؛ لأجل الجهاد في سبيل اللَّه لفظ (الرباط) وقد جاء في فضله من الأحاديث ما يلي:

روى مسلم عن سلمان قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَأَمِنَ الْفَتَّانَ»(١).

وقال: «كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الَّذِي مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنَّهُ يُنْمَى لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيَأْمَنُ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ»(٢).

فضل الرمي بنية الجهاد

رغب الإسلام في تعليم الرمي والمناضلة بنية الجهاد في سبيل اللَّه، وحبب في التدريب على ذلك ورياضة الأعضاء بممارسة الرمي والمناضلة.

---

(١) صحيح، رواه مسلم (١٦٣/١٩١٣).

(٢) صحيح، رواه أبو داود (٢٥٠٠)، والترمذي (١٦٢١) واللفظ له، كلاهما عن فضالة بن عبيد، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٥٦٢).

١- عن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: « ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠] أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ»(١).

٢- وعنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سَتُفْتَحُ عَلَيْكُمْ أَرَضُونَ وَيَكْفِيكُمُ اللَّهُ فَلَا يَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَلْهُوَ بِأَسْهُمِهِ»(٢). «إِنَّ اللَّهَ لَيُدْخِلُ بِالسَّهْمِ الْوَاحِدِ الثَّلَاثَةَ الْجَنَّةَ صَانِعَهُ يَحْتَسِبُ فِي صَنْعَتِهِ الْخَيْرَ وَالرَّامِيَ بِهِ وَالْمُمِدَّ بِهِ -المناول له- »(٣).

٣- وقال ﷺ: «كُلُّ مَا يَلْهُو بِهِ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ بَاطِلٌ إِلَّا رَمْيَهُ بِقَوْسِهِ وَتَأْدِيبَهُ فَرَسَهُ وَمُلَاعَبَتَهُ أَهْلَهُ فَإِنَّهُنَّ مِنْ الْحَقِّ»(٤).

وقال القرطبي: ومعنى هذا والله أعلم: أن كل ما يتلهىٰ به الرجل، مما لا يفيده في العاجل ولا في الآجل فائدة، فهو باطل والإعراض عنه أولى، وهذه الأمور الثلاثة؛ فإنه وإن كان يفعلها على أن يتلهى بها وينشط؛ فإنها حق لاتصالها بما قد يفيد؛ فإن الرمي بالقوس، وتأديب الفرس يعين على القتال، وملاعبة الأهل قد تؤدي إلى ما يكون عنه ولد يوحد الله ويعبده، فلهذا كانت هذه الثلاثة من الحق. أهـ. القرطبي.

الحرب في البحر أفضل من الحرب في البر:

لما كان القتال في البحر أعظم خطرًا كان أعظم أجرًا.

فعن أم حرام، أن النبي ﷺ قال: «الْمَائِدُ فِي الْبَحْرِ -الَّذِي يُصِيبُهُ الْقَيْءُ- لَهُ أَجْرُ

---

(١) صحيح، رواه مسلم (١٦٧/١٩١٧)، وأبو داود (٢٥١٤)، والترمذي (٣٠٨٣)، وابن ماجه (٢٨١٣).

(٢) صحيح، رواه مسلم (١٦٨/١٩١٨).

(٣) ضعيف، رواه أبو داود (٢٥١٣)، والنسائي (٣٥٧٨)، ضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١٧٣٢).

(٤) رواه الترمذي (١٦٣٧) وحسنه محقق جامع الأصول (٣٠٤٠).

شَهِيدٍ وَالْغَرِقُ لَهُ أَجْرُ شَهِيدَيْنِ»[١].

صفات القائد

وقد عَدَّ الفخري في الصفات التي يجب أن تتوافر في قائد الجيش فقال: قال بعض حكماء الترك: ينبغي أن يكون في قائد الجيش عشر خصال من أخلاق الحيوان: جرأة الأسد، وحملة الخنزير، وروغان الثعلب، وصبر الكلب على الجراح، وغارة الذئب، وحراسة الكركي، وسخاء الديك، وشفقة الديك على الفراريج، وحذر الغراب، وسمن (تعرو) [وهي دابة تكون بخرسان تسمن على السفر والكد].

الجهاد مع البر والفاجر

لا يشترط في الجهاد أن يكون الحاكم عادلًا أو القائد بارًا، بل الجهاد واجب على كل حال، وقد يكون للرجل الفاجر في ميدان الجهاد من البلاء ما ليس لغيره.

الواجب على قائد الجيش

يجب على القائد بالنسبة للجنود ما يأتي:

١- مشاورتهم وأخذ رأيهم، وعدم الاستبداد بالأمر دونهم، لقول اللَّه سبحانه: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران:١٥٩] . وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: (مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ مَشُورَةً لِأَصْحَابِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ)[٢].

٢- الرفق بهم، ولين الجانب لهم، قالت السيدة عائشة رضي اللَّه عنها: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ»[٣].وعن معقل بن يسار أنه ﷺ قال: «مَا مِنْ أَمِيرٍ يَلِي أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ لَا يَجْهَدُ لَهُمْ وَيَنْصَحُ

(١) حسن، رواه أبو داود (٢٤٩٣)، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (٣٨٣٩).

(٢) رواه الترمذي (١٧١٤).

(٣) صحيح، رواه مسلم (١٩/١٨٢٨).

إِلَّا لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمْ الْجَنَّةَ»(١).

٣- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى لا يتورطوا في المعاصي.

٤- تفقد الجيش حينًا بعد حين، ليكون على علم بجنوده، حتى يمنع من لا يصلح للحرب من رجال، مثل المخذل وهو الذي يُزَهِّد الناس في القتال، والمرجف الذي يطلق الشائعات، فيقول: ليس لهم مدد ولا طاقة، وكذلك من ينقل أخبار الجيش وتحركاته، أو يثير الفتن.

٥- تعريف العرفاء.

٦- عقد الألوية والرايات.

٧- تخير المنازل الصالحة، وحفظ مكامنها.

٨- أن يبث العيون ليعرف حال العدو.

وكان من هديه ﷺ أنه إذا أراد غزوة وَرّى بغيرها(٢). وكان يبث العيون ليأتوه بخبر الأعداء، وكان يرتب الجيوش، ويتخذ الرايات والألوية.

واجب الجنود

وواجب الجنود بالنسبة لقائدهم: الطاعة في غير معصية، فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ يُطِعْ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي»(٣).

وأما الطاعة في المعصية، فإنه منهي عنها؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

فقد روى البخاري ومسلم عن علي كرم الله وجهه قال: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرِيَّةً وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْمَعُوا لَهُ وَيُطِيعُوا، فَأَغْضَبُوهُ فِي شَيْءٍ فَقَالَ: اجْمَعُوا لِي حَطَبًا، فَجَمَعُوا لَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَوْقِدُوا

(١) رواه مسلم (٢٢/١٤٢) كتاب الإمارة.

(٢) صحيح، جزء من حديث طويل رواه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٥٣/٢٧٦٩).

(٣) صحيح، رواه البخاري (٢٩٥٧)، ومسلم (٣٢/١٨٣٥).

نَارًا، فَأَوْقَدُوا، ثُمَّ قَالَ: أَلَمْ يَأْمُرْكُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تَسْمَعُوا لِي وَتُطِيعُوا؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَادْخُلُوهَا، قَالَ: فَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، فَقَالُوا: إِنَّمَا فَرَرْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ النَّارِ، فَكَانُوا كَذَلِكَ وَسَكَنَ غَضَبُهُ، وَطُفِئَتِ النَّارُ، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ»[(١)].

اعلم أخي المسلم أن الجهاد ماضٍ إلى قيام الساعة بشروطه، وأركانه.

إذًا فما هي أركان الجهاد؟ الجهاد الشرعي المحقق لإحدى الحسنيين السيادة أو الشهادة له ستة أركان:

١- النية الصالحة:

أن يكون الغرض منه إعلاء كلمة اللَّه تعالى لا غير فقد جاء في الحديث المتفق عليه جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ، -وفي رواية : يقاتل شجاعة ويقاتل حمية، وفي رواية يقاتل غضبًا- فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»[(٢)].

ولذلك فمن قاتل تحت أي راية غير راية الإسلام فقتل فقتلته جاهلية، استنادًا إلى قول المصطفى ﷺ: «مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ يَدْعُو عَصَبِيَّةً أَوْ يَنْصُرُ عَصَبِيَّةً فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ»[(٣)].

٢- أن يكون تحت راية أمير المؤمنين وخليفة المسلمين وبإذنه:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء:٥٩].

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٤٣٤٠)، ومسلم (٣٩/١٨٤٠) واللفظ له.

(٢) صحيح، رواه البخاري (١٢٣، ٢٨١٠، ٣١٢٦، ٧٤٥٨)، ومسلم (١٩٠٤/ ١٤٩)، وأبو داود (٢٥١٧)، والترمذي (١٦٤٦)، والنسائي (٣١٣٦)، وابن ماجه (٢٧٨٣).

(٣) صحيح، رواه مسلم (٥٧/١٨٥٠).

ولا يجوز للمسلمين أن يعيشوا ثلاثة أيام بغير إمام تقام به الحدود وتؤمن به السبل وإن حدث ذلك فالجميع آثمون.

ومن تغلب على الأمة الإسلامية حتى وإن لم توجد فيه مواصفات الخليفة حتى اجتمعت عليه الكلمة وجبت طاعته في المعروف ومناصحته وحرم الخروج عليه حقنًا لدماء المسلمين إلا إذا صدر منه كفر بواح صُراح فيه من اللَّه برهان.

٣- إعداد العدة:

بإحضار ما يلزم للجهاد من سلاح عسكري وعتاد حربي ورجال مدربين على فنون الحرب والقتال مع بذل كامل الاستطاعة واستفراغ كامل الجهد، وأن يكون هذا الإعداد بصمت وحكمة حتى لا يعلم أعداء اللَّه ما نريد.

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنفال] .

٤- رضا الأبوين وإذنهما:

لمن كان له أبوان أو أحدهما إذا كان الجهاد جهاد تطوع وليس فرض عين كما أسلفنا الحكم فيما سبق لقوله ﷺ للرجل الذي اسْتَأْذَنَهُ فِي الْجِهَادِ فَقَالَ: «أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ»(١).

هذا إذا كان الجهاد فرض كفاية فلابد من إذن الأبوين، أما إذا كان الجاهد فرض عين بأن داهم العدو ديار المسلمين أو عَيَّنَ الإمام رجلًا من الناس فإنه يسقط إذن الأبوين.

٥- طاعة الإمام:

فمن قاتل وهو عاصٍ للإمام فمات فقد مات ميتة جاهلية لقوله ﷺ: «مَنْ كَرِهَ

(١) صحيح، رواه البخاري (٣٠٠٤)، وأبو داود (٢٥٢٩)، والترمذي (١٦٧١)، والنسائي (٣١٠٣).

مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ النَّاسِ خَرَجَ مِنْ السُّلْطَانِ شِبْرًا فَمَاتَ عَلَيْهِ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»[١].

٦- رضا الدائن في جهاد التطوع:

للحديث عن عبد اللّٰه بن عمرو رضي اللّٰه عنهما أن رسول اللّٰه ﷺ قال: «يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا الدَّيْنَ»[٢]. وفي رواية أخرى: قال رسول اللّٰه ﷺ: «كَيْفَ قُلْتَ؟» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ إِلَّا الدَّيْنَ؛ فَإِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَام قَالَ لِي ذَلِكَ»[٣].

أنواع الجهاد:

١- **جهاد الكفار والمشركين والمحاربين**: بالمال والنفس واللسان لقوله ﷺ: «جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ»[٤].

٢- **جهاد الفساق**: باليد واللسان والقلب لقوله في الحديث الصحيح: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»[٥].

٣- **جهاد الشيطان**: بدفع الشبهات وترك الشهوات. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر :٦] .

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٧٠٥٣)، ومسلم (١٨٤٩/٥٦) عن ابن عباس رضي اللّٰه عنهما.

(٢) صحيح، رواه مسلم (١٨٨٦/١١٩).

(٣) صحيح، جزء من حديث رواه مسلم (١٨٨٥/١١٧) عن أبي قتادة رضي اللّٰه عنه.

(٤) صحيح، رواه أبو داود (٢٥٠٤)، والدارمي (٢٤٣١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٩٠)، وأحمد في المسند (١١٨٣٧، ١٣٢٢٦) وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير حماد بن سلمة فمن رجال مسلم.

(٥) صحيح، رواه مسلم (٤٩/٧٨)، والترمذي (٢١٧٢)، والنسائي (٥٠٠٨)، وأبي داود (١١٤٠) عن أبي سعيد الخدري رضي اللّٰه عنه.

٤- **جهاد النفس:** بكبح شهواتها ومقاومة رعوناتها.

وهناك ستة أمور تلزم لخوض المعركة:

١- الثبات والاستماتة حال الزحف: إذ حرم الله عز وجل الإنهزام أمام العدو حال الزحف لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴿١٥﴾﴾ [الأنفال] ولا يجوز التولي عند الزحف إلا إذا قصد مخادعة الكفار لينقض عليهم أو لينحاز إلى فئة من المسلمين فعند ذلك لا إثم عليه ولا يعد منهزمًا لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ﴾ [الأنفال :١٦] .

٢- ذكر الله عز وجل بالقلب واللسان.

٣- طاعة الله ورسوله بفعل الأوامر وترك النواهي.

٤- ترك الخلاف والنزاع لدخول المعركة صفًا واحدًا كالبنيان المرصوص لا ثلمة فيه ولا ثغرة.

٥- الصبر والمصابرة وعدم الجزع عند خوض المعركة حتى ينكشف العدو وتنهزم صفوفه: وذلك كله استنادًا إلى قول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال] .

٦- عدم العُجب بالكثرة: لأن العُجب بالكثرة يعني الاعتماد على العُدة وعدد الناس ونسيان رب الناس وهذا من فعل الوسواس الخناس، هذا مع الاعتقاد بأن النصر المؤزر إنما هو من عند الله العزيز الحكيم وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ﴾ [التوبة :٢٥] .

وهناك عشرة آداب للنفير في سبيل الله يجب مراعاتها لأنها من عوامل النصر:

١- عدم إفشاء أسرار الجيش وخططه الحربية: فقد كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يغزو غزوة وَرّى بأخرى حتى لا يعلم أعداؤه ما يُريد، ويباح في الحرب الكذب على الأعداء والمخادعة لقوله ﷺ: «الْحَرْبُ خُدْعَةٌ»[1].

٢- استعمال الرموز والشعارات والشارات بين أفراد الجيش: للتعرف على بعضهم البعض في حال اختلاطهم بالعدو أو قربهم من مكانه فقد قال رسول الله ﷺ: «إِنْ بَيَّتَكُمْ الْعَدُوُّ فَقُولُوا حم لَا يُنْصَرُونَ»[2]. وفي رواية: «غَزَوْنَا مَعَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ زَمَنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ شِعَارُنَا أَمِتْ أَمِتْ»[3].

٣- اختيار المكان المناسب والزمان المناسب لشن المعارك: فقد كان ذلك من هديه ﷺ.

٤- الصمت عند خوض المعركة: إذ اللغط والصراخ يبددان القوى ويشتتان الفكر ويسببان الفشل، فقد ثبت أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يكرهون الصوت عند القتال.

٥- إذا كان القتال فرض كفاية: أي غزو الكفار والمشركين في ديارهم بقصد دعوتهم إلى الإسلام وزيادة رقعة ديار المسلمين فلابد من دعوة الكفار والمشركين إلى الإسلام قبل إعلان الحرب عليهم أو مهاجمتهم؛ فقد كان من هديه ﷺ وهدي صحابته الكرام أنهم إذا أرسلوا السرايا طلبوا من قادة

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٣٠٣٠)، ومسلم (١٧/١٧٣٩)، وأبو داود (٢٦٣٦)، والترمذي (١٦٧٥) عن جابر بن عبد الله.

(٢) صحيح، رواه الترمذي (١٦٨٢) وصححه الألباني في جامع الترمذي.

(٣) حسن، رواه أبو داود (٢٥٩٦)، وحسنه الألباني في المشكاة (٣٩٥٠).

الجُند أن يدعوا الكفار والمشركين إلى إحدى ثلاث خصال فأيتها أجابوا قُبل منهم وكُفَّ عنهم، أول ما يدعوهم إلى الإسلام، فإن أجابوا قُبِلَ منهم وكُفَّ عنهم، فإن أبوا فعند ذلك يدعوهم إلى إعطاء الجزية فإن أجابوا قُبِلَ منهم وكُفَّ عنهم، فإن أبوا فالقتال واللَّه المُستعان.

٦- عدم السرقة من الغنائم وعدم قتل النساء والأطفال والشيوخ والرهبان: إذا لم يشاركوا في القتال فإنْ قاتلوا قُتلوا، للحديث عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما: «وُجِدَتْ امْرَأَةٌ مَقْتُولَةً فِي بَعْضِ مَغَازِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ»(١).

٧- عدم الغدر بمن أجاره مسلم وأمَّنه على حياته: لقوله ﷺ: «لَا تَغْدِرُوا»(٢). وقوله ﷺ: «إِنَّ الْغَادِرَ يُنْصَبُ لَهُ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ»(٣).

٨- عدم إحراق جثث القتلى بالنار تشفيًا منهم: لقوله ﷺ: «إِنْ وَجَدْتُمْ فُلَانًا فَاقْتُلُوهُ وَلَا تُحْرِقُوهُ فَإِنَّهُ لَا يُعَذِّبُ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ»(٤). وفي رواية: «إِنِّي أَمَرْتُكُمْ أَنْ تُحْرِقُوا فُلَانًا وَفُلَانًا وَإِنَّ النَّارَ لَا يُعَذِّبُ بِهَا إِلَّا اللَّهُ فَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمَا فَاقْتُلُوهُمَا»(٥).

٩- عدم المُثْلَةِ بالقتلى: يقول عمران بن حصين رضي اللَّه عنه: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَحُثُّنَا عَلَى الصَّدَقَةِ وَيَنْهَانَا عَنْ الْمُثْلَةِ»(٦).

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٣٠١٤، ٣٠١٥)، ومسلم (٢٤/١٧٤٤)، وأبو داود (٢٦٦٨)، والترمذي (١٥٦٩)، وابن ماجه (٢٨٤١).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٣/١٧٣١) عن بريدة بن الحصيب.

(٣) صحيح، رواه البخاري (٦١٧٨)، ومسلم (١٠/١٧٣٥) عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما.

(٤) صحيح، رواه أبو داود (٢٦٧٣)، وصححه الألباني في سنن أبي داود.

(٥) صحيح، رواه البخاري (٣٠١٦).

(٦) صحيح، رواه أبو داود (٢٦٦٧)، وصححه الألباني في سنن أبي داود.

ولقوله ﷺ: «أَعَفُّ النَّاسِ قِتْلَةً أَهْلُ الإِيمَانِ»[١].

١٠- الدعاء بالنصر على الأعداء: كان رسول اللَّه ﷺ يقول بعد التعبئة للمعركة: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِم»[٢]. وقوله: «ثِنْتَانِ لَا تُرَدَّانِ أَوْ قَلَّمَا تُرَدَّانِ: الدُّعَاءُ عِنْدَ النِّدَاءِ وَعِنْدَ الْبَأْسِ حِينَ يُلْحِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا»[٣].

فتوى

سؤال: ما هو موقفكم من العمليات الفدائية بالأحزمة الناسفة التي توضع على الجسد، والتي يستخدمها الشباب المسلم ضد أعداء اللَّه، وأعداء الملة في فلسطين؟

الجواب: نقول وباللَّه التوفيق: إنَّ الشباب المسلم في فلسطين يرى أنه ليس هناك طريقة للنيل من أعداء اللَّه عز وجل إلا بهذه الطريقة (وأهل مكة أدرى بشعابها) ولذلك فهم يضطرون إليها كالمضطر إلى أكل الميتة، ومن ثم فنحن نحسبهم من الشهداء عند اللَّه عز وجل ... هذا ما أتعبد اللَّه تبارك وتعالى به واللَّه أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

قتال أهل الرِّدَّة

تعريف الرِّدَّة: رجوع المسلم العاقل البالغ عن الإسلام إلى الكفر باختياره دون إكراه من أحد -سواء في ذلك الذكور والإناث- فلا عبرة بارتداد المجنون ولا الصبي لأنهما غير مُكلفين.

يقول النبي ﷺ: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنْ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنْ الصَّبِيِّ

(١) ضعيف، رواه أبو داود (٢٦٦٦)، وابن ماجه (٢٦٨١)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٩٦٣).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٢٩٦٦، ٣٠٢٤)، ومسلم (١٧٤٢/٢٠)، وأبو داود (٢٦٣١)، والترمذي (١٦٧٨)، وابن ماجه (٢٧٩٦).

(٣) صحيح، رواه أبو داود (٢٥٤٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٧٩).

حَتَّى يَحْتَلِمَ، وَعَنْ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ»[١].

والإكراه على التلفظ بكلمة الكفر لا يُخرج المسلم عن دينه مادام القلب مطمئنًا بالإيمان، وقد أُكره عمار بن ياسر على التلفظ بكلمة الكفر فنطق بها، وأنزل الله سبحانه في ذلك: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [النحل].

التكفير من الأحكام الشرعية التي مردها إلى الكتاب والسُّنة فلا يجوز تكفير مسلم بقول أو فعل دون أن يدل دليل شرعي على ذلك، ولا يلزم من إطلاق حكم الكفر على قول أو فعل ثبوت موجبه في حق المعين إلا إذا تحققت الشروط، وانتفت الموانع، والتكفير من أخطر الأحكام ولذلك يجب التثبت والحذر من تكفير المسلم.

وقد حذر رسول الله ﷺ المسلمين من أن يقذف بعضهم بعضًا بالكفر لعظم خطر هذه الجناية، فقال فيما أخرجه مسلم عن ابن عمر: «إِذَا كَفَّرَ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا»[٢].

وقال في الحديث الصحيح: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا وَصَلَّى صَلَاتَنَا وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَهُوَ الْمُسْلِمُ لَهُ مَا لِلْمُسْلِمِ وَعَلَيْهِ مَا عَلَى الْمُسْلِمِ»[٣].

متى يكون المسلم مرتدًا؟:

إن المسلم لا يعتبر خارجًا عن الإسلام ولا يحكم عليه بالردة إلا إذا انشرح صدره

---

(١) صحيح، رواه أبو داود (٤٤٠١)، والنسائي (٣٤٣٢)، وابن ماجه (٢٠٤١)، وصححه الألباني في السنن، وأحمد في المسند (٢٤١٧٣) وقال الأرناؤوط: إسناده جيد.

(٢) صحيح، رواه مسلم (٦٠/١١١) واللفظ له، والبخاري (٦١٠٤)، وأبو داود (٤٦٨٧)، والترمذي (٢٦٣٧).

(٣) صحيح، رواه البخاري معلقا في باب فضل استقبال القبلة بعد حديث (٣٩٣)، وروى (٣٩١) عن أنس رضي الله عنه: «مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ فَلَا تَخْفِرُوا اللَّهَ فِي ذِمَّتِهِ».

بالكفر، واطمأن قلبه به ودخل فيه بالفعل، لقول اللَّه تعالى: ﴿وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ [النحل:١٠٦] ، ويقول الرسول ﷺ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»(١). ولما كان ما في القلب غيبًا من الغيوب التي لا يعلمها إلا اللَّه، كان لابد من صدور ما يدل على كفره دلالة قطعية لا تحتمل التأويل، لذلك نُسِبَ إلى الإمام مالك أنه قال: (من صدر عنه ما يحتمل الكفر من تسعة وتسعين وجهًا ويحتمل الإيمان من وجه واحد، حُمِلَ أمره على الإيمان).

ومن الأمثلة الدالة على الكفر:

١- إنكار ما هو معلوم من الدين بالضرورة: مثل إنكار وحدانية اللَّه وخلقه للعالم وإنكار وجود الملائكة، وإنكار نبوة محمد ﷺ، وأن القرآن وحي من اللَّه، وإنكار البعث والجزاء، وإنكار فرضية الصلاة والزكاة، والصيام والحج.

٢- استباحة محرم أجمع المسلمون على تحريمه، كاستباحة الخمر، والزنا، والربا، وأكل الخنزير، واستحلال دماء المعصومين وأموالهم.

٣- تحريم ما أجمع المسلمون على حله (كتحريم الطيبات).

٤- سَبُّ النبي أو الاستهزاء به، وكذا سَبُّ أي نبي من أنبياء اللَّه.

٥- سَبُّ الدين، والطعن في الكتاب والسنة، وترك الحكم بهما مع تفضيل القوانين الوضعية عليهما.

٦- ادعاء فرد من الأفراد أن الوحي ينزل عليه.

٧- إلقاء المصاحف في القاذورات، وكذا كتب الحديث، استهانة بها واستخفافًا بما جاء فيها.

٨- الاستخفاف باسم من أسماء اللَّه، أو أمر من أوامره، أو نهي من نواهيه، أو وعد من وعوده، إلا أن يكون حديث عهد بالإسلام، ولا يعرف أحكامه، ولا يعلم حدوده، فإنه من أنكر شيئًا منها جهلًا به لم يكفر.

---

(١) صحيح، رواه البخاري (١)، وأبو داود (٢٢٠١)، وابن ماجه (٤٢٢٧).

وهناك مسائل أجمع المسلمون عليها، ولكن لا يعلمها إلا الخاصة، فإن منكرها لا يكفر، بل يكون معذورًا بجهله بها، لعدم استفاضة علمها في العامة، كتحريم نكاح المرأة على عمتها وخالتها، وأن القاتل عمدًا لا يرث، وأن للجدة السدس، ونحو ذلك. ولا يدخل في هذه الوساوس التي تساور النفس مما لا يؤاخذ الله بها.

فقد روى مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي عَمَّا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسُهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ بِهِ»[1].

وروى مسلم عن أبي هريرة قال: «جَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلُوهُ: إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ! قَالَ: وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ»[2]. أي أنه صريح الإيمان هو الذي يمنعك من التحدث والعمل بما يمليه الشيطان عليك.

وأخرج مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يُقَالَ هَذَا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ فَمَنْ خَلَقَ اللَّهَ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَلْيَقُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ»[3].

ما يترتب على الردة من عقوبات وأحكام:

١- تُحبط جميع الأعمال الصالحة التي فعلها المرتد قبل الردة.

٢- عليه غضب من الله تعالى.

٣- يستوجب العذاب الشديد في الآخرة، استنادًا إلى قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة :٢١٧].

---

(١) صحيح، رواه مسلم (٢٠٢/١٢٧) واللفظ له، والبخاري (٢٥٢٨، ٥٢٦٩، ٦٦٦٤)، وأبو داود (٢٢٠٩)، والترمذي (١١٨٣)، والنسائي (٣٤٣٣، ٣٤٣٤، ٣٤٣٥)، وابن ماجه (٢٠٤٠، ٢٠٤٤).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٢٠٩/١٣٢).

(٣) صحيح، رواه مسلم (٢١٢/١٣٤) واللفظ له، والبخاري (٣٢٧٦).

وقوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦﴾ [النحل].

٤- يستتاب المرتد ويعطى فترة زمنية قدرها بعض العلماء بثلاثة أيام يراجع فيها نفسه، وتُفند فيها وساوسه، وتناقش فيها أفكاره، وأن تقدم له الأدلة والبراهين التي تعيد الإيمان إلى القلب واليقين إلى النفس، وتريح ما علق بالوجدان من ريب وشكوك فإن عدل عن موقفه بعد كشف شبهاته ورجع إلى الإسلام قبلت توبته، وإلا أقيم عليه حد الردة ألا وهو القتل بالسيف حدًا استنادًا إلى قول النبي ﷺ في الأحاديث الصحيحة: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»[1].

«لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْـهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: رَجُلٌ زَنَى بَعْدَ إِحْصَانٍ فَإِنَّهُ يُرْجَمُ، وَرَجُلٌ خَرَجَ مُحَارِبًا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ، أَوْ يُصْلَبُ، أَوْ يُنْفَى مِنْ الْأَرْضِ، أَوْ يَقْتُلُ نَفْسًا فَيُقْتَلُ بِهَا»[2].

والذين رأوا تقدير المدة بثلاثة أيام اعتمدوا على ما روي أن رجلًا قدم إلى عمر رضي اللَّه عنه من الشام فقال: هل من مغربة خبر؟ قال: نعم. رجل كفر بعد إسلامه، فقال عمر: فما فعلتم به؟ قال: قربناه فضربنا عنقه، قال: هلّا حبستموه في بيتٍ ثلاثًا وأطعمتموه كل يوم رغيفًا، واستتبتموه لعله يتوب ويراجع أمر اللَّه: اللَّهم إني لم أحضر، ولم آمر، ولم أرضَ إذ بلغني، اللَّهم إني أبرأ إليك من دمه.

٥- تُفسخ العلاقة الزوجية بين الزوجين بردة أحدهما فإن تاب المرتد منهما وعاد

(١) صحيح، رواه البخاري (٣٠١٧).

(٢) صحيح، رواه أبو داود (٤٣٥٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٦٤٢).

إلى الإسلام من جديد، كان لابد من مهر وعقد جديدين إذا أرادا استئناف الحياة الزوجية بينهما.

٦- لا يرث المرتد قريبه المسلم، ولا يُوَرَّثُ ماله، وما ترك من مال يكون فيئًا للمسلمين يصرف في المصالح العامة للأمة لقوله ﷺ في الحديث الصحيح: «لَا يَرِثُ الْمُؤْمِنُ الْكَافِرَ وَلَا يَرِثُ الْكَافِرُ الْمُؤْمِنَ»(١).

٧- يرى بعض العلماء أنه يفقد أهلية الولاية على غيره، فلا يجوز له أن يتولى عقد تزويج بناته ولا أبنائه الصغار، وتعتبر عقوده بالنسبة لهم باطلة لسلب ولايته لهم بالردة.

٨- لا يُغسَّل ولا يُصلى عليه ولا يُدفن في مقابر المسلمين لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [التوبة :٨٤].

هل قتال المرتدين جهاد في سبيل اللَّه؟

نعم، هو جهاد في سبيل اللَّه بمعناه الشرعي لأن تعريف الجهاد ينطبق عليه (فهو قتال الكفار لإعلاء كلمة اللَّه) والمرتدون كفار وقتالهم هو لإعلاء كلمة اللَّه وهذا ما يفهم من مناقشة الصحابة لموضوع المرتدين بعد إخضاعهم، فقد طالب أبو بكر الصديق المرتدين بعد هزيمتهم بديات قتلى المسلمين الذين حاربوهم بقوله لهم: (تَدُون قتلانا ولا نَدِي قتلاكم) فقال عمر بن الخطاب: (... أن يدوا قتلانا فلا، لأنهم قتلوا في سبيل اللَّه واستشهدوا)(٢).

قتال المحاربين (الحرابة أو قطاع الطرق)

تعريف الحرابة: وتسمى أيضًا قطع الطريق، وهي خروج طائفة مسلحة في دار الإسلام، لإحداث الفوضى، وسفك الدماء، وسلب الأموال، وهتك الأعراض،

(١) صحيح، رواه البخاري (٤٢٨٣)، ومسلم (١٦١٤/١).
(٢) المغني لابن قدامة (٧٣/١٠).

وإهلاك الحرث والنسل، متحدية بذلك الدين والأخلاق والنظام والقانون.

ولا فرق بين أن تكون هذه الطائفة من المسلمين، أو من الذميين، أو المعاهدين، أو الحربيين، ما دام ذلك في دار الإسلام، وما دام عدوانها على كل محقون الدم، كما تتحقق الحرابة بخروج جماعة من الجماعات، فإنها تتحقق كذلك بخروج فرد من الأفراد، فلو كان لفرد من الأفراد فضل جبروت وبطش، ومزيد قوة وقدرة يغلب بها الجماعة على النفس والمال والعرض، فهو محارب وقاطع طريق.

ويدخل في مفهوم الحرابة العصابات المختلفة، كعصابة القتل، وعصابة خطف الأطفال، وعصابة اللصوص للسطو على البيوت، والبنوك، وعصابة خطف البنات والعذارى للفجور بهن، وعصابة اغتيال الحكام ابتغاء الفتنة واضطراب الأمن، وعصابة إتلاف الزروع وقتل المواشي والدواب.

الحرابة جريمة كبرى:

والحرابة أو قطع الطريق تعتبر من كبريات الجرائم ومن ثم أطلق القرآن الكريم على المتورطين في ارتكابها أقصى عبارة فجعلهم محاربين لله ورسوله، وساعين في الأرض بالفساد وغلظ عقوبتهم تغليظًا لم يغلظه لجريمة أخرى.

يقول سبحانه: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾ [المائدة].

ورسول الله ﷺ يعلن أن من يرتكب هذه الجناية ليس له شرف الانتساب إلى الإسلام، فيقول: «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا»[1].

(١) صحيح، رواه البخاري (٦٨٧٤، ٧٠٧٠)، ومسلم (٩٨/١٦١)، والنسائي (٤١٠٠)، وابن ماجه (٢٥٧٦) كلهم عن ابن عمر رضي الله عنه.

وروى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: «مَنْ خَرَجَ مِنْ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»[1].

شروط الحرابة:

ولابد من توافر شروط معينة في المحاربين حتى يستحقوا العقوبة المقررة لهذه الجريمة، وجملة هذه الشروط هي:

١- **التكليف:** يشترط في المحاربين العقل والبلوغ، فالصبي والمجنون لا يعتبر الواحد منهما محاربًا.

٢- **وجود السلاح:** يشترط في المحاربين أن يكون معهم سلاح لأن قوتهم التي يعتمدون عليها هي قوة السلاح.

٣- **البعد عن العمران:** اشترط بعض العلماء أن يكون ذلك بعيدًا عن العمران والذي نختاره هو أن الحرابة عامة في القفر والمصر لأن الآية بعمومها تتناول كل محارب.

٤- **المجاهرة:** أي أن يأخذوا المال جهرة، فإن أخذوا مختفين فهم سراق، وإن اختطفوه وهربوا فهم منتهبون، وإن خرجوا على أناس جهرة فقهروهم وأشهروا عليهم السلاح فهم قطاع طرق.

عقوبة الحرابة:

أنزل اللَّه سبحانه في جريمة الحرابة قوله: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٤﴾ [المائدة].

فهذه الآية نزلت فيمن خرج من المسلمين يقطع السبيل ويسعى في الأرض

(١) صحيح، رواه مسلم (٥٣/١٨٤٨).

بالفساد، لقوله سبحانه: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة:٣٤]، وقد أجمع العلماء على أن أهل الشرك إذا وقعوا في أيدي المسلمين فأسلموا فإن الإسلام يعصم دماءهم وأموالهم وإن كانوا قد ارتكبوا من المعاصي قبل الإسلام ما يستوجب العقوبة.

قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال:٣٨] فدل ذلك على أن الآية نزلت في أهل الإسلام، ومعنى ﴿يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أي: يحاربون المسلمين بما يحدثونه من اضطراب، وفوضى، وخوف، وقلق، ويحاربون الإسلام بخروجهم عن تعاليمه وعصيانهم لها، فإضافة الحرب إلى اللّه ورسوله إيذان بأن حرب المسلمين كأنها حرب على اللّه تعالى ورسوله ﷺ، كقوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة:٩].

فالمحاربة هنا مجازية؛ قال القرطبي: ﴿يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المائدة:٣٣] : استعارة ومجاز فاللّه سبحانه وتعالى لا يحارب ولا يغالب، لما هو عليه من صفات الكمال، ولما وجب له من التنزيه عن الأضداد والأنداد.

والمعنى يحاربون أولياء اللّه، فعبر بنفسه العزيزة عن أوليائه إكبارًا لأذيتهم كما عبر عن الفقراء والضعفاء في قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة:٢٤٥] .

حثًا على الاستعطاف عليهم، ومثله في الحديث القدسي: «اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي»[1].انتهى.

سبب نزول هذه الآية:

قال الجمهور في سبب نزول هذه الآية: (إن العُرنيين -قبيلة من قبائل العرب- قدموا المدينة فأسلموا، واستوخموها -أي: أصابهم المرض والوخم لعدم موافقة هوائها لهم- وسقمت أجسامهم، فأمرهم النبي ﷺ بالخروج إلى إبل الصدقة فخرجوا، وأمر لهم بلقاح -جمع لِقحة وهي الناقة الحلوب- ليشربوا من ألبانها،

(١) صحيح، جزء من حديث طويل رواه مسلم (٤٣/٢٥٦٩).

فانطلقوا فلما صَحّوا قتلوا الراعي، وارتدوا عن الإسلام وساقوا الإبل، فبعث النبي ﷺ في آثارهم، فما ارتفع النهار حتى جيء بهم فأمر بهم فَقُطعت أيديهم وأرجلهم وسُمّلت -فقئت- أعينهم، وتُركوا في الحرّة -أرض خارج المدينة ذات حجارة سوداء- يستسقون فلا يُسقون حتى ماتوا.

قال أبو قلابة: فهؤلاء قوم سرقوا وقتلوا وكفروا بعد إيمانهم وحاربوا اللَّه ورسوله فأنزل اللَّه عز وجل : ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المائدة :٣٣] الآية(١).

العقوبات التي قدرتها الآية الكريمة:

والعقوبة التي قررتها الآية الكريمة للذين يحاربون اللَّه ورسوله ويسعون في الأرض فسادًا هي إحدى عقوبات أربع:

١- القتل.

٢- أو الصلب.

٣- أو تقطيع الأيدي والأرجل من خلاف.

٤- أو النفي من الأرض.

وهذه العقوبات جاءت في الآية معطوفة بحرف ﴿أَوۡ﴾ فقال بعض العلماء: (إنّ

---

(١) إشارة إلى حديث صحيح رواه البخاري (٢٣٣، ١٥٠١، ٣٠١٨، ٤١٩٢، ٤١٩٣، ٤٦١٠، ٥٦٨٥، ٥٦٨٦، ٥٧٢٧، ٦٨٠٢، ٦٨٠٤، ٦٨٠٥، ٦٨٩٩)، ومسلم (٩/١٦٧١) بلفظ: «أَنَّ نَاسًا مِنْ عُرَيْنَةَ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ فَاجْتَوَوْهَا فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ شِئْتُمْ أَنْ تَخْرُجُوا إِلَى إِبِلِ الصَّدَقَةِ فَتَشْرَبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا فَفَعَلُوا فَصَحُّوا ثُمَّ مَالُوا عَلَى الرُّعَاةِ فَقَتَلُوهُمْ وَارْتَدُّوا عَنْ الْإِسْلَامِ وَسَاقُوا ذَوْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَعَثَ فِي أَثَرِهِمْ فَأُتِيَ بِهِمْ فَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ وَسَمَلَ أَعْيُنَهُمْ وَتَرَكَهُمْ فِي الْحَرَّةِ حَتَّى مَاتُوا»، وأبو داود (٤٣٦٤)، والترمذي (٧٢، ٧٣، ١٧٤٥)، والنسائي (٣٠٥، ٣٠٦، ٤٠٢٤، ٤٠٣٥)، وابن ماجه (٢٥٧٨، ٣٥٠٣).

العطف بها يفيد التخيير، ومعنى هذا أنَّ للحاكم أن يتخير عقوبة من هذه العقوبات، حسب ما يراه من المصلحة، بصرف النظر عن الجريمة التي ارتكبها المحاربون)، وقال أكثر العلماء: (إنَّ ﴿أَوْ﴾ هنا للتنويع لا للتخيير ومقتضاه أن تتنوع العقوبة حسب الجريمة وأن هذه العقوبات على ترتيب الجرائم لا على التخيير).

ذكر ابن جرير قال: حدثني علي، حدثنا الوليد بن مسلم قال: قال الليث: وكذلك حدثني موسى المدني -وهو الأمير عندنا- أن عليًا الأسدي حارب، وأخاف السبيل، وأصاب الدم والمال، فطلبه الأئمة والعامة، فامتنع ولم يقدروا عليه حتى جاء تائبًا، وذلك أنه سمع رجلًا يقرأ هذه الآية: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر].

فوقف عليه فقال: يا عبد اللَّه أعد قراءتها فأعادها عليه فأغمد سيفه، ثم جاء تائبًا حتى قدم المدينة من السَحَرِ، فاغتسل ثم أتى مسجد رسول اللَّه ﷺ فصلى الصبح، ثم قعد إلى أبي هريرة في أغمار أصحابه فلما أسفروا عرفه الناس، فقاموا إليه، فقال: لا سبيل لكم عليَّ، جئت تائبًا من قبل أن تقدروا عليَّ، فقال أبو هريرة: صدق، وأخذ بيده حتى أتى مروان بن الحكم -وهو أمير على تلك المدينة- في زمن معاوية، فقال: هذا علي جاء تائبًا ولا سبيل لكم عليه ولا قتل، فترك من ذلك كله، قال: وخرج علي تائبًا مجاهدًا في سبيل اللَّه في البحر، فلقوا الروم فقرنوا سفينة إلى سفينة من سفنهم فاقتحم على الروم في سفينتهم فهربوا منه إلى شقها الآخر فمالت به وبهم، فغرقوا جميعًا.

فإن كانت الحرابة مقصورة على إخافة المارة وقطع الطريق، ولم يرتكبوا شيئًا وراء ذلك فهؤلاء ينفون من الأرض، والنفي من الأرض قد يكون معناه اليوم في عصرنا (أي السجن) فيبقون في السجن حتى يظهر صلاحهم، (لأن السجن هو خروج من سعة الدنيا إلى ضيقها).

وإن كانت الحرابة بأخذ المال من غير قتل فعقوبة ذلك قطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لأن الجناية زادت على السرقة بالحرابة.

وإن كانت الحرابة بالقتل دون أخذ المال؛ فإن هذا يستوجب القتل متى قدر الحاكم على المحاربين، ولا عبرة بعفو ولي الدم أو رضاه بالدية لأن عفو ولي الدم أو رضاه بالدية في القصاص لا في الحرابة.

وإن كانت الحرابة بالقتل وأخذ المال ففي ذلك القتل والصلب، أي: يصلبوا أحياء ليموتوا، فيربط على خشبة أو عمود أو نحوهما منتصب القامة، ممدود اليدين ثم يطعن حتى يموت، أو يُشنق أو يُطلق الرصاص على صدره وقلبه، ومن الفقهاء من قال: إنه يقتل أولًا ثم يصلب للعبرة والعظة.

والأمر متروك للحاكم يختار منها ما تُدرأ به المفسدة وتتحقق به المصلحة، وما ذكرناه فهو اجتهادات للأئمة الأعلام وهو في نطاق تفسير الآية الكريمة.

يقام حد الحرابة على المحاربين إذا قبض عليهم قبل التوبة.

وإذا تاب المحاربون المفسدون في الأرض قبل القدرة عليهم، قبلت توبتهم ولا يقام عليهم حد الحرابة، ولكن لا تسقط حقوق الناس من الأموال والدماء إلا أن يعفو أولياء المقتول، أي: أن العقوبة حينئذ تكون من باب القصاص وليست من قبيل الحرابة.

والتوبة تكون بأن يُسَلِّم المحارب نفسه للحاكم وأن يلقي السلاح وأن يبتعد عن مواطن الجريمة وأن يتوب توبة نصوحًا.

قتال أهل البغي (الظلم والاعتداء)

تعريف أهل البغي: هم الجماعات ذات الشوكة والقوة تخرج على الإمام بتأويل سائغ معقول كأن يظنوا كفر الإمام، أو حيفه وظلمه، فيتعصبون ويرفضون طاعته ويخرجون عليه.

أحكامهم:

١- أن يراسلهم الإمام ويتصل بهم فيسألون عما ينقمون منه، وعن أسباب خروجهم عنه، فإن ذكروا مظلمة لهم، أو لغيرهم أزالها الإمام، وإن ادّعوا شبهة من الشبه كشفها الإمام وبين وجه الحق منها، وذكر لهم دليله فيها، فإن فاؤوا إلى الحق قبلت فيئتهم، وإن أبوا قوتلوا وجوبًا من كافة المسلمين لقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات :٩].

٢- لا ينبغي قتالهم بما من شأنه أن يبيدهم كالقصف بالطائرات أو المدافع المدمرة، وإنما يقاتلون بما يكسر شوكتهم ويرغمهم على التسليم فقط.

٣- لا يجوز قتل ذراريهم ولا نسائهم ولا مصادرة أموالهم.

٤- لا يجوز الإجهاز على جريحهم، كما لا يجوز قتل أسيرهم ولا قتل مدبر هارب منهم، لقول علي رضي الله عنه يوم الجمل: (لا يقتلن مدبر، ولا يُجهز على جريح، ومن أغلق بابه فهو آمن)(١).

٥- إذا انتهت الحرب وانهزموا فلا يقاد منهم ولا يُطالبون بشيء سوى التوبة والرجوع إلى الحق، لقوله تعالى: ﴿فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات :٩].

تنبيه:

إذا اقتتلت طائفتان من المسلمين لعصبية أو مال أو منصب بدون تأويل، فهما ظالمتان معًا، وتضمن كل واحدة منهما ما أتلفت من نفس ومال للأخرى.

القتال ضِدَّ الصِّيال

القتال ضِدَّ الصِّيال: نعني به القتال للدفاع عن الحرمات الخاصة [النفس والعرض والمال].

---

(١) رواه سعيد بن منصور وروى بمعناه ابن أبي شيبة والحاكم والبيهقي.

دفاع الإنسان عن نفسه وعن غيره:

إذا اعتدى على الإنسان معتد يريد قتله، أو أخذ ماله أو هتك عِرض حريمه، فمن حقه أن يقاتل هذا المعتدي دفاعًا عن نفسه وماله وعِرضه ويدفع بالأسهل فالأسهل، فيبدأ بالكلام أو الصياح أو الإستعانة بالناس إن أمكن دفع الظالم بذلك، فإن لم يندفع إلا بالضرب فليضربه، فإن لم يندفع إلا بقتله فليقتله ولا قصاص على القاتل ولا كفارة عليه، ولا دية للمقتول لأنه ظالم معتد، والظالم المعتدي حلال الدم لا يجب ضمانه، فإن قُتِلَ المعتدى عليه وهو في حالة دفاع عن نفسه وماله وعرضه فهو شهيد.

١- يقول اللّه تعالى: ﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾ [الشورى].

٢- وروى البخاري: أن رسول اللّه ﷺ قال: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»[(١)].

وكما يجب أن يدافع الإنسان عن نفسه وماله وعرضه يجب عليه كذلك الدفاع عن غيره إذا تعرض للقتل أو أخذ المال، أو هتك العرض، ولكن بشرط أن يأمن على نفسه من الهلاك.

لأن الدفاع عن الغير من باب تغيير المنكر والمحافظة على الحقوق، يقول رسول اللّه ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»[(٢)]. وهذا من باب تغيير المنكر.

القتال للدفاع عن الحرمات العامة في المجتمع المسلم

أحكام إنكار المنكر على اختلاف الأحوال:

١- الأصل في إنكار المنكر أنه فرض كفاية، إذا قام به البعض، بحيث يتحقق

---

(١) صحيح رواه البخاري (٢٤٨٠)، ومسلم (١٤١/٢٢٦)، وأبو داود (٤٧٧١)، والترمذي (١٤٢٠)، والنسائي (٤٠٨٤- ٤٠٨٩) عن عبد اللّه بن عمرو.

(٢) صحيح، رواه مسلم (٤٩/٧٨)، والترمذي (٢١٧٢)، والنسائي (٥٠٠٨)، وأبي داود (١١٤٠) عن أبي سعيد الخدري رضي اللّه عنه.

المقصود سقط الطلب عن الباقين، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران].

٢- هذا، ويصبح تغيير المنكر فرض عين على من يشاهد المنكر من القادرين على إزالته، بشرط ألا يخافوا من الاعتداء على حرماتهم الخاصة، وألا يترتب على إنكارهم مفسدة أكبر من مفسدة المنكر الذي يقع أمامهم، يقول عليه الصلاة والسلام: «مَا مِنْ رَجُلٍ يَكُونُ فِي قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يُغَيِّرُوا عَلَيْهِ فَلَا يُغَيِّرُوا إِلَّا أَصَابَهُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَمُوتُوا»(١).

٣- وأما إذا لم يترتب على الإنكار وقوع مفاسد من منكرات أخرى تضاف للمنكر الواقع؛ ولكن ترتب على هذا الإنكار إيقاع الأذى والضرر على أشخاص المنكرين، كما هي عادة أصحاب الفسق والفجور بقصد التشفي من المصلحين، أو ردعهم عن القيام بواجب إنكار المنكرات، وزجر غيرهم عن السير في الطريق نفسه ليخلوا الجو في البلاد للانحراف والمنحرفين.

أقول: إذا ترتب إيقاع الأذى على أشخاص المنكرين فحسب دون أن يتعداهم إلى غيرهم من أقارب، وأصحاب ومواطنين آخرين فإن الإنكار في هذه الحالة يكون مندوبًا، وإذا راحوا ضحية هذا الإنكار فهم شهداء الآخرة، وينطبق عليهم حديث رسول الله ﷺ: «وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»(٢). فإثبات الشهادة لمن يقتل وهو يقوم بإنكار المنكرات من أجل الدين دليل على مشروعية العمل الذي يقوم به، ومثوبته عند الله تعالى.

(١) حسن، رواه أبو داود (٤٣٣٩) ، وابن ماجه (٤٠٠٩)، وحسنه الألباني في سنن أبي داود وابن ماجه.

(٢) صحيح، جزء من حديث رواه الترمذي (١٤٢١) عن سعيد بن زيد، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤٤٥).

٤- وأما إذا ترتب على إنكار المنكر إيقاع الأذى البليغ على المنكرين وعلى غيرهم من أقارب وأصحاب ومواطنين آخرين ... فإذا كان الآخرون الذين سيقع عليهم راضين بوقوع هذا الضرر، وفَدَوا دينهم بأنفسهم أو مصالحهم، فالإنكار حينئذ مندوب، وإذا وصل هذا الضرر إلى حد القتل فهم من شهداء الآخرة، وينطبق عليهم الحديث السابق: «وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»... وأما إذا لم يرضوا بإيقاع الضرر عليهم من جراء إنكار المنكر فحينئذ يحرم الإنكار لأن إيذاء المسلمين محذور.

درجات إنكار المنكر:

١- التعرف على المنكرات بلا تجسس، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات:١٢] ولقوله ﷺ: «إِنَّكَ إِنْ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ أَوْ كِدْتَ أَنْ تُفْسِدَهُمْ»[١]. ولما قيل لابن مسعود هذا فلان لحيته تقطر خمرًا -أي يقصد المتكلم أن من شأنه وعادته شرب الخمر- فقال ابن مسعود: إنا قد نهينا عن التجسس.

٢- تعريف أصحاب المنكرات لأنهم يأتون عملًا غير مشروع، وتقديم العظة لهم باللين من القول أولًا، ثم استعمال العنف في الكلام ثانيًا، إذا كان مثل هذا الأسلوب يجدي في إزالة المنكر.

٣- ثم من درجات إنكار المنكر مباشرة الضرب باليد والرجل، مما ليس فيه شهر السلاح ... فقد رجح ابن الجوزي المنع من استعمال السلاح لإنكار المنكر، وقال مانصه: (الضرب باليد والرجل وغير ذلك مما ليس فيه إشهار سلاح أو سيف يجوز للآحاد بشرط الضرورة والاقتصار على قدر الحاجة، فإن احتاج إلى أعوان يشهرون السلاح؛ لكونه لا يقدر على الإنكار بنفسه، فالصحيح

---

(١) صحيح، رواه أبو داود (٤٨٨٨) عن معاوية بن أبي سفيان، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٢٩٥).

أن ذلك يحتاج إلى إذن الإمام، لأنه يؤدي إلى الفتن وهيجان الفساد[١].

والذي نراه في هذه القضية، مع إعادة التذكير بأن الكلام لا يزال عن مجتمع مسلم وسلطة إسلامية شرعية، أن هذه المسألة تنقسم إلى حالتين:

أولًا: حالة خاصة: وهي حالة شروع في منكر لا يمكن تداركه، وذلك مثل رجل يحاول الاعتداء على امرأة، فلنا دفعه عنها بالتدريج، فإن استعمل الفاسق السلاح لارتكاب جريمته فلنا أن نستعمل السلاح لدفعه عن المنكر بالقوة، وهنا لا حاجة إلى إذن الدولة لأن المنكر على وشك الوقوع ومحاولة تبليغ السلطات أو استصدار إذن بالدفع بالقوة عن هذا المنكر المشارف يفوت معه المقصود ويقع معه المحذور، ومن الأدلة على جواز القتال هنا الحديث الصحيح: «وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»[٢]. ووجه الاستنباط أنه لما اعتبر القتيل في هذه الحالة شهيدًا دل على جواز القتال المؤدي إلى القتل، ولا شك أن الدفاع عن امرأة يراد الاعتداء عليها هو دفاع عن حرمات الدين.

ثانيًا: حالة عامة: وتتمثل في احتياج إزالة المنكر أن تتقابل قوة المنكرين مع قوة أصحاب المنكرات بالسلاح، مما يؤدي إلى فتن ودماء فهنا نرى أن يقتصر دور المنكرين على تبليغ الهيئات المختصة في الدولة الإسلامية لتقوم بواجبها في إزالة المنكر، كمحل لبيع الخمور أو نادٍ للقمار أو ملهى للرقص والفساد ... وأما لجوء الأفراد إلى القتال من قبل أنفسهم لمنع المنكرات من وراء ظهر الدولة فهو أمر من شأنه أن يفتح باب القتال بين طوائف الأمة.

(ما كتبته في أحكام إنكار المنكر قد نخلته بتصرف من كتاب فضيلة الدكتور محمد خير هيكل، الجهاد والقتال في السياسة الشرعية).

---

(١) الآداب الشرعية لابن مفلح المقدسي (١/١٩٥).

(٢) صحيح، جزء من حديث رواه الترمذي (١٤٢١) عن سعيد بن زيد، صححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤٤٥).

القتال ضد انحراف الحاكم

وقد يكون من يقوم بالمنكرات هو صاحب السلطة في البلاد، ففي هذه الحال جاءت النصوص الشرعية بتفصيل هذه الحال على النحو التالي:

١- يجب الإنكار على الحاكم في مستوى الوعظ والنصح بالقول اللين في بادئ الأمر، وذلك لأن الإنكار بما يزيل المنكر غير ممكن -في العادة- ما دامت القوة بيد صاحب السلطة، فيتوجه وجوب الإنكار الثابت في النصوص الشرعية إلى الإنكار باللسان فقط، عملًا بقول الرسول ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»[1]. وإنما وجب أن يكون تقديم العظة والنصيحة للحاكم بالقول اللين في بادئ الأمر، للنصوص الشرعية الواردة في ضرورة حفظ هيبة الحاكم حين تقديم النصيحة له، ولذا كان استخدام الخشونة معه غير مشروع، لما في ذلك من الاستخفاف به، وهو أمر محذور.

٢- ويندب استخدام الخشونة مع الحاكم في الإنكار عليه باللسان، وذلك إذا اقتضى الأمر إظهار الغَيْرةِ على حرمات اللّٰه، وإفهامه فظاعة ما يُقدم عليه، من الخروج عن الشرع، وذلك بالشرط السابق، أي: إذا كان ضرر هذا الأسلوب ينحصر فيمن يقوم بالإنكار فحسب، ويفهم ذلك من حديث رواه النسائي عن طارق بن شهاب أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الْغَرْزِ: أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ»[2]. فقد سماه جهادًا لما فيه من مخاطرة بالنفس كما في الجهاد بمعناه الشرعي الحقيقي والمخاطرة في إسماع الحاكم لكلمة الحق في سبيل الإنكار

(١) صحيح، رواه مسلم (٧٨/٤٩)، والترمذي (٢١٧٢)، والنسائي (٥٠٠٨)، وأبي داود (١١٤٠) عن أبي سعيد الخدري رضي اللّٰه عنه.

(٢) صحيح، رواه النسائي (٤٢٠٩)، وصححه الألباني في سنن النسائي.

عليه منوطة -غالبًا- بالكلمة الجارحة، والإنكار اللاذع.

٣- يحرم استخدام الخشونة مع الحاكم في الإنكار عليه باللسان إذا نتج عن ذلك ضرر على أشخاص آخرين، وهم غير راضين بما سيقع عليهم من مكروه، وفي هذا يقول ابن الجوزي: (الجائز من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع السلاطين التعريف والوعظ، فأما تخشين القول نحو: يا ظالم، أو يا من لا يخاف اللَّه؛ فإن ذلك كله إن حرَّك فتنة يتعدى شرها إلى الغير لم يجز، وإن لم يخف إلا على نفسه فهو جائز عند جمهور العلماء)(١).

٤- يحرم استخدام الضرب في دفع الحاكم على منكر يقترفه لأن ضرب الحاكم ينافي الهيبة التي أمرت النصوص الشرعية بتوفيرها له، فوق ما من شأن هذا الأسلوب في إنكار المنكر من أن يحرض الحاكم على الثأر لكرامته المجروحة، وعزته المطعونة فيرتكب من المفاسد والمضار ما هو أفظع من مفسدة المنكر الذي هو مقيم عليه، وتكون النتيجة عدم إزالة المنكر الراهن، بل إضافة مناكر جديدة إليه، مع صنوف من الأذى تصيب القريب، وقد لا ينجو منها البعيد.

٥- يحرم استعمال السلاح، والثورة على الحاكم إذا انحرف بفسق يرتكبه، أو ظلم يقترفه، أو أمر غير مشروع يصدر عنه، ولكنه يبقى رغم ذلك صاحب الحق في السمع والطاعة في المعروف من أمر الإسلام، لا فيما يخرج عن هذا الإطار، مع وجوب العمل على تنحية هذا الحاكم المنحرف عن السلطة بالوسائل السلمية، إذا أصر على انحرافه، وتمادى في غيه، ووجب الإنكار باللسان إذا أمكن، أو بالقلب، وهو آخر المطاف -من حيث الضعف- في مراحل الإنكار على طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

هذا، والكلام هنا لا يزال عن صاحب السلطة الشرعية الذي لم يصل في انحرافه

---

(١) الآداب الشرعية (١/١٩٧).

إلى الخط الأحمر الخطر -إذا جاز هذا المجاز- ألا وهو الكفر البواح، سواء في عقيدة الحاكم نفسه، أو في العقيدة التي يقوم عليها نظام حكمه.

قلنا: يحرم استعمال السلاح في قتال الحاكم المنحرف من أجل الإنكار عليه، مع وجوب طاعته في المعروف لا في المنكر، ومع وجوب الإنكار عليه باللسان والقلب، أو بالقلب فحسب إذا كان وحده هو المقدور عليه، مع وجوب العمل على تنحيته عن السلطة بالوسائل السلمية.

والآن؛ ما هي الأدلة الشرعية على هذه النقاط؟

❁ أما تحريم استعمال السلاح في قتال الحاكم المنحرف من أجل الإنكار عليه فيستند إلى أحاديث كثيرة منها ما جاء في صحيح مسلم عن النبي ﷺ: «إِنَّهُ يُسْتَعْمَلُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ، فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا نُقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: لَا، مَا صَلَّوْا»[1]. أي: جعل النبي ﷺ المانع من مقاتلة أمراء الجور إقامتهم الصلاة .. فمن كره: أي بقلبه، ومن أنكر: أي بلسانه.

وروى البزار عن زيد بن وهب قال: (أنكر الناس من أمير في زمن حذيفة شيئًا، فأقبل رجل في المسجد (المسجد الأعظم)، يتخلل الناس حتى انتهى إلى حذيفة، وهو قاعد في حلقة، فقام على رأسه فقال: يا صاحب رسول اللَّه ﷺ! ألا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فرفع حذيفة رأسه فعرف ما أراد، فقال له حذيفة: إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لحسنٌ، وليس من السنة أن تشهر السلاح على أميرك)[2].

❁ أما وجوب طاعة الحاكم في المعروف لا في المنكر، فيفهم أيضًا من حديث

(١) صحيح، رواه مسلم (٦٣/١٨٥٤)، والترمذي (٢٢٦٥)، وأحمد في المسند (٢٥٩٨٩، ٢٦٠٣٧، ٢٦٠٦٦).

(٢) كشف الأستار عن زوائد البزار (٢/٢٥١).

مسلم السابق كما يفهم من قول النبي ﷺ في حديث آخر ورد في صحيح مسلم يقول فيه: «خِيَارُ أَئِمَّتِكُمْ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمْ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ، قَالُوا: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ؟ قَالَ: لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ، لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ، أَلَا مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ فَرَآهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَلْيَكْرَهْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ»[1].

وكذلك ورد في عدم الطاعة في المنكر قول النبي ﷺ: «لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»[2].

متى يكون الحكم بغير ما أنزل اللَّه مخرجًا من الملَّة؟

يكون الحكم بغير ما أنزل اللَّه مخرجًا من الملَّة في ست حالات:

١- إذا جحد الحاكم أحقية الحكم بما أنزل اللَّه.

٢- إذا اعتقد الحاكم أن الأحكام الوضعية أفضل من حكم اللَّه ورسوله.

٣- إذا اعتقد الحاكم أن الأحكام الوضعية مساوية في الفضل لحكم اللَّه ورسوله.

٤- إذا اعتقد الحاكم جواز الحكم بما يخالف حكم اللَّه ورسوله.

٥- إذا أوجد محاكم وضعيةً محادةً ومعاداةً للَّه ولرسوله، تستند في حكمها على الحكم الفرنسي أو الأمريكي أو البريطاني أو ما إلى ذلك من مذاهب الكفار.

٦- حكام الفرع الذين يحكمون بالعرف والعادة وحكايات الآباء والأجداد (وهو ما يعرف بالسواليف) رغبةً وإعراضًا عن حكم اللَّه ورسوله.

---

(١) صحيح، رواه مسلم (٦٦/١٨٥٥).

(٢) صحيح، رواه أحمد في المسند (١٠٩٨)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

فإذا فعل ذلك الحاكم أو اعتقده فقد كفر كفرًا أكبر يخرج من الملة ... أما إذا قضى الحاكم في قضية معينة بشهوته وهواه، وهو يعلم أنه بهذا الحكم مجانب للحق والصواب، وأنّ حكم اللَّه ورسوله هو الأفضل، وأنه مستحق للعقوبة بذلك، فقد كفر كفرًا أصغر لا ينقل عن الملة ولكنه من الكبائر، وهذا قال فيه ابن عباس: (كفر دون كفر، كفر لا ينقل عن الملة)، وفي رواية: (هي لهم كفر، وليس كمن كفر باللَّه ورسوله).

الوصايا الذهبية في الحكم على مَنْ استبدل شرع اللَّه والحاكميَّة بأحكام وضعية:

١- إنَّ الذي يتولى الحكم عليهم العلماء الربانيون الراسخون في العلم، أصحاب الدراية والخبرة وليس الجهلاء الذين يقفزون في الهواء قفزات هوجاء.

٢- لابد أن تتحقق شروط التكفير وتنتفي موانعه في حق المعيّن، ولذلك يُنسب إلى الإمام مالك أنه قال: (من صدر عنه ما يحتمل الكفر من تسعة وتسعين وجهًا ويحتمل الإيمان من وجه واحد حُمِلَ أمره على الإيمان).

٣- هل من حكم بهذه الأحكام الوضعية قد فعل ذلك محادةً ومعاداة للَّه ولرسوله أم فعل ذلك جهلًا أو خوفًا وجبنًا من أعداء اللَّه عزَّ وجلّ فالحكم على الحاكم في الحالتين مختلفٌ تمامًا.

٤- لابد من إقامة الحجة على الحاكم بغير ما أنزل اللَّه، فينصح من قبل العلماء الربانيين، وتُقَدَّمُ له الأدلة والبراهين على وجوب الحكم بما أنزل اللَّه، وخطر استبدال شرع اللَّه والحاكمية بأحكام وضعية؛ فإن عدل عن موقفه قُبِلَ منه وكُفَّ عنه، ووجبت طاعته ومناصحته بالمعروف.

٥- إن تبين بالأدلة الدامغة والقاطعة بعد إقامة الحجة عليه (أي الحاكم بغير ما أنزل اللَّه) عنادُه، وسوءُ قصده، فلا يجوز تكلف التأويلات في حقه، بل لابد من الخروج عليه بعد توافر أربعة شروط (أن تكون الظروف مواتية - والحسابات دقيقةً- وأن يملك المسلمون من القوة والحيلة ما يُمكِّنهم من

كسر شوكته وألا يترتب على ذلك مفسدةٌ أكبر، وأن تكون هذه الشروط مجتمعة؛ فإن لم تتوافر هذه الشروط مجتمعة يَحرُم الخروج عليه، والذي يقدّر ذلك العلماء الربانيون الراسخون في العلم أصحاب الدراية والخبرة وليس الجهلاء الذين يقفزون قفزات هوجاء في الهواء.

تنبيهات

التنبيه الأول: قسَّم العلماء الإمارة إلى ثلاثة أنواع:

أولًا: الإمارة البَرَّة: وهي التي تكون فيها الراية بَرَّةً والأميرُ بَرًّا ومثال ذلك الخلافة الراشدة التي كانت في عهد الخلفاء الراشدين.

ثانيًا: الإمارة الفاجرة: وهي التي تكون فيها الراية بَرَّةً والأميرُ فاجرًا، ولذلك لما أنكر الخوارج ضرورة الخلافة في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، قال علي رضي اللَّه عنه وأرضاه: لابد للمؤمنين من إمارة بَرَّة كانت أو فاجرة، فقالوا: يا أمير المؤمنين هذه الإمارة البَرَّة قد عرفناها فما هي الفاجرة؟ فقال: يكفي أن تُؤمَنَ بها السُبُل وتُقامَ بها الحدود ويُجَاهَدَ بها الأعداء ويُقسَّمَ فيها الفيئ.

ثالثًا: الإمارة الكافرة: وهي التي تكون فيها الراية كافرةً والأمير فاجرًا كافرًا.

التنبيه الثاني: اعلم أيها الأخ الحبيب أنَّ الإمامة الكبرى تثبت بإجماع الأمة، أو ببيعة ذوي الحل والعقد منهم، ومن تغلب حتى اجتمعت عليه الكلمة وجبت طاعته بالمعروف، ومناصحته، وحرم الخروج عليه منعًا للفتنة وحقنًا للدماء وتسكينًا للدهماء إلا إذا صدر منه كفر بَواح صُراح فيه برهان من اللَّه.

كلمة أخيرة في باب الجهاد:

لا يسعنا إلا أن نقول: واللَّه ما كسدت بضاعة اللَّه حتى يستامها المهرّجون والمفلسون والمبطلون، ولذلك فالمؤمن الصادق كما يحرص على حمل المسواك لابد أن يحرص على حمل السلاح فإن في حمله العزة والكرامة وفي اعتزاله الذل والصغار.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة].



قتال الفتنة

تعريفه: هو قتال غير مشروع بين طائفتين أو أكثر من المسلمين، وهو ينطبق على الحالات الآتية:

١- القتال الناشئ بين الأطراف المتصارعة من المسلمين، عن جهلٍ أو لهوىً أو لأي غرض دنيوي، والداخل في هذا النزاع لا يدري مَنْ المُحق مِنَ المبطل، وقد نبه الشرع الحكيم على وجوب الامتناع من المشاركة في هذا النزاع، وقد جاء في الحديث الذي رواه مسلم: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى النَّاسِ يَوْمٌ لَا يَدْرِي الْقَاتِلُ فِيمَ قَتَلَ، وَلَا الْمَقْتُولُ فِيمَ قُتِلَ» فَقِيلَ: كَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «الْهَرْجُ، الْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ»(١).

٢- حالة كون الطائفتين المتصارعتين ظالمتين، ولا تأويل لواحدة منهما.

٣- وفي بدائع الصنائع حالة ثالثة: هي التي يعبر عنها الكاساني بقوله: (وما روي عن أبي حنيفة رضي اللَّه عنه أنه إذا وقعت الفتنة بين المسلمين فينبغي للرجل أن يعتزل الفتنة ويلزم بيته، محمول على وقت خاص وهو ألا يكون إمام يدعوه إلى القتال، وأما إذا كان، فدعاه يفترض عليه الإجابة)(٢).

٤- وذكر الشوكاني عن بعضهم حالة رابعة، هي القتال في طلب الملك(٣). ... أي: الصراع غير المشروع على السلطة.

وإليك بعض النصوص الشرعية التي تفيدنا في توضيح المعنى المراد من قول العلماء (قتال الفتنة):

١- جاء في الحديث الشريف الذي يرويه ابن مسعود رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ: «تَكُونُ فِتْنَةٌ، النَّائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْمُضْطَجِعِ، وَالْمُضْطَجِعُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ

---

(١) صحيح، رواه مسلم (٢٩٠٨/٥٦) عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه.

(٢) بدائع الصنائع (١٤٠/٧).

(٣) نيل الأوطار (٣٧٠/٥).

الْقَاعِدِ، وَالْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي خَيْرٌ مِنْ الرَّاكِبِ، وَالرَّاكِبُ خَيْرٌ مِنْ الْمُجْرِي، قَتْلَاهَا كُلُّهَا فِي النَّارِ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَتَى ذَلِكَ؟ قَالَ: «ذَلِكَ أَيَّامَ الْهَرْجِ» قُلْتُ: وَمَتَى أَيَّامُ الْهَرْجِ؟ قَالَ: «حِينَ لَا يَأْمَنُ الرَّجُلُ جَلِيسَهُ» قَالَ: قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «اكْفُفْ نَفْسَكَ وَيَدَكَ وَادْخُلْ دَارَكَ...»[١].

٢- عن محمد بن مسلمة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إذا رأيت الناس يقتتلون على الدنيا فاعمد بسيفك على أعظم صخرة في الحَرَّة فاضربه بها حتى يتكسَّر ثم اجلس في بيتك حتى تأتيك يدٌ خاطئة أو منيَّة قاضية»[٢].

٣- روى أبو موسى الأشعري رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال في الفتنة: «... كَسِّرُوا قِسِيَّكُمْ، وَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُمْ، وَاضْرِبُوا سُيُوفَكُمْ بِالْحِجَارَةِ؛ فَإِنْ دُخِلَ -يَعْنِي عَلَى أَحَدٍ مِنْكُمْ- فَلْيَكُنْ كَخَيْرِ ابْنَيْ آدَمَ»[٣].

والرأي الذي نرجحه في قتال الفتنة:

١- هو أن يقف المسلم في قتال الفتنة كموقف خير ابني آدم أي: هابيل الذي قتله أخوه قابيل عندما قال له: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَ﴾ [المائدة: ٢٨].

٢- أن الاستسلام وترك الدفاع عن النفس في قتال الفتنة -يأخذ حكم الإباحة، وسبب ترجيحنا لهذا الحكم هو أن النصوص الشرعية التي سبق استعراض الكثير منها- كلها جاءت بطلب ترك القتال بصيغة الأمر: «قَطِّعُوا

---

(١) رواه أحمد في المسند (٤٢٧٤)، وقال الأرناؤوط: إسناده ضعيف على نكارة في بعض ألفاظه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٠٢/٧): رواه أحمد ورجاله ثقات.

(٢) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٠٠/٧-٣٠١) وقال: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات.

(٣) صحيح، رواه أبو داود (٤٢٥٩)، وابن ماجه (٣٩٦١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٠٤٩).

أَوْتَارَكُمْ»، «كُنْ كَخَيْرِ ابْنَيْ آدَمَ»... وهذا معناه الأمر بالاستسلام وترك الدفاع حالة الاعتداء ...

وهذا الأمر يعارض النصوص الشرعية بصيغ النهي الجازم عن الإلقاء بالنفس إلى التهلكة، وعدم التعرض للقتل، مثل قول اللَّه عزو جل: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة :١٩٥] ، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء :٢٩] ففيهما نهي صريح عن قتل الإنسان نفسه، وتمكين الآخرين من قتل نفسه، كما هو صادق في النهي عن قتل نفوس الآخرين ... ومن القواعد في أصول الفقه: (أن الأمر بعد النهي يدل على الإباحة)[1].

ولكنها ليست إباحة بصورة مطلقة، بل مقيدة بالموضوع الذي وردت فيه، وقد وردت هذه الإباحة بموضوع قتال الفتنة فتختص بها.

هذا وقد جاءت قرائن تدل على أن الأمر بالاستسلام وترك الدفاع عن النفس في قتال الفتنة يأخذ حكم الإباحة، ومن هذه القرائن ... لما حدثت الفتنة في آخر عهد عثمان بن عفان رضي اللَّه عنه وحاصره الثوار، عرض عليه بعض الصحابة أن يدافعوا عنه، ولكنه رفض، فلو كان الاستسلام وعدم الدفاع عن النفس واجبًا لما جاز لهم أن يعرضوا عليه ما يخالف هذا الواجب، بل يبعد أيضًا أن يعرضوا عليه ما يخالف المندوب، على رأي من يقول أن الاستسلام مندوب، فكان هذا الإجماع على جواز الدفاع قرينة تصرف طلب الاستسلام عن الوجوب والندب إلى الإذن والإباحة، واللَّه أعلم.

هل قتال الفتنة من الجهاد في سبيل اللَّه؟

إنه لمن البديهي أن يكون الجواب بالنفي، فالجهاد إنما هو قتال المسلمين للكفار حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين للَّه، بينما قتال الفتنة: إنما هو قتال المسلمين للمسلمين لتكون هناك فتنة، ويكون الدين لغير اللَّه، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه!

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (٢/٣٩٨).

وعلى هذا فقتال الفتنة غير داخلٍ في الجهاد في سبيل اللَّه، بل هو والجهاد على طَرفَيّ نقيض!

صحيح أن حالة الدفاع مأذون فيها شرعًا، على ما ذهب إلى ذلك الكثيرون، وأن القتيل هنا دافع أو لم يدافع يفوز بشرف الشهادة ولكنها شهادة حُكْمِيَّة، شهادة في حكم الآخرة فقط، بينما قتيل الجهاد هو شهيد في حكم الدنيا والآخرة أو في حكم الدنيا فقط[1].



(١) شرح النووي على مسلم (١/٥١٥).

لمحة سريعة عن نشأة الخلافات العقيدية والفرق الإسلامية

يمر بنا في ثنايا هذا الكتاب كثير من الفرق والمسائل البارزة في العقيدة، لذلك أحببت أن أقدم لذلك لمحة سريعة، يعرف منها أصول هذه الفرق التي توسعت فيما بعد، وأصبح لبعضها شوكة لمناصرة الحكام إياها، أو لأسباب أخرى، ثم التعرف بعد ذلك على مذهب أهل السنة والجماعة.

١- عصر النبوة:

تكاد تتفق معظم المراجع التي تحدثت عن هذه الفترة، على عدم نشوب خلاف في مسألة من مسائل العقيدة، في عصر رسول الله ﷺ؛ فإن حصل شيء من ذلك -وهو نادر- فإنما كان يصدر عن طائفة من المنافقين، التي لم يتمكن الإسلام منها، فضلًا على ما كانت تبطن في دخيلتها من الرغبة في طمس معالم هذا الدين.

فأصل القدرية نشأ (عن طائفة من المنافقين يوم أحد إذ قالوا: هل لنا من الأمر من شيء؟ وقولهم: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عمران :١٥٤] وقولهم: ﴿لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟﴾ [آل عمران :١٥٦]... فهل ذلك إلا تصريح بالقدر).

والظاهر أن شبهة القدر خرجت من المشركين، كما يصرح الحديث الذي أخرجه مسلم في القدر: باب كل شيء بقدر، والترمذي في التفسير: باب ومن سورة القمر، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جَاءَ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ يُخَاصِمُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي الْقَدَرِ فَنَزَلَتْ: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر][1].

وكان العصر النبوي كفيل بإزالة أي شبهة تظهر بين الصحابة ولا يمكن أن نعتبر خوضهم في مثل هذا هو السبب الذي أنشأ فيما بعد تلك المذاهب التي عرفت

(١) صحيح، رواه مسلم (١٩/٢٦٥٦)، والترمذي (٢١٥٧، ٣٢٩٠)، وابن ماجه (٨٣).

بالقدرية وغيرها؛ لأنهم كانوا ينتظرون في ذلك توقيفًا، فإذا جاءهم وقفوا عنده، ولم يتعدوه.

ومن المسائل العقيدية التي أثيرت في العصر النبوي أيضًا، قضية ابن صياد، هل هو المسيح الدجال أم لا؟ فقد أخرج البخاري من حديث شعبة عن سعد بن إبراهيم ابن المنكدر قال: «رَأَيْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَحْلِفُ بِاللَّهِ أَنَّ ابْنَ صَائِدٍ الدَّجَّالُ، فَقُلْتُ: أَتَحْلِفُ بِاللَّهِ؟ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ عُمَرَ يَحْلِفُ عَلَى ذَلِكَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يُنْكِرْهُ النَّبِيُّ ﷺ»(١).

حتى رسول اللَّه ﷺ كان متوقفًا في أمره، فقد أخرج البخاري أيضًا من حديث الزهري قال: أَخْبَرَنِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ أَخْبَرَهُ: أَنَّ عُمَرَ انْطَلَقَ فِي رَهْطٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ قِبَلَ ابْنِ صَيَّادٍ حَتَّى وَجَدُوهُ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ عِنْدَ أُطُمِ بَنِي مَغَالَةَ، وَقَدْ قَارَبَ يَوْمَئِذٍ ابْنُ صَيَّادٍ يَحْتَلِمُ، فَلَمْ يَشْعُرْ بِشَيْءٍ حَتَّى ضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ ظَهْرَهُ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟» فَنَظَرَ إِلَيْهِ ابْنُ صَيَّادٍ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الأُمِّيِّينَ، فَقَالَ ابْنُ صَيَّادٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟» قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «آمَنْتُ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ» قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَاذَا تَرَى؟» قَالَ ابْنُ صَيَّادٍ: يَأْتِينِي صَادِقٌ وَكَاذِبٌ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «خُلِطَ عَلَيْكَ الأَمْرُ» قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي قَدْ خَبَأْتُ لَكَ خَبِيئًا» قَالَ ابْنُ صَيَّادٍ: هُوَ الدُّخُّ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اخْسَأْ فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ» قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي فِيهِ أَضْرِبْ عُنُقَهُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنْ يَكُنْهُ فَلَنْ تُسَلَّطَ عَلَيْهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْهُ فَلَا خَيْرَ لَكَ فِي قَتْلِهِ»(٢).

وأخرج مسلم هذا الحديث عن ابن عمر من وجه آخر ولفظه: «لَقِيتُهُ مَرَّتَيْنِ»، فذكر الأولى ثم قال: «فَلَقِيتُهُ لَقْيَةً أُخْرَى وَقَدْ نَفَرَتْ عَيْنُهُ، قَالَ: فَقُلْتُ: مَتَى فَعَلَتْ

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٧٣٥٥)، مسلم (٢٩٢٩/٩٤).

(٢) صحيح، رواه البخاري (١٣٥٥، ٣٠٥٥، ٦١٧٣، ٦٦١٨)، ومسلم (٢٩٢٤/٨٦).

عَيْنُكَ مَا أَرَى؟ قَالَ: لَا أَدْرِي، قَالَ: قُلْتُ: لَا تَدْرِي وَهِيَ فِي رَأْسِكَ؟! قَالَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ خَلَقَهَا فِي عَصَاكَ هَذِهِ، قَالَ: فَنَخَرَ كَأَشَدِّ نَخِيرِ حِمَارٍ سَمِعْتُ، قَالَ: فَزَعَمَ بَعْضُ أَصْحَابِي أَنِّي ضَرَبْتُهُ بِعَصًا كَانَتْ مَعِيَ حَتَّى تَكَسَّرَتْ، وَأَمَّا أَنَا فَوَاللَّهِ مَا شَعَرْتُ، قَالَ: وَجَاءَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ فَحَدَّثَهَا فَقَالَتْ: مَا تُرِيدُ إِلَيْهِ؟ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ قَالَ: إِنَّ أَوَّلَ مَا يَبْعَثُهُ عَلَى النَّاسِ غَضَبٌ يَغْضَبُهُ؟»[1].

ولقد ذكرنا مزيدًا من أخباره وآراء العلماء في ذلك في أشراط الساعة فانظر هناك.

وأيضًا رؤية رسول اللَّه ﷺ ربه حين عرج إلى السماء، وكانت مثار خلاف بين بعض الصحابة على قولين:

الأول: قول ابن عباس ومن جاراه أنه رأى ربه.

والثاني: قول عائشة ومن جاراها أنه لم يره.

٢- عصر الصحابة بعد وفاة الرسول ﷺ:

وإذا تعديت عصر النبوة؛ فإن العصر الراشدي لم يشهد بين الصحابة أنفسهم من الخلافات إلا ما كان اجتهاديًا، وشيئًا يسيرًا في أمور العقيدة، وما سوى ذلك من شبهات القدرية والجبرية، كان بتأثير عناصر غريبة على الإسلام، وكان ذلك يقابل بصلابة وشدة وعنف.

فقد أخرج الدارمي في سننه عن سليمان بن يسار: (أَنَّ رَجُلاً يُقَالُ لَهُ: صَبِيغٌ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَجَعَلَ يَسْأَلُ عَنْ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ عُمَرُ وَقَدْ أَعَدَّ لَهُ عَرَاجِينَ النَّخْلِ ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا عَبْدُ اللَّهِ صَبِيغٌ. فَأَخَذَ عُمَرُ عُرْجُوناً مِنْ تِلْكَ الْعَرَاجِينِ فَضَرَبَهُ وَقَالَ: أَنَا عَبْدُ اللَّهِ عُمَرُ. فَجَعَلَ لَهُ ضَرْباً حَتَّى دَمِىَ رَأْسُهُ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَسْبُكَ قَدْ ذَهَبَ الَّذِى كُنْتُ أَجِدُ فِى رَأْسِى)[2].

---

(١) صحيح، رواه مسلم (٢٩٣٢/٩٩).

(٢) رواه الدارمي (١/٥٤).

وبالجملة، فأكثر المصادر متفقة على أن الخلافات الأساسية، بدأت من السنة السادسة لخلافة عثمان بن عفان رضي اللَّه عنه.

يقول الإمام عبد القادر البغدادي: (وهم في أثناء ذلك كله على كلمة واحدة في أبواب العدل والتوحيد، والوعد والوعيد، وفي سائر أصول الدين ... وكانوا على هذه الجملة في أيام أبي بكر وعمر وست سنين في خلافة عثمان).

ويقول الشَّهرَ ستاني: (غير أن أقاربه من بني أمية قد ركبوا نهابر فركبته وجاروا فجير عليه ووقعت اختلافات كثيرة وأخذوا عليه أحداثًا كلها محالة على بني أمية، منها:

- رده الحكم بن أمية إلى المدينة بعد أن طرده النبي عليه السلام، وكان يسمى طريد رسول اللَّه ﷺ ... ومنها نفيه أبا ذر إلى الربذة وتزويجه مروان بن الحكم بنته، وتسليمه خمس غنائم إفريقية له وقد بلغت مائتي ألف دينار، ومنها إيواؤه عبد اللَّه بن سعد بن أبي سرح، بعد أن أهدر النبي عليه السلام دمه، وتوليته إياه مصر بأعمالها وتوليته عبد اللَّه بن عامر البصرة، حتى أحدث فيها ما أحدث ... إلى غير ذلك مما نقموا عليه ..

ومنهم من يرجع نشأة الخوارج إلى هذه الفترة، فقد خرج عليه بعضهم -نتيجة لهذه التصرفات- وكانوا من القراء، وكان مقرهم الكوفة، فنفى بعضهم إلى الشام، كعبد اللَّه بن الكواء، وحرقوص بن زهير وغيرهما، كما سيأتي.

قال البغدادي: (ثم اختلفوا بعد ذلك في شأن علي وأصحاب الجمل، وفي شأن معاوية وأهل صِفّين، وفي حكم الحكمين أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص، اختلافًا باقيًا إلى اليوم).

٣- الشيعة:

هم الذين شايعوا عليًا رضي اللَّه عنه، وقالوا بإمامته وخلافته نصًا ووصاية إما جليًا أو خفيًا، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم من غيره، أو

تبقية من عنده، قالوا: وليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة، بل هي قضية أصولية، وهي ركن من أركان الدين.

وفي تلك الأونة ظهر (عبد اللَّه بن سبأ) وجماعة معه، بفكرة الرجعة وحلول الجزء الإلهي في علي رضي اللَّه عنه وبنيه وآله ... وانقسمت الاختلافات بعد علي رضي اللَّه عنه إلى قسمين:

أحدهما: الاختلاف في الإمامة.

والثاني: الاختلاف في الأصول.

والاختلاف في الإمامة على وجهين:

أحدهما: القول بأن الإمامة تثبت بالاتفاق والاختيار.

والثاني: بأن الإمامة تثبت بالنص والتعيين.

وهذا الثاني هو الذي تبناه الشيعة حتى أصبح فيما بعد ركنًا من أركان الإسلام عندهم، يكفر من لا يؤمن به.

ولم يكتف الذين شايعوا عليًا بتقديسه إلى حد الغلو والإفراط، بل كفَّروا كل من خرج عليه.

قال ابن حزم: (وأما الشيعة، فعمدة كلامهم في الإمامة، والمفاضلة بين أصحاب النبي ﷺ، واختلفوا فيما عدا ذلك كما اختلف غيرهم). وقال قبل ذلك: (وأقرب مذاهب الشيعة إلى أهل السنة، المنتمون إلى أصحاب الحسن بن صالح بن حي الهمذاني الفقيه، القائلون بأن الإمامة في ولد علي رضي اللَّه عنه).

والثابت عن الحسن بن صالح رحمه اللَّه هو قولنا، أن الإمامة في جميع قريش، وتولي جميع الصحابة رضي اللَّه عنهم، إلا أنه كان يفضل عليًا على جميعهم.

والشيعة الرافضة فرقٌ كثيرة، منهم من فرق أهل الإسلام، ومنهم غلاة خرجوا عن دائرة الإسلام وقد أطنبت كتب الفِرق والعقائد في عرض آرائهم وأقوالهم.

٤- الخوارج:

قد ذكرنا أن بعضهم يرجع نشأتهم إلى عهد عثمان رضي اللَّه عنه، وكان غالبهم من طبقة القراء ممن كانوا يسكنون الكوفة فخرجوا عليه ليردوه -ظنًّا منهم- إلى الكتاب والسنة، واتهموه بهجر الكتاب وإيثار ذوي القربى ورفع الدرة، ووضع السوط، إلى آخر ما هنالك ... ثم تزايد عددهم، وكان من أبرز زعمائهم: حرقوص بن زهير البجلي، وعبد اللَّه بن الكوّاء، ويزيد بن قيس الأرحبي، ومسعر ابن فدكى التميمي، وزيد بن الحصين السنبسي، ونفى عثمان رضي اللَّه عنه جماعة منهم، كحرقوص بن زهير وابن الكواء وغيرهما إلى الشام، وكان حرقوص رأس أهل البصرة الذين شاركوا في مقتل عثمان رضي اللَّه عنه.

غير أن معظم المصادر تعتبر ابتداءهم بالخروج من صفوف علي بعد أن كانوا معه على معاوية عندما رضي بالتحكيم، وكان زعمائهم آنذاك: الأشعث بن قيس، ومسعر بن فدكى، وزيد بن الحصين الطائي.

وافترق الخوارج على عشرين فرقة: المحكمة الأولى، والأزارقة، والنجدات، والثعالبة، والعجاردة [وافترقت العجاردة فيما بعد فرقًا كثيرة] والإباضية.

وافترقت الإباضية فرقًا: الحفصية، والحارثية، واليزيدية، وأصحاب طاعة لا يراد بها وجه اللَّه، واليزيدية وهي ليست من فرق الإسلام لاعتقادها بنسخ الشريعة المحمدية في آخر الزمان بنبي يبعث من العجم، كذلك الميمونية من العجاردة ليست من فرق الإسلام لإباحتها نكاح بنات البنات وبنات البنين كما أباحته المجوس.

١- المحكمة الأولى: الذين خرجوا على علي رضي اللَّه عنه حين جرى أمر التحكيم، وعلى رأسهم عبد اللَّه بن الكواء، وحرقوص بن زهير البجلي المعروف بذي الثدية، وغيرهم.

٢- والأزارقة: نسبة إلى نافع بن الأزرق.

٣- والنجدات: نسبة إلى نجدة بن عمار الحنفي.

٤- الثعالبة: أصحاب ثعلبة بن عامر.

٥- والعجاردة: أصحاب عبد الكريم بن عجرد.

٦- الإباضية: أصحاب عبد اللّٰه بن إباض.

أما ما يجمع بين الخوارج على اختلاف مذاهبها فهو تكفير علي وعثمان والحكمين وكل من رضي بتحكيمهما وأصحاب الجمل، والتكفير بارتكاب الكبائر، ووجوب الخروج على الإمام.

٥- القدرية والجبرية:

راجع ما كتب عنهما في الركن السادس من أركان الإيمان (الإيمان بالقضاء والقدر).

٦- المعتزلة:

أصل التسمية:

واختلف في أصل التسمية، والراجح أنها أطلقت أول ما أطلقت على واصل بن عطاء الغزال، وعمرو بن عبيد، حينما اعتزلا أو أحدهما مجلس الحسن البصري، ومنهم من جعل ذلك بسبب اعتزالهم الأمة بأسرها، لمخالفتهم في معتقدهم في مرتكب الكبيرة، أو اعتزالهم الجماعة بعد وفاة الحسن.

وسبب هذا الاعتزال، أن الخوارج عندما كفَّروا مرتكب الكبيرة، ولم يُكفره جمهور أهل السنة بذلك، بل جعلوه فاسقًا، قال واصل بن عطاء: بل الفاسق لا مؤمن ولا كافر، وإنما هو في منزلة بين المنزلتين، فلما قال مقالته هذه في مجلس الحسن طرده، فالتزم زاوية من المسجد ودعا لبدعته هذه، فوافقه عليه عمرو بن عبيد، فقال الحسن: اعتزلنا واصل.

وأقاموا مذهبهم على أصول خمسة: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال شارح الطحاوية: (**فأما العدل،** فستروا تحته نفي القدر، وقالوا: إن اللّٰه لا

يخلق الشر ولا يقضي به، إذ لو خلقه ثم يعذبهم عليه، يكون ذلك جورًا، واللّٰه تعالى عادل لا يجور، ويلزم على هذا الأصل الفاسد أن اللّٰه تعالى يكون في ملكه ما لا يريده، فيريد الشيء ولا يكون، ولازمه وصفه بالعجز، تعالى اللّٰه عن ذلك.

وأما التوحيد: فستروا تحته القول بخلق القرآن، ويلزمهم على هذا القول الفاسد، أن علمه وقدرته وسائر صفاته مخلوقة.

وأما الوعيد: فقالوا: إذا توعد بعض عبيده وعيدًا، فلا يجوز ألا يعذبهم ويخلف وعيده، لأنه لا يخلف الميعاد، فلا يعفو عمن يشاء، ولا يغفر لمن يريد عندهم.

وأما المنزلة بين المنزلتين: فعندهم أن من ارتكب كبيرة يخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر.

وأما الأمر بالمعروف: فهو أنهم قالوا: علينا أن نأمر غيرنا بما أمرنا به، وأن نلزمه بما يلزمنا، وذلك هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وضمنوه أنه يجوز الخروج على الأئمة بالقتال إذا جاروا وقد افترقت المعتزلة عشرين فرقة: الواصلية، والعمرية، والهذيلية، والنظامية، والأسوارية، والمعمرية، والإسكافية، والجعفرية، والبشرية، والمرداوية، والهشامية، والتمامية، والجاحظية، والحائطية، والحمارية، والخياطية، وأصحاب صالح قبة، والمويسية، والشحامية، والكعبية، والجبايية، والبهشمية -المنسوبة إلى أبي هاشم بن الجبالي- فهذه اثنتان وعشرون فرقة، منها الحائطية والحمارية، من الفرق الغالية.

الواصلية: نسبة إلى واصل بن عطاء الغزال.

الهذيلية: نسبة إلى أبي الهذيل حمدان بن الهذيل العلان.

النظامية: أصحاب إبراهيم بن يسار بن هانئ النظام.

قال البغدادي: (وعشرون منها قدرية محضة، يجمعها كلها في بدعتها أمور منها: نفيها كلها عن اللّٰه عز وجل صفاته الأزلية، وقولها بأنه ليس للّٰه علم، ولا قدرة، ولا حياة، ولا سمع، ولا بصر، ولا صفة أزلية ... ومنها قولهم: باستحالة

رؤية اللَّه عز وجل بالأبصار في الآخرة، ومنها قولهم جميعًا: بأن اللَّه تعالى غير خالق لأكساب الناس، ولا لشيء من أعمال الحيوانات، وقد زعموا أن الناس هم الذين يقدرون أكسابهم، وأنه ليس للَّه عز وجل في أكسابهم ولا في أعمال سائر الحيوانات صنع ولا تقدير ... إلخ).

قال الشهرستاني: ثم طالع بعد ذلك شيوخ المعتزلة كتب الفلاسفة، حين فسرت أيام المأمون فخلطت مناهجها بمناهج الكلام، وأفردتها فنًا من فنون العلم، وسميتها باسم (الكلام).

٧- المرجئة:

(لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة).

قال ابن الأثير: (المرجئة: فرقة من فرق الإسلام، يعتقدون أنه لا يضر مع الإيمان معصية، كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة، سموا مرجئة لاعتقادهم أن اللَّه أرجأ تعذيبهم على المعاصي إلى يوم القيامة.

- وقيل الإرجاء: تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة؛ فلا يُقضى عليه بحكم ما في الدنيا، من كونه من أهل الجنة أو من أهل النار.

- وهم أصناف ثلاثة: صنف جمع بين الإرجاء في الإيمان والقدر، فهم محسوبون على هؤلاء وهؤلاء، كأبي شمر المرجئ ومحمد بن شبيب البصري والخالدي ... وصنف جمعوا بين الإرجاء في الإيمان وبقول جهم في الأعمال والأكساب، فهم محسوبون على الفريقين، وصنف خالصو الإرجاء، من غير قول بالقدر، وهم خمس فرق: اليونسية، والغسانية، والثوبانية، والتومنية، والمريسية، وأما النجارية فمرجعها إلا ثلاث فرق: البرغونية، والزعفرانية، والمستدركة، وأما البكرية والضرارية فكل منهما فرقة مستقلة، والجهمية فرقة واحدة، والكرامية ثلاث فرق: الحقاقية، والطرائقية، والإسحاقية.

- وجعلها بعضهم أربعة أصناف: مرجئة خوارج، ومرجئة قدرية، ومرجئة جبرية،

ومرجئة خالصة، وأما محمد بن شبيب، والصالحي والخالدي، فهم مرجئة القدرية.

وأبعد فرق المرجئة عن أهل السنة أصحاب جهم بن صفوان والأشعري ومحمد ابن كرام السجستاني؛ فإن جهمًا والأشعري يقولان: إن الإيمان عقد بالقلب فقط، وإن أظهر الكفر والتثليث بلسانه، وعبد الصليب في دار الإسلام بلا تقية ومحمد ابن كرام يقول: هو القول باللسان وإن اعتقد الكفر بقلبه.

ملاحظة:

١- اليونسية: أصحاب يونس بن عون النميري.

٢- الغسانية: أصحاب غسان الكوفي.

٨- الماتريدية:

وهم أتباع أبي منصور الماتريدي، والماتريدي نسبة إلى قرية (ماتريد) من قرى سمرقند في بلاد ما وراء النهر، ويذكر بعضهم أنَّ نسبه يرجع إلى أبي أيوب خالد ابن زيد بن كليب الأنصاري، وهو الذي نزل عليه رسول اللَّه ﷺ عندما هاجر إلى المدينة.

تخرج في حلقة الإمام أبي نصر العياضي، وكان أبو نصر هذا من المجاهدين في بلاد ما وراء النهر وتخرج أيضًا على أبي بكر أحمد الجوزجاني، وأبي سليمان الجوزجاني وكان هذا الأخير تلميذ محمد بن الحسن، الإمام المعروف وهؤلاء كلهم من علماء الحنفية.

ثم أكب على كتب أبي حنيفة التي تتكلم في العقائد، (الفقه الكبير) و(العالم والمتعلم) وغيرهما، واستجد لها من الأدلة والحجج والبراهين، ما جعله يصبح فيما بعد إمام الأحناف في العقائد.

عاصر أبو منصور أبا الحسن الأشعري، وكانت وفاته سنة ٣٣٣هـ، وكان كلاهما في ذلك الوقت المجن الصلب الذي دافع عن عقائد أهل السنة في وجه المعتزلة، وكان من تلاميذ أبي منصور الماتريدي: أبو القاسم بن إسحاق بن محمد

ابن إسماعيل، المشهور بالحكيم السمرقندي، وأبو محمد عبد الكريم بن موسى البزدوي، وأبو الليث البخاري، وغيرهم.

ومن مصنفاته: بيان وهم المعتزلة، تأويلات أهل السنة، الدرر في أصول الدين، الرد على تهذيب الكعبي في الجدل، عقيدة الماتريدية، كتاب التوحيد وإثبات الصفات، كتاب الجدل، مأخذ الشرائع، في أصول الفقه، المقالات.

ورد الأصول الخمسة لأبي محمد الباهلي، رد أوائل أدلة الكعبي، رد وعيد الفساق للكعبي، الرد على أصول القرامطة، رد كتاب الإمامة لبعض الروافض.

لم يطبع من مصنفاته غير الجزء الأول من التأويلات، وكتاب التوحيد، الذي حققه الدكتور فتح اللّه خليف، عن نسخة مخطوطة يتيمة في مكتبة جامعة كمبردج بإنجلترا.

عقيدة أبي منصور الماتريدي:

١- يستهل الماتريدي كتاب التوحيد بفصل في إبطال التقليد: وهو في ذلك لا يخرج على الإجماع المعقد بين علماء الكلام من أهل السنة والمعتزلة على السواء، على فساد التقليد وبطلانه ... ثم يسرد أدلته العقلية والشرعية في ذلك.

٢- ثم يعرض نظرية المعرفة، وهو في عرضه قريب من المعتزلة، بل من الفلاسفة، ويميز بين الأخبار المتواترة المتناقلة بين الناس، وهذه ينبغي تمحيصها، وبين الأخبار التي تأتينا عن طريق الرسل، فهذه يجب التسليم بها، (فمن أنكر ذلك فهو أحق من يقضى عليه بالتعنت والمكابرة)، وينبغي النظر والاستدلال، لأننا بذلك نعرف الحكمة من الموجودات، ولا سبيل إلى العلم إلا بالنظر.

ثم يسرد أبو منصور أدلته على حدوث الأجسام على طريقة المتكلمين، وهو يستخدم هذه الأدلة على وجود اللّه، فالمتضادات عنده لا تجتمع بنفسها، إنما

تحتاج إلى من يؤلف بينها، وهو اللَّه، ثم يذكر أدلة كثيرة على وجود اللَّه.

٣- ويذهب في (أسماء اللَّه) مذهب التوقيف، فهل يقال عن اللَّه هو جسم أو لا؟

يقول: (وحقه السمع عن اللَّه، إن الجسم ليس من أسمائه، ولم يرد عنه ولا عن أحد ممن أذن لأحد تقليده، فالقول به لا يسع، وما دامت الأسماء توقيفية، وقفنا عند كل ما يجيء عن الشارع فيها.

٤- والمؤمنون يرون ربهم في الآخرة بلا كيف (إذ الكيفية تكون لذي صورة، بل يرى بلا وصف قيام وقعود، واتكاء وتعلق، واتصال وانفصال، ومقابلة ومدابرة، وقصير وطويل، ونور وظلمة، وساكن ومتحرك، ومماس ومباين، وخارج وداخل، ولا معنى يأخذه الوهم، أو يقدره العقل، لتعاليه عن ذلك). والكفار محرومون من هذه الرؤية ويعتقد أبو منصور أن البرهنة على جواز الرؤية عقلًا غير ممكنة، بينما يستدل عليها أبو الحسن الأشعري بالعقل، ودليل أبي الحسن: أن المرئيات في الشاهد رؤيتها لأنها موجودة، واللَّه موجود، إذن تصح رؤيته ...

٥- أما قوله في الاستواء على العرش، وكذا في سائر الصفات، فهو أقرب ما يكون إلى السلف؛ لأنه يثبت هذه الصفات، وينفي عنها التشبيه، ولا يقطع بتأويلها على وجه لاحتمالها غيره، ويؤمن بها كما أرادها اللَّه، ولعله تبع في ذلك إمام مذهبه أبا حنيفة، وكذا محمد بن الحسن، وقد تقدم في عقيدة أهل الحديث قولًا لأبي حنيفة في النزول، وأنه نزول بلا كيف ...

٦- وفي القضاء والقدر، يقف أبو منصور موقفًا وسطًا بين الجبر والاختيار، فالإنسان فاعل مختار على الحقيقة لما يفعله، وهو في فعله كاسب، ولكن هذا الفعل وإن كان كسبًا، فهو خلق اللَّه، لأن اللَّه تعالى يقول: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات]، فأفعال الإنسان للَّه بأن خلقها على ما

هي عليه، وأوجدها بعد إن لم تكن، وللخلق على ما كسبوها وفعلوها، ويقول أبو منصور: (والعدل هو القول بتحقيق الأمرين، ليكون اللَّه موصوفًا بما وصف به نفسه، محمودًا به كما قال: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٍ﴾ [الأنعام:١٠٢]، وقال: ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام:١٧]، وليكون عدلًا متفضلًا كما قال: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [فصلت:٤٦] وقال: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء:٨٣] ... وعند قيام الإنسان بفعل، يخلق اللَّه قدره عند قصد هذا الفعل أو الكسب، يتم بها، واستحقاق المدح أو الذم مبني على هذا القصد، وهو يقسم القدرة التي هي مناط التكليف قسمين:

أولًا: قدرة ممكنة؛ وهي ما يسميها بسلامة الآلات وصحة الأسباب.

ثانيًا: قدرة ميسرة زائدة على القدرة الممكنة، وهي التي يقدر الإنسان بها على الفعل المكلف به مع يسر تفضلًا من اللَّه تعالى.

٧- وهو يفرق بين تقدير المعاصي والشرور والقضاء بها، وبين فعل هذه المعاصي، فالأول من اللَّه تعالى، والثاني من العبد بقدرته واختياره وقصده، ويمنع أبو منصور من إضافة الشر إلى اللَّه، فلا يقال رب في الأرواث والخبائث، ولو أنه خالق كل شيء، وهذا الشق الأخير معروف عن السلف، أما تقسيمه القدرة، وجعل العبد فاعلًا باختياره وقصده وقدرته من وجه، ولو كان اللَّه هو الفاعل من وجه آخر، فيه حيد عن مذهب السلف في ذلك.

٨- أما مسألة الإيمان، فلا منزلة عنده بين المنزلتين، ولا يخرج مرتكب الكبيرة عن الإسلام.

والإيمان هو تصديق بالقلب دون الإقرار باللسان، وإن أجريت أحكام الإسلام على من أقر بلسانه، وهذا أبسط أقوال المرجئة، وفي هذا يفترق الماتريدية عن السلف، وعنده لا يجوز الاستثناء في الإيمان، لأن الاستثناء

يستعمل في موضع الشكوك والظنون.

٩- ثم يعرض أبو منصور لمذاهب المجوس والزنادقة من دهرية وثنوية ومانوية وديصانية ومرقيونية، ويشرع في تفنيدها، وبهذه الفصول يختتم (كتاب التوحيد).

وقد اتفق أبو منصور الماتريدي وأبو الحسن الأشعري على مسائل عدة، واختلفوا في أمور، فمما اختلفوا فيه:

مسألة القضاء والقدر: فقال الماتريدية: إن القدر هو تحديد اللَّه أزلًا كل شيء بحده الذي سيوجد به من نفع، وما يحيط به من زمان ومكان، والقضاء: الفعل عند التنفيذ، وقال الأشاعرة: إن القضاء بإرادة اللَّه الأزلية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص، والقدر تعلق الإرادة بالأشياء في أوقاتها المخصوصة ...

واختلفوا في أصل الإيمان: فذهب الماتريدية إلى أنه يجب على الناس معرفة ربهم ولو لم يبعث اللَّه فيهم رسولًا، وذهب الأشاعرة إلى عدم وجوب الإيمان وعدم تحريم الكفر قبل بعثة الرسل، كما اختلفوا في زيادة الإيمان ونقصانه وشرطه ... إلخ.

كما اختلفوا في النبوة، هل يشترط فيها الذكورة؟ فجعلها الماتريدية شرطًا، ونفى ذلك الأشاعرة عنها، واحتج هذا الفريق بقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ [القصص: ٧]، ورد الفريق الأول: بأن الإيحاء هنا بمعناه الواسع، وهو الإلهام.

قال الأستاذ أحمد أمين: (ونحن لو دققنا النظر في الخلاف بين الأشعرية والماتريدية، وجدنا الاعتزال أظهر في الأشعرية، بحكم تتلمذ الأشعري عهدًا طويلًا ... وقد انتصر للمذهب الماتريدي كثير من علماء الحنفية، مثل فخر الإسلام البردوي، والتفتازاني، والنسفي، وابن همام ... إلى غيرهم، ولكنهم لم يبلغوا -والحق يقال- مبلغ أتباع الأشعري- فرجح مذهب الأشعري وزاد انتشاره، وكثر أتباعه).

٩- الأشاعرة:

وهم أتباع أبي الحسن الأشعري، واسمه علي بن إسماعيل بن أبي بشر واسمه إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد اللّٰه بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الشعري، ولد سنة ٢٧٠هـ وتوفي سنة ٣٢٤هـ علىخلاف في وفاته.

أقام على الاعتزال أربعين سنة، حتى صار للمعتزلة إمامًا، تزوجت أمه بعد وفاة أبيه إسماعيل بأبي علي الجبائي، رأس المعتزلة في عصره، فتلقى عنه الأشعري مذهب الاعتزال حتى رسخ فيه، وكان يظن أنه سيصبح الإمام الأوحد في ذلك، وبعد اعتزاله أربعين سنة، دخل منزله خمسة عشر يومًا، منقطعًا عن العالم من حوله، ثم خرج إلى الجامع وصعد المنبر وقال: معاشر الناس، إنما تغيبت عنكم هذه المدة، لأني نظرت، فتكافأت عندي الأدلة ولم يترجح عندي شيء على شيء، فاستهديت اللّٰه، فهداني إلى اعتقاد أودعته في كتبي هذه، وانخلعت من جميع ما كنت أعتقده، كما انخلعت من ثوبي هذا، وانخلع من ثوب كان عليه، ورمى به.

وذكره ابن العماد في وفيات سنة ٣٢٤هـ وقال: (.. وكان قانعًا متعففًا .. ومما بيض به وجوه أهل السنة النبوية، وسود به رايات أهل الاعتزال والجهمية، فأبان به وجه الحق الأبلج، ولصدور أهل الإيمان والعرفان أثلج، مناظرته مع شيخه الجبائي التي بها قصم ظهر كل مبتدع مرائي، وهي كما قال ابن خلكان: سأل أبو الحسن المذكور أستاذه أبا علي الجبائي، عن ثلاثة إخوة: كان أحدهم مؤمنًا تقيًا، والثاني: كان كافرًا فاسقًا شقيًا، والثالث: كان صغيرًا، فماتوا، فكيف حالهم؟ فقال الجبائي: أما الزاهد ففي الدرجات، وأما الكافر ففي الدركات، وأما الصغير فمن أهل السلامة، فقال الأشعري: إن أراد الصغير أن يذهب إلى درجات الزاهد، هل يؤذن له؟ فقال الجبائي: لا؛ لأنه يقال له: أخوك إنما وصل إلى هذه الدرجات بسبب طاعاته الكثيرة، وليس لك طاعات، فقال الأشعري: فإن قال: ذلك التقصير ليس مني، فإنك ما أبقيتني ولا أقدرتني على الطاعة!! فقال الجبائي: يقول الباري

جل وعلا: كنت أعلم، ولو بقيت لعصيت وصرت مستحقًا للعذاب الأليم، فراعيت مصلحتك، فقال الأشعري: فلو قال الأخر الأكبر: يا إله العالمين، كما علمت حاله فقد علمت حالي، فلم راعيت مصلحته دوني؟ فانقطع الجبائي).

قال ابن العماد: (ولهذه المناظرة دلالة على أن اللَّه تعالى خص من شاء برحمته، وخص آخر بعذابه، وإلى أبي الحسن انتهت رياسة الدنيا في الكلام، وكان في ذلك المقدم المقتدى الإمام، قال في كتابه (الإبانة في أصول الديانة) وهو آخر كتاب صنفه، وعليه يعتمد أصحابه في الذب عنه عند من يطعن عليه ...) وساق شيئًا من الكتاب المذكور.

عقيدة أبي الحسن الأشعري:

تقدم قول العلماء في رجوع أبي الحسن الأشعري عن مذهب الاعتزال، بعد اعتناقه أربعين سنة، ثم عزلته في بيته وانقطاعه عن الناس خمسة عشر يومًا، ثم خروجه بالمذهب المعروف عنه، غير أن غالب الذين أرّخوا وترجموا له، ذكروا في حياته هاتين المرحلتين لا غير، حاشا الحافظ ابن كثير، فإنه قال كما نقل عنه مرتضى الزبيدي: (ذكروا للشيخ أبي الحسن الأشعري ثلاثة أحوال:

- ❁ أولها: حال الاعتزال التي رجع عنها لا محالة.
- ❁ والحال الثاني: إثبات الصفات العقلية السبعة وهي الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام، وتأويل الخبرية، كالوجه واليدين والقدم والساق .... ونحو ذلك.
- ❁ والحال الثالث: إثبات ذلك كله، من غير تكييف ولا تشبيه، جريًا على منوال السلف، وهي طريقته في الإبانة (التي صنفها أخيرًا).

هذا قول الحافظ ابن كثير في رجوعه، وقلما تجد من فصل تفصيله في هذا الرجوع، وإنما تجد عند معظمهم أنه رجع إلى مذهب السلف، ومع ذلك تجد أصحابه المنتمين إلى مذهبه يؤولون آيات الصفات وأحاديثها، وهذا ليس مذهب

السلف، فوجب أن يكون ثمة حال وسطي كان عليها أبو الحسن، وهي التي ذكرها ابن كثير، إن صح النقل عنه.

ويقول الذهبي في العلو للعلي الغفاري: (كان أبو الحسن أولًا معتزليًا، أخذ عن أبي علي الجبائي، ثم نابذه ورد عليه وصار متكلمًا للسنة، ووافق أئمة الحديث، فلو انتهى أصحابنا المتكلمون إلى مقالة أبي الحسن ولزموها لأحسنوا، ولكنهم خاضوا كخوض حكماء الأوائل في الأشياء، ومشوا خلف المنطق.

والذي يبدو، أن أبا الحسن إنما رجع في أيامه الأخيرة من حياته، وكانت سائر كتبه التي كتبها قبل، كاللمع والتأويلات وغيرها، قد انتشرت في الآفاق، واستنسخت في الأمصار، وعرفت بين العلماء والشيوخ، فتتلمذوا عليها، وخرجوا عليها تلاميذهم، فلما رجع أبو الحسن في تلك الأونة، كانت عقيدته في مرحلته الوسطى قد رسخت بين الناس، فأصبح الرجوع بعدئذ صعبًا وشاقًا.

ومن هنا نجد أن الأشاعرة في كتبهم لا يعولون على رجوعه الأخير إلى مذهب السلف، بل يعتقدون ما عم عليه، مما دونه في المرحلة الوسطى هو عقيدة السلف، وإن خفي هذا على أحد، فإنه كان ينبغي ألا يخفى على الحافظ ابن حجر، لأنه يقف موقف المؤول في جميع المتشابه، مع ميله إلى مذهب السلف.

ومذهب السلف عنده هو التفويض، وذكرنا قبل أن التفويض ليس مذهب السلف، وإنما مذهبهم الإثبات مع نفي التشبيه، بينما التفويض أن تقول: أفوض علم ذلك إلى الله.

وقد انتصر أبو القاسم بن عساكر لأبي الحسن انتصارًا متينًا في كتابه (تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري)، دافع فيه عن عقيدته في (الإبانة)، وافتتح كتابه به، فقال فيما نقله عنه ابن القيم الجوزية: (إذا كان أبو الحسن مستصوب المذهب عند أهل العلم بالمعرفة والانتقاد، فوافقه في أكثر ما يذهب إليه أكابر العباد، ولا يقدح في معتقده غير أهل الجهل والعناد، فلابد أن

نحكي عنه معتقده على وجهه بالأمانة، ونتجنب أن نزيد فيه أو ننقص منه تركًا للخيانة، لتعلم حقيقة حاله في صحة عقيدته في أصول الديانة، فاسمع ما ذكره في كتابه الذي سماه بـ(الإبانة) ... إلى آخره، وقد طبع هذا الكتاب (الإبانة في أصول الديانة) في حيدر آباد، سنة ١٣٢١هـ، وطبعة أجود منها في المدينة المنورة بمطابع الجامعة الإسلامية، سنة ١٩٧٥م.

وفي كتابه الإبانة يستهل أبو الحسن ذلك بالكلام على أهل الزيغ والضلال، فيقول: (... ودفعوا أن يكون للّه وجه مع قوله عز وجل: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمٰن :٢٧] وأنكروا أن يكون له يدان مع قوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص :٧٥]، وأنكروا أن يكون له عين مع قوله: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر :١٤]، ولقوله: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه :٣٩]، وأنكروا أن يكون للّه علم مع قوله: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء :١٦٦]، وأنكروا أن يكون للّه قوة مع قوله: ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات :٥٨].

ونفوا ما روي عن النبي ﷺ أن اللّه عز وجل ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا، وغير ذلك، مما رواه الثقات عن رسول اللّه ﷺ، وكذلك جميع أهل البدع من الجهمية والمرجئة والحرورية، وأهل الزيغ فيما ابتدعوا وخالفوا الكتاب والسنة، وما كان عليه النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم وأصحابه، وأجمعت عليه الأمة، كفعل المعتزلة والقدرية، وأنا ذاكر ذلك بابًا بابًا، وشيئًا شيئًا، إن شاء اللّه، وبه المعونة والتأييد، ومنه التوفيق والتسديد ..).

ثم يعقد بابًا (في إبانة قول أهل الحق والسُّنة) فيقول: (فإن قال لنا قائل: هل أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة، فعرفونا قولكم الذي به تقولون، وديانتكم التي بها تدينون؟ قيل له: قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها: التسمك بكتاب ربنا عز وجل، وبسنة نبينا صلى اللّه عليه وآله وسلم، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون،

وبما كان يقول به (أبو عبد اللَّه أحمد بن محمد بن حنبل) نضر اللَّه وجهه، ورفع درجته، وأجزل مثوبته قائلون، ولمن خالف قوله مجانبون؛ لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل، الذي أبان اللَّه به الحق، ورفع به الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به المبتدعين، وزيغ الزائغين، وشك الشاكين، فرحمة اللَّه عليه من إمام مقدم، وخليل معظم، وعلى جميع أئمة المسلمين.

وجملة قولنا: أنا نقرّ باللَّه وملائكته وكتبه ورسله، وما جاء من عند اللَّه، وما رواه الثقات عن رسول اللَّه ﷺ، ولا نرد من ذلك شيئًا، وأنَّ اللَّه عز وجل إله واحد، لا إله إلا هو، فرد صمد، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، وأن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق، وأن الجنة حق، والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن اللَّه يبعث من في القبور.

وأنَّ اللَّه استوى على عرشه كما قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝﴾ [طه]، وأن له وجهًا كما قال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝﴾ [الرحمن]، وأن له يدين بلا كيف كما قال: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص :٧٥] وكما قال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة :٦٤] ، وأن له عينًا بلا كيف كما قال: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر :١٤].

وأن من زعم أن أسماء اللَّه غيره كان ضالاً، وأن له علمًا كما قال: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء :١٦٦].

وكما قال: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فاطر :١١]، ونثبت للَّه السمع والبصر، ولا ننفي ذلك كما نفته المعتزلة والجهمية والخوارج ...

وأن أعمال العباد مخلوقة للَّه مقدورة كما قال: ﴿خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات :٩٦]، وأن العباد لا يقدرون أن يخلقوا شيئًا وهم يخلقون.

حتى يقول: (... ونصدق بجميع الروايات التي يثبتها أهل النقل، من النزول إلى السماء الدنيا، وأن الرب عز وجل يقول: هل من سائل؟ هل من مستغفر؟ ... وسائر ما نقلوه وأثبتوه، خلافًا لما قاله أهل الزيغ والتضليل، ونعول فيما اختلفنا فيه

على كتاب ربنا وسنة نبينا صلى اللّٰه عليه وآله وسلم وإجماع المسلمين، وما كان في معناه، ولا نبتدع في دين اللّٰه بدعة لم يأذن بها، ولا نقول على اللّٰه ما لا نعلم.

ونقول: إن اللّٰه عز وجل يجيء يوم القيامة كما قال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر]، وأن اللّٰه عز وجل يقرب من عباده كيف شاء كما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق :١٦].

وهو موافق في ذلك لأصحاب الحديث ولأبي منصور الماتريدي، فنخلص منه إلى أن موقف أصحاب الحديث، وموقف أبي منصور إمام الماتريدية، وموقف أبي الحسن الأشعري المتأخر من حياته من الآيات والأحاديث المتعلقة بالصفات موقف واحد، وهو إثباتها بلا كيف، وهذا الذي انتهينا إليه هو الحق في هذه المسألة -واللّٰه أعلم- وهو الذي ندين به، وأما ما ذهب إليه الحافظ وغيره، من الجري على طريقة الأشعري في مرحلته الثانية، بتأويل هذه المواضع لأن ظاهرها يوهم التشبيه، فليس بحق، وهو بدعة لم يكن عليها الرسول ﷺ ولا من شهد لهم بالخيرية من بعده، واللّٰه الموفق.



١٠- الصوفية في ميزان الكتاب والسنة

لقد انتشرت الصوفية في بلاد العالم الإسلامي، وانقسم الناس فيها إلى فريقين: مؤيد ومعارض، فكيف يعرف المسلم الحق؟ هل هو مع المؤيدين للصوفية، فيسير معهم؟ أم هو مع المعارضين للصوفية فيجتنبهم؟

إذًا لابد من الرجوع إلى الكتاب والسنة الصحيحة لمعرفة ذلك عملًا بقوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].

لم يعرف الإسلام اسم الصوفية في زمن الرسول ﷺ وصحابته والتابعين، ثم جاء جماعة من الزهاد لبسوا الصوف، فأطلقوا هذا الاسم عليهم، وقيل: مأخوذ من كلمة (صوفيا) ومعناها الحكمة، حينما ترجمت كتب الفلسفة اليونانية، وليست مأخوذة من الصفاء كما يدَّعي بعضهم لأن النسبة إلى الصفاء (صفائي) وليست (صوفي). يقول أبو الحسن الندوي في كتابه (ربانية لا رهبانية): ليتهم ما قالوا صوفية، بل سموها تزكية، كما قال اللّه تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ﴾ [البقرة: ١٢٩].

فظهور هذا الاسم الجديد فرّق المسلمين.

وقد تختلف الصوفية الأُولى عن الصوفية المتأخرة التي انتشرت فيها البدع أكثر من سالفتها، وقد حذر منها الرسول ﷺ بقوله: «إِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»(١).

ومن الإنصاف أن نضع تعاليم الصوفية في ميزان الإسلام لنرى قربها أو بعدها عنه:

١- الصوفية لها طرق متعددة كالتيجانية، والقادرية، والنقشبندية، والشاذلية، والرفاعية وغيرها من الطرق التي يدَّعي كل منها أنه على الحق، وغيره على

---

(١) صحيح، رواه الترمذي (٢٦٧٦)، وأبو داود (٤٦٠٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٤٩).

باطل، والإسلام ينهىٰ عن التفرق ويقول اللَّه تعالى في كتابه المجيد: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم].

٢- الصوفية تدعو غير اللَّه من الأنبياء والأولياء والأحياء والأموات، فهم يقولون: (يا جيلاني، ويا رفاعي، ويا رسول اللَّه غوثًا ومددًا، ويا رسول اللَّه عليك المعتمد).

والشرع الحكيم ينهي عن دعاء غير اللَّه تعالى، ويعتبره شركًا إذ يقول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس]. ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: المشركين.

والرسول ﷺ يقول: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»[(١)].

فالدعاء عبادة كالصلاة لا تُصرف لغير اللَّه ولو كان رسولًا أو وليًا، وهو من الشرك الأكبر الذي يحبط العمل، ويُخلِّد صاحبه في النار.

٣- الصوفية تعتقد أن هناك أبدالًا وأقطابًا وأولياء سلَّم اللَّه لهم تصريف الأمور وتدبيرها في الكون واللَّه يحكي جواب المشركين حين يسألهم: ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ [يونس:٣١]، فكان مشركوا مكة أحسن حالًا منهم في هذه القضية.

والصوفية يلجأون لغير اللَّه عند نزول المصائب واللَّه يقول: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنعام] . واللَّه يحكي عن المشركين في الجاهلية حين تنزل بهم المصائب: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ [النحل:٥٣].

---

(١) صحيح، رواه أبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩، ٣٢٤٧، ٣٣٧٢)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١٦٢٧) وأحمد في المسند (١٧٨٨٨، ١٧٩١٩، ١٧٩٢٤) وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح.

٤- بعض الصوفية يعتقد بوحدة الوجود، فليس عندهم خالق ومخلوق، فالكل خلق، والكل إله، وزعيمهم ابن عربي المدفون بدمشق يقول:

العبد رب، والربُّ عبدٌ ... يا ليت شعري من المكلَّف؟

إن قلت عبدٌ فذاك حق ... أو قلت رب فأنيَّ يُكلَّف؟(١)

٥- الصوفية تدعو إلى الزهد في الحياة، وترك الأسباب والجهاد والله تعالى يقول: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ [القصص :٧٧].

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٍ ۝٦٠﴾ [الأنفال].

٦- الصوفية تعطي مرتبة الإحسان إلى شيوخهم وتطلب منهم أن يتصوروا شيخهم عندما يذكرون الله، حتى في صلاتهم، وهناك منهم من يضع صورة شيخه أمامه في الصلاة، والرسول ﷺ يقول: «الْإِحْسَانِ، قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»(٢).

٧- الصوفية تَدَّعي أن عبادة الله لا تكون خوفًا من ناره، ولا طمعًا في جنته، ويستشهدون بقول رابعة العدوية: (اللَّهم إن كنت أعبدك خوفًا من نارك فأحرقني فيها، وإن كنت أعبدك طمعًا في جنتك فاحرمني منها).

وترى بعضهم ينشدون قول عبد الغني النابلسي: من كان يعبد الله خوفًا من ناره فقد عبد النار، ومن عبد الله طلبًا للجنة فقد عبد الوثن.

والله عز وجل يمدح الأنبياء الذين يدعونه طلبًا لجنته وخوفًا من عذابه فيقول: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ﴾ [الأنبياء :٩٠]. أي: راغبين في جنته، خائفين من عذابه.

---

(١) الفتوحات المكية لابن عربي.

(٢) صحيح، جزء من حديث رواه البخاري (٥٠، ٤٧٧٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، ومسلم (١/٨) عن عبد الله بن عمر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

والله يخاطب الرسول الكريم قائلًا: ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ ﴾ [الأنعام].

٨- الصوفية تبيح الرقص والدُّف ورفع الصوت بالذكر والله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال :٢].

ثم تراهم يذكرون بلفظ (اللَّه) حتى يصلون إلى التلفظ بكلمة (آه ، آه) والرسول ﷺ يقول: «أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»[(١)].

ورفع الصوت في الذكر والدعاء منهي عنه بقول الله تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأعراف]. (لا يحب المعتدين في الدعاء بالتشدق ورفع الصوت) ذكره تفسير الجلالين.

والرسول ﷺ يسمع أصحابه يرفعون أصواتهم فيقول لهم: «أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، وَهُوَ مَعَكُمْ»[(٢)].

(وهو معكم: بسمعه وعلمه).

٩- الصوفية تذكر اسم الخمر والسُّكْرِ وتتغنى به، فيقول شاعرهم ابن الفارض:

شربنا على ذكر الحبيب مُدامة   سكرنا بها من قبل أن يُخلَق الكرم

وتراهم في بعض المساجد ينشدون:

هـــات كـــأس الـــراح   واســـقـــنـــا الأقـــداح

(والمدامة والراح: من أسماء الخمر).

نقول: لا يستحي المتصوفة من ذكر أسماء الخمر في بيت الله الذي أنشئ لذكر

(١) حسن، رواه الترمذي (٣٣٨٣)، وابن ماجه (٣٨٠٠)، وحسنه الألباني في المشكاة (٢٣٠٦).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٢٩٩٢، ٤٢٠٥، ٦٣٨٤، ٦٦١٠، ٧٣٨٦)، ومسلم (٢٧٠٤/ ٤٤) واللفظ له، وأبو داود (١٥٢٦)، والترمذي (٣٣٧٤، ٣٤٦١)، وابن ماجه (٣٨٢٤)، وأحمد في المسند (١٩٠٢٦، ١٩٠٧٨، ١٩٠٨٢، ١٩١٠٨، ١٩١٥١).

الله لا لذكر أسماء الخمر المحرمة، والله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المائدة].

١٠- الصوفية تتغزل باسم النساء والصبيان في مجالس الذكر، فيرددون اسم الحب، والعشق والهوى، وليلى، وسعاد، وغيرها، وكأنهم في مجلس طرب، فيه الرقص، وذكر الخمر، مع التصفيق والصياح، والتصفيق من عادة المشركين وعبادتهم، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال :٣٥].

(المكاء: الصفير، والتصدية: التصفيق).

١١- الصوفية تستعمل الدف المسمى (بالمزهر) في ذكرها، وهو مزمار الشيطان، جاء في الحديث الصحيح أَنَّ أَبَا بَكْرٍ دَخَلَ عَلَيْهَا وَالنَّبِيُّ ﷺ عِنْدَهَا يَوْمَ فِطْرٍ أَوْ أَضْحًى وَعِنْدَهَا قَيْنَتَانِ تُغَنِّيَانِ بِمَا تَقَاذَفَتْ الْأَنْصَارُ يَوْمَ بُعَاثٍ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: مِزْمَارُ الشَّيْطَانِ، مَرَّتَيْنِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعْهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا وَإِنَّ عِيدَنَا هَذَا الْيَوْمُ»[١].

فقد أقر الرسول أبا بكر على قوله، ولكنه أخبره أنه في يوم عيد مسموح به للبنات، ولم يثبت عن الصحابة والتابعين أنهم استعملوا الدُّف عند ذكرهم، بل هو من بدع الصوفية التي حذر منها الرسول ﷺ بقوله: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»[٢].

(رد: غير مقبول).

(١) صحيح، رواه البخاري (٩٥٠، ٦٥٢، ٩٨٨، ٢٩٠٧) واللفظ له، ومسلم (١٦/٨٩٢)، والنسائي (١٥٩٣، ١٥٩٧)، وابن ماجه (١٧٩٨) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) صحيح، رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧/١٧١٨)، وأبو داود (٤٦٠٦)، وابن ماجه (١٤) كلهم عن عائشة رضي الله تعالى عنها.

١٢- بعض الصوفية يضرب نفسه بسيخ حديد بعد أن يتلو عزيمته الشركية أو أن يستغيث ويستعين بغير اللَّه عزَّ وجلَّ فتأتيه الشياطين ليساعدوه على فعله؛ لأنه استغاث بغير اللَّه، والدليل قول اللَّه تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف]. ﴿يَعْشُ﴾: يُعرض.
وبعض الجهال يظن أن هذا العمل من الكرامات، مع أن الفاعل لها قد يكون فاسقًا وتاركًا للصلاة، وكيف نعتبره كرامة، وصاحبه قد استغاث بغير اللَّه، بل هذا من الشرك والضلال الذي قال اللَّه فيه: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الأحقاف :٥].
وهو استدراج في طريق الضلال لفاعله بعد أن اختار الطريق لنفسه، قال اللَّه تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ [مريم :٧٥].

١٣- الصوفية لها طرق كثيرة كالتيجانية، والشاذلية، والنقشبندية، وغيرها، والإسلام له طريق واحد فقط، والدليل حديث ابن مسعود رضي اللَّه عنه حين قال: خَطَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ مُسْتَقِيمًا» قَالَ: ثُمَّ خَطَّ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ ثُمَّ قَالَ: «هَذِهِ السُّبُلُ وَلَيْسَ مِنْهَا سَبِيلٌ إِلَّا عَلَيْهِ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام][1].

١٤- الصوفية تَدَّعي الكشف وعلم الغيب، والقرآن يكذبهم قائلًا: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل :٦٥].
وقال ﷺ: «لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ»[2].

---

(١) حسن، رواه الدارمي (٢٠٢) وحسنه الألباني في المشكاة (١٦٦)، وأحمد في المسند (٤٤٢٣) وقال الأرناؤوط: إسناده حسن.

(٢) صحيح، جزء من حديث رواه البخاري (٧٣٨٠) عن عائشة رضي اللَّه عنها.

١٥- الصوفية تزعم أن اللَّه خلق محمدًا من نوره، وخلق من نوره جميع الأشياء، والقرآن يكذبهم قائلًا: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠]. وقوله تعالى عن خلق آدم: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾﴾ [ص].
وأما حديث: «أول ما خلق اللَّه نور نبيك يا جابر» فهو موضوع وباطل[1].

١٦- الصوفية تزعم أن اللَّه خلق الدنيا لأجل محمد ﷺ والقرآن يكذبهم قائلًا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات]. وخاطب القرآن الرسول ﷺ بقوله: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر].
(اليقين: الموت).

١٧- الصوفية تزعم رؤية اللَّه في الدنيا، والقرآن يكذبهم حين قال على لسان موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣].
وقد ذكر الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين (باب حكاية المحبين ومكاشفتهم) هذه القصة: قال أبو تراب يومًا: لو رأيت أبا يزيد! فقال له صديقه: إني عنه مشغول، قد رأيت اللَّه تعالى فأغناني عن أبي يزيد، قال أبو تراب: ويلك تغتر باللَّه عز وجل لو رأيت أبا يزيد (البسطامي) مرة واحدة كان أنفع لك من أن ترى اللَّه سبعين مرة.
ثم قال الغزالي: فأمثال هذه المكاشفات لا ينبغي أن ينكرها المؤمن.
أقول للغزالي: بل يجب على المؤمن أن ينكرها لأنها كذب وكفر تخالف القرآن والحديث والعقل.

---

(١) موضوع، وقد أشار الألباني إلى بطلان هذا الحديث في تعليقه على حديث رواه مسلم (٦٠/٢٩٩٦) ولفظه: «خُلِقَتْ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ» وقال الألباني في السلسلة الصحيحة (٨٢٠/١/٤٥٨): وفيه إشارة إلى بطلان الحديث المشهور على ألسنة الناس أول ما خلق اللَّه نور نبيك يا جابر ونحوه من الأحاديث التي تقول بأنه ﷺ خلق من نور فإن هذا الحديث دليل واضح على أن الملائكة فقط هم الذين خلقوا من نور دون آدم وبنيه.

١٨- الصوفية تدعي وتزعم رؤية الرسول ﷺ في الدنيا يقظة، والقرآن يكذبهم قائلًا: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٠].

(أي: من ورائهم حاجز يحجز بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا إلى يوم القيامة). ذكره الطبري.

ولم ينقل إلينا أحد من الصحابة أنه رأى الرسول ﷺ يقظة بعد وفاته، فهل هم أفضل من الصحابة؟ سبحانك هذا بهتان عظيم.

١٩- الصوفية تزعم أنها تأخذ العلم من الله مباشرة بدون واسطة الرسول ﷺ فيقولون: (حدثني قلبي عن ربي)، قال ابن عربي المدفون بدمشق في كتابه الفصوص: (فمنا الخليفة عن الرسول الذي يأخذ الحكم عنه ﷺ أو بالاجتهاد الذي أصَّلَه أيضًا، وفينا من يأخذه عن الله فيكون خليفة الله!).

أقول: هذا الكلام باطل يخالف القرآن الذي ينص على أن الله أرسل محمدًا ﷺ ليبلغ الناس أوامر الله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة:٦٧].

ولا يمكن لأحد أن يأخذ عن الله مباشرة، وهو كذب وافتراء، ثم إنَّ الإنسان لا يكون خليفة عن الله، لأن الله لم يغب عنا حتى يخلفه الإنسان، فالله هو الذي يخلفنا حينما نغيب ونسافر، ولذلك جاء في الحديث: «أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ»[1].

٢٠- الصوفية تقيم المولد والاجتماع باسم الصلاة على النبي ﷺ، وهم يخالفون تعاليمه، ولذلك حينما يرفعون أصواتهم في الذكر والأناشيد والقصائد التي فيها الشرك الصريح، فتراهم يقولون مخاطبين الرسول ﷺ:

المدد يا عريض الجاه المَدَد ويا مفيض النور على الوجود المدد

---

(١) صحيح، رواه مسلم (١٣٤٢/٤٢٥)، وأبو داود (٢٥٩٩)، والترمذي (٣٤٤٧) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

يا رسول اللَّه فرِّج كربنا ... ما رآك الكرب إلا وشرَد

أقول: الإسلام يوجب علينا الاعتقاد بأن مفيض النور على الوجود، والمفرج للكروب هو اللَّه وحده.

٢١- الصوفية تشد الرحال إلى القبور للتبرك بأهلها أو الطواف حولها، أو الذبح عندها مخالفين قول الرسول ﷺ: «لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِي هَذَا، وَمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى»(١).

٢٢- الصوفية تتعصب لشيوخها، ولو خالفت قول اللَّه ورسوله، واللَّه تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات :١]. والرسول ﷺ يقول: «لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ»(٢).

٢٣- الصوفية تستعمل الطلاسم والحروف والأرقام لعمل الاستخارة، والتمائم والحجب وغير ذلك.

نقول: لماذا يلجأون إلى الخرافات من حساب الزوجين في الاستخارة، وغيرها من البدع والمنكرات، ويتركون دعاء الاستخارة الوارد في صحيح البخاري الذي كان يُعلمه الرسول ﷺ أصحابه كالسورة من القرآن يقول: «إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي- أَوْ قَالَ: عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ- فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي -أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ-

---

(١) صحيح، رواه البخاري (١٤٢١)، ومسلم (١٣٩٧/٥١١).

(٢) صحيح، جزء من حديث رواه البخاري (٧٢٥٧)، ومسلم (١٨٤٠/٣٩)، والنسائي (٤٢٠٥) كلهم عن علي رضي اللَّه عنه.

فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ أَرْضِنِي، قَالَ: وَيُسَمِّي حَاجَتَه»[1].

٢٤- الصوفية لا تتقيد بالصلوات الواردة عن رسول اللَّه ﷺ، بل يبتدعون صلوات فيها الشرك الصريح الذي لا يرضاه الذي يُصلون عليه، فقد جاء في كتاب (أفضل الصلوات) لشيخ لبناني صوفي يقول فيه: (اللَّهم صلِّ على محمد حتى تجعل منه الأحدية القيومية).

نقول: (الأحدية، والقيومية: من صفات اللَّه وأسمائه فلا تصرف إلا للَّه عزَّ وجلَّ).

وفي كتاب (دلائل الخيرات) صلوات مبتدعة لا يرضاها اللَّه ورسوله ﷺ، وهكذا يتبين لك أيها الأخ الحبيب أن الصوفية بعيدة عن الإسلام جدًا بعد أن رأيت اعتقادها وأعمالها في ميزان الإسلام، وأن العقل السليم يرفض هذه البدع والضلالات والمنكرات التي توقع في الشرك والكفر.

اللَّهم أرنا الحق حقًا، وارزقنا اتباعه وحببنا فيه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه وكرهنا فيه، وصلِّ اللَّهم على نبينا محمد وعلى آله وسلم.

من أقوال الصوفية

إنَّ كثيرًا من الصوفية يظن أنَّ الصوفية من الإسلام، وأنَّ فيهم الأولياء، وأريد لكل أخ مسلم أن يطلع على أقوالهم ليرى بعدهم عن الإسلام وتعاليم القرآن:

١- يقول الشيخ مُحيي الدين بن عربي المدفون بدمشق وهو كبير الصوفية في كتابه الفتوحات المكية: (ورُب حديث يكون صحيحًا عن طريق رواته حصل لهذا المكاشف الذي عاين هذا المظهر، فسأل النبي ﷺ عن هذا

---

(١) صحيح، رواه البخاري (١١٦٦، ٦٣٨٢، ٧٣٩٠)، وأبو داود (١٥٣٨)، والترمذي (٤٨٠)، والنسائي (٣٢٥٣)، وابن ماجه (١٣٨٣)، وأحمد في المسند (١٤٢٩٧) كلهم عن جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنه.

الحديث فأنكره وقال له: لم أقله ولا حكمت به فيعلم ضعفه، فيترك العمل به على بينةٍ من ربه، وإن كان عمل به أهل النقل لصحة طريقه، وهو في نفس الأمر ليس كذلك). وهذا الكلام موجود في مقدمة كتاب الأحاديث المشتهرة للعجلوني.

هذا الكلام خطير وضربٌ للحديث النبوي، وطعن في علماء الحديث كالبخاري ومسلم وغيره.

٢- ويقول ابن عربي عن وحدة الأديان كاليهودية والنصرانية والوثنية والإسلام:

وقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي ... إذا لم يكن ديني إلى دينه داني

فأصبح قلبي قابلًا كل حالة ... فمرعىً لغزلان، ودير لرُهبان

وبيتٌ لأوثانٍ وكعبةِ طائف ... وألواح توراةٍ ومُصحف قرآن

والقرآن يرد كلام ابن عربي ويقول: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران].

٣- وابن عربي يعتقد أن الله هو المخلوق، والمخلوق هو الله، وكل منهما يعبد الآخر، ويُعبِّر عن ذلك بقوله:

فَيحـمـدُنـي وأحـمـدُه ... ويـعـبـدُنـي وأعـبـدُه؟

٤- ويقول ابن عربي في كتابه الفصوص: (إن الرجل حينما يضاجع زوجته، إنما يضاجع الحق)!

٥- ويشرح النابلسي ذلك بقوله: (إنما ينكح الحق).

٦- ويقول أبو يزيد البسطامي يخاطب اللَّه: فزيني بوحدانيتك، وألبسني رَبَّانيتك، وارفعني إلى أحديتك، حتى إذا رآني خلقك قالوا رأيناك ويقول عنه نفسه: سبحاني سبحاني، ما أعظم شاني، الجنة لعبة صبيان!!

٧- ويقول جلال الدين الرومي: مسلم أنا ولكني نصراني، وبرهامي، وزرادشتي، ليس لي سوى معبد واحد ... مسجد، أو كنيسة، أو بين أصنام!!

٨- يقول ابن الفارض: إن اللَّه تجلَّى لقيس بصورة ليلى، وتجلى لكثير بصورة عزة، وتجلى لجميل بصورة بُثينة في قصيدته التائيّة المعروفة، فهو يعتبر أن هذا من تجليات الحق.

٩- سُئلت رابعة العدوية: هل تكرهين الشيطان؟ فقالت: (إن حبي للَّه لم يترك في قلبي كراهية لأحد) وتقول مخاطبة للَّه تعالى: (إن كنتُ أعبُدك خوفًا من نارك فاحرقني بها!!) واللَّه يحذرنا من النار فيقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦].

وقالوا عن رابعة: إنها كانت مُغنِّية أو راقصة، فكيف يجوز الأخذ بقولها وهي تخالف القرآن؟

١٠- ألَّف الشيخ عثمان البرهاني وهو صوفي معاصر من السودان كتابًا سماه (انتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان): ويقصد الوهابيين والإخوان المسلمين.

كرامات الصوفية

تزعم الصوفية أن لها رجالًا من الأولياء لهم كرامات وسأذكر للقارئ الكريم شيئًا من كراماتهم الصادرة عن أوليائهم ليرى أنها خرافات وضلالات وكفريات.

يقول الشعراني في كتابه (الطبقات الكبرى) يُعدد كرامات أولياء الصوفية:

١- وكان رضي اللَّه عنه يلبس الشاش المخطط كعمامة النصارى، وكان دكانه منتنًا قذرًا، لأن كل كلب وجده ميتًا أو خروفًا يأتي به فيضعه داخل الدكان، فكان لا يستطيع أحد أن يجلس عنده، وأنه توجه إلى المسجد فوجد في الطريق مسقاة كلاب فتطهر بها، ثم وقع في مشخة حمير.

٢- وكان رضي اللَّه عنه إذا رأى امرأة أو أمردًا (شابًا بلا لحية) راوده عن نفسه، وحسَّسَ على مقعدته، سواء كان ابن أمير أو ابن وزير، ولو كان بحضرة والده أو غيره، ولا يلتفت إلى الناس! ...

٣- ويتحدث الشعراني عن سيده (علي وحيش) فيقول: وكان إذا رأى شيخ بلد أو غيره يُنزله من على الحمار ويقول له امسك رأسها حتى أفعل بها، فإن أبى شيخ البلد، تسمَّر في الأرض لا يستطيع أن يمشي خطوة.

٤- يقول الشعراني عن سيده محمد الخضري: (أخبرني الشيخ أبو الفضل السرسي؛ أنه جاءهم يوم الجمعة فسألوه الخطبة، فطلع على المنبر، وحمد اللَّه وأثنى عليه وحده ثم قال: وأشهد أن لا إله لكم إلا إبليس عليه الصلاة والسلام. فقال الناس: كفر، فسل السيف ونزل وهرب الناس كلهم من الجامع، فجلس على المنبر إلى أذان العصر، وما تجرأ أحد أن يدخل الجامع، ثم جاء بعض أهالي البلاد المجاورة، فأخبر أهل كلِّ بلدة أنه خطب عندهم وصلى فيهم، فعددنا له ذلك اليوم ثلاثين خطبة، هذا ونحن نراه جالسًا عندنا في الخطبة.

الجهاد عند الصوفية

الجهاد الصحيح عند الصوفية قليل جدًا فهم مشغولون بجهاد أنفسهم على زعمهم ويروون حديثًا كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية وهو قوله ﷺ: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر وهو جهاد النفس».

فهذا لم يروه أحد من أهل المعرفة بأقوال النبي ﷺ، بل الواضح من القرآن والسنة أن جهاد الكفار من أعظم القُرُبات إلى اللَّه تعالى، وهذه أقوال الصوفية في الجهاد:

١- يقول الشعراني: لقد أخذ علينا العهد بأن نأمر إخواننا أن يدوروا مع الزمان وأهله كيفما دار، ولا يزدرون قط من رفعهُ اللَّه عليهم، ولو كان في أمور الدنيا وولايتها.

٢- ويقول ابن عربي: إن اللَّه إذا سلَّط ظالمًا على قوم؛ فلا يجب أن يقاوموه، لأنه عقاب لهم من اللَّه.

٣- وابن عربي وابن الفارض الزعيمان الصوفيان الكبيران عاشا في عهد الحروب

الصليبية، فلم نسمع أن واحدًا منهما شارك في قتال، أو دعا إلى قتال، أو سجل في شعره أو نثره آهة على الفواجع التي نزلت بالمسلمين، لقد كانا يقرران للناس: أن اللَّه هو عين كل شيء، فليدع المسلمون الصليبيين، فما هم إلا الذات الإلهية متجسدة بتلك الصور.

٤- ويذكر الغزالي في كتابه (المنقذ من الضلال) عند بحث طريقة التصوف، أنه كان خلال الحروب الصليبية مشغولًا في خلوته تارة في مغارة دمشق، وتارة في صخرة بيت المقدس، يغلق بابها عليه في مدة تزيد على السنتين.

ولما سقط بيت المقدس في يد الصليبيين عام ٤٩٢هـ لم يُحرِّك الغزالي ساكنًا، ولا دعا للجهاد لإعادته، مع أنه عاش (١٢) سنة بعد سقوطه.

وكتاب إحياء علوم الدين للغزالي، لم يذكر فيه شيئًا عن الجهاد أبدًا، بل ذكر فيه كثيرًا من الكرامات التي هي خرافات وكفريات، وهي في الجزء الرابع ص ٤٥٦.

٥- ويذكر صاحب (تاريخ العرب الحديث والمعاصر) أن أصحاب الطرق الصوفية أشاعوا الخرافات والبدع، وبثوا روح الانهزامية والسلبية في النضال، فاستخدمهم الاستعمار كجواسيس.

٦- ومن كتاب (في التصوف) لمحمد فهر شقفة السوري (ص: ٢١٧) يقول: (نرى من واجبنا خدمة للحقيقة والتاريخ أن نذكر أن الحكومة الفرنسية في زمن الانتداب على سورية حاولت نشر هذه الطريقة (التيجانية) واستأجرت بعض الشيوخ لهذه المهمة، فقدمت لهم المال والمكان لتنشئة جيل يميل إلى فرنسا، لكن مجاهدي المغرب لفتوا انتباه المخلصين من أهل البلاد إلى خطر الطريقة التيجانية، وأنها فرنسية استعمارية تتستر بالدين، فهبت دمشق عن بكرة أبيها في مظاهرات صاخبة).

تعليق عَقَدِي على قصيدة البردة

هذه القصيدة للشاعر البوصيري مشهورة بين الناس ولا سيما بين الصوفيين، ولو تدبرنا معناها لرأينا فيها مخالفات للقرآن وسنة الرسول ﷺ فهو يقول في قصديته:

١- يا أكرم الخلق ما لي مَنْ ألوذ به   سواك عند حلول الحادث العَمِم

يستغيث الشاعر بالرسول ﷺ ويقول له: لا أجد من ألتجئ إليه عند نزول الشدائد العامة إلا أنت، وهذا من الشرك الأكبر الذي يُخلِّد صاحبه في النار إن لم يتب منه، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس]. (أي: المشركين) لأن الشرك ظلم عظيم.

وقوله ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ»[١].

(الند: المثيل).

٢- فإن من جودك الدنيا وضرتَها   ومن علومك علمَ اللوح والقلم

وهذا مخالف لقول اللَّه تعالى: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [الليل].

فالدنيا والآخرة من اللَّه ومن خلقه، وليست من جود الرسول ﷺ وخلقه، والرسول ﷺ لا يعلم ما في اللوح المحفوظ، إذ لا يعلم ما فيه إلا اللَّه وحده، وهذا إطراء ومبالغة في مدح الرسول ﷺ حتى جعل الدنيا والآخرة من جود الرسول ﷺ وأنه يعلم الغيب الذي في اللوح المحفوظ بل إن ما في اللوح من علم اللَّه، قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥] ... هذا وقد نهانا الرسول ﷺ عن الإطراء فقال: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ؛ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»[٢].

٣- ما سامني الدهر ضيمًا واستجرت به   إلا ونلت جوارًا منه لم يُضَم

يقول: ما أصابني مرض أو هم وطلبت منه الشفاء أو تفريج الهم إلا شفاني وفرَّج همي.

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٤٤٩٧) عن عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه.

(٢) صحيح، رواه البخاري (٣٤٤٥).

والقرآن يحكي عن إبراهيم عليه السلام قوله أنه قال: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠﴾ [الشعراء].

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام :١٧] .

والرسول ﷺ يقول: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»[١].

ولذلك فالرسول ﷺ لا يملك لنفسه فضلًا عن أن يملك لغيره ضرًا أو نفعًا أو شفاءً أو تفريج همٍ أو غمٍ فالشفاء بيد اللَّه عزَّ وجلَّ وهو الذي يفرج الكربات، ويغيث اللَّهفات ويغني ذوي الفاقات ويعافي أصحاب العاهات والبليات.

٤- فإن لي ذمةً منه بتسميتي محمدًا وهو أوفى الخلق بالذمم

يقول الشاعر: إن لي عهدًا عند الرسول أن يدخلني الجنة؛ لأن اسمي [محمدًا]، ومن أين له هذا العهد، ونحن نعلم أن كثيرًا من الفاسقين والشيوعيين من المسلمين اسمه محمد؟ فهل التسمية بمحمد مُبرر لدخولهم الجنة؟

والرسول ﷺ قال لبنته فاطمة رضي اللَّه عنها: «سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا»[٢].

٥- لعل رحمة ربي حين يَقْسِمُها تأتي على حسب العصيان في القِسَمِ

وهذا غير صحيح، فلو كانت الرحمة تأتي قسمتها على قدر المعاصي كما قال الشاعر لكان على المسلم أن يزيد في المعاصي حتى يأخذ من الرحمة أكثر، وهذا لا يقوله مسلم ولا عاقل لأنه يخالف قول اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف :٥٦]، ومعنى ذلك أن رحمة اللَّه بعيدة عن العاصين.

واللَّه تعالى يقول: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ

---

(١) صحيح، رواه الترمذي (٢٥١٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٥٧)، وأحمد في المسند (٢٦٦٤، ٢٧٥٨) وقال الأرناؤوط: إسناده قوي.

(٢) صحيح رواه البخاري (٢٧٥٣، ٤٧٧١) واللفظ له، ومسلم (٢٠٦/ ٣٥١)، والنسائي (٣٦٤٦، ٣٦٤٧) كلهم عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه.

وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف :١٥٦].

٦- وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من ** لولاه لم تُخرج الدنيا من العدم

الشاعر يقول: لولا محمد ﷺ لما خُلقت الدنيا، واللَّه يكذبه ويقول: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات].

وأن محمدًا ﷺ خُلق للعبادة وللدعوة إليها يقول اللَّه تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر]. (اليقين: الموت).

٧- أقسمت بالقمر المنشق إنَّ له من قلبه نسبةً مبرورة القِسَمِ

الشاعر يقسم ويحلف بالقمر، والرسول ﷺ يقول: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ»[(١)].

ثم يقول الشاعر يخاطب الرسول قائلًا:

٨- لو ناسبت قدره آياته عِظمًا أحيا اسمه حين يُدعى دارس الرمم

ومعناه: لو ناسبت معجزات الرسول ﷺ قدره في العظم، لكان الميت الذي أصبح باليًا يحيا وينهض بذكر اسم الرسول ﷺ، وبما أنه لم يحدث هذا فاللَّه لم يُعطِ الرسول ﷺ حقه من المعجزات، فكأنه اعتاض على اللَّه حيث لم يعط الرسول ﷺ حقه!! وهذا كذب وافتراء على اللَّه، فاللَّه تعالى أعطى كل نبي المعجزات المناسبة له، فمثلًا أعطى عيسى عليه السلام معجزة إبراء الأعمى والأبرص وإحياء الموتى بإذن اللَّه وليس باسم عيسى عليه السلام، وأعطى لسيدنا محمد ﷺ معجزة القرآن الكريم، وتكثير الماء والطعام وانشقاق القمر وغيرها.

ومن العجيب أن بعض الناس يقولون: إن هذه القصيدة تسمى بالبردة وبالبُرأة؛ لأن صاحبها كما يزعمون مرض فرأى الرسول ﷺ، فأعطاه جبته فلبسها فبرئ من مرضه! -وهذا كذب وافتراء- حتى يرفعوا من شأن هذه القصيدة، إذ كيف يرضى الرسول ﷺ بهذا الكلام المخالف للقرآن ولهديه ﷺ وفيه شرك صريح.

---

(١) صحيح، رواه الترمذي (١٥٣٥)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٠٤٢).

علمًا بأن رجلًا جاء إلى رسول اللَّه ﷺ فقال له: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «أَجَعَلْتَنِي وَاللَّهَ عَدْلًا؟!! بَلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ»(١).

فاحذر أخي المسلم قراءة القصيدة وأمثالها المخالفة للقرآن، وهدي الرسول عليه الصلاة والسلام، والعجيب أن في بعض بلاد المسلمين من يُشيِّع بها موتاهم إلى القبور، فيضمون إلى هذه الضلالة بدعة أخرى حيث أمر رسول اللَّه ﷺ بالصمت عند تشييع الجنائز ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العلي العظيم.

تعليق عَقَدِي على كتاب دلائل الخيرات

أما بعد فإن كتاب (دلائل الخيرات) لمؤلفه محمد بن سليمان الجزولي منتشر في العالم الإسلامي، ولا سيما في المساجد يقرؤه المسلمون كثيرًا وربما قدموه على قراءة القرآن ولا سيما يوم الجمعة، وتتسابق المطابع في طبعه طمعًا في الربح المادي والدنيوي دون النظر إلى الخسارة الأخروية التي تلحق أصحاب المطابع.

ولو تصفح المسلم العاقل المطلع على أحكام دينه الكتاب لوجد فيه مخالفات شرعية كبيرة، وأهم هذه المخالفات:

- يقول مؤلفه في المقدمة (ص: ١٢) (مستمدًا من حضرته العالية) ويقصد به الرسول ﷺ.

نقول: هذا الكلام يخالف القرآن الذي لا يجيز طلب المدد إلا من اللَّه، قال تعالى: ﴿بَلَىٰٓ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ١٢٥﴾ [آل عمران] .

وكلام (دلائل الخيرات) يخالف قول الرسول ﷺ: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»(٢).

---

(١) صحيح، رواه أحمد في المسند (١٨٤٢) وقال الأرناؤوط: صحيح لغيره.

(٢) صحيح، رواه الترمذي (٢٥١٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٥٧)، وأحمد في المسند (٢٦٦٤، ٢٧٥٨) وقال الأرناؤوط: إسناده قوي.

- ثم يقول في (حزب النصر لأبي الحسن الشاذلي) المكتوب على الهامش (ص: ٧): (يا هو، يا هو، يا من بفضله لفضله نسألك العجل).

نقول: إن كلمة (هو) ليست من أسماء اللَّه الحسنى، بل هي ضمير يعود على الكلمة التي قبلها، ولذلك لا يجوز إدخال (يا) عليها كما يفعل الصوفية، وهي من بدعهم يزيدون في أسماء اللَّه ما ليس منها.

- ثم يذكر المؤلف أسماء الرسول ﷺ ويعددها، ويصفها بأسماء وصفات لا تليق إلا باللَّه عز وجل، علمًا بأن أسماء الرسول ﷺ وردت في قوله ﷺ: «إِنَّ لِي أَسْمَاءً: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِيَ الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمَيَّ، وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ أَحَدٌ، وَقَدْ سَمَّاهُ اللَّهُ رَءُوفًا رَحِيمًا»[1].

وعن أبي موسى الأشعري قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسَمِّي لَنَا نَفْسَهُ أَسْمَاءً فَقَالَ: «أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَالْمُقَفِّي، وَالْحَاشِرُ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ»[2].

- وأسماء الرسول التي ذكرها في (دلائل الخيرات) هي بدءًا من (٣٧-٤٧): (محيي، منجٍ، ناصر، غوث، غياث، صاحب الفرج، كاشف الكرب، شاف) (ص: ٣٨، ٤٠، ٤٣، ٤٧).

أقول: هذه الأسماء والصفات لا تليق إلا باللَّه، فالمحيي، والمنجي، والناصر، والمغيث، والشافي، وكاشف الكرب، وصاحب الفرج هو اللَّه سبحانه وتعالى، وقد أشار القرآن إلى ذلك فقال إبراهيم عليه السلام: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ۝٨١﴾ [الشعراء].

---

(١) صحيح، رواه البخاري (٣٥٣٢، ٤٨٩٦)، ومسلم (١٢٥/٢٣٥٤) واللفظ له عن جبير ابن مطعم.

(٢) صحيح، رواه مسلم (١٢٦/٢٣٥٥).

وقد أمر اللَّه سبحانه وتعالى رسوله ﷺ أن يقول للناس: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ [الجن].

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الكهف :١١٠].

نقول: إن صاحب (دلائل الخيرات) خالف القرآن، وسوّى بين اللَّه ورسوله في أسمائه وصفاته، وهذا مما يتبرأ منه الرسول ﷺ ولو سمعه لحكم على قائله بالشرك الأكبر .. جاء رجلًا إلى رسول اللَّه ﷺ فقال له: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «أَجَعَلْتَنِي وَاللَّهَ عَدْلًا؟!! بَلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ»(١)، وفي رواية عند النسائي: «أجعلتني للَّه ندًّا». (الند: المثيل والشريك).

وقال ﷺ: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»(٢).

(الإطراء: المبالغة والزيادة في المدح، ويجوز مدحه بما ورد في الكتاب والسنة).

- ثم ذكر بعض أسماء الرسول ﷺ: (مهيمن، جبار، روح القدس) [ص: ٤١، ٤٢].

والقرآن ينفي عن الرسول ﷺ فيقول له القرآن:

﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الغاشية].

﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ [ق :٤٥].

وروح القدس هو جبريل عليه السلام لقوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النحل :١٠٢].

- ثم ذكر صاحب الكتاب صفات لا تليق بمسلم فضلًا عن رسول هو من أفضل البشر فيقول عن الرسول ﷺ: (أحيد، أجير، جرثومة). [ص: ٣٧، ١١٥].

وفي أول الكتاب رفع المؤلف الرسول ﷺ إلى درجة الإله حينما قال: (محيي،

(١) صحيح، رواه أحمد في المسند (١٨٤٢) وقال الأرناؤوط: صحيح لغيره.

(٢) صحيح، رواه البخاري (٣٤٤٥).

ناصر، شاف، منج ...) إلى آخر الأوصاف التي مرت، وهنا ينزل بالرسول ﷺ إلى درجة (جرثومة، أجير) وهذا ما تقشعر له الأبدان، وتشمئز منه النفوس، وحاشاه ﷺ من ذلك، هو الذي نفع اللَّه به الأمة، وبلّغ الرسالة، وأنقذ بتعاليمه الناس من الظلم والشرك والتفرقة إلى العدل والتوحيد.

- ثم بعد هذا الكلام الباطل يعود ليصف الرسول ﷺ بأوصاف كاذبة فيها الشرك الذي يحبط العمل كقوله في صفحة (٩٠): (اللَّهم صلِّ على من تفتقت من نوره الأزهار، واخضَّرت من بقية ماء وضوئه الأشجار).

فاللَّه عزَّ وجلَّ هو الذي خلق الأشجار، وهو الذي فتق أزهارها، وأعطاها لون الخضرة.

- ثم يقول عن الرسول ﷺ (ص: ١٠٠): (والسبب في كل موجود).

إن كان قصده أن الموجودات خلقها اللَّه لأجل محمد ﷺ فهذا كذب وضلال. لأن اللَّه تعالى يقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات].

- ثم يقول المؤلف (ص: ١٩٨): (اللَّهم صلِّ على محمد ما سجعت الحمائم، وحامت الحوائم، وسرحت البهائم، ونفعت التمائم).

وهذا الكلام يخالف كلام الرسول ﷺ الذي نهى عن التمائم فقال: «مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ»(١).

(والتميمة: هي الخرزة أو الودعة أو غيرها تعلّق على الولد، أو السيارة، أو البيت لرد العين)، وهي من الشرك؛ وكلام المؤلف يخالف القرآن، فالنفع والضر بيد اللَّه تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١٧﴾ [الأنعام :١٧] .

- ثم يقول الجزولي: (اللَّهم صلِّ على محمد حتى لا يبقى من الصلاة شيء، وارحم محمدًا حتى لا يبقى من الرحمة شيء، وبارك على محمد حتى لا يبقى

(١) صحيح، رواه أحمد في المسند (١٦٩٦٩) وقال الأرناؤوط: إسناده قوي.

من البركة شيء، وسلِّم على محمد حتى لا يبقى من السلام شيء). [ص: ٦٤].

نقول: هذا كلام باطل يخالف القرآن فإن صلاة اللَّه ورحمته وبركته وسلامه وكلماته دائمة لا تنفد ولا تفنى، قال اللَّه تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف].

- جاء في كتاب (دلائل الخيرات) أيضًا: (اللَّهم صلِّ على من منه انشقت الأسرار، وانفلقت الأنوار، وفيه ارتقت الحقائق ... ولا شيء إلا وهو منوط، إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط).

نقول: هذا كلام باطل في أوله، وسخيف معقد في آخره يخالف الشرع والعقل.

ثم يقول في تتمة هذا الدعاء [ص: ٢٦]: (وزج بي في بحار الأحدية، وانشلني من أوحال التوحيد وأغرقني في عين بحر الوحدة، حتى لا أرى، ولا أسمع، ولا أحس إلا بها).

لاحظ أخي المسلم أن في هذا الدعاء أمرين:

أ- قوله: (وانشلني من أوحال التوحيد).

والأوحال هي الطين والأوساخ، فهل للتوحيد أوساخ؟!!

إن توحيد اللَّه في العبادة والدعاء نظيف ليس فيه أوحال أو أوساخ كما يزعم ابن مشيش، وإنما الأوحال والأوساخ في دعاء غير اللَّه من الأنبياء أو الأولياء، وهو من الشرك الأكبر الذي يحبط العمل ويخلد صاحبه في النار.

ب- قوله: (وزج بي في بحار الأحدية، وأغرقني في عين بحر الوحدة).

أقول: هذه وحدة الوجود عند بعض الصوفية التي عبَّر عنها زعيمهم ابن عربي المدفون بدمشق حيث قال في الفتوحات المكية:

العبد رب، والرب عبد ... يا ليت شعري من المُكَلَّفُ؟
إن قلت عبد فذاك حق ... وإن قلت رب فأنَّىٰ يُكَلَّفُ؟

فانظر كيف جعل العبد ربًا، والرب عبدًا، فهما مستويان عن ابن عربي وابن

مشيش الذي ذكر كلامه في (دلائل الخيرات).

- ثم ذكر المؤلف [ص: ٨٣]: (اللَّهم صلِّ على كاشف الغُمة، ومُجلي الظلمة، ومُولي النعمة، ومُؤتي الرحمة).

نقول: هذا إطراء لا يرضاه الإسلام وقد نهى الرسول ﷺ عنه.

- ثم يقول: علي بن سلطان محمد القاري في ورده الذي سماه: (الحزب الأعظم) المطبوع على هامش (دلائل الخيرات): (اللَّهم صلِّ على سيدنا محمد السابق للخلق نوره). [ص: ١٣٨].

نقول: هذا كلام باطل يكذبه الحديث القائل: «أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ»[١].

أما حديث: «أول ما خلق اللَّه نور نبيك يا جابر».فهو حديث عند أهل الحديث مكذوب وموضوع وباطل[٢].

- جاء في بعض النسخ من كتاب (دلائل الخيرات) وفي آخر قصيدة جاء فيها:

بأبي خليل شيخِنا وملاذِنا ... قُطب الزمان هو المسمى محمدُ

نقول: إن شيخه محمد يلوذ ويلتجئ إليه عند المصائب، وهذا شرك؛ لأن المسلم لا يلوذ إلا باللَّه، ولا يلتجئ إلا إليه لأنه حي قادر، وشيخه ميت عاجز لا ينفع ولا يضر.

ويعتقد أن شيخه قطب الزمان، وهذا اعتقاد الصوفية القائلة: (إنَّ في الكون أقطابًا

---

(١) صحيح، رواه أبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٢١٥٥، ٣٣١٩)، صححه الألباني في صحيح الجامع (٢٠١٨).

(٢) موضوع، وقد أشار الألباني إلى بطلان هذا الحديث في تعليقه على حديث رواه مسلم (٢٩٩٦/٦٠) ولفظه: «خُلِقَتْ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ» وقال الألباني في السلسلة الصحيحة (٨٢٠/١/٤٥٨): وفيه إشارة إلى بطلان الحديث المشهور على ألسنة الناس أول ما خلق اللَّه نور نبيك يا جابر ونحوه من الأحاديث التي تقول بأنه ﷺ خلق من نور فإن هذا الحديث دليل واضح على أن الملائكة فقط هم الذين خلقوا من نور دون آدم وبنيه.

يتصرفون في أمور الكون، حيث جعلوهم شركاء لله في تدبير الأمور، مع أن المشركين السابقين يعتقدون أنَّ المُدَبِّرَ للكون هو الله وحده، قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ [يونس: ٣١].

تنبيه:

لقد ورد في كتاب (دلائل الخيرات) أدعية صحيحة، ولكن هذه الطامات الكبرى السابقة الموجودة فيه أفسدت عقيدة القارئ للكتاب إذا اعتقد بها، فلم تعد تنفع الأدعية الصحيحة.

وفي الكتاب أخطاء كثيرة، ومن أراد التوسع فيرجع إلى كتاب (كتب ليست من الإسلام) لمؤلفه الأستاذ محمود مهدي استانبولي حيث تكلم عنه، وعن قصيدة البردة، ومولد العروس، وطبقات الأولياء للشعراني، وتائية ابن الفارض، والأنوار القدسية، والتنوير في إسقاط التدبير، ومعراج ابن عباس، والحكم لابن عطاء السكندري وغيرها من الكتب التي طالب المؤلف بإحراقها لما فيها من الضرر على عقيدة المسلمين.

[فيما يتعلق بالصوفية والتعليق على قصيدة البُردة وكتاب دلائل الخيرات نخلته بتصرف من كتاب توجيهات إسلامية للشيخ محمد جميل زينو].



١١- أهل السنة والجماعة

مجمل أصول الإعتقاد عند أهل السنة والجماعة:

أهل السنة والجماعة:

هم من كان على مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه.

وسُمّوا أهل السنة: لاستمساكهم واتباعهم لسنة النبي ﷺ.

وسُمّوا الجماعة: لأنهم الذين اجتمعوا على الحق، ولم يتفرقوا في الدين، واجتمعوا على أئمة الحق، ولم يخرجوا عليهم، واتبعوا ما أجمع عليه سلف الأمة، ولما كانوا هم المتبعين لسنة رسول اللّه ﷺ، المقتفين للأثر، سموا (أهل الحديث)، و(أهل الأثر)، و(أهل الاتّباع)، ويسمون (الطائفة المنصورة)، و(الفرقة الناجية)[١].

أولًا: قواعد وأصول: في منهج التلقي والاستدلال عند أهل السنة والجماعة:

❁ مصدر العقيدة هو كتاب اللّه، وسنة رسوله ﷺ الصحيحة، وإجماع السلف الصالح.

❁ كل ما صح من سنة رسول اللّه ﷺ وجب قبوله، وإن كان آحادًا.

❁ المرجع في فهم الكتاب والسنة، هو النصوص المبينة لها، وفهم السلف الصالح، ومن سار على منهجهم من الأئمة، ثم ما صح من لغة العرب، لكن لا يُعارَض ما ثبت من ذلك بمجرد احتمالات لغوية.

❁ أصول الدين كلها، قد بينها النبي ﷺ، وليس لأحد أن يحدث شيئًا زاعمًا أنه من الدين.

❁ التسليم للّه، ولرسوله ظاهرًا وباطنًا، فلا يعارض شيء من الكتاب، أو السنة الصحيحة بقياس، ولا ذوق، ولا كشف، ولا قول شيخ، ولا إمام ونحو ذلك.

❁ العقل الصريح موافق للنقل الصحيح، ولا يتعارض قطعيّان منهما أبدًا، وعند توهم التعارض يقدم النقل.

---

(١) راجع ما كتبه د. ناصر عبد الكريم العقل في (مجمل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة) بتصرف.

❁ يجب الالتزام بالألفاظ الشرعية في العقيدة، وتجنب الألفاظ البدعية. والألفاظ المجملة المحتملة للخطأ والصواب، يستفسر عن معناها، فما كان حقًا أثبت بلفظه الشرعي، وما كان باطلًا رد.

❁ العصمة ثابتة للرسول ﷺ والأمة في مجموعها معصومة من الاجتماع على ضلالة، وأما آحادها فلا عصمة لأحد منهم حتى وإن كان من أخص أولياء اللَّه المتقين، وما اختلف فيه الأئمة وغيرهم فمرجعه إلى الكتاب والسنة، مع التماس العذر للمخطئ من مجتهدي الأمة.

❁ في الأمة محدثون ملهمون، والرؤيا الصالحة حق، وهي جزء من النبوة، والفراسة الصادقة حق، وهي كرامات ومبشرات -بشرط موافقتها للشرع- وليست مصدرًا للعقيدة ولا للتشريع.

❁ المراء في الدين مذموم، والمجادلة بالحسنى مشروعة، وما صح النهي عن الخوض فيه، وجب امتثال ذلك، ويجب الإمساك عن الخوض فيما لا علم للمسلم به، وتفويض علم ذلك إلى عالمه سبحانه.

❁ يجب الالتزام بمنهج الوحي في الرد، كما يجب في الاعتقاد والتقرير، فلا ترد البدعة ببدعة، ولا يقابل التفريط بالغلو، ولا العكس.

❁ كل محدثة في الدين بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثانيًا: التوحيد العلمي الاعتقادي:

❁ الأصل في أسماء اللَّه وصفاته: إثبات ما أثبته اللَّه لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ على الحقيقة من غير تمثيل، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تأويل، ولا تفويض، ولا تشبيه كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] مع الإيمان بمعنى ألفاظ النصوص، وما دلت عليه.

❁ التمثيل والتعطيل في أسماء اللَّه وصفاته كفر، أما التحريف الذي يسميه أهل البدع تأويلًا، فمنه ما هو كفر، كتأويلات الباطنية، ومنه ما هو بدعة ضلالة، كتأويل نفاة الصفات، ومنه ما يقع خطأً.

- وحدة الوجود واعتقاد حلول اللَّه تعالى في شيء من مخلوقاته، أو اتحاده به، كل ذلك كفر مخرج من الملة.
- الإيمان بالملائكة الكرام إجمالًا، وأما تفصيلًا فبما صح به الدليل، من أسمائهم وصفاتهم وأعمالهم بحسب علم المُكَّلف.
- الإيمان بالكتب المنزلة جميعها، وأن القرآن الكريم أفضلها وناسخها، وأن ما قبله طرأ عليه التحريف، وأنه لذلك يجب اتباعه دون ما سبقه.
- الإيمان بأنبياء اللَّه ورسله صلوات اللَّه وسلامه عليهم، وأنهم أفضل ممن سواهم من البشر، ومن زعم غير ذلك فقد كفر، وما صح به الدليل بعينه منهم، وجب الإيمان به معينًا، ويجب الإيمان بسائرهم إجمالًا، وأن محمدًا ﷺ أفضلهم وآخرهم وأن اللَّه أرسله للناس جميعًا.
- الإيمان بانقطاع الوحي، بعد محمد ﷺ وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، ومن اعتقد خلاف ذلك كفر.
- الإيمان باليوم الآخر، وكل ما صح فيه من الأخبار، وبما يتقدمه من العلامات والأشراط.
- الإيمان بالقدر، خيره وشره من اللَّه تعالى، وذلك بالإيمان بأن اللَّه تعالى علم ما يكون قبل أن يكون كيف يكون، فقدَّر ذلك وقضاه وكتبه في اللوح المحفوظ، وأن ما شاء اللَّه كان، وما لم يشأ لم يكن، فلا يكون إلا ما يشاء، فإذا شاء جاء ما شاء في الوقت الذي يشاء على الوجه الذي يشاء واللَّه تعالى على كل شيء قدير وهو خالق كل شيء فعال لما يريد.
- الإيمان بما صح الدليل عليه من الغيبيات كالعرش والكرسي، والجنة والنار، ونعيم القبر وعذابه، والصراط والميزان، وغيرها دون تأويل شيء من ذلك.
- الإيمان بشفاعة النبي ﷺ وشفاعة الأنبياء والملائكة، والصالحين، وغيرهم يوم القيامة كما جاء تفصيله في الأدلة الصحيحة.

❁ رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة في الجنة وفي المحشر حق، ومن أنكرها أو أوّلها فهو زائغ ضال، وهي غير ممكنة لأحد في الدنيا.

❁ كرامات الأولياء والصالحين حق، وليس كل أمر خارق للعادة كرامة، بل قد يكون استدراجًا، وقد يكون من تأثير الشيطان والمبطلين، والمعيار في ذلك موافقة الكتاب والسنة أو عدمها، ولذلك يعرض الرجل بأقواله وأفعاله وأحواله وإلهاماته ومكاشفاته ومخاطباته وخوارق عاداته على الكتاب والسنة فمن وافق في ذلك الكتاب والسنة قبلنا منه، وإن خالف الكتاب والسنة ضربنا بها عرض الحائط، حتى وإن طار في الهواء أو مشى على الماء، وإن لم نعلم أموافق هو أو مخالف توقفنا في أمره.

❁ المؤمنون كلهم أولياء الرحمن، وكل مؤمن فيه من الولاية بقدر إيمانه.

ثالثًا: التوحيد الإرادي:

الطلبي (توحيد الألوهية):

❁ اللَّه تعالى واحد أحد، لا شريك له في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه، وصفاته، وهو رب العالمين، المستحق وحده لجميع أنواع العبادة المشروعة.

❁ صرف شيء من أنواع العبادة المشروعة كالدعاء، والاستغاثة، والاستعانة، والنذر، والذبح، والتوكل، والخوف، والرجاء، والحب، ونحوها لغير اللَّه تعالى شرك، أيًا كان المقصود بذلك، ملكًا مقربًا، أو نبيًا مرسلًا، أو عبدًا صالحًا، أو غيرهم، ولذلك فلا تصرف العبادات المشروعة لا لنبي مرسل أو ملك مقرب فضلًا عن غيرهما.

❁ من أصول العبادة أن اللَّه تعالى يُعبد بالحب والخوف والرجاء والتعظيم جميعًا، وعبادته ببعضها دون بعض ضلال، قال بعض العلماء: (من عبد اللَّه بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجيء).

❁ التسليم والرضا والطاعة المطلقة للَّه ورسوله ﷺ، والإيمان باللَّه تعالى حَكَمًا من الإيمان به ربًا وإلهًا، فلا شريك له في حكمه وأمره، وتشريع ما لم يأذن به اللَّه، والتحاكم إلى الطاغوت، واتباع غير شريعة محمد ﷺ، وتبديل شيء منها كفر، ومن زعم أن أحدًا يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى فقد كفر كفرًا أكبر يخرج من الملة.

❁ الحكم بغير ما أنزل اللَّه كفر أكبر، وقد يكون كفرًا دون كفر:

فالأول: إذا جحد الحاكم أحقية الحكم بما أنزل اللَّه أو اعتقد أن الأحكام الوضعية أفضل من حكم اللَّه ورسوله أو أنها مساوية في الفضل لحكم اللَّه ورسوله أو اعتقد جواز الحكم بغير ما أنزل اللَّه أو أوجد محاكم وضعية محادة ومعاداة للَّه ورسوله تحكم بالحكم الأمريكي أو البريطاني أو الفرنسي أو غيرها من القوانين الوضعية الأرضية وكذلك حكام الفرع الذين يحكمون بالسواليف والعرف والعادة والتقاليد وحكايات الآباء والأجداد، فإذا فعل ذلك الحاكم واعتقده فقد كفر كفرًا أكبر يخرج من الملة.

والثاني: العدول عن شرع اللَّه، في واقعة معينة لهوى مع الالتزام بشرع اللَّه.

❁ تقسيم الدين إلى حقيقة يميز بها الخاصة وشريعة تلتزم بها العامة دون الخاصة، وفصل السياسة أو غيرها عن الدين باطل، بل كل ما خالف الشريعة من حقيقة أو سياسة أو غيرها فهو إما كفر، وإما ضلال، بحسب درجته.

❁ لا يعلم الغيب إلا اللَّه وحده، واعتقاد أن أحدًا غير اللَّه يعلم الغيب كفر، مع الإيمان بأن اللَّه يطلع بعض رسله على شيء من الغيب.

❁ اعتقاد صدق المنجمين والكهان كفر، وإتيانهم والذهاب إليهم كبيرة.

❁ الوسيلة المأمور بها في القرآن هي ما يقرب إلى اللَّه تعالى، من الطاعات المشروعة، والتوسل ثلاثة أنواع:

أ- مشروع: وهو التوسل إلى اللَّه تعالى، بأسمائه وصفاته، أو بعمل صالح

من المتوسل، أو بدعاء الحي الصالح.

ب- بدعي: وهو التوسل إلى اللَّه تعالى بما لم يرد في الشرع، كالتوسل بذوات الأنبياء، والصالحين، أو جاههم، أو حقهم، أو حرمتهم، ونحو ذلك.

ج- شركي: وهو اتخاذ الأموات وسائط في العبادة، ودعاؤهم وطلب الحوائج منهم والاستعانة بهم ونحو ذلك.

❁ البركة من اللَّه تعالى، يختص بعض خلقه بما يشاء منها، فلا تثبت في شيء إلا بدليل.

وهي تعني كثرة الخير وزيادته أو ثبوته ولزومه.

وهي في الزمان كليلة القدر.

وفي المكان كالمساجد الثلاثة.

وفي الأشياء كماء زمزم.

وفي الأعمال، فكل عمل صالح مبارك.

وفي الأشخاص، كذوات الأنبياء، ولا يجوز التبرك بالأشخاص -لا بذواتهم ولا آثارهم- إلا بذات النبي ﷺ وآثاره إذ لم يرد الدليل إلا بها، وقد انقطع ذلك بموته ﷺ وذهاب آثاره.

❁ التبرك من الأمور التوقيفية، فلا يجوز التبرك إلا بما ورد به الدليل بمعنى لا يكون التبرك إلا بما علم شرعًا أن فيه بركة وأذن الشارع الحكيم بطلبه والتماسه.

❁ أفعال الناس عند القبور وزيارتها ثلاثة أنواع:

الأول: مشروع: وهو زيارة القبور لتذكر الآخرة، وللسلام على أهلها، والدعاء لهم.

الثاني: بدعي ينافي كمال التوحيد: وهو وسيلة من وسائل الشرك، وهو قصد عبادة اللَّه تعالى، والتقرب إليه عند القبور، أو قصد التبرك بها، أو إهداء الثواب عندها، والبناء عليها، وتجصيصها وإسراجها، واتخاذها مساجد، وشد

الرحال إليها، ونحو ذلك مما ثبت النهي عنه أو مما لا أصل له في الشرع.

الثالث: شركي ينافي التوحيد: وهو صرف شيء من أنواع العبادة لصاحب القبر، كدعائه من دون اللَّه، والاستعانة والاستغاثة به، والطواف، والذبح، والنذر له، ونحو ذلك.

❁ الوسائل لها حكم المقاصد، وكل ذريعة إلى الشرك في عبادة اللَّه أو الابتداع في الدين يجب سدها.

رابعًا: الإيمان:

❁ الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص:

فهو: قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح.

فقول القلب: اعتقاده وتصديقه.

وقول اللسان: إقراره.

وعمل القلب: تسليمه وإخلاصه، وإذعانه، وحبه، وإرادته للأعمال الصالحة.

وعمل الجوارح: فعل المأمورات، وترك المنهيات.

❁ من أخرج العمل عن الإيمان فهو مرجيء، ومن أدخل فيه ما ليس منه فهو مبتدع.

❁ من لم يقر بالشهادتين لا يثبت له اسم الإيمان، ولا حكمه، لا في الدنيا ولا في الآخرة.

❁ الإسلام والإيمان اسمان شرعيان بينهما عموم وخصوص من وجه ويسمى أهل القبلة مسلمين.

❁ مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمان، فهو في الدنيا مؤمن ناقص الإيمان وفي الآخرة تحت مشيئة اللَّه، إن شاء غفر له وإن شاء عذبه، والموحدون كلهم مصيرهم إلى الجنة، وإن عذب منهم بالنار مَنْ عُذِّبَ، ولا يخلد أحد منهم فيها قط.

❁ لا يجوز القطع لمعين من أهل القبلة بالجنة أو النار إلا من ثبت النص في حقه.

❁ الكفر في الألفاظ الشرعية قسمان: أكبر مخرج من الملة وأصغر غير مخرج من الملة ويسمى أحيانًا بالكفر العملي.

❁ التكفير من الأحكام الشرعية التي مردها إلى الكتاب والسنة فلا يجوز تكفير مسلم بقول أو فعل ما لم يدل دليل شرعي على ذلك، ولا يلزم من إطلاق حكم الكفر على قول أو فعل ثبوت موجبه في حق المعين إلا إذا تحققت الشروط وانتفت الموانع، والتكفير من أخطر الأحكام فيجب التثبت والحذر من تكفير المسلم.

خامسًا: القرآن الكريم:

❁ القرآن كلام اللَّه حروفه ومعانيه، منزل غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود، وهو معجزة دالة على صدق من جاء به ﷺ، محفوظ إلى يوم القيامة.

❁ اللَّه تعالى يتكلم بما شاء، متى شاء، كيف شاء، وكلامه تعالى حقيقة، بحرف وصوت، والكيفية لا نعلمها، ولا نخوض فيها.

❁ القول بأن كلام اللَّه معنى نفسي، أو أن القرآن حكاية، أو عبارة، أو مجاز، أو فيض، وما أشبهها ضلال وزيغ، وقد يكون كفرًا.

❁ من أنكر شيئًا من القرآن أو ادعى فيه النقص أو الزيادة أو التحريف فهو كافر.

❁ القرآن يجب أن يفسر بما هو معلوم من منهج السلف، ولا يجوز تفسيره بالرأي المجرد فإنه من القول على اللَّه بغير علم وتأويله بتأويلات الباطنية وأمثالها كفر.

سادسًا: القدر:

❁ من أركان الإيمان، الإيمان بالقدر خيره وشره من اللَّه تعالى، ويشمل: (الإيمان بكل نصوص القدر ومراتبه؛ العلم، الكتابة، المشيئة، الخلق، وأنه تعالى لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه).

❁ الإرادة والأمر الواردان في الكتاب والسنة نوعان:

أ- إرادة كونية قدرية: (بمعنى المشيئة) وأمر كوني قدري.

ب- إرادة شرعية: (لازمها المحبة) وأمر شرعي.

وللمخلوق إرادة ومشيئة ولكنها تابعة لإرادة الخالق ومشيئته.

❁ هداية العباد وإضلالهم بيد اللَّه، فمنهم من هداه اللَّه فضلًا، ومنهم من حقت عليه الضلالة عدلًا.

❁ العباد وأفعالهم من مخلوقات اللَّه تعالى، الذي لا خالق سواه، فاللَّه خالق لأفعال العباد، وهم فاعلون لها على الحقيقة.

❁ إثبات الحكمة في أفعال اللَّه تعالى، وإثبات تأثير الأسباب بمشيئة اللَّه تعالى.

❁ الآجال مكتوبة، والأرزاق مقسومة، والسعادة والشقاوة مكتوبتان على الناس قبل خلقهم.

❁ الاحتجاج بالقدر يكون على المصائب والآلام، ولا يجوز الاحتجاج به على المعايب والآثام، بل تجب التوبة منها، ويلام فاعلها.

❁ الانقطاع إلى الأسباب شرك في التوحيد، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع، ونفي تأثير الأسباب مخالف للشرع والعقل، والتوكل لا ينافي الأخذ بالأسباب، والمؤمن يأخذ بالأسباب ويتعلق بربها.

سابعًا: الجماعة والإمامة:

❁ الجماعة -في هذا الباب- هم أصحاب النبي ﷺ والتابعون لهم بإحسان، المتمسكون بآثارهم إلى يوم القيامة، وهم الفرقة الناجية، وكل من التزم بمنهجهم فهو من الجماعة، وإن أخطأ في بعض الجزئيات.

❁ لا يجوز التفرق في الدين، ولا الفتنة بين المسلمين، ويجب رد ما اختلف فيه المسلمون إلى كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ وما كان يدعو إليه السلف الصالح.

❁ من خرج عن الجماعة، وجب نصحه، ودعوته، ومجادلته بالتي هي أحسن، وإقامة الحجة عليه، فإن تاب وإلا عوقب بما يستحق شرعًا، إنما يجب حمل الناس على الجمل الثابتة بالكتاب والسنة والإجماع، ولا يجوز امتحان عامة المسلمين بالأمور الدقيقة، والمعاني العميقة.

❁ الأصل في جميع المسلمين سلامة القصد والمعتقد حتى يظهر خلاف ذلك، والأصل حمل كلامهم على المحمل الحسن، ومن ظهر عناده وسوء قصده فلا يجوز تكلف التأويلات له.

❁ فرق أهل القبلة الخارجة عن السنة، متوعدون بالهلاك والنار، وحكمهم حكم عامة أهل الوعيد، إلا من كان منهم كافرًا في الباطن، والفرق الخارجة عن الإسلام كفار في الجملة، وحكمهم أنهم مرتدون.

❁ الجمعة والجماعة من أعظم شعائر الإسلام الظاهرة، والصلاة خلف مستور الحال من المسلمين صحيحة، وتركها بدعوى جهالة حاله بدعة.

❁ لا تجوز الصلاة خلف من يظهر البدعة أو الفجور، مع إمكانها خلف غيره، وإن وقعت صحت، ويأثم فاعلها إلا إذا قصد دفع مفسدة أعظم، فإن لم يوجد إلا مثله أو شر منه جازت خلفه، ولا يجوز تركها.

❁ الإمامة الكبرى تثبت بإجماع الأمة، أو بيعة ذوي الحل والعقد منهم، ومن تغلب حتى اجتمعت عليه الكلمة وجبت طاعته بالمعروف، ومناصحته، وحرم الخروج عليه منعًا للفتنة، وحقنًا للدماء ، وتسكينًا للدهماء، إلا إذا ظهر منه كفر بَواح صُراح فيه من اللَّه برهان.

❁ الصلاة والحج والجهاد واجبة، مع أئمة المسلمين وإن جاروا.

❁ يحرم القتال بين المسلمين على الدنيا أو الحمّية الجاهلية، وهو من أكبر الكبائر، وإنما يجوز قتال أهل البدعة والبغي وأشباههم، إذا لم يمكن دفعهم بأقل من ذلك، وقد يجب بحسب المصلحة والحال.

❁ الصحابة الكرام كلهم عدول، وهم أفضل هذه الأمة، والشهادة لهم بالإيمان والفضل أصل قطعي معلوم من الدين بالضرورة، ومحبتهم دين وإيمان، وبغضهم كفر ونفاق، مع الكف عما شجر بينهم، وترك الخوض فيه بما يقدح في قدرهم، وأن القتال والشجار الذي حدث بينهم كانوا فيه متأولين فمن أصاب منهم فله أجران مع الشكر، ومن أخطأ فله أجر مع العذر، وما أريق بينهم من دماء قد كف اللَّه عنها أيدينا فلا نلطخ بها ألسنتنا.

وأفضلهم أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، وهم الخلفاء الراشدون، وتثبت خلافة كل منهم حسب ترتيبهم.

❁ من الدين محبة آل بيت رسول اللَّه ﷺ، وتوليهم، وتعظيم قدر أزواجه أمهات المؤمنين، ومعرفة فضلهن، ومحبة أئمة السلف، وعلماء السنة والتابعين لهم بإحسان، ومجانبة أهل البدع والأهواء.

❁ الجهاد في سبيل اللَّه ذروة سنام الإسلام، وهو ماضٍ إلى قيام الساعة.

❁ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم شعائر الإسلام، وأسباب حفظ جماعته، وهما يجبان بحسب الطاقة، والمصلحة معتبرة في ذلك.

أهم خصائص أهل السنة والجماعة وسماتهم:

أهل السنة والجماعة وهم الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة، فإنهم على تفاوتهم فيما بينهم، لهم خصائص وسمات تميزهم عن غيرهم منها:

❁ الاهتمام بكتاب اللَّه حفظًا وتلاوة وتفسيرًا، والاهتمام بالحديث، معرفة وفهمًا وتمييزًا لصحيحه من سقيمه، لأنهما مصدر التلقي، مع إتباع العلم بالعمل.

❁ الدخول في الدين كله، والإيمان بالكتاب كله، فيؤمنون بنصوص الوعد، ونصوص الوعيد وبنصوص الإثبات، ونصوص التنزيه، ويجمعون بين الإيمان بقدر اللَّه، وإثبات إرادة العبد ومشيئته وفعله، كما يجمعون بين العلم والعبادة، وبين القوة والرحمة، وبين العمل بالأسباب والزهد.

* الاتباع، وترك الابتداع، ونبذ الفرقة والاختلاف في الدين.
* الاقتداء، والاهتداء بأئمة الهدى العدول المقتدى بهم في العلم والعمل، والدعوة -الصحابة ومن سار على نهجهم- ومجانبة من خالف سبيلهم.
* التوسط: فهم في الاعتقاد وسط بين فرق الغلو وفرق التفريط، وهم في الأعمال والسلوك وسط بين المُفْرِطينَ والمُفَرِّطين.
* الحرص على جمع كلمة المسلمين على الحق وتوحيد صفوفهم على التوحيد والاتِّباع، وإبعاد كل أسباب النزاع والخلاف بينهم، ولا يوالون، ولا يعادون، على رابطة سوى الإسلام والسُّنة.
* الدعوة إلى اللَّه، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد، وإحياء السُّنة، والعمل لتجديد الدين، وإقامة شرع اللَّه وحكمه في كل صغيرة وكبيرة.
* الإنصاف والعدل: فهم يراعون حق اللَّه تعالى، لا حق النفس أو الطائفة، ولهذا لا يغالون في موالٍ، ولا يجورون على معادٍ، ولا يغمطون ذا فضل فضله أيًا كان.
* التوافق في الأفهام والتشابه في المواقف، رغم تباعد الأقطار والأعصار، وهذا من ثمرات وحدة المصدر والتلقي.
* الإحسان والرحمة وحسن الخلق مع الناس كافة.
* النصيحة للَّه ولكتابه ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم.
* الاهتمام بأمور المسلمين ونصرتهم، وأداء حقوقهم، وكف الأذى عنهم.

تم بحمد اللَّه ومنته صف كلمات كتاب

(الياقوت والمرجان في عقيدة أهل الإيمان)

الطبعة الرابعة

* * * *

مراجع كتاب الياقوت والمرجان في عقيدة أهل الإيمان

أ) في التفسير:

١- القرآن الكريم.

٢- تفسير القرآن، لابن كثير المتوفى [٧٧٤هـ].

٣- جامع البيان في تفسير القرآن، لابن جرير الطبري المتوفى [٣٠١هـ].

٤- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي المتوفى [٦٧١هـ].

٥- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي [١٢٧٩هـ].

٦- في ظلال القرآن الكريم، لسيد قطب.

٧- الأساس في التفسير، لسعيد حوى.

٨- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لأبي بكر الجزائري.

٩- زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي.

ب) كتب الحديث:

١- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني المتوفى [٨٥٢هـ].

٢- شرح النووي على صحيح مسلم، للنووي المتوفى [٦٧٦هـ].

٣- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، محمد فؤاد عبد الباقي.

٤- الترغيب والترهيب، للمنذري المتوفي [٦٥٦هـ].

٥- جامع الأصول، لابن الأثير الجزري المتوفي [٦٠٦هـ].

٦- تحفة الأحوذي على جامع الترمذي، للمباركفوري المتوفى [١٣٧٣هـ].

٧- عون المعبود شرح سنن أبي داود.

٨- سنن الدارمي، لعبد الله الدارمي المتوفى [٢٥٥هـ].

٩- الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني، للساعاتي.

١٠- مجمع الزائد ومنبع الفوائد، لنور الدين الهيثمي المتوفى [٨٠٧هـ].

١١- مستدرك الحاكم على الصحيحين، للحاكم المتوفى [٤٠٥هـ].

١٢- صحيح الجامع الصغير وزيادته، للشيخ ناصر الدين الألباني.

ج) كتب العقيدة:

١- معارج القبول، للشيخ حافظ الحكمي.

٢- شرح الطحاوية، بتحقيق الألباني.

٣- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، لسلمان بن عبد اللَّه بن محمد ابن عبد الوهاب المتوفى [١٢٣٣هـ].

٤- عقيدة التوحيد في فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد عصام الكاتب.

٥- عقيدة التوحيد، لشيخي الإسلام ابن تيمية، والشيخ محمد بن عبد الوهاب.

٦- الإيمان، لابن تيمية المتوفي [٧٢٨هـ].

٧- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، لابن تيمية المتوفي [٧٢٨هـ].

٨- الولاء والبراء، للقحطاني.

٩- الإيمان، للدكتور محمد نعيم ياسين.

١٠- التوسل أنواعه وأحكامه، للألباني.

١١- عقيدة المؤمن، للشيخ أبي بكر الجزائري.

١٢- مجمل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة، للدكتور ناصر عبد الكريم العقل.

د) كتب السير:

١- البداية والنهاية، لابن كثير المتوفى [٧٧٤هـ].

٢- سيرة ابن هشام، لابن هشام المتوفى [٢١٨هـ].

هـ) كتب اللغة:

١- القاموس المحيط، للفيروزأبادي المتوفى [٨١٧هـ].

٢- لسان العرب، لابن منظور.

٣- مختار الصحاح، للرازي المتوفى [٦٦٦هـ].

و) كتب أخرى:

١- مجموعة الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية.

٢- منهاج الفرق الناجية، للشيخ محمد جميل زينو.

٣- وقاية الإنسان من الجن والشيطان، للشيخ وحيد عبد السلام بالي.

٤- الصارم البتار في التصدي للسحرة الأشرار، للشيخ وحيد عبد السلام بالي.

٥- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية.

٦- الملل والنحل، للشهرستاني.

٧- عقد الدرر في المهدي المنتظر، للعلامة يوسف بن يحيى المقدسي.

٨- إغاثة اللَّهفان، لابن قيم الجوزية.

٩- فقه السُّنة، لسيد سابق.

١٠- إسلامنا، لسيد سابق.

١١- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية.

١٢- الوابل الصيب من الكلم الطيب، لابن قيم الجوزية.

١٣- الكلم الطيب، لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق الألباني.

١٤- الفتن والملاحم لابن كثير.

١٥- مشكاة المصابيح، للتبريزي تحقيق الألباني.

١٦- أشراط الساعة، للدكتور يوسف الوابل.

١٧- الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، للدكتور محمد خير هيكل.

١٨- توجيهات إسلامية، للشيخ محمد جميل زينو.

١٩- الطريق السَّويّ في اقتفاء أثر النبي ﷺ، للدكتور عبد اللطيف آل موسى.

٢٠- بالإضافة إلى مجموعة من الكتب والرسائل التي ذكرت في طيات هذا الكتاب.

ملاحظة:

ترقيمات تحقيق الأحاديث النبوية في حواشي الكتاب هي على النحو التالي:

١- صحيح البخاري، ترقيم فتح الباري.

٢- صحيح مسلم، ترقيم عبد الباقي.

٣- سنن الترمذي، ترقيم أحمد شاكر.

٤- سنن النسائي، ترقيم أبي غدة.

٥- سنن أبي داود، ترقيم محيي الدين.

٦- سنن ابن ماجه، ترقيم عبد الباقي.

٧- مسند أحمد، ترقيم إحياء التراث.

٨- موطأ مالك، ترقيم موطأ مالك.

٩- الدارمي، ترقيم علمي وزمرلي.



فهرس الكتاب

العنوان **الصفحة**

الركن الثاني من أركان الإيمان

الركن الثالث من أركان الإيمان

الركن الرابع من أركان الإيمان

الركن الخامس من أركان الإيمان

